

UNIVERSAL
LIBRARY

OU_190366

UNIVERSAL
LIBRARY

OSMANIA UNIVERSITY LIBRARY

Call No. ۴۵۸۹۲۵/ن - Accession No. ۱۶۲۵۱

Author مؤید بن محمد بن عبد الوهاب

Title مکیات الادب فی فنون الادب ج ۱۲

This book should be returned on or before the date last marked below.

دَارُ الْكِتَابِ الْمِصْرِيَّةِ

القسم الأدبي

نهاية التلاذذ

في

فنونه الأدب

تأليف

شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري

الجزء الرابع عشر

المطبعة
دَارُ الْكِتَابِ الْمِصْرِيَّةِ

١٣٦٢ هـ - ١٩٤٣ م

الطبعة الأولى بمطبعة دار الكتب المصرية

جميع الحقوق محفوظة لدار الكتب المصرية

فهرست

الجزء الرابع عشر

من

كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب للنويرى

صفحة

الباب الثانى من القسم الثالث من الفن الخامس فيما كان بعد موسى	
١	آبن عمران عليهما السلام
١	ذكر خبر يوشع بن نون عليه السلام وفتح أريحا وغيرها
٦	ذكر خبر حزقيل عليه السلام
٩	ذكر خبر إيلياس عليه السلام
	ذكر دعاء إيلياس على قومه وما حل بهم من القحط وخبر أليسع حين
٢٤	أتبع إيلياس
	ذكر رفع البلاء عن قوم إيلياس بدعوته وأستمرارهم على الكفر ورفع
٢٦	إيلياس وهلاك آجاب الملك وأمرأته، ونبوة أليسع
٢٨	ذكر نبوة أليسع عليه السلام
٣١	ذكر خبر عيلى وأشمويل وما يتصل بذلك
٣٢	ذكر ابتداء أمر أشمويل وكيف كانت نبوته
٣٦	ذكر خبر الملك طالوت وإتيان التابوت وخبر جالوت
٣٨	ذكر قصة التابوت وصفته وما قيل فيه
٤٢	ذكر إتيان التابوت إلى بنى إسرائيل وسبب عوده
٤٤	ذكر مسير طالوت بالجنود وخبر النهر الذى آبتلوا به
٤٥	ذكر خبر داود حين قتل جالوت الملك

صفحة

- ذكر خلافة داود عليه السلام ونبوته ومبعثه إلى بنى إسرائيل وما خصه
الله عز وجل به ٥٤
- ذكر خبر داود عليه السلام حين آتت بالخطيئة ٦١
- ذكر ميلاد سليمان بن داود عليهما السلام ٧٠
- ذكر خبر أبشالوم بن داود ٧٠
- ذكر خبر الزرع الذى رعته الغنم وما حكم فيه سليمان عليه السلام ... ٧٢
- ذكر خبر الذين أعتدوا فى السبت ٧٣
- ذكر استخلاف داود ابنه سليمان عليهما السلام وخبر الصحيفة وأبتداء
أمر الخاتم ٧٦
- ذكر وفاة داود عليه السلام ٨٠
- ذكر نبوة سليمان بن داود عليهما السلام وملكه ٨٢
- ذكر حشر الطير لسليمان بن داود عليهما السلام وكلامها له ٨٢
- ذكر خبر العنقاء فى القضاء والقدر ٨٦
- ذكر خبر خاتم سليمان عليه السلام ٩٣
- ذكر خبر حشر الجن لسليمان بن داود عليهما السلام ٩٤
- ذكر خبر مطالبته عليه السلام ٩٥
- ذكر خبر الرزق الذى سأل سليمان الله تعالى أن يحريه على يديه ٩٦
- ذكر خبر بناء بيت المقدس وأبتداء أمره ٩٧
- ذكر خبر وادى التل وما قيل فيه ١٠٣
- ذكر خبر البعوض وما قيل فيه ١٠٤
- ذكر خبر الخيل وما قيل فيها ١٠٥
- ذكر خبر بساط سليمان عليه السلام ١٠٧
- ذكر خبر صخر الجنى ١٠٨
- ذكر صفة كرسى سليمان عليه السلام وما انتهى إليه أمره ١٠٩

صفحة

- ١١١ ذكر خبر بلقيس وأبتداء أمرها
- ١١٣ ذكر خبر ميلاد بلقيس وكيف كان وسبب ملكها
- ١١٦ ذكر خبر سليمان وبلقيس وسبب زواجه بها
- ١٢٣ ذكر صفة القصر الذى بنته بلقيس وصفة عرشها
- ١٢٤ ذكر خبر وادى القردة
- ١٢٥ ذكر خبر الرجل الذى قُبِضَ بأرض الهند
- ١٢٥ ذكر خبر الفتنة وذهاب خاتم سليمان عليه السلام ورجوعه إليه
- ١٣٤ ذكر عزم سليمان عليه السلام أن يطوف على نسائه
- ١٣٤ ذكر وفاة بلقيس زوجة سليمان عليه السلام
- ١٣٥ ذكر خبر وفاة سليمان بن داود عليهما السلام

الباب الثالث من القسم الثالث من الفن الخامس فى أخبار شعيا وإرميا عليهما السلام وخبر يختصر ونحراب بيت المقدس وعمارته وما يتصل

- ١٤٢ بذلك من خبر عزيز وفتنة اليهود
- ١٤٢ ذكر قصة شعيا عليه السلام
- ١٤٩ ذكر قصة إرميا عليه السلام
- ١٥٣ ذكر خبر يختصر وأبتداء أمره وكيف ملك
- ١٥٨ ذكر خبر يختصر مع دانيال
- ذكر خبر عمارة بيت المقدس بعد أن خربه يختصر وخبر الذى
- ١٦٤ مرة على قرية

الباب الرابع من القسم الثالث من الفن الخامس فى قصة ذى النون يونس

- ١٧١ آبن متى عليه السلام وخبر بلوقيا
- ١٧١ ذكر قصة ذى النون يونس بن متى عليه السلام
- ١٨٢ ذكر خبر بلوقيا وما شاهد من العجائب

صفحة	الباب الخامس من القسم الثالث من الفن الخامس في أخبار زكريا
١٩٥	وأبناه يحيى وعمران ومريم وعيسى بن مريم عليهم السلام
١٩٥	ذكر نسب زكريا وعمران عليهما السلام وما يتصل بذلك
١٩٦	ذكر ميلاد مريم بنة عمران عليه السلام
١٩٨	ذكر دعاء زكريا أن يرزقه الله عز وجل الولد ومولد يحيى بن زكريا
٢٠١	ذكر صفة يحيى بن زكريا وحليته
٢٠١	ذكر نبوة يحيى عليه السلام وسيرته وزهده
٢٠٢	ذكر مقتل يحيى بن زكريا وأبيه زكريا عليهما السلام
٢٠٦	ذكر هلاك بنى إسرائيل وخراب بيت المقدس ثانيا
٢٠٩	ذكر خبر حمل مريم بنة عمران بعيسى عليهما السلام
٢١٣	ذكر خبر ميلاد عيسى بن مريم عليهما السلام
٢١٨	ذكر رجوع مريم بعيسى عليه السلام بعد مولده الى قومها
	ذكر خروج مريم وعيسى عليهما السلام الى مصر وما ظهر له من
٢١٩	المعجزات في مسيره ومدّة مقامه الى أن عاد
٢٢٤	ذكر خبر زكريا عليه السلام مع هيرودس الملك وما كان من أمره ...
٢٢٥	ذكر رجوع عيسى ومريم عليهما السلام من مصر
٢٢٦	ذكر خبر الحوارين حين آتبعوا عيسى عليه السلام وآمنوا به
	ذكر الخصائص والآيات والمعجزات التي أظهرها الله تعالى على يد
٢٢٧	عيسى عليه السلام بعد مبعثه
٢٢٩	ذكر خبر سام بن نوح وغيره الذين أحياهم عيسى بإذن الله عز وجل
٢٣٣	ذكر خبر يجمع عدّة معجزات من معجزات عيسى عليه السلام
٢٣٦	ذكر خبر المائدة التي أنزلها الله عز وجل من السماء
٢٤٣	ذكر مآقالته الشياطين الثلاثة في عيسى بن مريم وأتبعهم الناس بعدهم
٢٤٤	ذكر خبر إبليس حين عارض عيسى عليه السلام وما خاطبه به وجوابه

صفحة

- ٢٤٦ ... ذكر خبر عيسى مع اليهود حين ظفروا به وأرادوا صلبه وقتله ...
- ٢٤٧ ... ذكر خبر رفع عيسى عليه السلام أول مرة وهبوطه إلى الأرض ووصيته إلى الحواريين ورفع ثانيا ...
- ٢٤٨ ... ذكر وفاة مريم بنة عمران عليها السلام ...
- الباب السادس من القسم الثالث من الفن الخامس في أخبار الحواريين الذين أرسلهم عيسى عليه السلام وما كان من أمرهم مع من أرسلوا إليه وخبر جرجيس ...
- ٢٥٠ ... ذكر خبر أخبار الحواريين ...
- ٢٥٠ ... ذكر خبر يوحنا ويونس اللذين توجهوا إلى إيطاكية ...
- ٢٥٥ ... ذكر خبر توما الحوارى مع ملك الهند وإيمانه به ...
- ٢٥٧ ... ذكر خبر لوقا الحوارى مع ملك فارس ...
- ٢٥٩ ... ذكر خبر جرجيس رحمة الله عليه ...
- ٢٧٠ ... التذييل على القسم الثالث من الفن الخامس ...
- الباب الأول من التذييل على القسم الثالث من الفن الخامس في ذكر الحوادث التي تظهر قبل نزول عيسى بن مريم ...
- ٢٧١ ... ذكر خبر المتغلبين على البلاد وذلك مما يظهر من الفتن قبل نزول عيسى عليه السلام ...
- ٢٧٢ ... ذكر خبر خروج المهدي ...
- ٢٧٣ ... ذكر خبر خروج الدجال وصفته وما يكون من أمره الى أن يتزل عيسى عليه السلام ...
- ٢٧٥ ... الباب الثاني من التذييل على القسم الثالث من الفن الخامس في خبر نزول عيسى بن مريم عليه السلام وقته الدجال وخروج يأجوج ومأجوج وفسادهم وهلاكهم ووفاة عيسى عليه السلام ...
- ٢٧٧ ... ذكر نزول عيسى بن مريم عليه السلام ...
- ٢٧٨ ... ذكر خبر يأجوج ومأجوج ...
- ٢٨١ ... الحديث الجامع لأخبار عيسى بن مريم عليه السلام والدجال ...

صفحة

الباب الثالث من التذليل على القسم الثالث من الفن الخامس في ذكر ما يكون بعد وفاة عيسى بن مريم عليه السلام الى أن ينفخ إسرافيل في الصور النفخة الأولى	٢٨٥
ذكر خروج الدابة وطلوع الشمس من مغربها	٢٨٥
ذكر خبر قيام الساعة والنفخة الأولى	٢٨٦
الباب الرابع من التذليل على القسم الثالث من الفن الخامس في أخبار يوم القيامة والحشر والمعاد والنفخة الثانية في الصور	٢٨٨
ذكر يوم القيامة وأسمائه	٢٨٨
ذكر الحشر والمعاد والنفخة الثانية	٢٨٩
حديث لقيط بن عامر	٢٩٢
القسم الرابع من الفن الخامس في أخبار ملوك الأصقاع وملوك الأمم والطوائف وخبر سيل العرم ووقائع العرب في الجاهلية ويشتمل على خمسة أبواب	٢٩٨
الباب الأول في أخبار ذى القرنين الذى ذكره الله عز وجل في كتابه العزيز	٢٩٨
في سورة الكهف	٢٩٨
ذكر أخبار ذى القرنين	٢٩٨
ذكر خبر دخول ذى القرنين الظلمات مما يلي القطب الشمالى لطلب عين الحياة	٣٠٩
الباب الثانى من القسم الرابع من الفن الخامس في أخبار ملوك الأصقاع وهم ملوك الهند والصين والترك وجبل الفتح وملوك مصر	٣١٩
ذكر أخبار ملوك الهند	٣١٩
ذكر تنصيب ابن البرهمى وهو الباهبود	٣٢١
ذكر أخبار ملوك الصين	٣٢٤
ذكر أخبار ملوك الترك	٣٣٢
ذكر جبل الفتح وما عليه من الملوك والأمم	٣٣٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الباب الثاني

من القسم الثالث من الفن الخامس

فما كان بعد موسى بن عمران عليهما السلام
 وهو أخبار يوشع بن نون وخزقييل وإلياس وأليسع وعيلي^(١)
 وأشمويل وداود وطالوت وجالوت وسليمان بن داود
 عليهم السلام

١٠٨
١١

ذكر خبر يوشع بن نون^(٢) — عليه السلام — وفتح أريحا وغيرها

قال أبو إسحاق الثعلبي — رحمه الله تعالى — : اختلف العلماء فيمن تولى

١٠ حرب الجبارين وفيمن كان على يده الفتح ، فقال قوم : إنما فتح أريحا موسى

ملاحظة — الأرقام الموجودة بالهامش تشير إلى رقم الصفحة وعدد الجزء من نسخة أ التي اعتمدنا عليها في الطبع ، وقد راجعنا هذا الجزء أيضا على نسختين أخريين رمزنا لهما بحرفي ب ، ج ونسخة ج بها عدة خروم .

(١) كذا في الأصل وقصص الأنبياء للثعلبي وتاريخ الطبري (ص ٥٥١ من القسم الأول) .
 وفي الكتاب المقدس (ج ١ ص ٥٠ وما بعدها) « عالي » . ١٥

(٢) هكذا يرد هذا الاسم في الكتب العربية والشعر العربي ؛ قال أبو تمام :
 فوالله ما أدرى أحلام نائم * ألمت بنا أم كان في الركب يوشع
 وفي الكتاب المقدس في كل المواضع التي ورد فيها : « يشوع بن نون » .

(٣) أريحا (بالفتح ثم الكسر و باء ساكنة والحاء المهملة والقصر ، وقد رواه بعضهم بالحاء المعجمة لغة عبرانية) : مدينة الجبارين في القور من أرض الأردن بالشام ، بينها وبين بيت المقدس يوم القارص ٢٠ في جبال صبة المسلك . سميت فيما قيل بأريحا بن مالك بن أرغشد ... (راجع معجم البلدان لياقوت) .

— عليه السلام — وكان يُوشعُ على مقدمته فسار إليها بن بَقِيَّ من بني إسرائيل ولم يَمُتْ في التَّيَّةِ ، فدخلها يُوشعُ بهم وقتل الجبَّارين الذين كانوا فيها ، ودخلها موسى بنى إسرائيل ، فأقام فيها ما شاء الله تعالى أن يقيم ، ثم قبضه الله تعالى ، ولم يعلم أحدٌ من الناس أين قبره . قال : وهذا أولى الأقاويل بالصدق . وقال الآخرون : إنما قُتِلَ الجبَّارين يُوشعُ ولم يسر إليهم إلَّا بعد موت موسى . وقالوا : إنما مات موسى وهارون — عليهما السلام — في التَّيَّةِ .

قالوا : فلما آنقضت مدَّة التَّيَّةِ ومات موسى — عليه السلام — بعث الله تعالى يُوشعَ بن نُونٍ نبيًّا ، فأخبرهم أنه نبيُّ الله تعالى ، وأن الله — عزَّ وجل — قد أمره بقتال الجبَّارين ، فصَدَّقوه وبأيَّوه . فتوجَّه بنى إسرائيل الى أَرِيحَا ومعه تابوت الميثاق ، فأحاط بمدينة أَرِيحَا ستَّة أشهر ، فلمَّا كان في الشهر السابع نفخوا في القُرُون وضحَّ الشعبُ ضجَّةً واحدةً ، فسقط سُورُ المدينة ، فدخلوها وقتلوا الجبَّارين ، فهزموهم وهجموا عليهم يقتلونهم ، فكانت العِصَابَةُ من بنى إسرائيل يجمعون على عُقُّ الرجل يضرُّونها لا يقطعونها ، وكان القتال يوم الجمعة ، فبقيت منهم بقيَّة وكادت الشمس تغرب وتدخل ليلة السبت ، فخشى يُوشعُ أن يُعجزوه ، فقال : اللهم أَرُدِّدْ الشمس على- ، وقال للشمس : إنك في طاعة الله ، وأنا في طاعة الله . فسأل الشمس ١٥

(١) الجبارون أو الجبارة الذين كانوا بالشام هم من المالبق ، ويقال لهم الكنعانيون . (راجع تاريخ الطبرى ص ٢١٣ من القسم الأول طبع أوروبا) .

(٢) سيذكر المؤلف وصف هذا التابوت فيما سيأتى . وراجع وصفه أيضا في الكتاب المقدس

(ج ١ ص ١٣٢ طبع بيروت سنة ١٨٨٢ م) .

(٣) يريد بالقرون الأبواق (راجع الكتاب المقدس ج ١ ص ٣٥٦) .

(٤) في قصص الأنبياء لأبى إسحاق الثعلبى (ص ١٩٥ طبع بلاق) : « نفخوا في القرون وصاحوا

صيحة واحدة » . وفي الكتاب المقدس (ج ١ ص ٣٥٦) : « فنهف الشعب ونفخوا في الأبواق » .

أَنْ تَقِفَ والقمر أن يُقِيمَ حتى ينتقم من أعداء الله قبل غروب الشمس، فُرِدَّتْ عليه الشمس وزِيدَ له في النهار ساعةً واحدةً حتى قتلهم أجمعين .

قالوا : ثم أرسل ملوك الأرمنانيين بعضهم الى بعض - وكانوا خمسة^(٢) - بجمعوا كلمتهم على حرب يُوشع وقومه ، فهزمت بنو إسرائيل الملوك حتى أهبطوهم إلى نِيَّةِ حوران ، فرماهم الله تعالى بأحجار البرد ، فكان من قتل البرد أكثر ممن قتله بنو إسرائيل بالسيف ، وهربت الملوك الخمسة ، فأخفقوا في غار ، فأمر بهم يُوشع فأخرجوا ، فقتلهم وصلبهم ، ثم أنزلهم وطرحهم في ذلك الغار ، وتبع سائر ملوك الشام فأستباح منهم أحدًا وثلاثين ملكًا حتى غلب على جميع أرض الشام ، وصار الشام كله لبني إسرائيل ، وفزق عماله في نواحي الشام .

١٠ وحكى الكسائي في (تأب المبتدا) أن يُوشع أخذ في الجهاد بعد وفاة موسى عليه السلام حتى فتح الله على يديه نيفا وثلاثين مدينة من مدن الكفار بأرض الشام . قال : ثم سار بنو إسرائيل إلى أريحا لقتال الجبارين ، وكانوا قد عادوا إليها بعد أن فتحها موسى ، فقاتلهم يوم الجمعة ، وساق نحو ما تقدم من حبس الشمس . قال : وفسد على أهل علم النجوم علوم كثيرة من ذلك اليوم .

١٥ قال الكسائي : ولما فرغ يُوشع بن نون من قتال الجبارين بأريحا سار بنو إسرائيل إلى أرض بني كنعان ، فقاتلهم حتى قتل أكثر من ثلاثين ملكًا ، وفتح ثلاثين حصنًا .

(١) في الكتاب المقدس (ج ١ ص ١٨ ، ٣٦٣) : « ملوك الأموريين » وهم من ذرية كنعان .
(٢) وهم : ملك أورشليم وملك حبرون وملك يرموث وملك لاكيش وملك مجلون . (راجع الكتاب المقدس ج ١ ص ٣٦٥) .

(٣) في الكتاب المقدس (ج ١ ص ٣٦٤) : « وفيها هم منهزمون من وجه إسرائيل وهم في منهبط بيت حورون ... » . وحوران (بالفتح) : كورة واسعة من أعمال دمشق من جهة القبلة ذات قرى كثيرة ومزارع (راجع معجم البلدان لياقوت) .

قال الثعلبي في تفسيره : ولما قتل يوشعُ الملوكَ وأستباحَ الأموال جمع الغنائم فلم تُنزل النار ، فأوحى الله تعالى إلى يوشع أن فيها غُلُولاً ، فَرُهِم فليبايعوك فبايعوه ، فَأَلْتَصَقَتْ يَدُ رجل منهم بيده ، فقال : هَلُم ما عندك ! . فأتاه برأس ثور من ذهب مَكْلَل بالياقوت والجوهر كان قد غلَّه ، ففعله في القُربان وجعل الرجل معه ، فجاءت النار فأكلت الرجل والقُربان .

قالوا : ثم مات يوشع فُدفن في جبل أفرايم ^(٢) ، وكان عمره مائة وستاً وعشرين سنة ، وتديره أمر بني إسرائيل بعد وفاة موسى — عليه السلام — تسعاً وعشرين سنة . وقال الكسائي : أربعين سنة . والله تعالى أعلم .

ولما مات استُخلف على بني إسرائيل كالب بن يوقنا ^(٤) ، وهو من أولاد يهوذا بن يعقوب ، وكان من الزهاد ، فسار فيهم أجمال سيرة حتى قبضه الله تعالى .

فاستُخلف عليهم ابنه برشائس ^(٥) وكان نظير يوسف الصديق — عليه السلام — في حسنه وجماله ، فافتتن الناس به ، فسأل الله تعالى أن يغير خلقته ، فأصابه

(١) الفول : الغلابة في المغام .

(٢) كذا ورد هذا الاسم في الكتاب المقدس (ح ١ ص ٣٧٦ - ٣٩٠) ، وورد في أ ، ب خاليا من الانعام . وهذا الجبل إلى جنوبي سهل يزرعيل . وكان يطلق هذا الاسم على سلسلة هضاب في أملاك أفرايم تمتد إلى تحوم بنيامين . أما تربة هذا الجبل نخصة بالإجمال إلا ما كان منها إلى جهة الأردن فانه صخري صعب المرتق ، وكذلك ما كان منه إلى جهة البحر الميت فانه غاية في القعل . (راجع قاموس الكتاب المقدس للدكتور جورج بوست) .

(٣) في الكتاب المقدس (ج ١ ص ٣٩٥) : « أبن مئة وعشرين » .

(٤) في الكتاب المقدس (ج ١ ص ٣٧٣) : « كالب بن يونا » .

(٥) في تاريخ الطبري (ص ٥٣٩ من القسم الأول) : « أن كالب بن يوقنا لما قبضه الله بعد يوشع خلف فيهم يعنى في بني إسرائيل حزقييل بن بوذى » .

الجُدْرَى، فتغيّرت خالقتها، فأنكره الناس وأكثروا من سؤاله عن خبره، فشقّ ذلك عليه وشغله عن عبادته، فسأل الله تعالى أن يزيده تشويها، فاسترعى وجهه، وظهرت له أسنان طوال، وقُبِحَ حتى كره الناس أن ينظروا إليه، وعرفوا منه الاجتهاد في عبادة الله تعالى وطاعته، فاختاروه وسمعوا له وأطاعوا، ولم يزل بين أظهرهم

١٠٩
١١

• أربعين سنة ثم قبضه الله تعالى .

فقام بأمرهم العيزار بن هارون بن عمران، وكان قد أسنّ ولا ولده، بفعلوا يقولون : ما حُرِّم الولدُ إلّا للذنْبِ عظيم . فسأل الله الولدَ، فزقه ولدا بعد كِبَرِ سنّته وإياس زوجته صَفُورِيَّة بنت عمّة موسى بن عمران وجدّ له قوّة، ولها جمالا وحسنا، وسَمِيَ ولده « سباسباً »^(٢) وجاء عالما بالتوراة، فاستخلفه والده على بني إسرائيل، فقام بأمرهم، وتزوج بأمرأة يقال لها صَفُورِيَّة، فأولدها إياس . هكذا نقل الكسائي .

١٠

وقال النعلبيّ في قصصه في خبر ابن كالب وسمّاه «بوساقوس» : وأنه لما آفتن الناس به سأل الله تعالى أن يغيّر صورته مع سلامة حواسه وجوارحه فأصابه الجُدْرَى . وقال : إنه لبث فيهم مائة سنة، ثم قبضه الله — عزّ وجلّ — . ولم يذكر العيزار وأبنته، بل ذكر خبر حَزَقِيل . والله تعالى أعلم .

١٥

(١) في الكتاب المقدس (ج ١ ص ٣٩٠) : « العازار » .

(٢) في تاريخ الطبري (ص ٤٤٣ من القسم الأول) والكتاب المقدس (ج ١ ص ١٢١) وقاموس الكتاب المقدس للدكتور جورج بوست (ح ٢ ص ٨) : « صفورة » .

(٣) في قصص الأنبياء للكسائي (ورقة ٢٠٩) من النسخة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية

ذكر خبر حَزَقِيل عليه السلام

قال أبو إسحاق الثعلبي - رحمه الله تعالى - قالت العلماء : لما قبض الله تعالى كالبَ وأَبْنَه ، بعث الله - عز وجل - حَزَقِيلَ^(١) إلى بني إسرائيل ، وهو حَزَقِيل بن بُوذَى ، ويلقب بآبن العجوز .

- قال : وإنما لُقِّبَ بذلك لأن أمه سألت الله تعالى الولد وقد كبرت وعَظِمت ، فوهبه الله تعالى لها ، وهو الذى أحيا الله تعالى القومَ بعد وفاتهم بدعائه ، وهم الذين قال الله تعالى فيهم : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ^(٢) ﴾ .

- قال قال أكثر المفسرين : كانت قرية^(٣) يقال لها دَاوَرْدَانُ قَبْلَ واسط وقع بها الطاعون ، فخرج منها طائفة^(٤) هاربين من الطاعون وبقيت طائفة ، فهلك أكثر من بَقِيَ^(٥) في القرية ، وسَلِمَ الذين خرجوا ، فلما أرتفع الطاعون رجعوا سالمين . فقال الذين بقوا : أصحابنا كانوا أحرَمَ مِنَّا ، لو صنعنا كما صنعوا لبقينا ، ولئن وقع الطاعون بها ثانية لنخرجن إلى الأرض التي لا وباء فيها . فوقع الطاعون من قابل ، فهرب عامة أهلها ، فخرجوا حتى نزلوا وادياً أفيج^(٤) ، فلما نزلوا المكان الذى يرغبون فيه الحياة والنجاة ، إذا هم بملك من أسفل الوادى وآخر من أعلاه يناديهم كل واحد منهما أن موتوا فماتوا^(٥) .

(١) في الكتاب المقدس (ج ٢ ص ٥٣٨) : « حَزَقِيل » .

(٢) سورة البقرة آية ٢٤٣ ، وراجع تفسير هذه الآية الكريمة بتفصيل واف في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (ج ٣ ص ٢٣٠ - ٢٣٦ طبع دار الكتب المصرية) وغيره من التفاسير .

(٣) داوردان (يفتح الواو وسكون الراء وآخره نون) : من نواحي شرق واسط بينهما فرسخ . (راجع معجم البلدان) .

٢٠

(٤) أفيج : واسع .

(٥) هذه عبارة الثعلبي في نصوص الأنبياء . وفي الأصلين : « فإذا ملك من أسفل الوادى وآخر

من أعلاه ينادون موتوا جميعا » .

وقال الضحّاك ومُقاتل والكلبيّ : إنّما فز هؤلاء من الجهاد ؛ وذلك أنّ ملكاً من ملوك بني إسرائيل أمرهم أن يخرجوا إلى قتال عدوّهم ، فخرجوا فعسكروا ثم جَبُنُوا وكرِهُوا الموت وأَعْتَلُوا وقالوا للملكهم : إنّ الأرض التي نأتيها بها الوباء فلا نأتيها حتى ينقطع منها الوباء ؛ فأرسل الله تعالى عليهم الموت ، فلمّا رأوا أنّ الموت كَثُرَ فيهم خرجوا من ديارهم فراراً منه . فلمّا رأى الملك ذلك قال : اللهم ربّ يعقوب وإلّه موسى ، قد ترى معصية عبادك فأرهم آية في أنفسهم حتى يعلموا أنهم لا يستطيعون الفرار من حُكْمِكَ وقضائك . فلمّا خرجوا قال الله لهم : موتوا ، فماتوا جميعاً وماتت دوابُّهم كموت رجل واحد ، فما أتت عليهم ثلاثة أيام حتى آتفتخوا وأَرْوَحَتْ أجسادهم^(١) ، فخرج إليهم الناس فعجزوا عن دفنهم ، فحَفَظُوا عليهم حَظِيرَةً^(٢) دون السِّباع وتركوهم فيها .

قال : وأختلفوا في مبلغ عددهم ، فقال عطاء الخِرّاسانيّ : كانوا ثلاثة آلاف^(٣) . وقال ابن عباس ووهب : أربعة آلاف . وقال مُقاتل والكلبيّ : ثمانية آلاف . وقال أبو رَوَوق : عشرة آلاف . وقال أبو مالك : ثلاثين ألفاً . وقال السُّدِّيّ : بضعة وثلاثين ألفاً . وقال ابن جرّيج : أربعين ألفاً . وقال عطاء بن أبي رباح : سبعين ألفاً .

(١) أروحت أجسادهم : تغيرت راحتها وأنتنت .

(٢) الحظيرة : ما أحاط بالشيء . وتكونت من قصب وخشب أو شجر ، وتعمل للإبل لتقيها

البرد والريح .

• (٣) في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (ج ٣ ص ٢٣١) : « والصحيح أنهم زادوا على عشرة آلاف لقوله تعالى : « وهم ألاف » وهو جمع الكثرة ، ولا يقال في عشرة فما دونها ألاف . وقال ابن زيد في لفظة ألاف : إنّما معناها وهم مؤتلفون ، أي لم تخرجهم فرقة قومهم ولا فتنه بينهم إنّما كانوا مؤتلفين » .

قالوا : فأت عليهم مدّة وقد بليت أجسادهم ، وعزيت عظامهم ، وتقطعت أوصالهم ، فربّهم خرّ قيل النبيّ — عليه السلام — فوقف عليهم متفكراً متعجباً ، فأوحى الله تعالى إليه : يا خرّ قيل ، تريد أن أريك كيف أحيي الموتى ؟ قال نعم ، فأحياهم الله جميعاً .

- قال : هذا قول السّدىّ وجماعة من المفسّرين . وقال هلال بن يساف وجماعة من العلماء : دعا خرّ قيل ربّه أن يحييهم فقال : يا ربّ لو شئت أحييت هؤلاء فعمروا بلادك وعبدوك . فقال الله — عزّ وجل — أوتحبّ أن أفعل ؟ قال نعم ، فأحياهم .

وقال عطاء ومقاتل والكلبيّ : بل كانوا قوم خرّ قيل ، فأحياهم الله — عزّ

- وجل — بعد ثمانية أيام ؛ وذلك أنهم لما أصابهم ذلك خرج خرّ قيل في طلبهم ١٠ فوجدهم موتى ، فبكى وقال : ياربّ كنت في قوم يمدّونك ويقدسونك ويكبرونك ويهللونك فيقيت وحيداً لا قوم لي . فأوحى الله تعالى إليه : إني قد جعلت حياتهم إليك . فقال خرّ قيل : أحيوا بإذن الله تعالى ، فعاشوا .

١١٠
١١

وقال وهب : أصابهم بلاء وشدة من الزمان ، فشكوا ما أصابهم فقالوا : يا ليتنا

- ميتنا فاسترحنا ممّا نحن فيه . فأوحى الله — عزّ وجل — إلى خرّ قيل : إن قومك قد ١٥ صيخروا من البلاء ، وزعموا أنهم ودّوا لو ماتوا فاستراحوا ، وأتى راحة لهم في الموت ! أيلظنون أنّي لا أقدر أن أبشهم بعد الموت ! فأنطلق إلى جبانة كذا ، فإن فيها قوماً أمواتاً . فأتاهم ، فقال الله — عزّ وجل — : قم فنأدهم — وكانت أجسامهم وعظامهم قد تفرّقت ، فزقتها الطير والريح — فنادى خرّ قيل : أيّها العظام ، إن الله يأمرك أن تكتسى اللحم . فأكتست جميعاً اللحم ، وبعد اللحم جلدًا ودمًا وعصبا ٢٠

وعمر وفا، فكانت أجسادا، ثم نادى : أيتها الأرواح، إن الله تعالى يأمرِك أن تعودى فى أجسادك . فقاموا جميعا عليهم ثيابهم التى كانوا فيها، وكبروا تكبيرة واحدة . قال : وزعم منصور بن المعتمر عن مجاهد أنهم قالوا حين أُخِيُوا : سبحانك ربنا وبمجدك لا إله إلا أنت، فرجعوا إلى قومهم بعد ما أحياهم الله - عز وجل - وعاشوا دهرًا يعرفون أنهم كانوا أمواتا، سحنة الموت على وجوههم، لا يلبسون ثوبا إلا عاد رَمِيمًا مِثْلَ الكفن، حتى ماتوا لآجالهم التى كتب الله لهم . وقال ابن عباس - رضى الله عنهما - فإنها لتوجد اليوم فى ذلك السَّبْط من اليهود تلك الريح .

قال قتادة : مقتهم الله - عز وجل - على فرارهم من الموت فأماتهم عقوبة لهم، ثم بعثهم إلى بقية آجالهم ليستوفوها، ولو كانت آجال القوم جاءت ما بعثوا بعد موتهم . فلما أحياهم الله - عز وجل - قال : ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾^(١) . ثم تلا الثعلبى هذه القصة بقصة إلياس؛ وذكرها الكسائى - تلوقصة العيزار . والله الموفق للصواب .

ذكر خبر إلياس عليه السلام

قال الله عز وجل : ﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾^(٢) . قال الكسائى - رحمه الله تعالى - قال كعب : لما وُلِدَ إلياس - عليه السلام - ونسبه أنه إلياس ابن سباسب^(٤) بن العيزار بن هارون . قال : وأمه صفورية ، وجدته أم أبيه

(١) سورة البقرة آية ٢٤٤

(٢) سورة ص آية ١٢٣

(٣) الذى فى الكسائى « وهب » وهو ابن منه .

(٤) انظر الحاشية رقم ٣ ص ٥ من هذا الجزء .

صَفْوَرِيَّةُ^(١) بنت موسى بن عمران — عليه السلام — ظهر لـبلة مولده أنوار أضاءت منها محاريب بنى إسرائيل . فلما نظرتُ ملوكُ بنى إسرائيل ذلك علموا أنه قد حدث حادث ، فتعزفوا الخبر ، فقبيل لهم : وُلِدَ مولود من ولد هارون ابنِ عمران .

قال : وكان إلياس على صورة موسى وقوته ، ونشأ أحسن نشأة .
وبنو إسرائيل يقولون : هذا الذى بَشَّرْنَا به العِيزَار ، أن الله يهلك الملوك والجبابرة على يديه .

قال : فلما بلغ سبع سنين — وكان يحفظ التوراة — قال : يا بنى إسرائيل ، إني أرى أنى أرىكم من نفسى عجباً . فصاح بهم صيحةً أنتشرت فيهم فأرعبت قلوبهم . فلما سكنت روعتهم هموا بقتله ، وقال بعضهم : هو ساحر ، فهرب منهم وصعد إلى جبل وهم يتبعونه . فلما قربوا منه أنفجر له الجبل فدخل فيه ، وأنصرف القوم . فنمى الخبر إلى بعض ملوكهم فعذبهم ، ثم أنفجر الجبل ، وأقام إلياس به يأكل من المباحات حتى استكمل أربعين سنة ، والناس قد أخذوا في عبادة الأصنام وخاضوا في المعاصي ، فبعثه الله تعالى نبياً ورسولاً ، وجاءه جبريل بالوحي ، وأمره عن الله تعالى أن يتوجه إلى الملوك والجبابرة الذين يعبدون الأصنام ويدعوهم إلى طاعة الله تعالى وعبادته ، وأن يرسلوا معه بنى إسرائيل وأعطاء القوة ، وأمر النار والجبال والوحش بطاعته . فأنطلق إلياس إليهم وهم في سبعين قرية ، كل قرية منها مدينة ، في كل مدينة جبار يسوسهم ، وكلهم يعبدون صنماً يدعى « بَعْلًا » وهو على صورة امرأة . فصار إلياس إلى قرية من قراهم ، وكان فيها ملك يقال له

(١) انظر الحاشية رقم ٢ ص ٥ من هذا الجزء .

« آجَاب » ، فوقف بالأقرب من قصره ، وقرأ التوراة بأطيب نعمة ، فسمعه الملك ، فقال لأمرأته : ألا تسمعين ؟ ما أطيّب هذا الصوت ! فقامت المرأة إليه وأشرفت عليه من أعلى القصر وسألته عن حاله وخبره ، فأخبرها أنه رسول الله . قالت : وما مُجَّتِكَ على دعواك ؟ فاستدعى النار بفخات إليه وشهدت بنبوته وصدقته ، فأخبرت المرأة زوجها بما رأت منه ، فباء إليه وآمن به هو وأمرأته ، وأوصاه بالصبر والجهد ، وأنصرف إلياس . حتى إذا كان يوم اجتماع القوم وقد خرجوا بزيتهم ونصبوا صنهم بعلًا وقف عليهم ودعاهم إلى الإيمان ، فقال فيما أخبر الله تعالى به عنه : ﴿ وَإِنْ إِلَاسَ لِمَنْ أَلْمُسَلِينَ * إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ * أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ * اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾ . فقالوا له : من أنت ؟ فقال : أنسيتموني بعد أن كنت فيكم ومعكم ! أنا إلياس . فخنوا في وجهه التراب ورموه بالحجارة من كل جانب . وكان ملكهم الأكبر يقال له « عاميل » ، فامر بزيت فغُلّي في قدر نحاس وقال لإلياس : إن رجعت وإلا طرحتك فيه ! . فقال : أنا وحيد في أرضكم ، فريد في جمعكم ، ولكني أرىكم آية تدل على صدق دعواي أتي رسول الله إليكم . فقال له الملك نعم . فقال إلياس : أيتها النار انمُدي

(١) كذا في الأصل ونقص الأنبياء للكسائي . نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية رقم ٣٤٦٦ أدب ورقة ٢٠٥ وما بعدها . وفي قصص الأنبياء للنعلي (ص ١٩٩) : « لاجب » بالجم المعجمة . وفي ورقة ٩٠ من نسخة مخطوطة منها محفوظة بدار الكتب المصرية رقم ١٤٧ م أدب : « أجب » مضبوطا بالقلم بضم الهمزة وفتح الجيم . وفي تاريخ الطبري (ص ٥٤٠ من القسم الأول) : « احاب » بالحاء المهملة .

(٢) من أول قوله : « الله ربكم » الى أول الكلام على ذكر نبوة اليسع عليه السلام (في أول

الصفحة ٢٨ من هذه الطبعة) لم يرد في ب .

(٣) سورة الصافات آية ١٢٣ وما بعدها .

(٤) في أ « للناس » وهو تحريف .

بإذن الله تعالى، تَحَمَّدت وسكن غَلِيَان الزيت، فَعَجِبَ النَّاسُ مِنْ ذَلِكَ .
 قَالَ الْمَلِكُ : قَدْ أَتَيْتَ بِمَجَّةٍ، وَلَكِنْ أَهْلُنَا يَوْمَنَا لَنَنْظُرَ فِي أَمْرِكَ . فَفَارَقَهُمْ وَأَتَاهُمْ
 مِنَ الْغَدِ وَدَعَاهُمْ، فَجَمَعَ الْمَلِكُ مَلُوكَ قَوْمِهِ وَعِلْمَاءَهُمْ وَقَالَ : مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا
 الرَّجُلِ ؟ فَقَالَ الْعُلَمَاءُ : إِنَّا نَرَى فِي التَّوْرَةِ صِفَةً هَذَا الرَّجُلِ أَنَّهُ يُبْعَثُ نَبِيًّا تُسَخَّرُ لَهُ
 النَّارُ وَالْأَسْوَدُ وَالْجِبَالُ ، وَأَنَّهُ لَا يَسْمَعُ أَحَدٌ صَوْتَهُ إِلَّا ذَلَّ وَخَضَعَ لَهُ . فَقَالَ بَعْضُ
 عِلْمَائِهِمْ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، كَذَبَ هَؤُلَاءُ فِيمَا ذَكَرُوهُ ، وَهَذَا سَاحِرٌ ، فَلَا يَهْوَلُكَ أَمْرُهُ .
 فَبَسَطَ الْعَذَابَ عَلَى أَوْلَئِكَ النَّفَرِ ، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى إِيْلَاسَ ، وَخَالَفَهُ الْمَلِكُ « آجَاب »
 الَّذِي كَانَ قَدْ آمَنَ بِهِ ؛ فَفَارَقَتْهُ زَوْجَتُهُ وَلَحِقَتْ بِإِيْلَاسَ ؟ وَكَانَتْ مِنَ الصَّالِحَاتِ .

قَالَ : وَأَتَّخِذُ إِيْلَاسَ عَرِيْشًا بِالْقُرْبِ مِنْ قَصْرِ الْمَلِكِ « عَامِيل » ، فَأَشْرَفْتُ أَمْرًا

- ١٠ عاميل عليه في بعض الليالي وهو يعبد الله تعالى، فنظرتُ الى عمود من نور من لدن
 العريش في السماء، فأمنتُ وَلَحِقْتُ بِهِ ، فَأَمَرَ زَوْجَهَا أَنْ تُلْقَى فِي النَّارِ ، فَأُلْقِيَتْ
 فِيهَا ، فَدَعَا إِيْلَاسَ — عَلَيْهِ السَّلَام — اللَّهُ تَعَالَى لَهَا ، فَلَمْ تَعْمَلِ النَّارُ فِيهَا شَيْئًا ،
 فَأَاطَلَقَهَا الْمَلِكُ ، فَلَحِقَتْ بِإِيْلَاسَ . ثُمَّ مَاتَ وَلَدُ عَامِيلِ الْمَلِكِ بِغَيْرِ عِلَّةٍ عَلَيْهِ وَتَضَرَّعَ إِلَى
 صَنَمِهِ فَلَمْ يُغْنِ عَنْهُ شَيْئًا ، فَغَضِبَ وَقَالَ لِإِيْلَاسَ : إِنْ آجَبِي قَدْ مَاتَ وَعَجَزَ إِلَهِي عَنْ
 إِحْيَائِهِ ، فَهَلْ تَقْدِرُ أَنْ تُحْيِيَهُ ؟ فَقَالَ : هَذَا عَلَى رَبِّي هَيِّنٌ ، وَدَعَا اللَّهُ تَعَالَى ، فَقَامَ
 ١٥ الْغُلَامُ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ إِيْلَاسَ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، فَأَمَّنَ الْمَلِكُ وَخَرَجَ عَنْ
 الْمُلْكِ وَتَبِعَ إِيْلَاسَ وَلَبَسَ الصُّوفَ وَعَبَدَ اللَّهَ تَعَالَى حَتَّى مَاتَ ، وَمَاتَتْ زَوْجَتُهُ وَأَبْنَاهُ .
 وَأَسْتَمَرَ الْقَوْمُ فِي ضَلَالِهِمْ وَكَفَرِهِمْ مَا شَاءَ اللَّهُ ، وَإِيْلَاسَ يَدْعُوهُمْ فَلَا يَجِيبُونَهُ ، فَأَوْحَى
 اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ أَنْ أَدْعُهُمْ وَأَنْذِرَهُمْ ، فَإِنْ آمَنُوا وَإِلَّا حَبَسْتُ عَنْهُمْ الْغَيْثَ وَأَبْتَلِيَّتَهُمْ
 بِالْقَحْطِ . فَدَعَاهُمْ فَقَالُوا : إِنَّا لَا نُؤْمِنُ بِكَ وَلَا بِرَبِّكَ ، فَأَصْنَعْ مَا أَنْتَ صَانِعٌ .
 ٢٠ فَحَبَسَ اللَّهُ — عَزَّ وَجَلَّ — عَنْهُمْ الْمَطَرَ، وَغَارَتِ الْعَيُونُ وَجَفَّتِ الْأَشْجَارُ ، فَأَكَلُوا

ما عندهم حتى نَفِدَ، ثم أكلوا المواشى حتى أكلوا الكلاب والسنائير والفيران، وبلغ بهم الجوع حتى كانوا يأكلون مَنْ مات منهم، وإلياس بينهم وهم لا يرونه، ويدعونه وهو لا يمجيبهم، وكان الله تعالى قد جعل أمر أرزاقهم إليه، فأوحى الله إليه أن السماء والأرض ومن عليها قد بكت على هؤلاء، وقد هلك كثير من خلقي بسببهم، وكلُّ يدعوك ولا ترجمهم، فَأَنْصِفْ خَلْقِي يَا إِيْلَاسَ، فَإِنِّي أُعْصِي فَأَرْزُقُ، وَأُكْفِرُ فَأَحْلُمُ. ففزع إلياس وقال: ياربِّ ما غَضِبْتُ إِلَّا لك، وأنت أعلم بمصالح عبادك. فأوحى الله إليه أن سِرِّ إِلَهُمُ وَأَدْعُهُم، فإن آمنوا وإلا كنتُ أُرَأْفُ بِهِم منك.

قال: فَأَنْطَلِقُ إِيْلَاسَ حتى صار إلى أول قرية من قُرَى مدينتهم، فترجعوز فقال لها: هل عندك طعام؟ فقالت: وحقُّ إلهي بعل ما ذقتُ الخبز منذ مدة. قال: فهَلَّا تُؤْمِنِينَ بالله! فقالت: إِنَّ أَبْنَى آلِيسَعَ على دين إِيْلَاسَ، ولا أراه ينفع به وقد أشرف على الموت من الجوع. فقال له إِيْلَاسَ: يا آلِيسَعَ، أتحبُّ أن تأكل الخبز؟ فصاح: كيف لي بالخبز! ومات؛ فبكت العجوز ولطمت. فقال لها: إِنَّ أَحْيَاةَ اللَّهِ وجاءكِ بما تأكلين أُوْمِنِينَ بالله؟ قالت نعم. فدعا الله تعالى، فقام آلِيسَعَ وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن إِيْلَاسَ رسول الله، ورزقهم الله تعالى خبزاً ولبناً، فأكَلُوا، وآمنت العجوز، وخرجت تُنذِرُ قَوْمَهَا، فَنَحَقُوا فَمَاتَ، فَأَغْنَمَ آلِيسَعُ لَذَلِكَ.

فقال له إِيْلَاسَ: إن الله سيحييها ويعملُكَا آيَةً لقومكَا. وخرج إِيْلَاسَ إلى قومه وقد آجتماعوا عليها يريدون أكلها؛ فصاح بهم، فتنفروا عنها وقالوا: إنك أنت إِيْلَاسُ حقاً، فدعا الله تعالى فأحيّاها، فأقبل القوم عليه وقالوا: أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْذُ

سبع سنين! قال: فهَلَّا دعوتم صمكم بَعَلًا لِيَكْشِفَ عَنْكُمْ! قالوا: قد دعونا فلم يُغْنِ شَيْئًا. قال: فإن أغاثكم الله تعالى أُوْمِنُونَ؟ قالوا نعم. فسأل الله تعالى فأمطرهم، وجرّت أنهارهم وأنبئت أرضهم، وأحيا الله من مات منهم من الجوع،

فَازْدَادُوا كُفْرًا وَعُتُوًّا . خَذَرَهُمْ لِإِيَّاسِ وَأُنْذِرَهُمْ وَذَكَرَهُمْ بِنِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ . فَقَالُوا :
إِنَّ الْقَحْطَ قَدْ آرْتَفَعَ عَلَيْنَا وَهِيَاتُ أَنْ يَعُودَ أَبَدًا ، وَإِنْ عَادَ فَلَا نَبَأَ ، قَدْ جَمَعْنَا
فِي مَنَازِلِنَا مَا يَكْفِينَا زَمَنًا طَوِيلًا . فَدَعَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَأَعْتَزَلَهُمْ ^(١) ، وَقَالَ : قَدْ بَلَغَتْ الرِّسَالَةُ
وَأَنْتَ لَاحِقٌ بِالْمَلَائِكَةِ . فَاسْتَخْلَفَ أَلْيَسَعَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ؛ فَقَالَ أَلْيَسَعُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، إِنِّي
ضَعِيفٌ بَيْنَ قَوْمٍ كَافِرِينَ . فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى أَلْيَسَعَ بِذَلِكَ ، وَخَرَجَ إِيَّاسُ عَنْ
دِيَارِ قَوْمِهِ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ ، فَإِذَا هُوَ بِفَرَسٍ يَلْتَمِبُ نُورًا ، وَلَهُ أَجْنَحَةٌ مَلُونَةٌ ، فَنَادَاهُ :
أَقْبِلْ يَا نَبِيَّ اللَّهِ . فَاسْتَوَى عَلَى ظَهْرِهِ ، وَجَاءَهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ : يَا إِيَّاسُ طَرُفُ الْمَلَائِكَةِ
حَيْثُ شِئْتَ ، فَقَدْ كَسَاكَ اللَّهُ الرِّيشَ ، وَقَطَعَ عَنْكَ لَذَّةَ الْمَطْعَمِ وَالْمَشْرَبِ وَجَعَلَكَ
أَدَمِيًّا مَلِكِيًّا سَمَويًّا أَرْضِيًّا .

١٠ . قَالَ : وَنَشَرَ الْفَرَسُ أَجْنَحَتَهُ فَهُوَ يَطِيرُ مَعَ الْمَلَائِكَةِ . ثُمَّ أَرْسَلَ اللَّهُ — عَزَّ وَجَلَّ —
الْعَذَابَ عَلَى قَوْمِهِ ، فَأَحْدَقَتْ بِهِمْ سَحَابَةٌ مِنْ جَهَنَّمَ ، وَأَعْتَزَلَهُمُ الْمُؤْمِنُونَ ، فَأَحْدَقَتْ
السَّحَابَةُ بِالْكَافِرَةِ ، فَأَمْطَرَتْ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنَ الْعَذَابِ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَاقْذَرُ
أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرَ السَّوْءِ ^(٢) 》 . قَالَ : ثُمَّ أَنْكَشَفْتُ عَنْ دِيَارِهِمْ
وَقَدْ صَارُوا حُمْمًا سُودًا ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ . إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ
الْمُخْلِصِينَ ^(٣) 》 .

١٥

قَالَ : وَأَقَامَ أَلْيَسَعُ مَعَ بَنِي إِسْرَائِيلَ حَتَّى قَبِضَةُ اللَّهِ تَعَالَى .

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ . وَهُوَ غَيْرُ وَاضِحٍ . وَعِبَارَةُ الْكَسَايَ فِي كِتَابِهِ قِصَصُ الْأَنْبِيَاءِ وَرَقَّةٌ ٢٠٨ :

« ... فَقَالُوا يَا إِيَّاسُ إِنَّ الْأَرْضَ لَا يَعُودُ قَحْطُهَا وَأَمَّا نَحْنُ فَلَا نَبَأَ لِأَنَّا جَمَعْنَا فِي مَنَازِلِنَا مَا يَكْفِينَا طَوِيلًا

فَعَلِمَ أَنَّهُمْ مَهْلُكُونَ فَقَالَ : إِيَّاهُ قَدْ بَلَغَتْ الرِّسَالَةُ وَقَدْ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ وَعَذَابُهُمْ ، اللَّهُمَّ فَأَخْرِجْنِي مِنْ بَيْنِهِمْ

ثُمَّ أُنْزِلْ عَلَيْهِمْ عَذَابًا . فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ يَا إِيَّاسُ إِنَّكَ قَدْ أَدْبَتِ الرِّسَالَةَ وَفَعَلْتَ مَا أَمَرْتُ بِهِ فَاسْتَخْلَفْ

الآنَ مَوْضِعَكَ الْيَسَعَ بْنِ أَخْطَرِ بْنِ فَانَهُ قَدْ جَعَلْتَهُ لَكَ خَلِيفَةً عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ الْمُؤْمِنِينَ ... الْح » .

(٢) سُورَةُ الْفُرْقَانِ آيَةُ ٤٠ (٣) سُورَةُ الصَّافَّاتِ آيَتَا ١٢٧ ، ١٢٨

هذا ما أورده الكسائي في أخبار إلياس وأليسع عليهما السلام .

وأما ما حكاه الثعلبي - رحمه الله - في هذه القصة ، فإنه قال :

قال ابن إسحاق والعلماء من أصحاب الأخبار : لما قبض الله خزيق النبي - عليه السلام - عظمت الأحداث في بني إسرائيل وظهر فيهم الفساد ، ونسوا عهد الله تعالى إليهم في التوراة حتى نصبوا الأوثان وعبدوها من دون الله - عز وجل - فبعث الله تعالى إليهم إلياس نبياً . قال الثعلبي : وهو إلياس ابن ياسين بن فتاح بن العيزار بن هارون عليه السلام .

قال : وإنما كانت الأنبياء بعد موسى - عليه السلام - يبعثون إليهم بتجديد مأنسوا وضيعوا من أحكام التوراة ، وبنو إسرائيل يومئذ متفترقون في أرض الشام وفيهم ملوك كثيرة . وذلك أن يوشع لما فتح أرض الشام بوأها بني إسرائيل وقسمها بينهم ، فأحل سبطاً منهم بعلبك ونواحيها ، وهم سبط إلياس ، فبعثه الله تعالى إليهم نبياً ، وعليهم يومئذ ملك يقال له « آجاب » ^(١) قد أضل قومه وجبرهم على عبادة الأصنام ، وكان يعبد هو وقومه صنماً يقال له « بعل » وكان طوله عشرين ذراعاً ، وكانت له أربعة وجوه ، بفعل إلياس يدعوهم إلى عبادة الله تعالى وهم في ذلك لا يسمعون منه شيئاً إلا ما كان من أمر الملك الذي كان يبعلك فإنه صدقه وآمن به ، وكان إلياس - عليه السلام - يقوم أمره ويسدده ويُرشدُه ، وكان لآجاب الملك هذا امرأة يقال لها « أرايل » ^(٢) ، وكان يستخلفها على رعيته إذا غاب عنهم في غزاة

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ١١ من هذا الجزء .

(٢) في قصص الأنبياء للثعلبي المطبوعة (ص ١٩٩) : « أربيل » . بالراء المهملة . وفي تاريخ الطبري (ص ٥٤٠ ، ٧٩٨ من القسم الأول) « أزيل » بالزاي المعجمة وحذف الياء . وذكرت في الأصول فيما يأتي كما وردت في هامش تاريخ الطبري والسحة المخطوطة من قصص الأنبياء للثعلبي : « أربيل » بالزاي المعجمة وإثبات الباء .

أو غيرها، فكانت تبرز للناس كما يبرز زوجها وتركب كما يركب، وتجلس في مجلس القضاء فتقضي بين الناس، وكانت قتالةً للأنبياء، وكان لها كاتب وهو مؤمن حكيم يكتُمها إيماناً، وكان الكاتب قد خلّص من يدها ثلثمائة نبي كانت تريد قتل كل واحد منهم إذا بُعث، سوى الذين قتلتهم ممن يكثر عددهم؛ وكانت في نفسها غير مُحَصَّنَةٍ ولم يكن على وجه الأرض أخش منها، وهي مع ذلك قد تزوجت سبعة ملوك من ملوك بني إسرائيل وقتلتهم كلهم بالآغتيال؛ وكانت معمّرة حتى يقال: إنها ولدت سبعين ولداً. وكان لأجاب هذا جاور من بني إسرائيل رجل صالح يقال له «مزدكي» وكانت له جنيّة يعيش منها ويقيم على عمارتها وممرّتها، وكانت الجنيّة إلى جانب قصر الملك وأمرأته، فكانا يُشرفان على تلك الجنيّة ويتزّهان فيها، وبأكلان ويشربان ويَقِيلان فيها، وكان «أجاب» في ذلك يُحسِن جوار «مزدكي» صاحبها ويُحسِن إليه، وأمرأته «أرايل» تحسّده على ذلك لأجل تلك الجنيّة، وتحتال في أن تغتصبها منه لما تسمع الناس يذكرون الجنيّة، ويتعجبون من حسنّها ويقولون: ما أحرى أن تكون هذه الجنيّة لأهل هذا القصر، ويتعجبون من الملك وأمرأته كيف لم يغصباها صاحبها. فلم تزل المرأة تحتال على العبد الصالح «مزدكي» أن تقتله وتأخذ جنيّته، والملك ينهاها عن ذلك. ثم اتفق خروج الملك إلى سفر بعيد وطالت غيبته، فأغتنمت المرأة غيبة الملك وأحتالت على «مزدكي» صاحب الجنيّة، وهو غافل عما تريد مُقِيلٌ على عبادة ربه وإصلاح جنيته، فجُمعت «أرايل» جمعاً من الناس وأمرتهم أن يشهدوا على «مزدكي» أنه سب زوجها الملك «أجاب»، فأجابوها إلى ملتصقها من الشهادة عليه، وكان حكمهم في ذلك

١١٣
١١

(١) في الأصل: «يذكرون من ذكر الجنيّة» . وعبارة التعليق: «وأمرأته أرايل تحسده على ذلك لأجل تلك الجنيّة وتحتال على غصبها لما سمعت الناس يذكرون الجنيّة من حسنّها» .

الزمان على من سبَّ الملك القتل إذا قامت البينة عليه بذلك . فأحضرت «مزدكى» وقالت : بلغنى أنك سببت الملك وعبته ، فأنكر ذلك . فقالت : إن عليك شهوداً ، وأحضرت الشهود فشهدوا عليه بمحضرة الناس ، فأمرت بقتل «مزدكى» ، فُقتل وأُخذت جُنَيْتُهُ غَضَباً ، فغضب الله — عز وجل — عليهم للعبد الصالح . فلما قدم الملك من سفره قال لها : ما وُفِّقَ وما أَصِبت ، ولا أَرَانَا نُفْلِحَ بعده أبداً ، وإن تَكَا عَنْ جُنَيْتِهِ لأَغْنِيَا ، قد كَتَا نَتَرَتْهُ فِيهَا ، وقد جَاوَرْنَا وَتَحَرَّمْنَا مِنْهُ زَمَانٌ طَوِيلٌ ، فَأَحْسَنَّا جَوَارَهُ ، وَكَفَفْنَا عَنْهُ الْأَذَى لَوْجُوبِ حَقِّهِ عَلَيْنَا ، نَحْتَمِيتُ أَمْرَهُ بِأَسْوَأِ حَالِ الْجَوَارِ . وما حَمَلَكِ عَلَى آجِرَائِكَ عَلَيْهِ إِلَّا سَقَمُكَ وَسُوءُ رَأْيِكَ وَقِلَّةُ عَقْلِكَ وَقِلَّةُ تَفَكُّرِكَ فِي الْعَوَاقِبِ . فقالت : إِنَّمَا غَضِبْتُ لَكَ وَحَكَمْتُ بِحَكَمِكَ . قال : أَوْ مَا كَانَ يَسَعُهُ حِلْمُكَ وَيَحْدُوكِ عِظَمُ خَطَرِكَ عَلَى الْعَفْوِ عَنْ رَجُلٍ وَاحِدٍ فَتَحْفَظِينَ لَهُ جَوَارَهُ ! .

٥

١٠ قالت : قد كان ما كان .

فبعث الله تعالى إلياس — عليه السلام — إلى « آجَاب » الملك وقومه ، وأمره أن يخبرهم أن الله تعالى قد غضب لوليّه حين قتلوه بين أظهرهم ظلماً ، وآلى على نفسه أنهم إن لم يتوبوا عن صَنِيعِهِمَا وَلَمْ يَرُدَّا الْجُنَيْنَةَ عَلَى وَرْنَةِ «مزدكى» أن يهلكهما ، يعنى «آجَاب» وأمراته ، فى جوف الجنينة أشرّ ما يكون بسفك دمهما ، ثم يدعهما جيفتين مُلْقَاتَيْنِ فِيهَا حَتَّى تُتَعَرَّى عِظَامُهُمَا مِنْ لَحُومِهِمَا ، وَلَا يَمْتَعَانِ بِهَا إِلَّا قَلِيلاً .

١٥

قال : بجاء إلياس — عليه السلام — إلى الملك وأخبره بما أَوْحَى اللهُ — عز وجل — إليه فى أمره وأمر أمراته والجنينة . فلما سمع الملك ذلك أَشْتَدَّ غَضَبُهُ عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : يَا إِيْلَاسَ ، وَالله ما أرى ما تدعوننا إليه إلّا باطلاً ، والله ما أرى فلاناً وفلاناً — سَيِّئَ مَلُوكًا مِنْهُمْ قَدْ عَبَدُوا الْأَوْثَانَ — إِلَّا عَلَى مِثْلِ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ ، يَا كَلُونِ وَيَشْرَبُونَ

٢٠

وَيَتَنَعَّمُونَ مَمْلُوكِينَ ، مَا يَنْقُصُ مِنْ دَنِيَاهُمْ أَمْرُهُمُ الَّذِي تَزْعُمُ أَنَّهُ بَاطِلٌ ، وَمَا نَرَى لَهَا عَلَيْهِمْ مِنْ فَضْلٍ .

قال : وَهَمَّ الْمَلِكُ بِتَعْذِيبِ إِيَّاسَ وَقَتْلِهِ . فَلَمَّا سَمِعَ إِيَّاسُ — عَلَيْهِ السَّلَامُ — ذَلِكَ وَأَحْسَسَ بِالشَّرِّ ، رَفَضَهُ وَخَرَجَ عَنْهُ . فَاحْتَقَى بِشَوَاهِقِ الْجِبَالِ ، وَدَعَا الْمَلِكَ النَّاسَ^(١) إِلَى عِبَادَةِ بَعْلَ ، وَارْتَقَى إِيَّاسُ — عَلَيْهِ السَّلَامُ — أَصْعَبَ جَبَلٍ وَأَشْمَخَهُ ، فَدَخَلَ مَغَارَةً فِيهِ . فَيَقَالُ : إِنَّهُ بَقِيَ فِيهِ سَبْعُ سِنِينَ شَرِيدًا طَرِيدًا خَائِفًا ، يَأْوِي الشَّعَابَ وَالْكَهَوفَ ، وَيَأْكُلُ مِنْ نَبَاتِ الْأَرْضِ وَثَمَارِ الشَّجَرِ وَهُمْ فِي طَلَبِهِ قَدْ وَضَعُوا عَلَيْهِ الْعْيُونَ يَتَوَكَّفُونَ^(٢) أَخْبَارَهُ وَيَجْتَهِدُونَ فِي اخْذِهِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَسْتَرُهُ وَيُدْفَعُ عَنْهُ . فَلَمَّا تَمَّتْ لَهُ سَبْعُ سِنِينَ أذنَ اللَّهُ تَعَالَى فِي إِظْهَارِهِ عَلَيْهِمْ ، وَشَفَا غِيْظَهُ مِنْهُمْ ، فَأَمْرَضَ اللَّهُ تَعَالَى أَبْنَاءَ لَأَجَابِ الْمَلِكِ وَكَانَ أَحَبَّ وَلَدِهِ إِلَيْهِ وَأَعَزَّهُمْ عَلَيْهِ وَأَشْبَهَهُمْ^(٣) بِهِ ، فَأَدْنَفَ حَتَّى يُئْسَ مِنْهُ ، فَدَعَا صَنْهَ بَعْلًا ، وَكَانُوا قَدْ فَتَنُوا بِهِ وَعَظَّمُوهُ حَتَّى جَعَلُوا لَهُ أَرْبَعًا سَادِينَ وَكَلَّوْهُمُ بِهِ وَجَعَلُوهُمْ أَنْبِيَاءَ ، وَكَانَ الشَّيْطَانُ يُوَسْوِسُ إِلَيْهِمْ بِشَرِيعَةٍ مِنَ الضَّلَالَةِ ، فَيَبْنُونَهَا لِلنَّاسِ فَيَعْمَلُونَ بِهَا ، وَيَسْمُونَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ . فَلَمَّا أَشْتَدَّ مَرَضُ أَبْنِ الْمَلِكِ طَلَبَ إِلَيْهِمْ أَنْ يَشْفَعُوا إِلَى بَعْلَ ، وَيَطْلُبُوا لِكُنْهَ مِنْ قِبَلِهِ الشِّفَاءَ وَالْعَافِيَةَ ، فَدَعَا فَمَنْ يَجِبُهُمْ ، وَمَنْعَ اللَّهُ تَعَالَى بِقُدْرَتِهِ الشَّيْطَانَ عَنْ صَنْهَمُ فَلَمْ يُمْكِنْهُ^(٤) الْوُلُوجُ فِي جَوْفِهِ ، وَهُمْ يَجْتَهِدُونَ فِي التَّضَرُّعِ إِلَيْهِ ، وَهُوَ لَا يَزْدَادُ مَعَ ذَلِكَ إِلَّا نَحُودًا . فَلَمَّا طَالَ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ قَالُوا لَأَجَابَ : إِنْ فِي نَاحِيَةِ الشَّامِ إِلَهَةٌ أُخْرَى ، وَهِيَ

(١) فِي قِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ لِلْعَلِيِّ الْمَخْطُوطَةِ : « وَعَادَ الْمَلِكُ إِلَى عِبَادَةِ بَعْلَ » .

(٢) يَتَوَكَّفُونَ أَخْبَارَهُ : يَنْظُرُونَهَا وَيَسْأَلُونَ عَنْهَا .

(٣) أَدْنَفَ الْمَرِيضَ : نَقَلَ وَدَنَا مِنَ الْمَوْتِ ، وَأَدْنَقَ الْمَرَضَ ، فَهُوَ لَا زَمَ مَتَعَةٍ .

(٤) فِي قِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ الْمَطْبُوعَةِ وَالْمَخْطُوطَةِ : « حَتَّى سَمَوْا مَدِينَتَهُمْ بِهِ فَقَالُوا لَهَا بَعْدَكَ وَجَعَلُوا... الخ » .

(٥) فِي الْأَصْلِ : « إِلا جُودًا » وَالنَّصِيبُ مِنْ قِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ الْمَخْطُوطَةِ لِلْعَلِيِّ .

في العِظَم مثلُ الهلك ، فابعث إليها أنبياءك فليشفعوا لك إليها . ففعلها أن تشفع لك إلى الهلك بعل فإنه غضبان عليك ، ولولا غضبه عليك لقد كان أجابك وشفى لك أبناك . قال آجاب : ومن أجل ماذا غضب عليّ وأنا أطيعه وأطلب رضاه منذ كنت لم أسخطه ساعة قط ؟ قالوا : من أجل أنك لم تقتل إلياس وفزطت فيه حتى نجا سليما وهو كافر بإهلك يعبد غيره ، فذلك الذي أغضبه عليك . قال آجاب : وكيف لي أن أقتل إلياس يومى هذا وأنا مشغول عن طلبه بوجع أبى وليس لإلياس مطلب ، ولا يُعرف له موضع فيقصد ، فلو عوفي أبى لنفرغت لطلبه ، ولم يكن لي هم ولا شغل غيره حتى أخذه فأقتله فأريح إلهي منه وأرضيه .

قال : ثم أندفعت أنبياءه الأربمائة ليشفعوا إلى الأرباب التي بالشأم ويسألوها أن تشفع إلى صنم الملك ليشفى أبنه ، نأطلقوا حتى إذا كانوا بجبال الجبل الذي فيه إلياس أوحى الله — عز وجل — إلى إلياس أن يهبط من الجبل ويعارضهم ويستوقفهم ويكلّمهم ، وقال له : لا تخف فإنى سأصرف عنك شرهم ، وألقى الرعب في قلوبهم . ففزع إلياس — عليه السلام — من الجبل ، فلما لقيهم استوقفهم فوقفوا ، وقال لهم : إن الله — عز وجل — أرسلنى إليكم وإلى من وراءكم ، فاستمعوا أيها القوم رسالة ربكم لتبلغوا صاحبكم ، فأرجعوا إليه وقواوا له : إن الله تعالى يقول لك :

ألسنت تعلم يا آجاب أنى أنا الله لا إله إلا أنا إله بنى إسرائيل الذى خلقهم ورزقهم وأحياهم وأماتهم ، أبهلك وقلّة علمك حملك على أن تُشرك بى وتطلب الشفاء لأبنك من غيرى ممن لا يملكون لأنفسهم شيئا إلا ما شئت . إني حلفت بأسمى لأغيظتك في أبناك ولأمينته في فوره هذا حتى تعلم أن أحدا لا يملك له شيئا دونى .

فلما قال لهم إلياس هذا رجعوا وقد ملئوا منه رعبا . فلما صاروا إلى الملك قالوا له ذلك ، وأخبروه أن إلياس آنحط عليهم ، وهو رجل نحيف طوال قد قشّف

وَحَلَّ وَتَمَعَطَ شَعْرُهُ وَتَقَشَّرَ جُلْدُهُ ، عَلَيْهِ جَبَّةٌ مِنْ شَعْرٍ وَعِبَاءَةٌ قَدْ خَلَّهَا عَلَى صَدْرِهِ بِخِلَالٍ ،
 فَاسْتَوْقَفْنَا ، فَلَمَّا صَارَ مَعْنَا قُدِّفَتْ فِي قُلُوبِنَا الْهَيْبَةُ وَالرُّعْبُ ، وَأَتَقَطَعْتَ أَلْسِنَتُنَا ،
 وَنَحْنُ فِي هَذَا الْعَدَدِ الْكَثِيرِ وَهُوَ وَاحِدٌ ، فَلَمْ نَقْدِرْ عَلَى أَنْ نَكَلِّمَهُ وَزَاجِعَهُ وَنَمْلَأَ
 أَعْيُنَنَا مِنْهُ حَتَّى رَجَعْنَا إِلَيْكَ ، وَقَصَّوْا عَلَيْهِ كَلَامَ إِيَّاسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ . فَقَالَ
 آجَاب : لَا نَنْفَعُ بِالْحَيَاةِ مَا دَامَ إِيَّاسُ حَيًّا . مَا الَّذِي مَنَعَكُمْ أَنْ تَبْطِشُوا بِهِ حِينَ
 لَقَيْتُمُوهُ وَتَوَثَّقُوهُ وَتَأْتُونِي بِهِ ، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ طَلَبْتِي وَعَدَوِي . قَالُوا : أَخْبَرْنَاكَ
 بِالَّذِي مَنَعْنَا مِنْهُ وَمَنْ كَلَامُهُ وَالْبَطْشُ بِهِ . قَالَ آجَاب : مَا يُطَاقُ إِذَا إِيَّاسُ إِلَّا بِالْمَكْرِ
 وَالْخَدِيعَةِ . فَفِيضَ لَهُ نَحْسَيْنِ رَجُلًا مِنْ قَوْمِهِ ذَوِي قُوَّةٍ وَبَأْسٍ ، وَعَهْدَ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُ ،
 وَأَمْرَهُمُ بِالْإِغْتِيَالِ لَهُ وَالْإِغْتِيَالُ بِهِ وَأَنْ يُطْمِعُوهُ فِي أَنَّهُمْ قَدْ آمَنُوا بِهِ هُمْ وَمَنْ وَرَاءَهُمْ ،
 لِيَسْتَنِمَّ إِلَيْهِمْ وَيَغْتَرَّبَهُمْ ، فِيمَكَّنَهُمْ مِنْ نَفْسِهِ ، فَيَأْتُوا بِهِ الْمَلِكُ . فَأَنْطَلَقُوا حَتَّى آرْتَقَوْا
 ذَلِكَ الْجَبَلِ الَّذِي فِيهِ إِيَّاسُ — عَلَيْهِ السَّلَامُ — ثُمَّ تَفَرَّقُوا [فِيهِ] وَهُمْ يَنَادُونَهُ بِأَعْلَى
 أَصْوَاتِهِمْ وَيَقُولُونَ : يَا نَجَّى اللَّهِ ، ابْرُزْ لَنَا وَأَنْتَ آمِنٌ عَلَى نَفْسِكَ [فَإِنَّا قَدْ آمَنَّا بِكَ
 وَصَدَقْنَاكَ] ، وَمَلَكْنَا آجَابَ [، وَجَمِيعَ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَقْرءُونَ عَلَيْكَ السَّلَامَ وَيَقُولُونَ :
 قَدْ بَلَّغْتَنَا رِسَالَةَ رَبِّكَ ، وَعَرَفْنَا مَا قُلْتَ ، وَآمَنَّا بِكَ ، وَأَجْبَنَّاكَ إِلَى مَا دَعَوْتَنَا ،
 فَهَلُمَّ إِلَيْنَا فَأَنْتَ نَبِيُّنَا وَرَسُولُ رَبِّنَا .] فَأَقِيمَ [بَيْنَ أَظْهَرِنَا وَأَحْكَمَ فِينَا ؛ فَإِنَّا نَنْقَادُ
 لِمَا أَمَرْتَنَا ، وَنَنْتَهِي عَمَّا نَهَيْتَنَا ، وَلَيْسَ يَسْمَعُ أَنْ يُتَخَلَّفَ عَنَّا مَعَ إِيْمَانِنَا وَطَاعَتِنَا ،
 فَتَدَارِكُنَا وَارْجِعْ إِلَيْنَا . وَكُلُّ هَذَا كَانَ مِنْهُمْ ثَمًّا كَرَّةً وَخَدِيعَةً . فَلَمَّا سَمِعَ إِيَّاسُ — عَلَيْهِ

(١) حُلَّ مِنْ بَابِ عَلِمَ : يَسُ . وَمِنْهُ تَقْلَحُ الشَّيْخُ إِذَا يَسُ جُلْدَهُ عَلَى عَظْمِهِ مِنَ الْبُؤْسِ وَالْكَبَرِ .

(٢) تَمَعَطَ الشَّعْرُ : تَمَرَّطَ وَسَقَطَ مِنْ دَاءٍ يَهْرُسُ لَهُ .

(٣) فِي قِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ لِلْعَلَّامِيِّ الْمَخْطُوطَةِ : « وَاقْتَمَر » وَفِي الْمَطْبُوعَةِ : « وَيَسُ » .

(٤) حَلَّ الْكِسَاءِ وَغَيْرِهِ : جَمَعَ أَطْرَافَهُ بِخِلَالٍ .

(٥) كَذَا فِي قِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ الْمَخْطُوطَةِ لِلْعَلَّامِيِّ . وَلَعَلَّ الْمُرَادَ مِنْ قَوْلِهِ « وَالْإِغْتِيَالُ بِهِ » أَخْذَهُ مِنْ

حَيْثُ لَا يَدْرِي ثُمَّ الْحَبِي ، بِهِ . وَفِي ١ : « وَالْإِغْتِيَالُ بِهِ » . (٦) زِيَادَةٌ عَنْ قِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ لِلْعَلَّامِيِّ .

السلام — مقاتلهم وقعت بقلبه وطمع في إيمانهم وخاف الله تعالى وأشفق من سُخطه إن هو لم يَظْهَر لهم ولم يُجْهِم بعد الذي سمع منهم . فلَمَّا أَجْمَع على أن يبرز لهم رجوع إلى نفسه فقال : لو أُنِّي دعوتُ الله — عزَّ وجلَّ — وسألته أن يُعلمني ما في أنفسهم ويُطْلِعني على حقيقة أمرهم . فقال : اللهم إن كانوا صادقين فيا يقولون فأذن لي في البروز إليهم ، وإن كانوا كاذبين فأكفنيهم وآرمهم بنار تُحْرِقهم .
فما آستم قوله حتى حُصِبُوا بالنار من فوقهم ، فأحترقوا أجمعين .

قال : وبلغ أجابَ الخبر فلم يرتدع ، واحتال ثانيا في أمر إلياس ، وجهز فئة أخرى مثل عدد أولئك أقوى منهم وأمكن في الحيلة والرأى ، فأقبلوا حتى ارتقوا قُلَّ تلك الجبال [متفرقين] ، وجعلوا ينادون : يا نبي الله ، إنا نعوذ بالله وبك من غضب الله وسَطَواته . إنا لسنا كالذين أتوك من قَبْلنا ، إن أولئك فرقة نافقت وخالفتنا ، فصاروا إليك ليكيدوك من غير رأينا ولا علم منا ، وذلك أنهم حسدونا وحسدوك ، وخرجوا إليك سرا ، ولو علمنا بهم لقتلناهم ولكفيناك مؤنتهم ، والان فقد كفاك ربك أمرهم وأهلكهم بسوء نيأتهم وأنتقم لنا ولك منهم . فلَمَّا سمع إلياس — عليه السلام — مقاتلهم دعا الله تعالى بدعوته الأولى ، فأمطر الله عليهم النار ، فأحترقوا عن آخرهم ، كل ذلك وآبَ الملك في البلاء الشديد من وجعه — كما وعده الله تعالى على لسان نبيه إلياس — لا يُقْضَى عليه فيموت ، ولا يُخَفَّف عنه من عذابه .

قال : فلَمَّا سمع الملك بهلاك أصحابه ثانيا ازداد غضبا إلى غضبه ، وأراد أن يخرج في طلب إلياس بنفسه ، إلا أنه شغله عن ذلك مرضُ ابنه فلم يمكنه ، فوجه نحو إلياس الكاتب المؤمن الذي هو كاتب أمراته رجاء أن يأس به إلياس فيترل

(١) حصوا بالدار : رواها . (٢) زيادة عن قصص الأنبياء للعلبي .

(٣) في قصص الأنبياء للعلبي : « ليكروا بك » .

(٤) كذا في قصص الأنبياء للعلبي . وفي الأصل : « إلى طلب إلياس ... » .

معه، وأظهر للكاتب أنه لا يريد بإلباس سوءاً . وإنما أظهر له ذلك لما أطلع عليه من إيمانه، وكان الملك مع اطلاعه يَغْضُ عنه لما هو عليه من الكفاية والأمانة والحكمة وسداد الرأي . فوجهه نحوه، وأرسل معه فئة من أصحابه، وأوعز إلى الفئة دون الكاتب أن يُوثِقُوا إلياس ويأتوه به إن أراد أن يتخلف عنهم ، وإن جاء مع الكاتب واثقاً به آنساً بمكانه لم يُوحِشوه ولم يرقعوه، ثم أظهر آجاب للكاتب .

الإجابة وقال : إنه قد آن لي أن أتوب وأتعظ، وقد أصابتنا بلايا من حريق أصحابنا والبلاء الذي فيه ابني ، وقد عرفت أن ذلك بدعوة إلياس، ولست آمن أن يدعو على جميع من بقي منا فنهلك بدعوته . فأنطلق إليه وأخبره أننا قد تُبْنَا وأُتْبْنَا، وأنه لا يصلحنا في توبتنا وما نزيد من رضا ربنا وخلع أصنامنا إلا أن يكون إلياس بين أظهرنا يأمرنا وينهانا ، ويُخبرنا بما يرضى به ربنا . وأمر الملك قومه فأعتزلوا الأصنام ، وقال له : أخبر إلياس أننا قد خلعنا آلهتنا التي تكنا نعبد وأرجأنا أمرها حتى يزل إلياس إلينا، فيكون هو الذي يُحرقها ويُهلكها وكان ذلك مكر من الملك . فأنطلق الكاتب والفئة حتى علوا الجبل الذي فيه إلياس — عليه السلام — ثم ناداه الكاتب، فعرف إلياس صوته، فتأقت نفسه إليه وأنس بمكانه وكان مشتاقا إلى لقائه، فأوحى الله تعالى إلى إلياس أن أبرز إلى أخيك الصالح فآلقه وجدّد العهد به ، فبرز إليه إلياس وسلم عليه وصاحفه ، وقال له : ما الخبر؟ قال له المؤمن : إنه قد بعثني إليك هذا الحبار الطاغية وقومه، ثم قص عليه ما قالوا . ثم قال : وإني خائف إن رجعت إليه ولست معي أن يقتلني، ففرتي بما شئت أن أفعله وأنتهي إليه، [إن شئت انقطعت إليك وكنت معك وتركته، وإن شئت جاهدته معك]

(١) كذا في قصص الأنبياء للعلبي المخطوطة . وفي المطبوعة : « وقد أهملنا أمرها » . وفي الأصل : « وأرجبنا أمرها » .

(٢) زيادة عن العلبي في قصص الأنبياء المخطوطة والمطبوعة .

وإن شئت فارسلني إليه بما تحب فأبلغه رسالتك ، وإن شئت دعوت ربك أن يجعل لنا من أمرنا فرجا ومخرجا .

- قال : فأوحى الله — عز وجل — إلى إلياس عليه السلام أن كل شيء جاءوك به مكروا وخديعة^١ ليظفروا بك ، وأن « آجاب » إن أخبرته رسله أنك قد لقيت هذا الرجل ولم يأت بك إليه آتهمه وعرف أنه قد داهن في أمرك ، فلم يأمن أن يقتله ، فأنطلق معه فإن في انطلاقك معه عذره وبراته عند آجاب ، وإني سأشغل عنكما آجاب ، وأضاعف على ابنه البلاء حتى لا يكون له هم غيره ، وأميته على شر حال ، فإذا مات فأرجع عنه ولا تقيم . فانطلق معهم حتى قديموا على آجاب ، فلما قدموا عليه شدد الله تعالى على ابنه الوجع ، وأخذه الموت ، فشغل الله تعالى آجاب وأصحابه بذلك عن إلياس ، فرجع إلياس سالما إلى مكانه . فلما مات ابن آجاب وفرغوا منه وقتل جزمه ، انتبه لإلياس وسأل عنه الكاتب الذي جاء به ، فقال : ليس لي به علم ، وذلك أنه شغلني عنه موت ابنك والجزع عليه ، ولم أكن أحسبك إلا قد استوثقت منه . فأضرب عنه آجاب وتركه لما كان فيه من الحزن على ابنه . فلما طال الأمر على إلياس مل الكؤون في الجبال والمقام بها وأشتاق إلى العمران وإلى الناس فنزل من الجبل ، وأنطلق حتى نزل بأمرأة من بنى إسرائيل ، وهي أم يونس ١٥ ابن متى [ذى النون . فاستخفى عندها ستة أشهر]^(١) ، ويونس يومئذ مولود^٢ يرضع ، وكانت أم يونس تحمده بنفسها ، وتواسيه بذات يدها ، ولا تدخر عنه كرامة تقدر عليها . ثم إن إلياس سم ضيق البيوت بعد مقامه بالجبال وسعته ، فأحب أن يلتحق بالجبال فخرج وعاد إلى مكانه ، فجزعت أم يونس لفراقه وأوحشها فقده ، ثم لم تلبث إلا يسيرا حتى مات أبنا [يونس]^(١) حين فطمته ، فعظمت مصيبتها فيه ، فخرجت في طلب إلياس ، فلم تزل ترقى الجبال وتطوف [فيها] حتى عثرت عليه ووجدته ، فقالت :
(١) زيادة عن قصص الأنبياء للعلني .

لَمَّا قَدْ جُمِعَتْ بِمُوتِ ابْنِي بِعَدِكَ ، فَعَظَمْتُ فِيهِ مَصِيبَتِي ، وَأَشْتَدُّ لِفَقْدِهِ بِلَانِي ،
وَلَيْسَ لِي وَلَدٌ غَيْرُهُ . فَأَرْحَمْنِي وَأَدْعُ رَبَّكَ — جَلَّ جَلَالُهُ — فَيُحْيِي لِي ابْنِي ، وَيُجِبِرُ
مَصِيبَتِي ، وَإِنِّي قَدْ تَرَكْتُهُ مَسْجِيًّا لَمْ أُدْفِنِهِ ، وَإِنِّي قَدْ أَخْفَيْتُ مَكَانَهُ . فَقَالَ لَهَا
إِلْيَاسُ : لَيْسَ هَذَا مِمَّا أُمِرْتُ بِهِ ، وَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ مَأْمُورٌ أَعْمَلُ بِمَا يَأْمُرُنِي بِهِ
رَبِّي ، وَلَمْ يَأْمُرْنِي بِهَذَا . فَخَزِعَتِ الْمَرْأَةُ وَتَضَرَّعَتْ ، فَعَطَفَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى
قَلْبَ إِلْيَاسَ عَلَيْهَا ، فَقَالَ لَهَا : وَمَتَى مَاتَ ابْنُكَ ؟ قَالَتْ : مِنْذُ سَبْعَةِ أَيَّامٍ . فَأَنْطَلَقَ
إِلْيَاسُ مَعَهَا وَسَارَ سَبْعَةَ أَيَّامٍ أُخْرَى حَتَّى أَنْتَهَى إِلَى مَرْتَلَا فَوَجَدَ ابْنَهَا يُونُسَ مَيِّتًا
مِنْذُ أَرْبَعَةِ عَشْرِ يَوْمًا ، فَتَوَضَّأَ وَصَلَّى وَدَعَا اللَّهَ فَأَحْيَا اللَّهُ يُونُسَ بَنَ مَتَّى بِدَعْوَةِ
إِلْيَاسَ . فَلَمَّا عَاشَ وَجَلَسَ وَثَبَ إِلْيَاسُ وَأَنْصَرَفَ وَعَادَ إِلَى مَوْضِعِهِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

١٠. ذكر دعاء إيلياس على قومه ، وما حلَّ بهم من القحط

وخبِرَ أَلْيَسَعَ حِينَ اتَّبَعَ إِلْيَاسَ

قال : وَلَمَّا طَالَ عَصِيانُ قَوْمِهِ ضَاقَ إِلْيَاسُ بِذَلِكَ ذَرْعًا وَأَجْهَدَهُ الْبَلَاءُ ،
فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ بَعْدَ سَبْعِ سِنِينَ وَهُوَ خَائِفٌ مَجْهُودٌ : يَا إِلْيَاسُ ، مَا هَذَا الْحَزَنُ
وَالْجَزَعُ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ ! أَلَسْتَ أَمِينًا عَلَى وَحْيِي ، وَنَجَّيْتُ فِي أَرْضِي ، وَصَفَوْتُ مِنْ
خَلْقِي ! فَسَلِّتْنِي فَأَتَى ذُو الرِّحْمَةِ الْوَاسِعَةِ وَالْفَضْلِ الْعَظِيمِ . قال : تَمَيَّنْتُ فَنُلْحَقْنِي
بِأَبَائِي ، فَإِنِّي قَدْ مِلْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَمُلُونِي ، وَأَبْغَضْتُهُمْ فِيكَ وَأَبْغَضُونِي . فَأَوْحَى اللَّهُ
تَعَالَى إِلَيْهِ : يَا إِلْيَاسُ ، مَا هَذَا بِالْيَوْمِ الَّذِي أُعِيرِي مِنْكَ الْأَرْضَ وَأَهْلَهَا ، وَإِنَّمَا
قِيَامُهَا وَصَلَاحُهَا بِكَ وَبِأَشْبَاهِكَ إِنْ كُنْتُمْ صَبَرْتُمْ قَلِيلًا ، وَلَكِنْ تَسْأَلُنِي فَأَعْطِيكَ .
قال إيلياس : فَإِنْ لَمْ تَمُنْنِي يَا إِلَهِي فَأَعْطِنِي ثَارِي مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ . قال الله تعالى :

وأى شيء تريد أن أعطيك يا إلياس؟ قال : تمكّني من خزائن السماء سبع سنين ،
 فلا تُنشئ^(١) عليهم سحابةً إلّا بدعوتي ، ولا تُمطر عليهم سبع سنين قطرةً إلّا بشفاعتي ،
 فإنهم لا يُذِلّهم إلّا ذلك . قال الله تعالى : يا إلياس ، أنا أرحم بخلقى من ذلك
 وإن كانوا ظالمين . قال : ست سنين . قال : أنا أرحم بخلقى من ذلك وإن كانوا
 ظالمين . قال : نفخس سنين . قال : أنا أرحم بخلقى من ذلك وإن كانوا ظالمين ،
 ولكنى أعطيك ثلاث سنين أجعل خزائن المطر بيدك ، فلا تنشأ^(١) عليهم سحابةً
 إلّا بدعوتك ، ولا تنزل عليهم قطرةً إلّا بشفاعتك . قال إلياس : فبأى شيء
 أعيش؟ قال : أُتخّر جيشاً من الطير تنقل إليك طعامك وشرابك من الربف والأرض
 التى لم تقحط . قال إلياس : قد رضيت . قال : فأمسك الله — عز وجل —
 عنهم المطر حتى هلكت الماشية والدوابّ والبهائم والشجر وجهد الناس جهداً
 شديداً وإلياس على حالته مستخيف من قومه يوضع له الرزق حيثما كان ، وقد
 عرفه بذلك قومه ، فكانوا إذا وجدوا ريحاً ألخبر في بيت قالوا : لقد دخل إلياس
 هذا البيت وطلبوه ، ولقي أهل ذلك المنزل منهم شراً .

قال ابن عباس — رضى الله عنهما — : أصاب بنى إسرائيل ثلاث سنين
 القحط ، فأتى إلياس — عليه السلام — بعجوز فقال لها : هل عندك طعام ؟
 قالت : نعم ، شيء من دقيق وزيت قليل . فجاءته بشيء من الدقيق والزيت ، فدعا
 فيهما بالبركة^(٢) ومسهما ، فبارك الله فى ذلك حتى ملأت جربها دقيقاً وملأت

(١) نشأت السحابة : ارتفع وبدت ، وأشأها الله : رفعها وأبداها .

(٢) كذا فى قصص الأنبياء ، للعلّام . وعبارة الأصل : « دعا بهما ودعا فيه بالبركة »

خَوَابِيهَا زَيْتًا . فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ عِنْدَهَا قَالُوا : مَنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا ؟ قَالَتْ : مَرَّ بِي رَجُلٌ مِنْ حَالِهِ كَذَا وَكَذَا ، فَوَصَفَتْ صِفَتَهُ ، فَعَرَفُوهُ وَقَالُوا : ذَلِكَ إِلْيَاسُ ، فَطَلَبُوهُ فَوَجَدُوهُ فَهَرَّبَ مِنْهُمْ .

ثُمَّ أَوَى لَيْلَةً إِلَى بَيْتِ امْرَأَةٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَهَا ابْنٌ يُقَالُ لَهُ : أَلْيَسَعُ ابْنُ أَخْطُوبَ بِهِ ضَرْ ، فَأَوْتَهُ وَأَخْفَتْ أَمْرَهُ ، فَدَعَا لَهُ فَعُوفَى مِنَ الضَّرِّ الَّذِي كَانَ بِهِ ، وَاتَّبَعَ أَلْيَسَعُ إِلْيَاسَ وَآمَنَ بِهِ وَصَدَّقَهُ وَلَزِمَهُ ، وَكَانَ يَذْهَبُ بِهِ حَيْثَمَا ذَهَبَ ، وَكَانَ إِلْيَاسُ قَدْ أَسَنَّ وَكَبَّرَ ، وَكَانَ أَلْيَسَعُ غُلَامًا شَابًّا .

ذَكَرَ رَفْعَ الْبَلَاءِ عَنْ قَوْمِ إِلْيَاسَ بِدَعْوَتِهِ وَاسْتِمْرَارِهِمْ عَلَى الْكُفْرِ

وَرَفْعَ إِلْيَاسَ وَهَلَاكَ آجَابُ الْمَلِكِ وَأَمْرَاتِهِ ، وَنَبُوءَةُ أَلْيَسَعِ

- ١٠ قال : ثُمَّ أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى إِلْيَاسَ — عَلَيْهِ السَّلَامُ — إِنَّكَ قَدْ أَهْلَكْتَ كَثِيرًا مِنَ الْخَلْقِ مَنْ لَمْ يَعْصِ سِوَى بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْبَهَائِمِ وَالْذَوَابِّ وَالطَّيْرِ وَالْهَوَامِّ وَالشَّجَرِ بِحَبْسِ الْمَطَرِ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ . فَيَزْعُمُونَ — وَاللَّهُ أَعْلَمُ — أَنَّ إِلْيَاسَ قَالَ : يَا رَبِّ دَعْنِي أَكُنِ الَّذِي أَدْعُو لَهُمْ وَأَتَنِيهِمْ بِالْفَرَجِ مِمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ الْبَلَاءِ الَّذِي أَصَابَهُمْ لَعَلَّهُمْ أَنْ يَرْجِعُوا وَيَتَزَعَّوْا عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ غَيْرِكَ . قِيلَ لَهُ : نَعَمْ . بَغَاءُ إِلْيَاسَ
- ١٥ — عَلَيْهِ السَّلَامُ — إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فَقَالَ لَهُمْ : إِنَّكُمْ قَدْ هَلَكْتُمْ جُوعًا وَجَهْدًا ، وَهَلَكْتَ الْبَهَائِمُ وَالْذَوَابُّ وَالطَّيْرُ وَالْهَوَامُّ وَالشَّجَرُ بِخَطَايَاكُمْ ، وَإِنَّكُمْ عَلَى بَاطِلٍ وَغُرُورٍ . فَإِنْ كُنْتُمْ تَحِبُّونَ أَنْ تَعْلَمُوا ذَلِكَ فَأَخْرِجُوا بِأَصْنَامِكُمْ هَذِهِ ، فَإِنْ أَجَبَتْ لَكُمْ فَذَلِكَ كَمَا تَقُولُونَ ، وَإِنْ هِيَ لَمْ تَفْعَلْ عَلِمْتُمْ أَنَّكُمْ عَلَى بَاطِلٍ فَتَزَعَّمْ ، وَدَعَوْتُ اللَّهَ — عَزَّ وَجَلَّ — فَفَرَجَ عَنْكُمْ مَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنَ الْبَلَاءِ . قَالُوا : أَنْصَفْتَ . فَخَرَجُوا بِأَوْثَانِهِمْ فَدَعَوْهَا

فلم تستجب لهم ، ولم تفرج عنهم ما كانوا فيه [من البلاء ^(١)] . ثم قالوا لإلياس :
يا إلیاس ، إن الله قد أهلكنا ، فادعُ الله لنا . فدعا الله تعالى لهم ومعه أليسع ^(٢)
بالفرج مما هم فيه وأن يسقوا ، فخرجت سحابةٌ مثل التُّرس على ظهر البحر وهم ^(٣)
ينظرون ، فأقبلت نحوهم وطبقت الآفاق ، ثم أرسل الله تعالى عليهم المطر [فأنهم]
وحيت بلادهم .

١١٧
١١

فلما كشف الله تعالى عنهم الضَّرَّ نقضوا العهد ولم يترعوا عن كفرهم ،
ولم يقلعوا عن ضلالتهم ، وأقاموا على أخبت ما كانوا عليه . فلما رأى إلیاس
— عليه السلام — ذلك دعا الله تعالى أن يريجه منهم ؛ فقبل له — كما يزعمون — :
أُنظرَ يومَ كذا وكذا فأخرج فيه إلى موضع كذا ، فما جاءك من شيء فأركبه ولا ^(٤)
تَهَبْ . فخرج إلیاس ومعه أليسع بن أخطوب ، حتى إذا كانا بالموضع الذي أمر إلیاس
به ، أقبل فرس من نار حتى وقف بين يديه ، فوثب عليه إلیاس ، فأنطلق الفرسُ
به ، فناداه أليسع ، يا إلیاس : ما تأمرني ؟ فقذف إليه إلیاس بكسائه من الجوف ^(٥)
الأعلى ، وكان ذلك علامةً استخلافه إياه على بني إسرائيل ، فكان [ذلك] آخر العهد
به . ورفع الله — عز وجل — إلیاس من بين أظهرهم ، وقطع عنه لذةَ المطعم
والمشرب ، وكساه الرِّيش ، فكان إنسياً ملكياً أرضياً سماوياً ، وسلط الله على
آجاب الملك وقومه عدواً لهم فقصدهم من حيث لم يشعروا [به] حتى رهقهم ، فقتل ^(٦)

(١) زيادة عن قصص الأنبياء للعلبي .

(٢) هذه عبارة الثعلبي . وفي الأصل : « ومعهم » .

(٣) زيادة عن الثعلبي .

(٤) أنظر : معنى انتظر .

(٥) كذا في قصص الأنبياء للعلبي . وفي الأصل : « ميم » .

آجاب وأمر أنه أرايل في بستان مزدكي ، فلم تزل جيفتاها ملقأتين في تلك الجحينة حتى بليت لحومهما ورت عظامهما ^(١) .

ذكر نبوة اليسع عليه السلام

قال أبو إسحاق — رحمه الله تعالى — : ولما رفع الله تعالى إلياس — عليه السلام — نبأ اليسع وبعثه رسولا إلى بني إسرائيل ، وأوحى إليه وأيده بما آيد به عبده إلياس ، فأمنت به بنو إسرائيل ، وكانوا يعظمونه ويتهمون إلى أمره ، وحكم الله تعالى قائم فيهم إلى أن فارقههم اليسع عليه السلام .

قال أبو إسحاق الثعلبي - رحمه الله - بسند رفعه إلى عبد العزيز بن أبي رواد قال : إلياس والخضر — عليهما السلام — يصومان شهر رمضان بيت المقدس ، ويوافيان الموسم في كل عام .

١٠

وروى بسند رفعه إلى زيد مولى عون الطفاوى ^(٢) عن رجل من أهل عسقلان أنه كان يمشي بالأردن نصف النهار ، فرأى رجلا فقال له : يا عبد الله ، من أنت ؟ قال : فجعل لا يكلمني . فقلت : يا عبد الله ، من أنت ؟ قال : أنا إلياس . قال : فوقعت على رعدة ، فقلت : ادع الله يرفع عني ما أجد حتى أفهم حديثك وأعقل عنك . قال : فدعا لي بثمان دعوات : يا بر ، يا رحيم ، يا حنان ، يا منان ، يا حي ، يا قيوم ، ودعوتين بالسريانية لم أفهمهما . قال : فرفع الله عني ما كنت أجد ، فوضع كفه بين كتفي ، فوجدت بردها بين يدي . قال فقلت : يوحى إليك اليوم ؟ قال : منذ بعث الله محمدا رسوله فإنه ليس يوحى إلى . قال قلت له : كم من الأنبياء اليوم أحياء ؟ قال : أربعة ، آثنان في الأرض ، وآثنان في السماء ، في السماء عيسى

٢٠

(١) رم العظم : بل فهو رميم . (٢) الطفاوى (بضم الطاء) : نسبة الى طفاوة من قيس عيلان .

وإدريس ، وفي الأرض إلياس والخضر . قلت : كم الأبدال ؟ قال : ستون^(١)
رجلا ، خمسون منهم من لدن عيريش مصر إلى شاطئ الفرات ، ورجلان بالمصيصة ،^(٢)
ورجلان بعسقلان ، وستة في سائر البلدان ، كلما أذهب الله واحداً جاء بآخر [مكانه]^(٣)
بهم يدفع الله عن الناس [البلاء] وبهم يمتطرون . قلت : فإلخضر أين يكون ؟ قال :
في جزائر البحر . قلت : فهل تلقاه ؟ قال نعم . قلت : أين ؟ قال : بالموسم .
قلت : فما يكون من حديثكما ؟ قال : يأخذ من شعري وأخذ من شعره . قال :
وذلك حين كان بين مروان بن الحکم وبين أهل الشام قتال . قال : فقلت :
ما تقول في مروان بن الحکم ؟ قال : ما تصنع به ! [رجل جبار]^(٣) عات على الله
— عز وجل — القاتل والمقتول والشاهد في النار .

- ١٠ (١) الأبدال : قوم من الصالحين لا تخلو الدنيا منهم ، بهم يقيم الله عز وجل الأرض . قال ابن دريد :
هم سبعون رجلا فيما زعموا لا تخلو منهم الأرض . أربعمائة رجلا منهم بالشام وثلاثون بغيرها . قال غيره :
لا يموت أحدهم إلا قام بدله آخر من سائر الناس . ونقل الماوي عن أبي البقاء قال : « كأنهم أرادوا
أبدال الأنبياء ، وخلفاءهم ، وهم عند القوم سبعة لا يزيدون ولا ينقصون . يحفظ الله بهم الأقاليم السبعة ،
لكل بدل إقليم فيه ولايته . منهم واحد على قدم الخليل وله الإقليم الأول ، والثاني على قدم الكليم .
والثالث على قدم هارون ، والرابع على قدم إدريس ، والخامس على قدم يوسف ، والسادس على قدم عيسى .
والسابع على قدم آدم — عليهم السلام — على ترتيب الأقاليم . وهم عارفون بما أودع الله في الكواكب
السيارة من الأسرار والحركات والمنازل وغيرها . ولهم من الأسماء أسماء السموات وكل واحد بحسب ما يعطيه
حقيقة ذلك الأسم الإلهي من الشمول والإحاطة ومنه يكون تلقيه » اهـ . وعلامتهم ألا يولد لهم . وقد
أفردهم بالتصنيف جماعة منهم البخاري والجلال السيوطي وغير واحد . ولعمري عبد السلام رسالة في الرد
على من يقول بوجودهم وأقام التكثير على قولهم : بهم يحفظ الله الأرض . (راجع شرح القاموس للزبيدي
في مادة بدل) .

- (٢) المصيصة (الفتح ثم الكسر والشديد وياء ساكنة وصاد أخرى) : مدينة على شاطئ جبعان من
نغور الشام بين أنطاكية وبلاد الروم تقارب طرسوس . (راجع معجم البلدان لياقوت) .
(٣) الزيادة عن قصص الأنبياء للثعلبي .

قال قلت : فإنني قد شهدتُ فلم أظعنُ برمح ولم أرمِ بسهم ولم أضرب بسيف ، وأنا أستغفر الله — عز وجل — أن أعود إلى ذلك المقام أو مثله أبدا . قال : أحسنت ، هكذا فكن .

قال : فإنني وإياه قاعدان إذ وُضع بين يديه رغيفان أشدَّ بياضا من الثلج ، أكلتُ أنا وهو رغيفا وبعضُ آخر ثم رُفع ، فما رأيتُ أحداً وضعه ولا أحداً رفعه .

قال : وله نافقة ترضى في وادي الأردن ، فرفع رأسه إليها ، فما دعاها حتى جاءت فبركت بين يديه فركبها . قلتُ : أريد أن أصحبك . قال : إنك لا تقدر على صحبتي . قلتُ : إني خلوتُ مالى زوجة ولا عيال . قال : تزوج ، وإياك والنساء الأربع ، إياك والناسِز ، والمختلعة ، والملاعة ، والمبارئة ، وتزوج ما بدا لك من النساء .

قال : قلت : فإنني أحب لقاءك . قال : إذا رأيتني فقد رأيتني ، ثم قال : إني أريد أن أعتكف في بيت المقدس في شهر رمضان . قال : ثم حالت بيني وبينه شجرة ، فوالله ما أدرى كيف ذهب .

١١٨
١١

فهذا ما أورده في خبر إلياس وأليسع — عليهما السلام — . والله أعلم .

(١) الناضر : المرأة التي تكره زوجها وتبغضه وتستعصى عليه فيصربها ويجفوها .

(٢) المختلعة : المرأة التي تبذل مالاً لزوجها ليطلقها .

(٣) الملاعة : المرأة التي يرميها زوجها برجل أنه زنى بها ، فالإمام يلاع بينهما ، ويبدأ بالرجل ويقفه حتى يقول : أشهد بالله أنها زنت بفلان وإيه لصادق فيما رواها به . فإذا قال ذلك أربع مرات قال في الخامسة : وعليه لعنة الله إن كان من الكاذبين فيما رواها به من الزنى ، ثم تقام المرأة فتقول أيضا أربع مرات : أشهد بالله إنه لمن الكاذبين فيما رماني به من الزنى ، ثم تقول في الخامسة : وعلى غضب الله إن كان من الصادقين ، فإذا فعلت ذلك بانت منه ولم تحل له أبداً ، وإن كانت حاملا بلجأت بولد فهو ولدها ، ولا يلحق بالزوج لأن السنة تنفيه عنه .

(٤) المبارة : المرأة التي تبرى الرجل من حقوقها للفرقة .

ذكر خبر عيلي^(١) وأشمويل^(٢) وما يتصل بذلك

قال أبو إسحاق الثعلبي — رحمه الله — قال وهب بن منبه : لما قبض الله تعالى اليسع — عليه السلام — خلفت في بني إسرائيل الخلوف ، وعظمت فيهم الخطايا ، وكان عندهم التابوت يتوارثونه صاغراً عن كبير ، فيه السكينة وبقية^(٣) مما ترك آل موسى وآل هارون ، وكانوا لا يلقاهم عدو فيقدمون التابوت إلا هزّم الله ذلك العدو . وكان الله — تبارك وتعالى — قد بارك لهم في جبلهم ، لا يدخله عدو ، ولا يحتاجون معه إلى غيره . وكان أحدهم — فيما يذكرون — يضع التراب على الصخرة ثم ينثر فيه الحب فيخرج الله تعالى له ما يأكله سنة هو وعياله . ويكون لأحدهم الزيتون فيعصر منها ما يأكله سنة هو وعياله . فلما عظمت أحداثهم وكثرت ذنوبهم وتركوا عهد الله إليهم سلط الله عليهم العمالة — وهم قوم^(٤) كانوا يسكنون غزّة وعسقلان وساحل بحر الروم ما بين مصر وفلسطين — وكان جالوت الملك منهم فظهروا على بني إسرائيل ، وغلبوهم على كثير من أرضهم وسبوا كثيراً من ذراريهم وأسروا من أبناء ملوكهم أربعائة وأربعين غلاماً ، فضربوا عليهم الجزية ،

(١) انظر الحاشية رقم ١ ص ١ من هذا الجزء .

(٢) في تاريخ الطبري (ص ٥٤٧ وما بعدها) « أشمويل » و « شمويل » . وفي الكتاب المقدس ١٥

(ج ١ ص ٤٤٥) : « صمويل » .

(٣) ورد في الجزء الثالث من تفسير القرطبي (ص ٢٤٨ — ٢٤٩) أقوال المفسرين في السكينة

وآخلافهم في تفسيرها ثم قال المؤلف : قال ابن عطية : والصحيح أن التابوت كانت فيه أشياء فاضلة من بقايا الأنبياء وآثارهم ، فكانت النفوس تسكن إلى ذلك وتأنس به وتقوى . وسيدكر المؤلف تفسيرها فيما بعد .

(٤) ذكر القرطبي في الجزء الثالث من تفسيره (ص ٢٤٩ — ٢٥٠) أقوال المفسرين أيضا ٢٠

في البقية وآخلافهم في تفسيرها ثم قال : وقال أبو صالح : البقية : عصا موسى وثيابه وثياب هارون ولوحان من التوراة . وسيدكر المؤلف تفسيرها فيما بعد .

(٥) زيادة عن الثعلبي .

وأخذوا توراتهم ، ومكثوا على اضطراب من أمرهم وأخلافٍ من حالهم يتأدّون أحيانا في غيهم وضلاتهم ، فسَلَطَ الله عليهم مَنْ ينتقم منهم ليراجعوا التوبة ، حتى بعث الله تعالى فيهم طالوتَ مَلِكًا . وكانت مدّة ما بين وفاة يوشع بن نون إلى نبوة أشمويل أربعائة سنة وستين سنة ، وكان آخرَ ملوكهم في هذه المدّة رجل يقال له «إيلاف» وكان يُدبر أمرهم في ملكه شيخ يقال له «عيل» الكاهن ، وكان حبرهم وصاحبَ قُربانهم ، وكانوا ينتهون إلى رأيه .

ذكر ابتداء أمر أشمويل وكيف كانت نبوّته

قال النعلبيّ قال وهب : كان لأبي أشمويل امرأتان ، إحداهما عجوزٌ عاقِرٌ لم تلد ، وهى أم أشمويل ، والأخرى ولدت عشرة أولاد . وكان لبني إسرائيل عيدٌ من أعيادهم قد قاموا بشرائطه وقربوا فيه القرابين ، فحضر أبو أشمويل وأمرأاته وأولاده العشرة ذلك العيد ، فلما قربوا قُربانهم أخذ كل واحد منهم نصيبه ، فكان لأُم الأولاد عشرة أنصباء ، وللعجوز نصيبٌ واحد ، فعمل الشيطان بينهما ما يعمل بين الضرائر من الحسد والبغى ، فقالت أم الأولاد [للعجوز] : الحمد لله الذى كثّرني بولدى وكذلك ، فوجّهت العجوز وجوماً شديداً . فلما كان عند السّحر عمّدت العجوزُ إلى متعبّدها فقالت : اللهم بعلمك وتسمّيك كانت مقالةٌ صاحبتي وأسْتَطالَتْها على بنعمتك التى أنعمتَ عليها ، وأنت أبتدأتها بالنعمة والإحسان ، فأرحم ضَعْفى وأرحمنى وآرزقنى ولداً تقياً رضيّاً أبعده لك دُئراً في مسجد من مساجدك ، يعبدك ولا يكفرك ، ويطيعك ولا يجهلك . وإذا رحمتَ ضَعْفى ومسكنتى وأجبت دعوتى ، فأجعل لها علامةً أعرّفها بها . فلما أصبحت حاضت وكانت من قبلُ قد يئست من الحيض ، فألم بها زوجها ، فحملت وكنمت أمرها ، ولقي بنو إسرائيل

في ذلك الوقت من عدوهم بلاء وشدة ، ولم يكن في بني إسرائيل من يدبر أمرهم ،
فكأوا يسألون الله تعالى أن يبعث لهم نبياً يشير عليهم ويجهادون عدوهم معه ،
وكان سبط النبوة قد هلك ، فلم يبق منهم إلا هذه المرأة الحُبلى ، فلما علموا بحَبْلِهَا
تمجَّبوا وقالوا : إنما حَبِلَتْ بِنْتِي ، لأن الآيسات لا يَحْبِلْنَ إلا بالأنبياء ، فأخذوها
وحبسوها في بيت رَهَبَةٍ أن تَلِدَ جاريةً فتُبدِلَ بها غلاما ، لما ترى من رغبة
بني إسرائيل في ولدها ، فجعلت المرأة تدعو الله تعالى أن يرزقها غلاما ، فولدت
غلاما فسمَّته « أشمويل » وقيل فيه « شمعون » . وتقول : سمع الله دعائي .

١١٩
١١

وَأَخْتَلَفَ في نسبه ، فالذى يقول اسمه شمعون يقول : هو شمعون بنُ صفية بن
علقمة بن أبي ياسف بن قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب .

وقال سائر المفسرين : هو أشمويل ، وهو بالعربية إسماعيل بن بَالِي^(١)
ابن علقمة بن حام بن النهر بن بهر بن صوف بن علقمة بن ماحت بن عموصا
ابن عَزْرِيَا .

١٠

قال مقاتل : هو من نسل هارون -- عليه السلام -- . وقال مجاهد : أشمويل
ابن هلقانا . والله أعلم .

قالوا : فلما كَبُرَ الغلام أسلمته أمه يتعلم التوراة في بيت المقدس وكَفَلَهُ
عَيَّلٌ ، فلما بلغ أشمويلُ الوقت الذي يبعثه الله -- عزَّ وجلَّ -- نبياً أتاه جبريل

١٥

(١) ورد نسب أشمويل في تاريخ الطبري (ص ٥٤٧ من القسم الأول) هكذا : « شمويل بن
بالي بن علقمة بن برخام بن أليو بن ترو بن صوف » . وورد في قصص الأنبياء للعليي هكذا : « شمويل
وهو بالعبرانية إسماعيل بن بَالِي بن علقمة بن ماجد بن عموصا بن النهر بن شون بن علقمة صاحب عموصا
ابن عزريا » . وفي الكتاب المقدس (ج ١ ص ٤٤٤) : « شمويل بن ألقانة بن يرواحم بن أليو
ابن توجوبن صوف الأفرامى » .

٢٠

وهو نائم إلى جنب عَيْلى الكاهن، وعَيْلى لا يأمن عليه أحداً، فدعاه بلحن الشيخ :
يا أشمويل ، فقام فَرِعا إلى الشيخ فقال : يا أبتاه ، دعوتنى ؟ فكره الشيخ أن
يقول لا فيفزع الغلام ؛ فقال : يا بُنى ارجِع . فرجع فنام ، ثم دعاه ثانياً ،
فأماه فقال : أدعوتنى ؟ فقال الشيخ : ما شأنك ؟ فقال : أما دعوتنى ؟ قال :
لا . قال أشمويل : فإنى سمعتُ صوتاً فى البيت ، وليس فيه غيرنا . فقال :
ارجِع فتوضأ وصل ، فإذا دُعيتَ بِاسمك فأجب وقل : لَبَّيك ، أنا طَوْعُكَ ، فُرْنى
أفعل ما تأمرنى . ففعل الغلام ذلك ، فتودى الثالثة ، فقال : لَبَّيك أنا طَوْعُكَ ،
فُرْنى أفعل ما تأمرنى . فظهر له جبريل وقال : اذهب إلى قومك فبلّغهم رسالة
ربك ، فإن الله تعالى قد بعثك إليهم نبياً ، وإن الله تعالى ذَرَاكَ يَوْمَ ذَرَأَكَ
[للنبوّة ^(١)] وَرَحِمَ وَحَدَةَ أُمَّكَ فى ذلك اليوم الذى تاهت عليها ضُرُئُها ، ولا أحد
اليوم أَشَدَّ عَضْداً ولا أَطيبُ ولادةً منك ، فأنطلق إلى عَيْلى [فقل له ^(١)] إنك
كنت خليفة الله على عباده ، فبقيتَ زماناً تأمر بأمره ، وحاكماً بكتابهِ ، وحافظاً
لحدوده ؛ فلما أمتدَّ سنّك ، ودقَّ عَظْمُكَ ، وذَهَبَتْ قُوَّتُكَ ، وفنى عَمْرُكَ ، وقُرب
أجلُكَ ؛ وصرت أفقرَ ما تكون إلى الله تعالى ، ولم تزل فقيراً إليه ، عَطَلْتَ
الحدود ، وعَمِلْتَ بِالرُّشَا ، وأضَعْتَ حكومات الخلق ، حتى عزَّ الباطلُ وأهْلُهُ ،
وذَلَّ الحقُّ وحِزْبُهُ ، وظهَرَ المكرُّ ، وخَفِيَ المعروف ، وفشا الكذب ، وقَلَّ الصدق ،
وما اللهَ عاهدك على هذا ، ولا عليه استخَلَفَكَ ، فبئس ما خَتَمْتَ به عَمَلَكَ ، والله
لا يحب الخائنين . فبلّغه هذه الرسالة ، وقم بعده بالخلافة ؛ فلما بلغ أشمويل عَيْلى
هذه الرسالة فَرِزع وجَزِع .

(١) التكملة عن قصص الأنبياء للثعلبى .

(٢) عبارة الثعلبى فى قصص الأنبياء : « فلا أحد اليوم أشدَّ منها عضداً ولا ملاذاً » .

قالوا : وكان السبب فيما عاتب الله تعالى عبده عَيْلَى ووَئَجَّه عليه أنه كان له
 آبنان شَابَان ، فَأَحَدَنَا شَيْئًا فِي الْقُرْبَانِ لم يكن فيه ، وذلك أنه كان في مِسْوَاطِ الْقُرْبَانِ^(١)
 الذى يَسُوطُونَهُ بِهِ كَلَابَان ، فما أُنْجِرَا كان للكاهن الذى كان يَسُوطُهُ ، بفعل آبنائه
 لهما كَلَالِب ، فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى أَشْمُوِيل : انْطَلِقْ إِلَى عَيْلَى فَقُلْ لَهُ : مَنَعَكَ حُبُّ
 الْوَلَدِ أَنْ تَزَجِرَ آبَنِكَ أَنْ يُحَدِّثَا فِي قُرْبَانِي وَأَنْ يَعْصِيَانِي ، فَلَا تُزَعَنَّ الْكَهَانَةَ مِنْكَ
 وَمَنْ وَلَدِيكَ وَلَأَهْلِكَ نَكَتْ وَإِيَاهُمَا . فَأَخْبَرَ أَشْمُوِيلَ عَيْلَى بِذَلِكَ ، فَفَزِعَ فَرَعَا شَدِيدًا
 وَسَارَ إِلَيْهِمْ عَدُوَّهُمْ ، فَأَمَرَ عَيْلَى آبَنَيْهِ أَنْ يُخْرِجَا بِالنَّاسِ وَيَقَاتِلَا ذَلِكَ الْعَدُوَّ ، فَخَرَجَا
 وَأَخْرَجَا مَعَهُمَا التَّابُوتَ ، فَجَعَلَ عَيْلَى يَتَوَقَّعُ الْخَبَرَ ، بِجَاءِهِ رَحْلٌ وَهُوَ قَاعِدٌ عَلَى كُرْسِيِّهِ
 فَأَخْبَرَهُ أَنَّ النَّاسَ قَدْ أَهْزَمُوا ، وَأَنَّ آبَنَيْهِ قُتِلَا . قَالَ : فَمَا فُعِلَ بِالتَّابُوتِ ؟ قَالَ :
 ذَهَبَ بِهِ الْعَدُوُّ . فَشَمَقَ عَيْلَى وَوَقَعَ مَيِّتًا . دَامَتْ بَلْعُ مَلِكِهِمْ إِيْلَافَ أَنْ التَّابُوتِ
 اسْتَلْبَ ، وَأَنَّ عَيْلَى قَدْ مَاتَ كَمَا مَاتَ عَنْقُهُ فَمَاتَ كَمَا .

قالوا : فَلَمَّا مَاتَا وَأَخَذَ التَّابُوتَ مَرَجُ أَمْرِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَاجْتَرَأَ عَلَيْهِمْ عَدُوَّهُمْ^(٢)
 فَقَالُوا لِأَشْمُوِيلَ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ عَنْهُمْ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ أَلَمْ تَر إِلَى الْمَلَأِ مِنْ
 بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ أَهْبِثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾^(٣)
 الْآيَاتِ . وَذَلِكَ بَعْدَ مَا دَبَّرَ أَشْمُوِيلُ أَمْرَهُمْ عَشْرَ سَنِينَ .

(١) المِسْوَاطُ (كحِجَاب) : خَشْبَةٌ تَحْرُكُ بِهَا مَا فِي الْقَدْرِ لِيُخْلَطَ .

(٢) هَذِهِ عِبَارَةٌ تَعَالَى فِي قِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ . وَالَّذِي فِي الْأَصْلِ : « كَانَ فِي مِسْوَاطِ الْقُرْبَانِ الِدى

يَسُوطُ بِهِ كَلَابِينَ فَمَا أُخْرِجَا كَانَ لِلْكَاهِنِ الِدى يَسُوطُهُ » .

(٣) مَرَجٌ ، أَيْ اُخْتَلَطَ وَاضْطَرَبَ وَفَسَدَ .

(٤) سُورَةُ الْبَقَرَةِ آيَةُ ٢٤٦ .

وإنما كان قوام أمر بني إسرائيل بالاجتماع على الملوك وطاعة الملوك أنبياءهم، وكان الملك هو الذى يسيّر بالجنود ويقايل العدو، والنبي يقيم له أمره ويُسِير عليه ويرشده، ويأتيه بالخبر من الله تعالى .

قال وهب : بعث الله تعالى أشمويل نبياً ، فلبثوا أربعين سنةً بأحسن حال ، وكان من أمر جالوت الملك والعمالة ما كان ، فسألوه أن يبعث لهم مليكاً ؛ فقال لهم : ﴿ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا ﴾ . فأجابوه بما قص الله تعالى في كتابه : ﴿ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ^(١) ﴾ الآية .

قال : فلما أخذ أشمويل ميثاقهم فى الطاعة والجهاد سأل الله تعالى أن يبعث لهم مليكاً . والله أعلم بالصواب .

١٠ ذكر خبر الملك طالوت وإتيان التابوت وخبر جالوت

١٢٠
١١

قالوا : ولما سألوا أشمويل أن يبعث لهم مليكاً ، سأل الله تعالى فى ذلك ، فَأَتَى بَعْضًا وَقَرْنٍ فِيهِ دُهْنُ الْقُدُسِ ، وَقِيلَ لَهُ : إِنْ صَاحَبَكُمْ الَّذِى يَكُونُ مَلِكًا طَوْلَهُ طَوْلُ هَذِهِ الْعَصَا ، وَقِيلَ لَهُ : أَنْظِرْ إِلَى الْقَرْنِ الَّذِى فِيهِ الدُّهْنُ فَإِذَا دَخَلَ عَلَيْكَ رَجُلٌ فَنَشِ الدُّهْنَ الَّذِى فِي الْقَرْنِ فَهُوَ مَلِكٌ بَنَى إِسْرَائِيلَ ، فَأَدْنَاهُ بِهِ رَأْسَهُ ، وَمَلَكَ عَلَيْهِمْ ؛ فَكَاسُوا أَنْفُسَهُمْ بِالْعَصَا فَلَمْ يَكُونُوا مِثْلَهَا ؛ وَكَانَ طَالُوتُ — وَاسْمُهُ بِالسَّرْيَانِيَّةِ «شَارِك» ^(٢) ^(٣) ^(٤)

١٥

(١) سورة البقرة آية ٢٤٦ .

(٢) القرن (بفتح القاف والراء المهملة) : الجمعة ما كانت .

(٣) نش الدهن : صوّت عند الغليان .

(٤) فى نقص الأنبياء . للعلّام المخطوطة «شازك» بالزاي المعجمة والكاف . وفى المطبوعة : «سادل»

بالدال المهملة واللام .

وَالْعِبْرَانِيَّةُ شَاوُلُ بْنُ قَيْسِ بْنِ أُنْيَالِ بْنِ ضَرَارِ بْنِ أَحْرَبِ بْنِ أَفِيحِ بْنِ بَنِيَامِينَ
ابْنِ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ — رَجُلًا دَبَّاحًا يَعْمَلُ الْأَدَمَ . قَالَ وَهَبٌ وَعِكرِمَةُ
وَالسُّدِّيُّ : كَانَ سَقَاءَ يَسْقَى عَلَى حِمَارٍ مِنَ النَّيْلِ ، فَضَلَّ حِمَارُهُ ، فَخَرَجَ فِي طَلْبِهِ . وَقَالَ
وَهَبٌ : بَلْ ضَلَّتْ حُمُرُ لَأَبِي طَالُوتَ ، فَأَرْسَلَهُ وَغَلَا مَا لَهُ يَطْلُبَانَهَا ، فَمَرَّ بِبَيْتِ أَشْمُوَيْلَ
فَقَالَ الْغَلَامُ لَطَالُوتَ : لَوْ دَخَلْنَا عَلَى هَذَا النَّبِيِّ فَسَأَلْنَاهُ عَنْ أَمْرِ حُمُرِنَا لِيُرْشِدَنَا
وَيَدْعُوَنَا بِخَيْرٍ . فَقَالَ نَعَمْ . فَدَخَلَ عَلَيْهِ ، فَبَيْنَمَا هُمَا عِنْدَهُ يَذْكُرَانِ شَأْنَ الْحُمُرِ إِذْ نَشَّ
الذَّهْنُ فِي الْقَرْنِ فَقَامَ أَشْمُوَيْلُ وَقَاسَ طَالُوتَ بِالْعَصَا ، فَكَانَتْ عَلَى طَوْلِهِ ، فَقَالَ
لَطَالُوتَ : قَرِّبْ رَأْسَكَ . فَقَرَّبَهُ فَدَهَنَهُ بِذَهْنِ الْقُدْسِ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَنْتَ مَلِكٌ
بَنَى إِسْرَائِيلَ ، وَقَدْ أَمَرَنِي اللَّهُ تَعَالَى أَنْ أُمْلِكَكَ عَلَيْهِمْ . فَقَالَ طَالُوتَ : أَنَا ؟ قَالَ
نَعَمْ . قَالَ : أَوْ مَا عَلِمْتَ أَنْ سَيَبْطِي أُدْنِي الْأَسْبَاطَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ ؟ قَالَ بَلَى .
قَالَ : أَفَمَا عَلِمْتَ أَنْ يَتَى أُدْنِي بَبُوتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ؟ قَالَ بَلَى . قَالَ : فَبِأَيِّ آيَةٍ
أَكُونُ مَلِكًا ؟ قَالَ : بِآيَةٍ أَنْكَ تَرْجِعُ وَقَدْ وَجَدَ أَبُوكَ حُمُرَهُ . فَكَانَ كَذَلِكَ .

ثُمَّ قَالَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَأَتَى يَكُونُ لَهُ
الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ ﴾ (١) ، وَإِنَّمَا قَالُوا ذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ
سَيِّطَانٌ : سَيِّطُ نَبُوءَةٍ ، وَسَيِّطُ مَمْلُوكَةٍ ؛ فَكَانَ سَيِّطُ النَّبُوءَةِ سَيِّطُ لَأَوِي بْنِ يَعْقُوبَ ،

(١) وَرَدَ هَذَا السَّبَبُ فِي قِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ لِلْعَلْبِيِّ الْمَطْبُوعِ هَكَذَا : « شَاوُلُ بْنُ قَيْسِ بْنِ أَفِيلَ بْنِ صَادُوا
ابْنِ نَحُورَ بْنِ أَفِيحِ بْنِ أَنْسِ بْنِ بَنِيَامِينَ بْنِ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ » وَوَرَدَ
فِي النُّسخَةِ الْمَخْطُوطَةِ مِنْهُ هَكَذَا : « شَامِلُ بْنُ قَيْسِ بْنِ أُنْيَالِ بْنِ ضَرَارِ بْنِ نَحُورَ بْنِ أَفِيحِ بْنِ أَشَّ بْنِ بَنِيَامِينَ »
وَوَرَدَ فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ (ج ١ ص ٥٧) هَكَذَا : « شَاوُلُ بْنُ قَيْسِ بْنِ أَفِيلَ بْنِ صَادُوا بْنِ نَحُورَ بْنِ
ابْنِ أَفِيحِ بْنِ رَجُلٍ مِنْ بَنِيَامِينَ » .

(٢) السَّبَطُ مِنَ الْيَهُودِ كَالْقَبِيلَةِ مِنَ الْعَرَبِ .

(٣) سُورَةُ الْبَقَرَةِ آيَةُ ٢٤٧ .

منهم موسى وهارون — عليهما السلام — وَسَبَطُ الْمَلَائِكَةِ سَبْطُ يَهُوذَا بْنِ يَعْقُوبَ ،
 منهم سليمان بن داود ؛ ولم يكن طالوت من سَبْطِ النُّبُوَّةِ وَلَا الْمَلَائِكَةِ ، وإنما كان
 من سَبْطِ بَنِيَامِينَ بْنِ يَعْقُوبَ ، وكانوا عَمِلُوا ذَنْبًا عَظِيمًا ؛ كانوا يَنْكَحُونَ النِّسَاءَ
 عَلَى ظَهْرِ الطَّرِيقِ نَهَارًا . فغضب الله تعالى عليهم ، ونزع النُّبُوَّةَ وَالْمَلَائِكَةَ مِنْهُمْ ، فَأَنْكَرَ
 بَنُو إِسْرَائِيلَ ذَلِكَ وَقَالُوا : ﴿ أَتَى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ
 يُؤْتِ سَعَةً مِنَ الْمَالِ ﴾ قَالَ أَشْمُؤِيلُ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً ﴾ ،
 أَيْ فَضِيلَةً وَسَعَةً ﴿ فِي الْعِلْمِ ﴾ وذلك أنه كان أعلمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي وَقْتِهِ . وقال الكلبي :
 « فِي الْعِلْمِ » بالحَرْبِ . ﴿ وَالْجِسْمِ ﴾ بِعَنِ الطُّوْلِ وَالْقُوَّةِ ؛ وَكَانَ يَفُوقُ النَّاسَ
 رَأْسَهُ وَمَنْكِبَيْهِ ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ طَالُوتَ لَطُولِهِ . وَقَالَ ابْنُ كَيْسَانَ : لِلْجَمَالِ ، وَكَانَ أَجْمَلَ
 رَجُلٍ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَتَمَّهُمْ ﴿ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ ^(١)
 قَالُوا : فَمَا آيَةُ ذَلِكَ ؟ ﴿ قَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ
 رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُم
 إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ ^(٢) .

ذكر قصة التابوت وصفته وما قيل فيه

قال أبو إسحاق الثعلبي — رحمه الله — : قال أهل التفسير وأصحاب الأخبار :
 إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَهْبَطَ تَابُوتًا عَلَى آدَمَ حِينَ أَهْبَطَ آدَمُ إِلَى الْأَرْضِ ، فِيهِ صُورُ الْأَنْبِيَاءِ
 مِنْ أَوْلَادِهِ ، وَفِيهِ بَيُوتُ بَعْدَدِ الرُّسُلِ مِنْهُمْ ، وَآخِرُ الْبَيُوتِ بَيْتُ مُحَمَّدٍ — صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — وَهُوَ مِنْ يَاقُوتَةِ حِمْرَاءَ ، وَإِذَا هُوَ قَائِمٌ يَصَلِّي وَعَنْ يَمِينِهِ الْكَهْلُ الْمَطِيحُ ،

(١) سورة البقرة آية ٢٤٧ .

(٢) سورة البقرة آية ٢٤٨ .

مكتوبٌ على جبينه : هذا أول من يتبعه من أمته « أبو بكر الصديق » وعن يساره « الفاروق » ، مكتوبٌ على جبينه : قَرْن من حديد لا تأخذه في الله لومةٌ لائم ، ومن ورائه ذو النورين أَخَذَ بِحُجْزَتِهِ ^(١) مكتوبٌ على جبينه : بَارٌّ مِنَ الْبَرَّة . ومن بين يديه « عليّ بن أبي طالب » شاهرٌ سيفه على عاتقه ، مكتوبٌ على جبينه : هذا أخوه وأبْنُ عمه المؤيد بال نصر من عند الله . وحوله عمومته والخلفاء والنُّبَّاء والكَبْكِبَةُ ^(٢) الخُضراء — وهم أنصار الله وأنصار رسوله — نورٌ حوافِر دوابهم يومَ القيامةِ مثلُ نور الشمس في الدنيا .

١٢١
١١

وكان التابوت نحوًا من ثلاثة أذرع في ذراعين ، وكان من عود الشَّمْشَار ^(٣) الذي تُخَذ منه الأمشاط ، ممّوها بالذهب ، فكان عند آدم إلى أن مات ، ثم عند شيث ، ثم توارثه أولادُ آدم إلى أن بلغ إبراهيم — عليه السلام — فلمّا مات كان عند إسماعيل ، ثم كان عند قَيْدَار بن إسماعيل ، فتنازعه ولُدُ إسحاق وقالوا : إنّ النبوة قد صُرِفَتْ عنكم ، وليس لكم إلّا هذا النور الواحد ، [يعني نور محمد صلى الله عليه وسلم] فَأَعَطْنَا التابوت . فكان قَيْدَار يمتنع عليهم ويقول : إنه وصية لأبي ، ولا أعطيه أحدًا من العالمين .

قال : فذهب ذات يوم يفتح التابوت ، فتعسر عليه فتحه ، فناداه منادٍ من السماء : مهلا يا قَيْدَار ، فليس لك إلى فتح هذا التابوت سبيل ، إنه وصية نبي ،

(١) أخذ بحجزة فلان : استظهر به وأستصر .

(٢) الككببة : الجماعة .

(٣) الشمشار : شجر البقس ، يشبه ورقه ورق الآس ، وعوده أصفر صل ، وله حب أسود . منابته

٢٠ بلاد الروم ، تُخَذ منه المغاليق والأبواب لمنايته وصلابته . وفي القاموس : « الشمشاذ » بالذال المعجمة (راجع مفردات ابن البيطار وشرح القاموس مادة بقس) .

(٤) زيادة عن قصص الأنبياء للعلوي .

لا يفتحه إلا نبي ، فأدفعه لابن عمك يعقوب إسرائيل الله ؛ فحمل قيذار التابوت على عنقه ونخرج يريد أرض كنعان وكان بها يعقوب — عليه السلام — فلما قُرب منه صرَّ التابوت صرَّةً سمعها يعقوب ، فقال لبنيه : أقسم بالله لقد جاءكم قيذار بالتابوت فقوموا نحوه . فقام يعقوب وأولاده جميعا إليه ، فلما نظر يعقوب إلى قيذار استعبرَّ باكيا وقال : يا قيذار ، مالي أراك متغيرا وقوتك ضعيفة ، أَرَهَقَكَ •
عدو أم أتيت معصية بعد أبيك إسماعيل ؟ قال : ما رَهَقَنِي عدو ولا أتيت معصية ولكن نُقِلَ من ظهري نورٌ مجد ، فلذلك تغير لوني وضعف رُكْنِي ، قال : أفي بنات إسحاق ؟ قال : لا ، في العربية الجرهمية ، وهي العامرية ، فقال يعقوب : يَخِجْ ! شرفا لمحمد ، لم يكن الله — عز وجل — لِيُجْرِيَهُ إِلَّا في العربيات الطاهرات يا قيذار ، وأنا مُبَشِّرُكَ ببشارة . قال : وما هي ؟ قال : اعلم أن العامرية قد ولدت لك البارحة ١٠ غلاما . قال قيذار : وما علمك يابن عمي وأنت بأرض الشام وهي بأرض الحرم ؟ قال يعقوب : علمت ذلك لأنني رأيت أبواب السماء قد فُتِحَتْ ، ورأيت نورا كالقمر الممدود بين السماء والأرض ، ورأيت الملائكة ينزلون من السماء بالبركات والرحمة ، فعلمت أن ذلك من أجل مجد — صلى الله عليه وسلم — فسلم قيذار التابوت إلى يعقوب ورجع إلى أهله ، فوجدها قد ولدت غلاما ، فسماه « حملا » ١٥ وفيه نور مجد صلى الله عليه وسلم .

قالوا : وكان التابوت في بني إسرائيل إلى أن وصل إلى موسى — عليه

السلام — فكان موسى يضع فيه التوراة ومتاعا من متاعه ، وكان عنده إلى أن مات ، ثم تداوله أنبياء بني إسرائيل إلى وقت أشمويل ، وكان فيه ما ذكر الله تعالى ﴿ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ .

قال الثعالبي: وأختلفوا في السكينة ما هي؟ فقال علي بن أبي طالب: السكينة رِيحٌ نَجْوَجٌ هَفَافَةٌ لها رأسان [كرأس الهزة] ^(٢) ووجهه كوجه الإنسان. وقال مجاهد: رأس كرأس الهزة، وذنب كذنب الهزة وجناحان. وقال ابن إسحاق عن وهب عن بعض علماء بني إسرائيل: السكينة، رأس هرة ميتة كانت إذا صرخت في التابوت بصراخ هرة أيقنوا بالنصر وجاءهم الفتح.

وقال السدي عن أبي مالك عن ابن عباس: هي طست من ذهب من الجنة كانت تغسل فيه قلوب الأنبياء. وقال بكار بن عبد الله عن وهب: روح من الله تكلم، إذا اختلفوا في شيء تخبرهم ببيان ما يريدون. وقال عطاء بن أبي رباح: هي ما يعرفون من الآيات فيسكنون إليها. وقال قتادة والكلبي: فعيلة من السكون أي طمأنينة من ربكم، وفي أي مكان كان التابوت أطمأننوا (وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ).

قالوا: كان فيه عصا موسى ورضاض الألواح، ^(٣) وذلك أن موسى لما ألقى الألواح تكسرت فوق بعضها، وجمع ما بقي فجعله في التابوت. وكان فيه أيضا لوحان من التوراة، وقفيظ من المن الذي كان ينزل عليهم، ونعلا موسى، وعمامة هارون وعصاه. وكان التابوت عند بني إسرائيل، وكانوا إذا اختلفوا في شيء تكلم وحكم بينهم، وإذا حضروا القتال قدموه بين أيديهم يستفتحون به على عدوهم. فلما عصوا ^(٤) وأفسدوا سلط الله — عز وجل — عليهم العاقبة فاستلبوا التابوت كما تقدم.

(١) رِيحٌ نَجْوَجٌ: تَخَوُّجٌ في هبوبها، أي تلوَّى.

(٢) زيادة عن قصص الأنبياء للثعالبي.

(٣) رضاض الشيء: (ضاد بن معجمتين وضم الراء المهملة): دقاق الشيء وفنائه، أي ما رَضَ منه.

(٤) استفتح فلان: طلب الفتح واستنصر، ومنه قوله تعالى: «ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح»

أي إن طلبتم الظفر.

ذكر إتيان التابوت إلى بني إسرائيل وسبب عود

$$\frac{122}{11}$$

قال أبو إسحاق : لما سلب العالقة قوم جالوت التابوت كان جالوت صغيراً ،
فأتوا بالتابوت قرية من قري فلسطين يقال لها أشدود ، وجعلوه في بيت صنم لهم
ووضعوه تحت الصنم الأعظم ، فأصبحوا من الغد والصنم تحته ، فأخذوه ووضعوه

فوقه ، وسَمُّوا قديمي الصنم على التابوت ، فأصبحوا من الغد وقد قُطعت يد الصنم .
ورجله ، وأصبح ملقى تحت التابوت وأصبحت أصنامهم كلها منكسة ، فأخرجوه
من بيت الصنم ووضعوه في ناحية من مدينتهم ، فأخذ أهل تلك الناحية وجع
في أعناقهم حتى هلك أكثرهم ، فقال بعضهم لبعض : أليس قد علمت أن إله
بني إسرائيل لا يقوم له شيء ، فأخرجوه عن مدينتكم ، فأخرجوه إلى قرية أخرى ،

فبعث الله — عز وجل — على تلك القرية فأراً ، بيث الرجل صحيحاً فيقرضه
الفأر فيصبح ميتاً قد أكلت ما في جوفه ، فأخرجوه منها إلى الصحراء ودفنوه
في مغارة لهم ، فكان كل من تبرز هناك أخذه البأسور والقولنج ؛ فتحيروا ؛ فقالت
لهم امرأة كانت عندهم من سبي بني إسرائيل من أولاد الأنبياء : لا تزالون ترون
ما تكرهون ما دام هذا التابوت فيكم ، فأخرجوه عنكم ، فاتوا بعجلة بإشارة تلك
المرأة فحملوا التابوت عليها ، ثم علقوها على ثورين ، ثم ضربوا جُنُوبَهُمَا ، فأقبل
الثوران يسيران ، ووكل الله تعالى بهما أربعة من الملائكة يسوقونهما ، فلم يمز التابوت

(١) كذا في فاموس العهد الجديد للدكتور جورج بوست (ج ١ ص ١٠١ ، ٢٧٦ طبع بيروت
سنة ١٨٩٤) وهي إحدى مدن الفلسطينيين الخمس المتحالفة وقد خرجت في نصيب يهوذا ، وهي المركز
المخصوص لعبادة داجون ، وأما موقعها فعلى ٣ أميال من البحر المتوسط بين غزة و يافا ، وهي الآن قرية
حقيرة تسمى أسدود وفي جوارها خرابث كثيرة . وفي الأصل : « أردود » .

٢٠

(٢) هذه عبارة التعليل في قصص الأنبياء . وعبرة الأصل محرفة .

(٣) القولنج : مرض معوي مؤلم يعسر معه خروج النفل والريح ، مزب .

بشيء من الأرض إلا كان مقدساً ، فأقبلا حتى وقفا على أرض فيها حصاد لبنى إسرائيل فكسرا بُرَّتَهما وقطعا حبالهما ، ووضعوا التابوت فيها ورجعا إلى أرضهما ، فلم يُرْعَ بنى إسرائيل إلا التابوت ، فكبروا وحمدوا الله تعالى .

وقال الكِسَائِيُّ : ^(١) إنهم لما دفنوه إلى جنب الحش وأخذهم الباسور أعادوه إلى الكنيسة . ففزاهم بعض الفراعة فهزمهم ودخل الكنيسة ، وأخذوا التابوت وهموا بفتحه فلم يقدرُوا فهموا بكسره فلم يقدرُوا ، فتركوه ؛ فكان القوم يتشاءمون به لما كان يصيبهم من البلاء ، فحولوه إلى خمس مدائن ، فقال أهل المدينة الخامسة : إن هذا البلاء يصيبكم بسبب هذا التابوت فأخرجوه . وساق نحو ما تقدم .

وقوله تعالى : ﴿ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ أى تُسَوِّقُهُ . فعند ذلك أقفوا بملك طالوت . وقال ابن عباس — رضى الله عنهما — : جاءت الملائكة بالتابوت تحمله بين السماء والأرض وهم ينظرون إليه حتى وضعوه فى دار طالوت ، فأقفوا بملكه . قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ ^(٢) .

قال ابن عباس — رضى الله عنهما — إن التابوت وعصا موسى فى بحيرة طَبْرِية ، وإنهما يخرجان يوم القيامة . والله أعلم .

(١) الحش (بالثلاث) : البستان ، وقيل : النخل المجتمع ، ويكنى به عن بيت الخلا لما كان من عاداتهم التقوط فى البساتين .

(٢) هذه عبارة الكسائى فى قصص الأنبياء . وفى الأصلين : « فهم بكسره فلم يقدر » .

(٣) سورة آل عمران آية ٤٩ .

(٤) بحيرة طبرية ، هى كالبركة تحيط بها الجبال ويصب فيها فضلات أنهر كثيرة تسمى من جهة بانياس والساحل الأردن الأكبر ، وينفصل منها نهر عظيم فيسقى أرض الأردن الأصغر ، وهو بلاد الغور ، ويصب فى البحيرة المنة قرب أريحا . ومدينة طبرية فى لحف الجبل مشرفة على البحيرة ، ماؤها عذب شروب ليس بصادق الحلاوة ثقيل . وفى وسط هذه البحيرة حجر نائى يزعمون أنه قبر سليمان بن داود عليه السلام . وبين البحيرة وبيت المقدس نحو من خمسين ميلا . (راجع معجم البلدان لياقوت) .

٥

١٠

١٥

٢٠

ذكر مسير طالوت بالجنود وخبر النهر الذي أبتلوا به

قالوا : فلما أفتوا بملك طالوت سألوه أن يغزو بهم ، وهم يومئذ سبعون ألف مقاتل . وقيل : ثمانون ألفا لم يتخلف عنه إلا كبيرهم أو مريض لمريضه أو ضريح لضره أو معذور لعذره ؛ وذلك أنهم لما رأوا النابوت قالوا : قد أئانا النابوت ،

وهو النصر لا شك فيه ؛ فسارعوا إلى الجهاد ، فقال طالوت : لا حاجة لي في كل ما أرى ، لا يخرج معي رجلٌ بنى بفرغ منه ، ولا صاحب تجارة مشتغل بها ، ولا رجل عليه دين ، ولا رجل تزوج بامرأة ولم يبن بها ؛ ولا يتبعني إلا الشاب النشط الفارع ^(١) . فاجتمع له ثمانون ألفا على شرطه — وكانوا في حر شديد —

فشكوا قلة المياه فيما بينهم وبين عدوهم ، وقالوا : إن المياه لا تحملنا ، فأدع الله تعالى أن يجري لنا نهرًا . فقال لهم طالوت : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي ﴾ أي من أهل ديني وطاعتي ؛ ﴿ وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي ﴾ ثم استثنى فقال : ﴿ إِلَّا مَنْ غُرِفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ﴾ .

قال الكسائي : لما سألوه أن يجري لهم نهرًا قال : أفعل — إن شاء الله — وسار بهم حتى إذا كانوا في برية وفقدوا الماء وأجهدهم العطش ، أتوه ، فدعا أن

يجري الله تعالى لهم نهرًا ؛ فأوحى الله إليه ما أخبر به في كتابه ؛ قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ ^(٢) ﴾ . قال : وهو نهر الأردن من بلاد فلسطين . وقال الثعلبي : قال ابن عباس والسدي : هو نهر فلسطين . وقال قتادة والربيع : هو نهر بين الأردن وفلسطين ، عذب . قال الكسائي : قالوا : وما تنفي عنا الغرقة ثم عرض لهم النهر فأنهم مكوا في شربه . قال الله تعالى : ﴿ فَشَرِبُوا مِنْهُ ١٢٣

إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ) قال : وأخلفوا في القليل الذين لم يشربوا ؛ فقال السدّي : كانوا أربعة آلاف . وقال غيره : كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر ؛ وهو الصحيح ، لقول رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لأهل بدر : ” أتم اليوم على عدّة أصحاب طالوت حين عبروا النهر “ وكان أهل بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر .

قالوا : فلم يزد هؤلاء على العُرفة فكانت كفاية لهم ولدوا بهم ؛ فمن أغترف عُرفة ، كما أمر الله ، نور الله قلبه وصحّ إيمانه ، وعبر النهر سالماً . والذين شربوا وخالفوا أمر الله — عز وجل — أسودّت شفاههم وغلبهم العطش فلم يروّوا وبقوا على شطّ النهر وجنبوا عن لقاء العدو ؛ فقال طالوت للذين عصّوا رهم : ارجعوا فلا حاجة لي بكم فرجعوا . قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ﴾ وإنا قال ذلك الذين عصّوا وشربوا ﴿ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ .

ذكر خبر دودا حين قتل جالوت الملك

قال الله تعالى : ﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ فهزموهم بإذن الله وقتل داود جالوت .

قال أبو إسحاق الشعبي — رحمه الله — : قال المفسرون بألفاظ مختلفة ومعانٍ متفقة : عبر النهر مع طالوت إيشى أبو داود في ثلاثة عشر أبناً له ، وكان داود

• (١) سورة البقرة آية ٢٤٩ .

(٢) سورة البقرة آية ٢٥٠ .

(٣) سورة البقرة آية ٢٥١ ، وقد وردت هذه الآية الكريمة في الأصول قبل هذا العنوان .

ووردت في الشعبي الذي ينقل عنه المؤلف كما أثبتنا هنا وهو الأنسب .

أصغرهم، فأتاه ذات يوم فقال: يا أبتاه، ما أرمى بقَدَاقِي شيئاً إلا صرعتُه. فقال:
 أبشر يا بُنَيَّ فإنَّ اللهَ — عزَّ وجل — جعل رزقَكَ في قَدَافَتِكَ؛ ثم أتاه مرَّةً أخرى
 فقال: يا أبتاه، لقد دخلتُ بين الجبال فوجدتُ أسدًا رابضاً، فركبته وأخذتُ
 بأُذُنِيهِ فلم يَهَيِّجْنِي، فقال: ^(٢) أبشر يا بُنَيَّ فإنَّ هذا خير يريده الله بك. ثم أتاه يوماً
 آخر فقال: يا أبتاه، إني لأمشي بين الجبال فأَسْبَحُ فما يَبْقَى جَبَلٌ إلا سَبَّحَ معي.
 فقال: أبشر يا بُنَيَّ فإنَّ هذا خير أعطاكه الله عزَّ وجل.

قالوا: فأرسل جالوتُ إلى طالوت، أن أبرزُ إلى أو أبرزُ إلى مَنْ يقاتلني،
 فإن قتلني فلكم مُلكي، وإن قتلته فلي ملككم. فشقَّ ذلك على طالوت، فنَادَى
 في عسكره: مَنْ قتل جالوتَ زوجتهَ آتيتي وناصفتُه مُلكي. فهاب الناسُ جالوتَ
 فلم يجبه أحدٌ؛ فسأل طالوتُ نبيَّهُم — عليه السلام — أن يدعوه، فدعا الله — عزَّ
 وجل — في ذلك، فَأُتِيَ بقرْنٍ فيه دُهْنُ القدس، وثُورٍ من حديد، فقيل له:
 إنَّ صاحبكم الذي يقتل جالوتَ هو الذي يوضع هذا القَرْنُ على رأسه فيَعْلَى الدُّهْنِ
 ثم يَدُهْنُ به رأسه ولا يَسِيلُ على وجهه، يكون على رأسه كهَيْئَةِ الإِكْلِيلِ، ويدخل
 في هذا الثُّورِ فيملاؤه لا يَتَقَلَّقَلُ فيه؛ فدعا طالوتُ بنى إسرائيل، بجرِّهم فلم يوافقَه
 منهم أحدٌ، فَأَوْحَى اللهُ — عزَّ وجل — إلى نبيِّهم أن في ولدٍ إِيَّشَى من يَقْتُلُ الله
 به جالوتَ. فدعا طالوتُ إِيَّشَى وقال له: اعْرِضْ عَلَيَّ بَنِيكَ. فَأَخْرَجَ لَهُ اثْنَى عَشَرَ
 رجلاً أمثال السواري، وفيهم رجل فارِعٌ عليهم؛ فجعل يَعْرضُهم على القَرْنِ فلا يَرَى
 شيئاً، فيقول لذلك الحَسيْمِ: ارْجِعْ فِرْدَدَهُ على الثُّورِ. فَأَوْحَى اللهُ — عزَّ وجل — إليه:
 إِنَّا لَا نَأْخُذُ الرِّجَالَ عَلَى صُورِهِمْ، وَلَكِنَّا نَأْخُذُهُمْ عَلَى صِلَاحِ قُلُوبِهِمْ. فقال لإِيَّشَى:

(١) القَذَافَةُ : المَقْلَاعُ .

(٢) لم يَهَيِّجْه : لم يَزْجِجْه ولم يَنْفِرْه .

هل بقى لك ولدٌ غيرُهُم؟ فقال لا . فقال النبي : ربّ إنه زعم أن لا ولد له غيرهم .
فقال كذب . فقال النبي : إن ربّي كذّبك . قال : صدق الله يا نبيّ الله ،
إنّ لي أبنا صغيرا يقال له داود أسْتَحْيَيْتُ أن يراه الناس لقصر قامته وحقارته ،
نفلتُهُ في الغنم يرعاها وهو في شُعب كذا . وكان داود — عليه السلام — رجلا
قصيرا مسقاما مصفازا أزرَق أشقر . فدعاه طالوت . ويقال : بل خرج طالوت
إليه فوجد الوادي قد حال بينه وبين الزّريبة التي كان يُريح إليها ، فوجده يحمل
شاتين شاتين فيجيزُهُما السَّيْلَ ولا يخوض بهما الماء ؛ فلما رآه [أشوبل] ^(٢) قال :
هذا هو لا شك فيه ، هذا يرحم البهائم فهو بالناس أرحم . فدعاه ووضع القَرْن على
رأسه ففاض ؛ فقال له طالوت : هل لك أن تقتل جالوتَ وأزوَجَك أبنيتي وأجرى
حُكْمَك في مُلكي ؟ قال نعم . قال : وهل أنست من نفسك شيئا نتقوى به على
قتله ؟ قال : نعم ، أنا أرعى فيجىء الأسد أو الثَّمر أو الذئب فيأخذُ شاةً فأقوم له
فأفتحُ لحية عنها وأحرِقُهما إلى قفاه . فردّه إلى عسكره ؛ فمز داود — عليه السلام —
في الطريق بحجر فناده : يا داود ، احملني فإني حَجَر هارون الذي قتل بي ملك كذا ،
فحملة في محلاته . [ثم مرت بحجر آخر فناده : يا داود ، احملني فإني حجر موسى عليه
السلام — الذي قتل به ملك كذا وكذا ، فحملة في محلاته] . ثم مرت بحجر آخر فقال :
احملني فإني حجرك الذي تقتل به جالوت ، وقد خباني الله لك ، فوضعه في محلاته .
فلما تصافوا للقتال وبرز جالوتُ وسأل المبارزة ، آتدب له داودُ ، فأعطاه طالوت
فرسا ودرعا وسلاحا ، فلبس السلاح وركب الفرس ، وسار قريبا ، ثم آنصرف
• فرجع إلى الملك ، فقال من حوله : جَبَن الغلام . بجاء فوقف على الملك فقال :

(١) عبارة التلبي : « وكان داود — عليه السلام — رجلا قصيرا سقيما مصفرا أزرَق العينين » .

(٢) التكلّة عن قصص الأنبياء للعلّمي .

ما شأنك ؟ قال : إن الله — عز وجل — إن لم ينصرني لم يُغن عني هذا السلاحُ شيئاً ، فدعني أقاتل كما أريد . قال نعم . فأخذ داود مِخْلَافَهُ فتقلّدها ، وأخذ المِقلّاع ومضى نحو جالوت . وكان جالوت من أشدّ الناس وأقواهم ؛ وكان يهزم الجيوش وحده ، وكان له بَيْضَةٌ فيها ثَلَاثُمِائَةٍ مِّنْ حديد ، فلما نظر إلى داود أُلْقِيَ في قلبه الرُّعبُ . فقال له : أنتَ تَبْرُزُ لِي ؟ قال نعم — وكان جالوت على فرس أبلق ، عليه السلاح التام — قال : تأتيَنِي بالمِقلّاع والمجر كما يُؤْتِي الكلب ؟ قال : نعم ، لأنّني شرٌّ من الكلب . قال : لا جَرَمَ لأُقَسِّمَنَّ لِحِمكِ بين سباع الأرض وطير السماء . فقال داود : [باسم الله ^(١)] يَقْسِمُ الله لِحِمكِ . وقال : بِسْمِ اللَّهِ إِبْرَاهِيمَ ، وَأَنْحَرَجْ حَجْرًا ، ثُمَّ أَنْحَرَجِ الْآخَرَ وقال : بِأَسْمِ اللَّهِ إِسْحَاقَ ، ووضعهُ في مِقلّاعه ، ثم أنحرج الثالث وقال : بِأَسْمِ اللَّهِ يَعْقُوبَ ، ووضعهُ في مِقلّاعه ، فصارت كلّها حجراً واحداً ، ودور المِقلّاعَ ورمَاهُ بِهِ ، فسَخَّرَ اللهُ تَعَالَى لَهُ الرِّيحَ حتّى أَصَابَ الحَجْرُ أَنْفَ الْبَيْضَةِ وخَالَطَ دِمَاغَهُ فخرَجَ مِنْ قِفَاهُ ، وقتل من ورائه ثلاثين رجلاً ، وهزَمَ اللهُ تَعَالَى الْجَيْشَ وَخَرَّ جَالُوتٌ قَتِيلًا ، فأخذه داودُ بِفَرْخِهِ حتّى ألقاه بين يَدَيْ طالوتَ .

وقال الكسائي في هذه القصة : كان مع طالوت سبعةٌ إخوة لداود ، وكان داود عند أبيه وهو صغير ، فقال له أبوه : قد أَبْطَأَ عَلَيَّ خَبرُ إِخْوَتِكَ مع طالوت ، فَأَحْمِلْ إِلَيْهِمْ طَعَامًا وَتَعَرَّفْ لِي خَبَرَهُمْ . فمضى داود ومعه مِخْلَافٌ له فيها الطعام ، وقد شَدَّ وَسَطَهُ بِمِقلّاعٍ ، فبينما هو يسير إذ ناداه حجر من الأرض : خذني فأنا حجر أبيك إبراهيم . فأخذه ، ثم ناداه حجر آخر : خذني فأنا حجر أبيك إسحاق . فأخذه ،

(١) كذا في قصص الأنبياء للعلوي . وفي الأصل : « لو يقسم » .

ثم ناداه حجر آخر : خُذْنِي فَأَنَا حِجْرُ أَبِيكَ يَعْقُوبَ . فَأَخَذَهُ وَسَارَ حَتَّى أَتَى الْعَسْكَرَ ، فَتَزَلَّ عَلَى إِخْوَتِهِ ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدَتِيَّاءِ الْجَيْشَانِ لِلْمُعَارَبَةِ ، فَقَالَ طَالُوتُ : أَيُّهَا النَّاسُ ، مِنْ كِفَانِي مِنْكُمْ أَمْرٌ جَالُوتُ زَوْجَتُهُ أَبْتَى ، وَأَشْرَكْتُهُ فِي مُلْكِي ، وَجَعَلْتُهُ خَالِفَتِي مِنْ بَعْدِي . فَلَمْ يَجِبْهُ أَحَدٌ إِلَّا دَاوُدُ ؛ نَخَلَ عَلَيْهِ وَأَرْكَبَهُ وَطَافَ بِهِ فِي مَعْسِكَرِهِ ؛ فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدَرِكِبَاءِ ، وَأَقْبَلَ جَالُوتُ بِجِيُوشِهِ وَهُوَ عَلَى فِيلٍ ، وَكَانَ طَوْلُهُ ثَمَانِيَةَ عَشْرَ ذِرَاعًا ، وَطَوْلُ دَاوُدَ عَشْرَةَ أَذْرَعًا ، فَقَالَ الْمُؤْمِنُونَ : ﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا ^(١) ۝ الْآيَةُ .

فَبَرَزَ جَالُوتُ بَيْنَ الصَّفِّينِ فَبَرَزَ لَهُ دَاوُدُ ، فَقَالَ لَهُ جَالُوتُ : إِنَّكَ صَغِيرٌ وَلَا سِلَاحَ مَعَكَ فَأَرْجِعْ ، فَأَبَى ذَلِكَ ، وَأَخَذَ تِلْكَ الْأَحْجَارَ فَوَضَعَهَا فِي مِقْلَاعِهِ وَرَمَى بِهَا ، فَوَقَعَ أَحَدُهَا يَمِينَهُ جَالُوتُ فَهَزَمَهَا ، وَالثَّانِي فِي الْمَيْسِرَةِ فَأَنْهَزَمُوا . وَالثَّلَاثُ وَقَعَ عَلَى أَنْفِ بَيْضَةِ جَالُوتُ فَخَرَجَ مِنْ قَفَاهُ ، فَسَقَطَ جَالُوتُ مَيِّتًا ، وَأَنْهَزَمَ أَحْبَابُهُ .

قَالُوا : وَلَمَّا قَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ ذَكَرَ النَّاسُ دَاوُدَ وَعَظَّمُوا فِي أَنْفُسِهِمْ ، بِخَاءٍ إِلَى طَالُوتَ وَقَالَ لَهُ : أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي ، وَأَعْطِنِي أَمْرًا . فَقَالَ لَهُ طَالُوتُ : أَتُرِيدُ ابْنَةَ الْمَلِكِ بِغَيْرِ صَدَاقٍ ، عَجَلٌ صَدَاقُ أَبْتَى وَشَأْنُكَ بِهَا . فَقَالَ لَهُ دَاوُدُ : مَا شَرِطْتَ عَلَى صَدَاقًا ، وَابْسُ لِي شَيْءًا ، فَتَحَكَّمُ فِي الصَّدَاقِ ^(٢) مَا شِئْتُ وَأَقْرَضْنِي مَهْرَهَا وَعَلَى الْأَدَاءِ وَالْوَفَاءِ لَكَ . فَقَالَ طَالُوتُ : أَصْدِقْهَا نَصِيْبِكَ مِنَ الْمُلْكِ . فَقَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ : لَا تَظْلِمْهُ وَأَنْجِزْ لَهُ مَا وَعَدْتَهُ بِهِ .

فَلَمَّا رَأَى طَالُوتُ مِيلَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى دَاوُدَ وَحُسْنَ رَأْيِهِمْ فِيهِ قَالَ : لَا حَاجَةَ لِأَبْتَى فِي الْمَالِ . وَلَا أَكَلْفَكَ إِلَّا مَا تَطْبِقُ ، أَنْتَ رَجُلٌ جَرِيءٌ ، وَفِي جِبَالِنَا

(١) سورة البقرة آية ٢٥٠

(٢) عبارة الأصول : « فتحكّم من الصداق ما شئت » وعبارة التعلي : « فتحكّم في الصداق بما تريد » .

أعداء من المشركين غُلْفٌ^(١) فَانْطَلِقْ وَجَاهِدْهُمْ ، فإذا قُتِلَ مِنْهُمْ مائَتِي رَجُلٍ وَجِئْتَنِي بِرُءُوسِهِمْ زَوْجَتُكَ أَبْنَى . فأتاهم داود ، وجعل كلما قتل منهم رجلاً أَحْتَرَّ رَأْسُهُ ونظمه في خيط حتى نَظَّمَ رُءُوسَهُمْ بَهاءَ بها إلى طالوت ، فألقاها إليه وقال : ادفع إلى امرأتى ، فزوجه أَبْنَتُهُ وأجرى خاتمه في مُلكه ، فقال الناس إلى داود وأحبوه وأكثروا من ذكره ، فوجد طالوتُ من ذلك في نفسه وحسده وأراد قتله .

قال وهب بن مُنبه : وكانت الملوك يومئذ يتوكأون على عَصِيٍّ فيغريزون في أطرافها أَرْجَعة من حديد ، وكان بيد طالوت منها واحدة ، في رأسها رقانة من ذهب وفي أسفلها زُجٌّ من حديد ، وداود جالس قريباً منه في ناحية البيت ، فرماه بها بقعة ليقتله بها ، فلما أحس داود بذلك حاد عن طريقها ، وأمال نفسه عنها من غير أن يبرح من موضعه ، فأرتكرت في الجدار ، فقال له داود : عمدت إلى قتلى ؟ قال طالوت : لا ، ولكن أردتُ أن أفق على ثباتك في الطعان وربط جاشك للأقران . قال داود : فالفيتة على ما قدرته في ؟ قال : نعم ، ولعلك فزعت . قال : معاذ الله أن أخاف إلا الله تعالى وأرجو إلا الله ، ولا يدفع الشر إلا الله . فأتزعها من الجدار ثم هزها هزّة منكّرة وقال له : أثبت كما ثبت لك ، فأيقن طالوت بالهلاك ، فقال له : أُنشدك الله والحُرمة التي بيني وبينك إلا ما صفحت ، فقال داود : إن الله تعالى كتب في التوراة أن آجر السيئة مثلاً ، واحدة بواحدة والبادى أظلم ، فقال طالوت : ألا تقول قول هابيل لأخيه قابيل : ﴿ لَنْ بَسَطْتُ إِلَى يَدِكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾^(٢) . قال داود : قد عفوتُ عنك لوجه الله تعالى .

(١) هذه عبارة التعلي في النسخة المطبوعة . وفي الأصلين : « وجئني بغلفهم زوجتك أبني ، فأتاهم داود وجعل كلما قتل منهم نظم غلفته في خيط حتى نظم غلفهم » ، والغلف جمع أغلف ، والأغلف : الذي لم يحتم .

(٢) سورة المائدة آية ٢٨

- فليث طالوتُ زمنا يريد قتل داود، فعزم على أن يأتيه ويغتاله في داره. فأخبر بذلك بنت طالوت رجلٌ يقال له : ذو العينين ، فقالت لداود : إنك مقتولُ الليلة ؛ قال : ومن يقتلني ؟ قالت : أبى ، وأخبرته الخبر وقالت : لا عليك أن تغيب الليلة حتى تنظر مصادق ذلك . فأخذ داودُ زِقَّ نحرٍ فوضعه في مَضْجَعه على السرير وسجَّاه ودخل تحت السرير ودخل طالوتُ نصف الليل ، فعهد إليه فضر به ضربةً بالسيف فسالت النحرُ ، فلما وجد ريحها قال : رحم الله داود ، ما كان أكثر شربه للخمر ، وخرج ، فلما أصبح علم أنه لم يصنع شيئا ، فقال : إن رجلا طلبتُ منه ما طلبتُ لخليق ألا يدعني حتى يطلب مني ثأره ؛ فأشدَّتْ حُجَّابه وحُرَّاسه وأغلق دونه الأبواب ، فأناه داود ليلةً وقد هدأتِ العيونُ وأعمى الله الحُجَّاب عنه وفتح له الأبواب ، ودخل عليه وهو نائم على فراشه فوضع سهما عند رأسه وسهما عند رجله وسهما عن يمينه وسهما عن شماله ثم خرج . فلما استيقظ طاوتُ بصر بالسهم فعرفها ، فقال : رحم الله داود فهو خير مني ، ظفرتُ به فقصدتُ قتله ، وظفر بي فكف عني ، لو شاء لوضع هذا السهم في حلقى وما أنا بالذي آمنه . فلما كانت الليلة القابلة أناه ثانيا ، وأعمى الله الحُجَّاب . فدخل وهو نائم ، فأخذ إبريق طاوتُ الذى كان يتوصأ به وكوزه الذى يشرب منه ، وقطع شعرات من لحيته وشيئا من هُذْب ثيابه ، ثم خرج وهرب وتوارى ؛ فلما أصبح ورأى ذلك نصب على داود العيونَ وطلبه أشدَّ الطلب فلم يقدر عليه ، ثم ركب طالوتُ يوما فوجد داود يمشى في البرية فقال : اليوم أقتلُ داود ، وكان داودُ إذا قرأ لم يدرك ، فركض داود حتى دخل غارا ، فأمر الله العنكبوت أن تنسج ، فنسجت عليه بيتا ، وجاء طالوتُ إلى الغار فنظر إلى بيتِ العنكبوت فقال : لو كان هاهنا لخرق بيتَ العنكبوت ، فتركه ومضى ، وأنطلق داود إلى الجبل ومعه المتعبدون ، فجعل يتعبد فيه .

وطعن العلماء والعباد على طالوت في شأن داود، فجعل طالوت لا ينهأ أحد عن داود إلا قتله . وأُغْرِيَ بقتل العلماء، فلم يكن يقدر في بني إسرائيل على عالم [ويطيق قتله إلا قتله] ^(١) ولم يكن طالوت يحارب جيشا إلا هزمه، حتى أتى بأمرأة تعلم اسم الله الأعظم، فأمر جبارَه بقتلها، فرحمها الجبار وقال : لعلنا نحتاج إلى عالم فتركها .

ثم وقع في قلب طالوت التوبة، وندم على ما فعل، وأقبل على البكاء حتى رحمه

الناس، وكان كل ليلة يخرج إلى القبور ويبكي وينادي : أَنشد الله عبدا يعلم لى

التوبة إلا أخبرني . فلما كثر عليهم [بكاءه] ناداه مناد ^(١) من قبر : يا طالوت،

أما ترضى [أنك] قتلتنا حتى تؤذينا أمواتا، فازداد بكاءً وحزنا، فقال له الجبار :

مالك أيها الملك ؟ قال : هل تعلم لى فى الأرض عالما أسأله ؟ هل لى من توبة ؟

قال الجبار : هل تدري ما مثلك ؟ إنما مثلك مثل ملك نزل قرية عشاء، فصاح

ديك فتطير به ، فقال : لا تتركوا فى هذه القرية ديكا إلا يجتمعوه . فلما أراد

أن ينام قال لأصحابه : إذا صاح الديك فأيقظونا حتى ندخل . فقالوا له :

وهل تركت ديكا يُسمع صوته ؟ وأنت هل تركت فى الأرض عالما ؟! فازداد

طالوت حزنا وبكاء، فلما رأى الجبار ذلك قال له : أرايتك إن دلتك على عالم

لعلك أن تقتله ؟ قال لا . فتوثق منه الجبار وأخبره أن المرأة العالمة عنده ؛ قال :

فأطلق بى إليها حتى أسأله هل لى من توبة ؟ — وكان إنما يعلم ذلك أهل

بيت لهم علم بالاسم الأعظم ^(٢) — فلما بلغ طالوت الباب قال له الجبار : إنما إن رأيتك

فزعمت ، خلفه خلفه، ثم دخل عليها فقال لها : ألسنت أعظم عليك حرمة ، أنجيئك

من القتل وأوتيتك عندى ؟ قالت بلى . قال : فإن لى إليك حاجة . قالت :

(١) الكلمة من قصص الأنبياء للعلبي .

(٢) عبارة العلبي : « وكانت تعلم الاسم الأعظم ، وكان إنما يعلم بهذا الاسم أهل بيت لها فنية

رجالهم وعلت نساؤهم » .

وما هي ؟ قال : هذا طالوت يسأل هل له من توبة ؟ فقالت : لا والله ما لطالوت من توبة ، ولكن هل تعلمون مكان قبر أشمويل ؟ قال نعم . قالت : فأنطلقوا بي إلى قبره ، ففعلوا ، فصأت ثم نادت : يا صاحب القبر أخرج . فخرج أشمويل من قبره ينفض رأسه من التراب . فلما نظر إليهم ثلاثتهم . المرأة والجبار وطالوت قال : ما لكم ! أقامت القيامة ؟ قالت : لا ، ولكن طالوت يسألك هل له من توبة ؟

قال أشمويل : يا طالوت ، ما فعلت بعدى ؟ قال : لم أدع من الشر شيئاً إلا فعلته ، وقد جئت أطلب التوبة . قال : كم لك من الولد ؟ قال : عشرة رجال . قال :

ما أعلم لك من توبة إلا أن نتخلى عن مالك وتخرج أنت وولدك في سبيل الله ، ثم تقدم ولدك حتى يقتلوا بين يديك ، ثم تقابل أنت حتى تقتل آخرهم . ثم رجع أشمويل إلى القبر وسقط ميتاً ، ورجع طالوت أحزناً ما كان ، رهبة ألا يتابعه أولاده ، وقد بكى حتى سقطت أشفار عينيه ، ونخل جسمه . فدخل عليه أولاده

فقال لهم : أرايتم لو دُفعت إلى النار هل كنتم تنقذوني ؟ قالوا : بلى . ننقذك بما قدرنا عليه . قال : فإنها النار إن لم تفعلوا ما أقول . قالوا : فأعرض علينا ، فذكر لهم القصة . قالوا : فإنك لمقتول ؟ ! قال نعم . قالوا : فلا خير لنا في الحياة بعدك ، قد طابت أنفسنا بالذى سألت . فتجهز للغزو بماله وولده ، فتقدم ولده

فقاتلوا بين يديه حتى قتلوا ؛ ثم تقدم فقاتل بعدهم حتى قتل . فجاء قاتله إلى داود يشمره وقال : قد قتلتُ عدوك . فقال داود : ما أنت بالذى تحيا بعده . فضرب عنقه .

وحكى الكسائي : أن طالوت لما حسد داود على ما أوتي من القوة ، وهم بالغدر مراراً فلم يظفر به وظفر به داود فأبقى عليه ، اعتذر له طالوت وأتفقا ؛ ثم مات أشمويل ، فأنضم بنو إسرائيل إلى داود وأختلفوا على طالوت وحاربه ؛ فاستقل داود بالملك ، وجاهد بنو إسرائيل وقهر الأعداء . والله تعالى أعلم بالصواب ، وإليه المرجع والمآب .

ذكر خلافة داود عليه السلام ونبوته ومبعثه إلى بني إسرائيل وما خصه الله عز وجل به

- (١) هو داود بن إيشي بن عويل بن باعد بن سلمون بن يحسون بن عمي بن مارب
أبن أرم بن حصرون بن فارص بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل
— عليهم السلام — قال الله تعالى : ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ قال
الكسائي : لما مات أشمويل تفزق بنو إسرائيل واشتغلوا باللهو، فبعث الله تعالى
داود — عليه السلام — وأعطاه سبعين سطرًا من الزبور، وأعطاه حسن الصوت،
فكان إذا سبَّح سبَّحت الجبال معه والطير والحش؛ قال الله تعالى : ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا
الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَمِيِّ وَالْإِشْرَاقِ وَالطَّيْرُ مَحْشُورَةٌ كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ﴾ أي مطيع.
وقال أبو إسحاق الثعالبی : قالت العلماء بأخبار الأنبياء : لما استشهد طالوت
أتى بنو إسرائيل إلى داود فأعطوه خزانة طالوت وملكوه على أنفسهم، وذلك بعد
قتل جالوت بسبع سنين، ولم يجتمع بنو إسرائيل بعد يوشع بن نون على ملك واحد
إلا على داود عليه السلام .

قال : وخصَّ الله تعالى نبيه داود بخصائص :

- منها : أنه أنزل عليه الزبور بالعبرانية خمسين ومائة سورة ، في خمسين منها
ما يكون من مُختَصَرِّ أهل بابل ؛ وفي خمسين ما يكون من أهل بئرون ؛
(١) كذا في الأصول وتاريخ الطبري (ص ٥٦١ من القسم الأول) والجامع لأحكام القرآن للقرطبي
(ج ٣ ص ٢٥٧) وذكر أنه بكسر الهمزة . وفي الكتاب المقدس (ج ١ ص ٤٧٢) : « يسي »
بفتح الياء والسین المشددة . وقد ورد نسب داود — عليه السلام — في الكتاب المقدس (ج ٣ ص ٢)
هكذا : « داود بن يسي بن عويل بن يوشع بن سلمون بن نحشون بن عينا داب بن أرام بن حصرون
ابن فارص بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام » . وورد نسبه في تاريخ الطبري
(ص ٥٥٩ من القسم الأول) هكذا : داود بن إيشي بن عويل بن باعد بن سلمون بن نحشون بن عمي نادب
ابن رام بن حصرون بن فارص بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم .

(٢) سورة ص آية ٢٦ (٣) سورة ص آية ١٨ ، ١٩

وفي خمسين منها موعظة وحكمة ؛ ولم يكن فيها حلال ولا حرام ، ولا حدود ولا أحكام ؛ وذلك قوله تعالى : ﴿ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زُبُورًا ^(١) ۖ ۝ ٥٠ ۖ ۝ ٥١ ۖ ۝ ٥٢ ۖ ۝ ٥٣ ۖ ۝ ٥٤ ۖ ۝ ٥٥ ۖ ۝ ٥٦ ۖ ۝ ٥٧ ۖ ۝ ٥٨ ۖ ۝ ٥٩ ۖ ۝ ٦٠ ۖ ۝ ٦١ ۖ ۝ ٦٢ ۖ ۝ ٦٣ ۖ ۝ ٦٤ ۖ ۝ ٦٥ ۖ ۝ ٦٦ ۖ ۝ ٦٧ ۖ ۝ ٦٨ ۖ ۝ ٦٩ ۖ ۝ ٧٠ ۖ ۝ ٧١ ۖ ۝ ٧٢ ۖ ۝ ٧٣ ۖ ۝ ٧٤ ۖ ۝ ٧٥ ۖ ۝ ٧٦ ۖ ۝ ٧٧ ۖ ۝ ٧٨ ۖ ۝ ٧٩ ۖ ۝ ٨٠ ۖ ۝ ٨١ ۖ ۝ ٨٢ ۖ ۝ ٨٣ ۖ ۝ ٨٤ ۖ ۝ ٨٥ ۖ ۝ ٨٦ ۖ ۝ ٨٧ ۖ ۝ ٨٨ ۖ ۝ ٨٩ ۖ ۝ ٩٠ ۖ ۝ ٩١ ۖ ۝ ٩٢ ۖ ۝ ٩٣ ۖ ۝ ٩٤ ۖ ۝ ٩٥ ۖ ۝ ٩٦ ۖ ۝ ٩٧ ۖ ۝ ٩٨ ۖ ۝ ٩٩ ۖ ۝ ١٠٠ ۖ ۝ ١٠١ ۖ ۝ ١٠٢ ۖ ۝ ١٠٣ ۖ ۝ ١٠٤ ۖ ۝ ١٠٥ ۖ ۝ ١٠٦ ۖ ۝ ١٠٧ ۖ ۝ ١٠٨ ۖ ۝ ١٠٩ ۖ ۝ ١١٠ ۖ ۝ ١١١ ۖ ۝ ١١٢ ۖ ۝ ١١٣ ۖ ۝ ١١٤ ۖ ۝ ١١٥ ۖ ۝ ١١٦ ۖ ۝ ١١٧ ۖ ۝ ١١٨ ۖ ۝ ١١٩ ۖ ۝ ١٢٠ ۖ ۝ ١٢١ ۖ ۝ ١٢٢ ۖ ۝ ١٢٣ ۖ ۝ ١٢٤ ۖ ۝ ١٢٥ ۖ ۝ ١٢٦ ۖ ۝ ١٢٧ ۖ ۝ ١٢٨ ۖ ۝ ١٢٩ ۖ ۝ ١٣٠ ۖ ۝ ١٣١ ۖ ۝ ١٣٢ ۖ ۝ ١٣٣ ۖ ۝ ١٣٤ ۖ ۝ ١٣٥ ۖ ۝ ١٣٦ ۖ ۝ ١٣٧ ۖ ۝ ١٣٨ ۖ ۝ ١٣٩ ۖ ۝ ١٤٠ ۖ ۝ ١٤١ ۖ ۝ ١٤٢ ۖ ۝ ١٤٣ ۖ ۝ ١٤٤ ۖ ۝ ١٤٥ ۖ ۝ ١٤٦ ۖ ۝ ١٤٧ ۖ ۝ ١٤٨ ۖ ۝ ١٤٩ ۖ ۝ ١٥٠ ۖ ۝ ١٥١ ۖ ۝ ١٥٢ ۖ ۝ ١٥٣ ۖ ۝ ١٥٤ ۖ ۝ ١٥٥ ۖ ۝ ١٥٦ ۖ ۝ ١٥٧ ۖ ۝ ١٥٨ ۖ ۝ ١٥٩ ۖ ۝ ١٦٠ ۖ ۝ ١٦١ ۖ ۝ ١٦٢ ۖ ۝ ١٦٣ ۖ ۝ ١٦٤ ۖ ۝ ١٦٥ ۖ ۝ ١٦٦ ۖ ۝ ١٦٧ ۖ ۝ ١٦٨ ۖ ۝ ١٦٩ ۖ ۝ ١٧٠ ۖ ۝ ١٧١ ۖ ۝ ١٧٢ ۖ ۝ ١٧٣ ۖ ۝ ١٧٤ ۖ ۝ ١٧٥ ۖ ۝ ١٧٦ ۖ ۝ ١٧٧ ۖ ۝ ١٧٨ ۖ ۝ ١٧٩ ۖ ۝ ١٨٠ ۖ ۝ ١٨١ ۖ ۝ ١٨٢ ۖ ۝ ١٨٣ ۖ ۝ ١٨٤ ۖ ۝ ١٨٥ ۖ ۝ ١٨٦ ۖ ۝ ١٨٧ ۖ ۝ ١٨٨ ۖ ۝ ١٨٩ ۖ ۝ ١٩٠ ۖ ۝ ١٩١ ۖ ۝ ١٩٢ ۖ ۝ ١٩٣ ۖ ۝ ١٩٤ ۖ ۝ ١٩٥ ۖ ۝ ١٩٦ ۖ ۝ ١٩٧ ۖ ۝ ١٩٨ ۖ ۝ ١٩٩ ۖ ۝ ٢٠٠ ۖ ۝ ٢٠١ ۖ ۝ ٢٠٢ ۖ ۝ ٢٠٣ ۖ ۝ ٢٠٤ ۖ ۝ ٢٠٥ ۖ ۝ ٢٠٦ ۖ ۝ ٢٠٧ ۖ ۝ ٢٠٨ ۖ ۝ ٢٠٩ ۖ ۝ ٢١٠ ۖ ۝ ٢١١ ۖ ۝ ٢١٢ ۖ ۝ ٢١٣ ۖ ۝ ٢١٤ ۖ ۝ ٢١٥ ۖ ۝ ٢١٦ ۖ ۝ ٢١٧ ۖ ۝ ٢١٨ ۖ ۝ ٢١٩ ۖ ۝ ٢٢٠ ۖ ۝ ٢٢١ ۖ ۝ ٢٢٢ ۖ ۝ ٢٢٣ ۖ ۝ ٢٢٤ ۖ ۝ ٢٢٥ ۖ ۝ ٢٢٦ ۖ ۝ ٢٢٧ ۖ ۝ ٢٢٨ ۖ ۝ ٢٢٩ ۖ ۝ ٢٣٠ ۖ ۝ ٢٣١ ۖ ۝ ٢٣٢ ۖ ۝ ٢٣٣ ۖ ۝ ٢٣٤ ۖ ۝ ٢٣٥ ۖ ۝ ٢٣٦ ۖ ۝ ٢٣٧ ۖ ۝ ٢٣٨ ۖ ۝ ٢٣٩ ۖ ۝ ٢٤٠ ۖ ۝ ٢٤١ ۖ ۝ ٢٤٢ ۖ ۝ ٢٤٣ ۖ ۝ ٢٤٤ ۖ ۝ ٢٤٥ ۖ ۝ ٢٤٦ ۖ ۝ ٢٤٧ ۖ ۝ ٢٤٨ ۖ ۝ ٢٤٩ ۖ ۝ ٢٥٠ ۖ ۝ ٢٥١ ۖ ۝ ٢٥٢ ۖ ۝ ٢٥٣ ۖ ۝ ٢٥٤ ۖ ۝ ٢٥٥ ۖ ۝ ٢٥٦ ۖ ۝ ٢٥٧ ۖ ۝ ٢٥٨ ۖ ۝ ٢٥٩ ۖ ۝ ٢٦٠ ۖ ۝ ٢٦١ ۖ ۝ ٢٦٢ ۖ ۝ ٢٦٣ ۖ ۝ ٢٦٤ ۖ ۝ ٢٦٥ ۖ ۝ ٢٦٦ ۖ ۝ ٢٦٧ ۖ ۝ ٢٦٨ ۖ ۝ ٢٦٩ ۖ ۝ ٢٧٠ ۖ ۝ ٢٧١ ۖ ۝ ٢٧٢ ۖ ۝ ٢٧٣ ۖ ۝ ٢٧٤ ۖ ۝ ٢٧٥ ۖ ۝ ٢٧٦ ۖ ۝ ٢٧٧ ۖ ۝ ٢٧٨ ۖ ۝ ٢٧٩ ۖ ۝ ٢٨٠ ۖ ۝ ٢٨١ ۖ ۝ ٢٨٢ ۖ ۝ ٢٨٣ ۖ ۝ ٢٨٤ ۖ ۝ ٢٨٥ ۖ ۝ ٢٨٦ ۖ ۝ ٢٨٧ ۖ ۝ ٢٨٨ ۖ ۝ ٢٨٩ ۖ ۝ ٢٩٠ ۖ ۝ ٢٩١ ۖ ۝ ٢٩٢ ۖ ۝ ٢٩٣ ۖ ۝ ٢٩٤ ۖ ۝ ٢٩٥ ۖ ۝ ٢٩٦ ۖ ۝ ٢٩٧ ۖ ۝ ٢٩٨ ۖ ۝ ٢٩٩ ۖ ۝ ٣٠٠ ۖ ۝ ٣٠١ ۖ ۝ ٣٠٢ ۖ ۝ ٣٠٣ ۖ ۝ ٣٠٤ ۖ ۝ ٣٠٥ ۖ ۝ ٣٠٦ ۖ ۝ ٣٠٧ ۖ ۝ ٣٠٨ ۖ ۝ ٣٠٩ ۖ ۝ ٣١٠ ۖ ۝ ٣١١ ۖ ۝ ٣١٢ ۖ ۝ ٣١٣ ۖ ۝ ٣١٤ ۖ ۝ ٣١٥ ۖ ۝ ٣١٦ ۖ ۝ ٣١٧ ۖ ۝ ٣١٨ ۖ ۝ ٣١٩ ۖ ۝ ٣٢٠ ۖ ۝ ٣٢١ ۖ ۝ ٣٢٢ ۖ ۝ ٣٢٣ ۖ ۝ ٣٢٤ ۖ ۝ ٣٢٥ ۖ ۝ ٣٢٦ ۖ ۝ ٣٢٧ ۖ ۝ ٣٢٨ ۖ ۝ ٣٢٩ ۖ ۝ ٣٣٠ ۖ ۝ ٣٣١ ۖ ۝ ٣٣٢ ۖ ۝ ٣٣٣ ۖ ۝ ٣٣٤ ۖ ۝ ٣٣٥ ۖ ۝ ٣٣٦ ۖ ۝ ٣٣٧ ۖ ۝ ٣٣٨ ۖ ۝ ٣٣٩ ۖ ۝ ٣٤٠ ۖ ۝ ٣٤١ ۖ ۝ ٣٤٢ ۖ ۝ ٣٤٣ ۖ ۝ ٣٤٤ ۖ ۝ ٣٤٥ ۖ ۝ ٣٤٦ ۖ ۝ ٣٤٧ ۖ ۝ ٣٤٨ ۖ ۝ ٣٤٩ ۖ ۝ ٣٥٠ ۖ ۝ ٣٥١ ۖ ۝ ٣٥٢ ۖ ۝ ٣٥٣ ۖ ۝ ٣٥٤ ۖ ۝ ٣٥٥ ۖ ۝ ٣٥٦ ۖ ۝ ٣٥٧ ۖ ۝ ٣٥٨ ۖ ۝ ٣٥٩ ۖ ۝ ٣٦٠ ۖ ۝ ٣٦١ ۖ ۝ ٣٦٢ ۖ ۝ ٣٦٣ ۖ ۝ ٣٦٤ ۖ ۝ ٣٦٥ ۖ ۝ ٣٦٦ ۖ ۝ ٣٦٧ ۖ ۝ ٣

ومنها : الصوت الطيّب ، والنغمة اللذيذة ، والترجيع في الألحان ؛ ولم يُعطِ الله تعالى أحدا من خلقه مثل صوته ، فكان يقرأ الزُّبور بسبعين لحنا بحيث يَعرِّقُ المحموم ويُبقي المَغشى عليه .

وكان إذا قرأ الزبور برز إلى البرية، فيقوم ويقرأ ويقوم معه علماء بني إسرائيل خلفه، ويقوم الناس خلف العلماء، وتقوم الجن خلف الناس، وتقوم الشياطين خلف الجن، وتدنو الوحوش والسباع حتى تؤخذ بأعناقها، وتُنظِّله الطير مصيخة، ويركد الماء الجارى ويسكن الريح.

١٠ قال الثعلبي: وما صُنعت المزامير والبرابط ^(٣) والصنوج إلّا على صوته ، وذلك أنّ إبليس حسده وأشدّ عليه أمره ، فقال لعفاريته : ترون ما دهاكم؟ فقالوا : مُرنا بما شئت . قال : فإنه لا يصرف الناس عن داود إلّا ما يُضادّه ويُحاذّه ^(٤) في مثل حاله . فهيا المزامير والأعواد والأوتار والملاهي على أجناس أصوات داود — عليه السلام — فسمعها سفهاء الناس فمالوا إليها وآغروا بها .

ومنها : تسبيح الجبال والطير معه ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا
فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ ۚ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَخْرُجُ الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحُنَ بِالْعَمِيِّ
وَالْإِشْرَاقِ ۚ ﴾ . يقال : إن داود كان إذا تَخَلَّلَ الجبالَ يَسْبِّحُ الله تعالى جعلت الجبالُ

(١) سورة النساء: آية ١٦٣ (٢) كذا في قصص الأنبياء: للشهلي المخطوطة . ومصابة

أى مصفوية مستدة . وفى الأصل : « مسبحة » وهو تحريف .

(٣) البرابط : العبدان . (٤) محاذه : معاديه .

(٥) سورة سبأ آية ١٠ (٦) سورة ص آية ١٨

تجاوزه بالتسبيح نحو ما يسبح . ثم قال في نفسه ليلة من الليالي : لأعبدن الله عبادة لم يُعبد مثلاًها ، فصعد الجبل ، فلما كان في جوف الليل وهو على جبل داخلته وحشة ، فأوحى الله إلى الجبال : أن آتيني داود ، فأصطكت الجبال بالتسبيح والتلهيل . فقال داود في نفسه : كيف يُسمع صوتي مع هذه الأصوات ؟ فهبط عليه ملك وأخذ بعضده حتى انتهى به إلى البحر ، فوكره برجله فانفرج له البحر ، فأنتهى إلى الأرض فوكرها برجله فانفرجت له الأرض ، حتى انتهى إلى الحوت فوكره برجله ، فأنتهى إلى الصخرة ، فوكر الصخرة برجله ، فانفلقت فخرجت منها دودة تَدَش^(١) ، فقال : إن الله تعالى يسمع تَشيش هذه الدودة في هذا الموضع . قال ابن عباس — رضى الله عنهما — : كان داود يفهم تسبيح الحجر والشجر والمدر .

ومنها : أن الله تعالى أكرمه بالحكمة وفصل الخطاب . قالوا : والحكمة :

الإصابة في الأمور . واختلفوا في فصل الخطاب ، قال ابن عباس — رضى الله عنهما — : بيان الكلام . وقال ابن مسعود والحسن : المعنى علم الحكم والنظر في القضاء ، كان لا يتعتع في القضاء بين الناس . وقال علي بن أبي طالب — رضى الله عنه — : هو البينة على المدعى واليمين على المدعى عليه . وقال كعب :

الشهود والأيمان . وقال الشعبي : سمعتُ زيادا يقول : فصل الخطاب الذى أُعطيَ داود : أما بعد . قال الأستاذ : وهو أول من قالها .

ومنها : السلسلة التى أعطاه الله إياها ، ليعرف المحق من المبطل في المحاكمة إليه . قال الثعلبي : روى الضحاك عن ابن عباس — رضى الله عنهما — قال : إن الله تعالى أعطى داود سلسلة موصولة بالمجرة والفلك ، ورأسها عند محراب داود

(١) تَدَش : تصوت .

(٢) يتعتع : يتردد .

حيث يُتَحَاكَم إليه ، وكانت قُوَّتُهَا قُوَّةَ الحديد ، وَلَوْ أَنَّهَا لَوَّنَ النَّارَ ، وَحَلَّتْهَا مُسْتَدِيرَةٌ ، مَفْصَلَةٌ بِالْجَوْهَرِ ، مَدَّسَةٌ بِقُضْبَانِ اللَّوْلُؤِ الرُّطْبِ ، فَلَا يَحْدُثُ فِي الْهَوَاءِ حَدَثٌ إِلَّا صَلَّصَتِ السَّلْسَلَةُ ، فَيَعْلَمُ دَاوُدُ ذَلِكَ الْحَدَثَ ؛ وَلَا يَلْمِسُهَا ذُو عَاهَةٍ إِلَّا بَرِيءٌ ، وَكَانَتْ عَلَامَةُ دُخُولِ قَوْمِهِ فِي الدِّينِ أَنْ يَمْسُوهَا بِأَيْدِيهِمْ وَيَمْسَحُوا بِأَكْفِهِمْ عَلَى صُدُورِهِمْ . وَكَانُوا يَتَحَاكَمُونَ إِلَيْهِ ، فَمَنْ تَعَدَّى عَلَى صَاحِبِهِ أَوْ أَنْكَرَهُ حَقًّا أَتَوْا السَّلْسَلَةَ ، فَمَنْ كَانَ صَادِقًا مُحَقَّقًا مَدَّ يَدَهُ إِلَى السَّلْسَلَةِ فَتَالَهَا ، وَمَنْ كَانَ كَاذِبًا ظَالِمًا لَمْ يَنَلْهَا ؛ فَكَانَتْ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ ظَهَرَ فِيهِمُ الْمَكْرُ وَالْخَدِيعَةُ .

قال : فَبَاغَيْنَا أَنْ بَعْضُ مُلُوكِهِمْ أَوْدَعَ رَجُلًا جَوْهَرَةً ثَمِينَةً ، فَلَمَّا اسْتَرَدَّهَا مِنْهُ أَنْكَرَهُ ذَلِكَ ، فَتَنَحَّا كَمَا إِلَى السَّلْسَلَةِ ، فَعَلِمَ الَّذِي كَانَتْ عِنْدَهُ الْجَوْهَرَةُ أَنَّ يَدَهُ لَا تَنَالُ السَّلْسَلَةَ ، فَعَمِدَ إِلَى عُكَّازَةٍ فَتَقَرَّهَا ثُمَّ ضَمَّنَهَا الْجَوْهَرَةَ وَأَعْتَمَدَ عَلَيْهَا حَتَّى حَضَرَ مَعَهُ غَرِيمُهُ عِنْدَ السَّلْسَلَةِ ، فَقَالَ لِمُصَاحِبِهَا : مَا أَعْرِفُ لَكَ مِنْ وَدِيعَةٍ ، إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَتَنَاوَلِ السَّلْسَلَةَ ، فَتَنَاوَلَهَا بِيَدِهِ وَقَالَ لِلنَّيْكَرِ : قُمْ أَنْتَ أَيْضًا فَتَنَاوَلَهَا ، فَقَالَ لِمُصَاحِبِ الْجَوْهَرَةِ : الْإِزْمُ عُكَّازَتِي هَذِهِ حَتَّى أَتَنَاوَلَ السَّلْسَلَةَ . فَأَخَذَهَا وَقَامَ الرَّجُلُ وَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ الْوَدِيعَةُ الَّتِي يَدْعِيهَا عَلَى قَدِّ وَصَلْتُ إِلَيْهِ فَقَرَّبْ مِنِّي السَّلْسَلَةَ . فَدَّ يَدَهُ وَتَنَاوَلَهَا ، فَشَكَّ الْقِسْمُ وَتَعَجَّبُوا ، فَأَصْبَحُوا وَقَدْ رَفَعَ اللَّهُ تِلْكَ السَّلْسَلَةَ .

وقال الكسائي في خبر السَّلْسَلَةِ : أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى دَاوُدَ أَنْ يَنْصُبَ سَلْسَلَةً مِنْ حَدِيدٍ وَيَعْلَقَ فِيهَا جَرَسًا ، ففعل ذلك ؛ وساق في خبرها نحو ما تقدَّم في أمر المُحَقِّقِ وَالْمُبْطِلِ .

قال : وجاء خصمان فأدعى أحدهما على الآخر أنه أودعه جوهراً ؛ فاعترف به وقال : أعدته إليه ، فتقدم المذيع وتناول السلسلة فذنت منه حتى تناولها ، ثم قال للمذيع عليه : تناولها . وكان قد أخذ الوديعة فجعلها في قناة مجوفة ، فناولها للمذيع وقال : الزم عصاى هذه ، ومد يده إلى السلسلة فذنت منه حتى كاد يتناولها ؛ ثم ارتفعت وتدلّت إليه مراراً ، ثم تناولها ، فقال داود للمذيع : لعل هذا قد سلم وديعتك لأهلك . فرجع وسأل أهله ، فقالوا : مادّع إلينا شيئاً . فعاد وأعلم داود ، فأخذ داود القناة وشقها ، فطلعت الوديعة منها ؛ وارتفعت السلسلة من ذلك اليوم .

قال الثعلبي : وكان عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — إذا أشتبه عليه أمر الخصمين قال : ما أحوجكم إلى سلسلة بنى إسرائيل ؟ كانت تأخذ بعنق الظالم فتجتره إلى الحق جراً . والله أعلم بالصواب .

١٠

ومنها : القوة في العبادة وشدة الاجتهاد ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ ﴾^(١) ، أى القوة في العبادة ﴿ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ أى تواب مطيع مسبح .

وكان داود يقوم الليل ، ويصوم يوماً ويُفطر يوماً ، وما مرت ساعة من الليل إلا وفيها من آل داود قائم يصلى ، ولا يوم من الأيام إلا وفيه منهم صائم .

١٥

ومنها : قوة الملكة . قال الله تعالى : ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ ﴾^(٢) أى قويناه ، وقرأ الحسن : (وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ) بالنشديد . قال ابن عباس : كان أشد ملوك الأرض سلطاناً ، كان يحرس محرابه كل ليلة ثلاثة وثلاثون ألف رجل . وقال السدي : كان يحرسه في كل يوم وليلة أربعة آلاف .

(١) سورة ص آية ١٧

(٢) سورة ص آية ٢٠

وَرَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ اسْتَعْدَى عَلَى رَجُلٍ مِنْ عِظَمَائِهِمْ عِنْدَ دَاوُدَ، فَقَالَ الْمُسْتَعْدِي: إِنَّ هَذَا قَدْ غَضِبَنِي بِقَرَى. فَسَأَلَ دَاوُدَ الرَّجُلَ بِحُجَّتِهِ، وَسَأَلَ الْآخَرَ الْبَيِّنَةَ فَلَمْ تَكُنْ لَهُ بَيِّنَةٌ، فَقَالَ لَهَا دَاوُدُ: قُومَا حَتَّى أَنْظُرَ فِي أَمْرِكُمَا. فَمَقَامَا مِنْ عِنْدِهِ، فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى دَاوُدَ فِي مَنَامِهِ أَنْ يَقْتُلَ الَّذِي اسْتَعْدَى عَلَيْهِ، فَقَالَ: هَذِهِ رَأْيَا [وَلَسْتُ أُعْجِلُ حَتَّى أَتَيْنِ] فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ ضَرْبَةً ثَانِيَةً أَنْ يَقْتُلَهُ [فَقَالَ: هَذِهِ رَأْيَا، فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ مَرَّةً ثَالِثَةً أَنْ يَقْتُلَهُ] أَوْ تَأْتِيهِ الْعُقُوبَةُ مِنَ اللَّهِ. فَأَرْسَلَ دَاوُدَ إِلَى الرَّجُلِ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ أَقْتُلَكَ. فَقَالَ: تَقْتُلْنِي بِغَيْرِ بَيِّنَةٍ وَلَا تَثْبُتُ؟. فَقَالَ نَعَمْ، وَاللَّهِ لَأَنْفَذْتُ أَمْرَ اللَّهِ فِيكَ. فَلَمَّا عَرَفَ الرَّجُلُ أَنَّهُ قَاتِلُهُ قَالَ: لَا تَعْجَلْ حَتَّى أَخْبِرَكَ، إِنِّي وَاللَّهِ مَا أَخَذْتُ بِهَذَا الذَّنْبِ، وَلَكِنِّي [كُنْتُ] أَغْتَلْتُ وَالِدَ هَذَا فَقَتَلْتُهُ. فَأَمَرَ بِهِ دَاوُدُ فَقَتَلَ، فَاسْتَدَّتْ هَيْبَتُهُ عِنْدَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَشْتَدَّ مَلِكُهُ.

وَيَقَالُ: كَانَ لِدَاوُدَ إِذَا جَلَسَ لِلْحُكْمِ عَنْ يَمِينِهِ أَلْفُ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، وَعَنْ يَسَارِهِ أَلْفُ رَجُلٍ مِنَ الْأَحْبَارِ.

وَمِنْهَا: شِدَّةُ الْبَطْشِ. فَرُويَ أَنَّهُ مَا فَرَّ وَلَا أَنْحَازَ مِنْ عَدُوِّهِ قَطًّا، وَلِذَلِكَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ عَنْ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: "كَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفِطِرُ يَوْمًا".

(١) فِي نَسْخَةِ التَّلْغِي الْمَخْطُوطَةِ وَالْمَطْبُوعَةِ: « بَقَرَى ».

(٢) النِّكَلَةُ عَنِ التَّلْغِي.

(٣) فِي نَسْخَةِ التَّلْغِي الْمَطْبُوعَةِ: « وَلَد ».

(٤) هَذَا الْحَدِيثُ وَرَدَ فِي الْأَصَابِينَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ وَلَا مَحَلَّ لَهُ فِي الْكَلَامِ هُنَا، وَقَدْ خَاتَمْنَاهُ نَسْجَتَنَا التَّلْغِي الْمَخْطُوطَةَ وَالْمَطْبُوعَةَ، وَكَانَ الْأَوَّلَى أَنْ يَذْكُرَهُ أَهْلُ الْأَنْبَاءِ كَلَامَهُ عَلَى دَاوُدَ فِي قُوَّةِ الْعِبَادَةِ وَشِدَّةِ الْأَجْتِهَادِ.

ومنها : إِنَّهُ الْحَدِيدُ لَهُ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَاللَّهُ لَهُ الْحَدِيدُ أَنْ أَعْمَلَ سَابِغَاتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ ^(١) 》 . قَالُوا : وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ دَاوُدَ — عَلَيْهِ السَّلَامُ — لَمَّا مَلَكَ أَمَرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، كَانَ مِنْ عَادَتِهِ أَنْ يُخْرِجَ لِلنَّاسِ مَتَكْرًا ، فَإِذَا رَأَى رَجُلًا لَا يَعْرِفُهُ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ وَسَأَلَهُ ، فَيَقُولُ لَهُ : مَا تَقُولُ فِي دَاوُدَ وَالْيَكَمَ هَذَا ؟ أَمْ رَجُلٌ هُوَ ؟ فَيُنَوِّنُ عَلَيْهِ وَيَقُولُونَ خَيْرًا ؛ فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ قَبِضَ اللَّهُ لَهُ مَلَكًا فِي صُورَةِ آدَمَ ، فَتَقَدَّمَ دَاوُدَ إِلَيْهِ ، فَسَأَلَهُ عَلَى عَادَتِهِ ، فَقَالَ لَهُ : نَعَمْ الرَّجُلُ هُوَ لَوْلَا خَصْلَةٌ فِيهِ . فَرَأَى دَاوُدَ ذَلِكَ ، فَقَالَ : مَا هِيَ يَا عَبْدَ اللَّهِ ؟ قَالَ : إِنَّهُ يَا كُلِّ وَيُطْعِمُ عِيَالَهُ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ . قَالَ : فَتَنَّبَهُ دَاوُدَ لِذَلِكَ ، وَسَأَلَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُسَبِّبَ لَهُ سَبَبًا يَسْتَغْنِي بِهِ عَنْ بَيْتِ الْمَالِ ، فَالَانَ اللَّهُ لَهُ الْحَدِيدَ ، فَصَارَ فِي يَدِهِ مِثْلُ الشَّمْعِ وَالْعَجِينِ وَالطَّيْنِ الْمَبْلُولِ ، فَكَانَ يَصْرِفُهُ بِيَدِهِ كَيْفَ شَاءَ مِنْ غَيْرِ إِدْخَالِ نَارٍ وَلَا ضَرْبٍ بِحَدِيدٍ .

١٠

وَعَلَّمَهُ اللَّهُ تَعَالَى صَنْعَةَ الدَّرْعِ فَهُوَ أَوَّلُ مَنْ اتَّخَذَهَا وَكَانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ صَفَائِحَ . وَقِيلَ : إِنَّهُ كَانَ يَبِيعُ كُلَّ دِرْعٍ مِنْهَا بِأَرْبَعَةِ آلَافٍ ، فَيَأْكُلُ وَيُطْعِمُ عِيَالَهُ وَيَتَصَدَّقُ مِنْهَا عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُؤْسٍ لَكُمْ ^(٢) 》 الْآيَةَ . وَقَوْلُهُ : ﴿ وَاللَّهُ لَهُ الْحَدِيدُ أَنْ أَعْمَلَ سَابِغَاتٍ 》 أَىْ دُرُوعًا كَوَامِلَ وَاسْعَاتٍ ﴿ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ 》 ، أَىْ لَا تَجْعَلُ الْمَسَامِيرَ دَقَاقًا فَتَنْفَلِقَ ، وَلَا غِلَظًا فَتَكْسِرَ الْحِلَاقَ . فَكَانَ يَفْعَلُ ذَلِكَ حَتَّى جُمِعَ مِنْهُ مَا لَا .

١٥

وَرَوَى أَنَّ لِقْمَانَ الْحَكِيمَ رَأَى دَاوُدَ وَهُوَ يَعْمَلُ الدَّرْعَ ، فَعَجِبَ مِنْ ذَلِكَ وَلَمْ يَدْرِ مَا هُوَ ؟ فَأَرَادَ أَنْ يَسْأَلَهُ ، فَسَكَتَ حَتَّى فَرَّغَ دَاوُدَ مِنْ نَسِجِ الدَّرْعِ ، فَقَامَ وَصَبَّهَا عَلَى نَفْسِهِ وَقَالَ : نَعَمْ الْقَمِيصُ هَذَا لِلرَّجُلِ الْمُحَارِبِ . فَعِلِمَ لِقْمَانُ مَا يَرَادُ بِهِ ، فَقَالَ : الصَّمْتُ حِكْمَةٌ وَقَلِيلٌ فَاعِلُهُ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

٢٠

ذكر خبر داود عليه السلام حين آتتلى بالخطيئة

- قال الثعلبي - رحمه الله - : اختلف العلماء في سبب امتحان الله تعالى نبيه داود - عليه السلام - فقيل : إنه تمنى يوما من الأيام على ربه تعالى منزلة آتائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، وسأله أن يمتحنه نحو الذي كان يمتحنهم به ، ويعطيه من الفضل نحو الذي أعطاهم . قال : وروى السدي والكلبي ومقاتل عن أشياخهم دخل حديث بعضهم في حديث بعض ، قالوا : كان داود - عليه السلام - قسما الدهر ثلاثة أيام : يوما يقضى فيه بين الناس ، ويوما لعبادة ربه ، ويوما يخلو فيه بنفسه وأولاده وأشغاله ؛ وكان يجد فيما يقرأ من الكتب فضل إبراهيم وإسحاق ويعقوب - عليهم السلام - فقال : يا رب إن الخير كله ذهب به آباؤي الذين كانوا من قبلي . فأوحى الله تعالى إليه : أنهم ابتلوا ببلايا لم تُبتل بها فصبروا عليها ؛ آتتلى إبراهيم بالثرود وبذبح ابنه ؛ وآتتلى إسحاق بالذبح وبذهاب بصره ، وآتتلى يعقوب بالحزن على يوسف ، وإنك لم تُبتل بشيء من ذلك . فقال داود عليه السلام : رب فأبتلني بمثل ما آبتليتهم وأعطني مثل ما أعطيتهم . فأوحى الله تعالى إليه : إنك مُبتلى في شهر كذا في يوم كذا فأحترس . فلما كان ذلك اليوم الذي وعده الله عز وجل دخل داود محرابه وأغلق بابه ، وجعل يصلي ويقرأ الزبور ، فبينما هو كذلك إذ جاءه الشيطان ، تمثل له في صورة حمامة من ذهب ، فيها من كل لون حسن ؛ فوقعت بين رجله ، فمد يده ليأخذها . وفي بعض الروايات : « ليدفعها إلى ابن له صغير » ، فلما أهوى إليها طارت غير بعيد من غير أن تؤيسه من نفسها ؛ فامتد إليها ليأخذها ، فتنتحت ، فتبعها فطارت حتى وقعت [في كوة ^(٢)] ، فذهب ليأخذها

(١) كذا في الثعلبي . وفي الأصلين : « أقسام » .

(٢) التكملة عن الثعلبي .

فطارت من الكؤوة ؛ فنظر داود عليه السلام أين تقع فيبعثُ إليها من يصيدها ؛ فأبصر امرأةً في بستان على شطِّ بركةٍ لها تغتسل ، هذا قول الكلبي . وقال السدي :
 رأها تغتسل على سطح لها . وقال الكسائي : سقط الطائر على شجرة إلى جانب
 الحوض الذي تغتسل فيه نساءُ بني إسرائيل . قالوا : فرأى داودُ امرأةً من أجمل
 النساء خلقاً ، فعجب من حسنها ، وحانت منها التفاتة ، فأبصرت ظلّه ، فنفضت
 شعرها فتغطى بدنّها ، فزاده ذلك إعجاباً بها ؛ فسأل عنها ، فقبل هي بتسايغ
 بنتُ سالف ، امرأةُ أوريا بن حنّان ، وزوجها في غزاةٍ بالبقاء بعث مع يوّاب^(١)
 ابن صُروية ابن أخت داود ، فكتب داود إلى ابن أخته : أن أبعث أوريا إلى
 موضع كذا وكذا ، وقدمه قبل التابوت ؛ وكل من قُدّم على التابوت لا يحلّ له
 أن يرجع ورائه [حتى يفتح الله على يديه] أو يُستشهد ، فبعثه أيوب وقدمه ،
 ففتّح له ، فكتب إلى داود بذلك ؛ فكتب إليه أيضاً : أن أبعثه إلى عدو كذا وكذا .
 فبعثه ، ففتّح له ؛ فكتب إلى داود بذلك ، فكتب إليه أيضاً : أن أبعثه إلى عدو
 كذا أشد منه بأساً . فبعثه ؛ فقتل في المزة الثالثة . فلما آنقضت عدّة المرأة
 تزوّجها داود — عليه السلام — وهى أم سليمان عليه السلام .

وقال آخرون : كان سببُ امتحانه أن نفسه حدّثته أنه يطيق قطع يوم بغير

مقارفة سوء .

(١) كذا في قصص الأنبياء، للعلبي المخطوطة ، وفي المطبوعة « سابع بنت شائع » . وفي الكتاب

المقدس (ج ١ ص ١٥٧) : « بتسايغ بنت أليعام » . وفي الأصول : « ميشايغ بنت سايغ » .

(٢) البقاء : كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى . قصبتها عمان .

(٣) كذا في الكتاب المقدس (ج ١ ص ٥٠٣) . وفي الأصول : « أيوب بن صوريا » .

وانظر الحاشية رقم ٣ ص ٧١ من هذا الجزء .

(٤) التكملة عن قصص الأنبياء للعلبي .

(١)

وقد رَوَى الثعلبي في ذلك بسند [سعيد بن] مطر عن الحسن قال : إن داود
— عليه السلام — جزأ الدهر أربعة أجزاء : يوماً لنفسائه ، ويوما للعبادة ، ويوما
للقضاء بين الناس ، ويوما لبني إسرائيل يذاكرهم ويذاكرونه ، ويُسبِّحهم ويُسبحونه .
فلما كان يوم بني إسرائيل ذكروا فقالوا : هل يأتي على الإنسان يوم لا يصيب
فيه ذنبا ؟ فأخبر داود في نفسه أنه سيُطبق ذلك . فلما كان يومُ عبادته غلق أبوابه ،
وأمر ألا يدخل عليه أحد ، وأكبَّ على قراءة الزبور ، فبينما هو يقرأ إذا حمامة
من ذهب فيها من كل لونٍ حسن وقد وقعت بين يديه ، فأهوى إليها ليأخذها ،
فطارت فوقعت غير بعيد ، ولم تؤيسه من نفسها ، فما زال يتبعها حتى أشرف على
امرأة تغتسل ، فأعجبه خلقها ، فلما رأت ظله في الأرض جلأت نفسها بشعرها ،
فزاده ذلك إعجابا بها ، وكان قد بعث زوجها على بعض جيوشه ، فكتب إليه : أن
سر إلى مكان كذا وكذا — مكان إذا سار إليه قُتل ولم يرجع — ففعل ، فأصيب .
فخطبها داود وتزوجها .

١٣٠
١١

١٠

وقال بعضهم في سبب ذلك ما رواه أبو إسحاق بسنده عن قتادة عن الحسن
قال : قال داود — عليه السلام — لبني إسرائيل حين ملك : والله لأعدنَّ بينكم .
ولم يستثن ، فأبتنى .

١٥

وقال أبو بكر الوراق : كان سبب ذلك أن داود عليه السلام كان
كثير العبادة ، فأعجب بعمله وقال : هل في الأرض أحدٌ يعمل عملي ؟ فأناه
جبريل عليه السلام فقال : إن الله عز وجل يقول : أُعْجِبَتْ عِبَادَتِكَ وَالْعَجَبُ

(١) التكملة عن الثعلبي .

(٢) كذا في قصص الأنبياء للثعلبي . وفي الأصل : « بني إسرائيل » .

٢٠

يا كل العبادة ، فإن أُعِجِبْتَ ثانياً وَكَلْتُكَ إلى نفسك . فقال : ياربِّ كُنْفَى
 إلى نفسى سنة . قال : إنها لكثيرة . قال : شهرا . قال : إنه لكثير . قال :
 فاسـجـوعا . قال : إنه لكثير . قال : فيوما . قال : إنه لكثير . قال : فساعة .
 قال : فشأنك بها . فَوَكَّلَ الأحراس وَلَيْسَ الصوف ودخل المحراب ووضع الزبور
 بين يديه ، فبينما هو فى نسكه وعبادته إذ وقع الطائر بين يديه ؛ وكان من أمر
 المرأة ما كان .

قالوا : فلما دخل داود عليه السلام بامرأة أوريا لم يلبث إلا يسيرا حتى
 بعث الله عز وجل ملكين فى صورة إنسيين ، يطلبان أن يدخلوا عليه ، فوجداه
 فى يوم عبادته ، فمنعهما الحرس أن يدخلوا عليه ؛ فتسورا المحراب عليه ، فما شعر
 وهو يصلى إلا وهما بين يديه جالسان ، فذلك قوله تعالى : ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ
 ١٠ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ
 بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُسْطِطْ ^(١) ﴾ أى تجرؤا وأهدنا إلى سواءِ
 الصراطِ * ﴾ أى وسط الطريق ﴿ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعَجَةً وَلِي نَعَجَةٌ ^(٢)
 وَاحِدَةٌ ﴾ كنى بالنعاج عن النساء والعرب تفعل ذلك . ﴿ فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا ﴾ . قال
 ١٥ ابن عباس : أعطنيها . وقال ابن جبير عنه : تحوّل لى عنها . وقال أبو العالية : ضُمَّها
 إلى حتى أكفلها . وقال ابن كيسان : إجملها كفى . أى نصيبى . ﴿ وَعَزَّنِي
 فِي الْخُطَابِ ﴾ ^(٣) ، أى غلبنى . وقرأ عبيد بن عمير : وعازنى ، من المعازة ، وهى المغالبة .
 قال داود : ﴿ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجِكَ إِلَى نَعَاجِهِ وَإِنْ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ ﴾

(١) سورة ص آية ٢١

(٢) سورة ص آية ٢٢

(٣) سورة ص آية ٢٣

أَيُّ الشُّرَكَاءِ (لِيَبْنِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ) .
وَرَوَى السُّدِّيُّ أَنَّ أَحَدَهُمَا لَمَّا قَالَ : (إِنَّ هَذَا أَحَى) الآية ، قَالَ دَاوُدُ — عَلَيْهِ
السَّلَامُ — لِلْآخَرِ : مَا تَقُولُ ؟ قَالَ : إِنْ لِي تَسْعَا وَتَسْعَيْنَ نَعْبَجُ وَلَا تُحْيِي هَذَا نَعْبَجُ
وَاحِدَةً ، وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَخْذَهَا مِنْهُ فَأَكْمَلَ نَعَايَ مِائَةَ وَهوَ كَارِهِ . قَالَ دَاوُدُ : وَهوَ
كَارِهِ ؟ قَالَ نَعَمْ . قَالَ : إِذَا لَا نَدْعُكَ وَذَلِكَ ، وَإِنْ رُمْتَ ذَلِكَ ضَرْبُنَا مِنْكَ هَذَا
وَهَذَا ، يَعْنِي طَرَفَ الْأَنْفِ وَأَصَلَ الْجَبْهَةِ . فَقَالَ : يَا دَاوُدُ ، أَنْتَ أَحَقُّ أَنْ يُضْرَبَ
مِنْكَ هَذَا وَهَذَا ، حَيْثُ لَكَ تَسْعُ وَتَسْعُونَ أَمْرًا وَلَمْ يَكُنْ لِأُورِيَاءَ إِلَّا أَمْرَةٌ وَاحِدَةٌ ،
فَلَمْ تَزَلْ بِهِ تَعْرِضُهُ لِلْقَتْلِ حَتَّى قُتِلَ وَتَزَوَّجَتْ أَمْرَأَتُهُ . فَنَظَرَ دَاوُدُ — عَلَيْهِ السَّلَامُ —
فَلَمْ يَرِ أَحَدًا ، فَعَرَفَ مَا قَدْ وَقَعَ فِيهِ ؛ فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : (وَطَنَّ دَاوُدُ) أَيُّ أَيْقَنَ
(أَتَمَّ فَتْنَاهُ) أَيُّ أَبْتَلَيْنَاهُ . قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ : إِنَّمَا كَانَتْ فَتْنَةُ دَاوُدَ النَّظَرُ . قَالَ
التَّحَلُّبِيُّ : وَلَمْ يَتَعَمَّدِ النَّظَرَ إِلَى الْمَرْأَةِ ، وَلَكِنَّهُ أَعَادَ النَّظَرَ إِلَيْهَا فَصَارَتْ عَلَيْهِ .
(٢)

قَالَ : فَهَذِهِ أَقَاوِيلُ السَّلَفِ مِنْ أَهْلِ التَّفْسِيرِ فِي قِصَّةِ أَمْتِحَانِ اللَّهِ تَعَالَى دَاوُدَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ . وَقَدْ رَوَى عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ — رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ — قَالَ :
« مِنْ حَدِّثَ بِحَدِيثِ دَاوُدَ عَلَى مَا يَرْوِيهِ الْقُصَّاصُ مَعْتَقِدًا صِحَّتَهُ جَلَدَتْهُ حَدِيدٌ لِعَظِيمِ
مَا أَرْتَكَبَ وَجَلِيلِ مَا احْتَقَبَ مِنَ الْوِزْرِ وَالْإِثْمِ ، يَرْمِي مَنْ قَدَرَفَعَ اللَّهُ مَحَلَّهُ وَأَنَابَهُ مِنْ
خَلْقِهِ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ وَحِجَّةً لِلْمُجْتَهِدِينَ » ! .

وَقَالَ الْقَائِلُونَ بِتَنْزِيهِ الْمُرْسَلِينَ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ : إِنْ ذَنْبُ دَاوُدَ — عَلَيْهِ السَّلَامُ —
إِنَّمَا كَانَ أَنَّهُ تَمَنَّى أَنْ تَكُونَ لَهُ أَمْرَةٌ أُورِيَاءَ حَلَالًا لَهُ ، وَحَدَّثَ نَفْسَهُ بِذَلِكَ ، فَاتَّفَقَ

(١) سُورَةُ ص آيَةُ ٢٤

(٢) وَذَلِكَ مُصَدِّقُ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا تَتَّبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ فَإِنَّ لَكَ الْأَوَّلَى
وَعَلَيْكَ الْآخِرَةَ » .

(٣) احْتَقَبَ الشَّيْءَ : احْتَمَلَهُ خَلْفَهُ . وَيُرِيدُ هُنَا اكْتَسَبَ الْإِثْمَ .

غَزَوْ أَوْرِيَاءَ وَتَقَدَّمَهُ فِي الْحَرْبِ وَهَلَكَ . فَلَمَّا بَلَغَهُ قَتْلُهُ لَمْ يَجْزَعْ عَلَيْهِ وَلَمْ يَتَوَجَّعْ لَهُ
 كَمَا [كَانَ] يَجْزَعْ عَلَى غَيْرِهِ مِنْ جُنْدِهِ إِذَا هَلَكَ ، [وَوَافَقَ قَتْلَهُ مُرَادَهُ ، ثُمَّ تَزَوَّجَ أَمْرَأَتَهُ
 فَعَاتَبَهُ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ ؛ لِأَنَّ ذُنُوبَ الْأَنْبِيَاءِ وَإِنْ صَغُرَتْ] ^(١) فَهِيَ عَظِيمَةٌ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى .

وقال بعضهم : ذنب داود أن أورياء كان قد خطب تلك المرأة ووطن نفسه
 عليها ، فلما غاب في غزاته خطبها داود ، فترجعت منه لجلالته ؛ فأغتم لذلك أورياء
 غمًا شديدًا ، فعاتبه الله تعالى على ذلك ، حيث لم يترك هذه الواحدة لحاظها
 الأول ، وقد كانت عنده تسع وتسعون امرأة .

قالوا : فلما علم داود أنه أبْتَلَى سَجْدَ فَكَّثَ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً سَاجِدًا بِأَيَّا حَتَّى نَبَتَ
 الزَّرْعُ مِنْ دُمُوعِهِ ، وَأَكَلَتِ الْأَرْضُ مِنْ جَبِينِهِ ، وَهُوَ يَقُولُ فِي سَجُودِهِ : رَبِّ دَاوُدَ
 زَلْ دَاوُدُ زَلَّةً أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ، رَبِّ إِنْ لَمْ تَرْحَمْ ضَعُفَ دَاوُدُ وَتَغْفِرْ
 ١٠ ذَنْبَهُ جَعَلْتَ ذَنْبَهُ حَدِيثًا فِي الْخُلُوفِ مِنْ بَعْدِهِ . بِخَاءِ جَبْرِيلَ — عَلَيْهِ السَّلَامُ —
 بَعْدَ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً فَقَالَ : يَا دَاوُدَ ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ غَفَرَ لَكَ الْهَمَّ الَّذِي هَمَمْتَ بِهِ .
 فَقَالَ دَاوُدُ : عَرَفْتُ أَنَّ الرَّبَّ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَغْفِرَ لِي ، وَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّ اللَّهَ عَدْلٌ
 لَا يَمِيلُ ، فَكَيْفَ بَقُلَانِ إِذَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَقَالَ : يَا رَبِّ ، دُمِيَ الَّذِي عِنْدَ دَاوُدَ؟
 ١٥ فَقَالَ جَبْرِيلُ : مَا سَأَلْتُ رَبَّكَ عَنْ ذَلِكَ ، وَلَئِنْ شِئْتَ لِأَفْعَلَنَّ . قَالَ نَعَمْ . فَعَرَجَ
 جَبْرِيلُ — عَلَيْهِ السَّلَامُ — وَسَجَدَ دَاوُدُ فَكَّثَ مَا شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ نَزَلَ جَبْرِيلُ فَقَالَ :
 قَدْ سَأَلْتُ يَا دَاوُدَ رَبَّكَ عَنِ الَّذِي أَرْسَلْتَنِي فِيهِ فَقَالَ : قُلْ لِدَاوُدَ : إِنَّ اللَّهَ يَجْمَعُكُمْ
 يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيَقُولُ لَهُ : هَبْ لِي دَمَكَ الَّذِي عِنْدَ دَاوُدَ ؛ فَيَقُولُ : هُوَ لَكَ يَا رَبِّ ،
 فَيَقُولُ : فَإِنَّ لَكَ فِي الْجَنَّةِ مَا شِئْتَ وَمَا أَشْتَيْتَ عَوَضًا .

وَرَوَى الثعلبيّ بسندٍ رفعه إلى ابن عباس وكعب الأحبار ووهب بن مُثَنٍّ ، قالوا جميعاً : إن داود — عليه السلام — لما دخل عليه الملكان فقَصَّ على نفسه تحولاً عن صورتَهما ، فعرَّجاً وهماً يقولان : قَصَّى الرجل على نفسه . وعلم داود أنه عُنيَ به ، نَغَرَّ ساجداً أربعين يوماً لا يأكل ولا يشرب ولا يرفع رأسه إلاَّ لحاجة أو لوقت صلاة مكتوبة ثم يعود ساجداً ، لا يرفع رأسه إلاَّ لحاجة لا بدَّ منها ثم يعود ، فسجد تمام أربعين يوماً لا يأكل ولا يشرب وهو يبكي حتى نبت العُشْبُ حول رأسه ، وهو ينادي ربه — عز وجل — ويسأله التوبة ، ويدعو بدعاء طويل ذكره الثعلبيّ ، في آخر كل كلمة منه : سبحان خالق النور .

قال : فاتاه نداء : يا داود، أجاجع أنت فتُطعم ، أظمآن أنت فتُسقي ، أمظلوم أنت فتُنصر ، ولم يجبه في ذكر خطيئته بشيء . فصاح صيحةً هاج منها ما حوله ؛ ثم نادى : يارب الذنب الذي أصبته . فتودى : يا داود، ارفع رأسك فقد غفرتُ لك . فلم يرفع رأسه حتى جاء جبريل — عليه السلام — فرفعه .

قال وهبٌ : إن داود — عليه السلام — أتاه نداء : إني قد غفرتُ لك . قال : يارب، كيف وأنت، لا تنظِّم أحداً؟ قال : اذهب إلى قبر أورياء ، فنادِه وأنا أسمعُه نداءك ، فتحلَّ منه . فانطلقَ حتى أتى قبره وقد ليس المسوح ، بفلس ثم نادى : يا أورياء . فقال : لبيك ، من هذا الذي قطعَ عليّ لذتي وأيقظني؟ قال : أنا داود . قال : ما جاء بك يا نبيَّ الله؟ قال : أسألك أن تجعلني في حلٍّ مما كان مني إليك . قال : وما كان منك إليّ؟ قال : عرَضْتُكَ للقتل . قال : عرَضْتَنِي للجنة ،

فَأَنْتَ فِي حَلٍّ . فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ : يَا دَاوُدَ ، أَلَمْ تَعْلَمْ أَنِّي حَكَمْتُ عَدْلًا لَا أَقْضِي بِالْغَيْبِ وَالتَّغْيِيرِ ! أَلَا أَعْلَمْتَهُ أَنْكَ قَدْ تَزَوَّجْتَ أَمْرَأَتَهُ ! .^(١)

قال : فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَنَادَاهُ ؛ فَأَجَابَهُ فَقَالَ : مِنْ هَذَا الَّذِي قَطَعَ عَلَيَّ لَذَّتِي ؟ قَالَ :
أَنَا دَاوُدَ . قَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، أَلَيْسَ قَدْ غَفَوْتُ عَنْكَ ! قَالَ : نَعَمْ ، وَلَكِنْ إِنَّمَا فَعَلْتُ
ذَلِكَ لِمَكَانِ أَمْرَأَتِكَ فَتَزَوَّجْتُهَا ، فَسَكَتَ وَلَمْ يُجِبْهُ ، وَعَاوَدَهُ فَلَمْ يُجِبْهُ ، فَقَامَ عِنْدَ قَبْرِهِ .^(٢)

وَحِثْنَا التُّرَابَ عَلَى رَأْسِهِ ثُمَّ نَادَى : الْوَيْلُ لِدَاوُدَ ثُمَّ الْوَيْلُ لِدَاوُدَ إِذَا نُصِبْتَ الْمَوَازِينَ
الْقِسْطُ [يَوْمَ الْقِيَامَةِ] ، سَبْحَانَ خَالِقِ النُّورِ . الْوَيْلُ لِدَاوُدَ ثُمَّ الْوَيْلُ الطَّوِيلُ لَهُ حِينَ
يُؤْخَذُ بِذِقْنِهِ فَيُدْفَعُ إِلَى الْمَظْلُومِ ، سَبْحَانَ خَالِقِ النُّورِ . الْوَيْلُ لِدَاوُدَ ثُمَّ الْوَيْلُ الطَّوِيلُ
لَهُ حِينَ يُسْحَبُ عَلَى وَجْهِهِ مَعَ الْخَاطِئِينَ إِلَى النَّارِ ، سَبْحَانَ خَالِقِ النُّورِ . الْوَيْلُ لِدَاوُدَ
ثُمَّ الْوَيْلُ الطَّوِيلُ لَهُ حِينَ تَقْرَبُهُ الزَّبَانِيَةُ مَعَ الظَّالِمِينَ إِلَى النَّارِ ، سَبْحَانَ خَالِقِ النُّورِ .^(٣)

قال : فَأَنَاهُ نِدَاءً مِنَ السَّمَاءِ : يَا دَاوُدَ ، قَدْ غَفَرْتُ لَكَ ذَنْبَكَ ، وَرَحِمْتُ بِكَاءَكَ ،
وَأَسْتَجِبْتُ دُعَاكَ ، وَأَقْلُتُ عَثْرَتَكَ . قَالَ : يَا رَبِّ ، كَيْفَ لِي أَنْ تَعْفُو عَنِّي وَصَاحِبِي
لَمْ يَعْفُ عَنِّي ؟ قَالَ : يَا دَاوُدَ ، أُعْطِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا لَمْ تَرَعْ عَيْنَاهُ ، وَلَمْ تَسْمَعْ أَذْنَاهُ ،
فَأَقُولُ لَهُ : رَضِيتُ عَبْدِي ؟ يَقُولُ : يَا رَبِّ ، مِنْ أَيْنَ لِي هَذَا وَلَمْ يُلْغِهِ عَمَلِي ؟^(٤)

فَأَقُولُ لَهُ : هَذَا عِوَضٌ مِنْ عَبْدِي دَاوُدَ ، فَاسْتَوْهَبُكَ مِنْهُ فَيَهْبُكُ لِي . قَالَ : يَا رَبِّ ،
الْآنَ قَدْ عَرِفْتُ أَنَّكَ قَدْ غَفَرْتَ لِي . فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَاسْتَغْفِرْ رَبَّهُ وَخَرَّ
رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾ * فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ ﴿ ، أَيْ ذَلِكَ الذَّنْبُ ﴿ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ
مَآبٍ ﴿ أَيْ وَإِنَّ لَهُ بَعْدَ الْمَغْفِرَةِ عِنْدَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُسْنَ مَرْجِعٍ .^(٥)

(١) كَذَا فِي نَسْخَةِ التَّعْلِيْقِ الْمَخْطُوطَةِ . وَفِي الْمَطْبُوعَةِ : « إِلَّا بِالْحَقِّ » . وَفِي الْأَصُولِ : « بِالْعَمَلِ » .

(٢) كَذَا فِي التَّعْلِيْقِ . وَفِي الْأَصُولِ : « وَجَعَلَ التُّرَابَ » .

(٣) التَّكْلِمَةُ عَنْ نَسْخَةِ التَّعْلِيْقِ الْمَطْبُوعَةِ . (٤) أَيْ مِنْ أَجْلِ عَبْدِي دَاوُدَ .

(٥) سُورَةُ ص آيَةُ ٢٤ (٦) سُورَةُ ص آيَةُ ٢٥

قال الثعلبيّ ورفعه إلى وهب بن منبه قال : إن داود — عليه السلام — لما تاب الله تعالى عليه بكى على خطيئته ثلاثين سنةً لا ترقأ له دعةً ليلاً ولا نهاراً ، وكان أصاب الخطيئة وهو ابن سبعين سنة ، فقسّم الدهر بعد الخطيئة على أربعة أيام ، فجعل يوماً للقضاء بين بنى إسرائيل ، ويوماً لنسائه ، ويوماً يسبح في الفياق والجبال والساحل ، ويوماً يخلو في دار له فيها أربعة آلاف محراب ، فيجتمع إليه الرهبان ، فينوح معهم على نفسه ، ويساعدونه على ذلك . فإذا كان يوم سياحته يخرج في الفياق ، فيرفع صوته بالمزامير ، فيبكي وتبكي معه الشجر والرمال والطيور والوحوش حتى يسيل من دموعهم مثل الأنهار ، ثم يجيء إلى الساحل فيبكي وتبكي معه الحيتان ودواب البحر والسباع وطيور الماء ، فإذا أمسى رجع ، فإذا كان يوم نوحه نادى مناد : إن اليوم نوح داود على نفسه فليحضر من يساعده . قال : فيدخل الدار التي فيها المحاريب ، فتبسط له فرش من مسوح حشوها ليف فيجلس عليها ، ويجيء الرهبان وهم أربعة آلاف ، عليهم البرانس وفي أيديهم العصي ، فيجلسون في تلك المحاريب ثم يرفع داود صوته بالنوح والبكاء . ويرفع الرهبان معه أصواتهم ، فلا يزال يبكي حتى تغرق الفرش من دموعه ، ويقع داود مثل الفرخ يضطرب ، فيجيء أبنته سليمان فيحمله ، فيأخذ داود من تلك الدموع بكفيه ، ثم يمسح بها وجهه ويقول : يارب اغفر ما ترى . قال : فلو عدل بكاء داود ببكاء أهل الدنيا لعدله . وقال ثابت : ما شرب داود شراباً بعد المغفرة إلا ونصفه ممزوج بدموع عينيه . وعن الأوزاعي قال : بلغنا أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : ” خذت الدموع في وجه داود — عليه السلام — خديد الماء في الأرض “ .

ذكر ميلاد سليمان بن داود عليهما السلام

قال الكسائي: كان لداود - عليه السلام - عِدَّةٌ من الولد، فسأل الله تعالى أن يرزقه ولدًا يرث مُلْكَهُ ؛ فرزقه الله تعالى سليمان . فتودى إبليس عند ما حَمَلَتْ به أمه : ياملعون ، قد حُل في هذه الليلة رجل يكون طولُ حزنك على يديه ، ويكون أولادُك له حُدُوما . ففزع من ذلك وجمع الشياطين وأخبرهم بأمر المولود وما سمعه وقال : إنه لا يكون إلّا من داود، فإنه خيرُ أهل الأرض . قال : فلما وضعته أمه أنت الملائكةُ إلى داود وقالوا : أقر الله عينك به . فبادر داود إلى منزله فرأى أعلام الملائكة منصوبةً ، فخر داود شكرًا لله تعالى ، وقرب قُرْبانا عظيمًا . ثم جاءه إبليس وقال : يا داود، أقر الله عينك بولدك ، غير أنه يقتلك ويسلبك مُلْكَكَ . فأقتله صغيرًا وإلا قَتَلَكَ كبيرًا ، فغضب منه ولعنه ، فأنصرف وقد خاب أمله .

قال : ونشأ سليمان ، فكان داود إذا تلا الزبور حفظ ما يتلوهُ لوقته ، وحفظ التوراة ، وكان يحكم بحضرة أبيه .

ذكر خبر أبسالوم بن داود

قال الكسائي: كان من خبر « أبسالوم » ^(١) أنه لما كان من أمر فتنة داود عليه السلام - ما قدمناه ، تكلم بعضُ بني إسرائيل في ذلك وجاءوا إلى « أبسالوم » وهو ابن بنت طالوت ، وقالوا : إن أباك قد كبر وعجز عن سياستنا ، وقد وقع

(١) كذا في الكتاب المقدس (ج ١ ص ٥٠٥) . وفي تاريخ الطبري (ص ٥٧٠ من القسم الأول) « أبشا » وفي قصص الأنبياء للعلبي : « شالون » وقيل « إيشا » . وفي قصص الأنبياء للكسائي : « انسالوم » . وفي الأصل : « إيشالوم » .

في هذه الخطيئة، وأنت أكبر أولاده، والرأى أن ندعو الناس إليك وتقوم مقامه،
فتبيع رأيهم وتولى الملك. نخاف داود على نفسه من سفهاء بنى إسرائيل، ففارق
منزله وأعتزل القوم برجلين من أصحابه. ثم جاء رجل من بنى إسرائيل اسمه ^(١)أحيثوفل
إلى أبشالوم وقال: إنه لا يستقيم أمرُك إلا بعد وفاة أبيك، والرأى أن تُعاجله
وتقتله مادام في الخطيئة، فهم بذلك ثم صرفه الله عنه. فلما غفر الله تعالى لداود
ورجع إلى قومه أعتزل أبْنُه « أبشالوم » في طائفة من بنى إسرائيل. فلما ولد
سليمان أرسل داودُ ابنَ أخت له يقال له: « ^(٢)يُوآب ^(٣)» إلى ابنه « أبشالوم » وقال:
سرَّ إليه فإنه أعتزني خوفا على نفسه، وما كنتُ بالذى أقتل ولدى وقد تاب الله
تعالى عليّ ورزقني هذا الولد المبارك، فإن ظفرت به فأنتى به مكرماً، وإياك أن
تقتله، فإنك إن قتلتَه قتلْتُك به. فسار إليه في نفر من أصحابه، فالتقوا وأقتلوا قتالا
شديداً، فانهزم أبشالوم ومن معه. فبينما هو في هزيمته إذ مرَّ بشجرة فعلق برأسه
بها، وخرج الفرس من تحته، فأدركه يوآب فحمله الحرج على قتله فقتله وتركه
معلقاً في الشجرة، ورجع إلى داود فأخبره الخبر، فغضب وقال: إني قاتلك به
لا محالة عاجلاً أو آجلاً.

قال الثعلبي: فلما حضرت داود الوفاة أمر سليمان أن يقتله، فقتله بعد فراغه
من دفن أبيه.

- (١) كذا في الكتاب المقدس (ج ١ ص ٥٣٠). وفي الأصول: « نوفل ».
- (٢) كذا في الأصول والكتاب المقدس (ج ١ ص ٥٠٤). وفي الثعلبي: « ابن أخ » وهو خطأ.
- (٣) ورد هذا الاسم في الأصول وقصص الأنبياء للكسافي هكذا: « نوال ». وفي قصص الأنبياء
للثعلبي المطبوعة: « ثواب ». والتصويب عن الكتاب المقدس (ج ١ ص ٥٢٥) والنسخة المخطوطة من
قصص الأنبياء للثعلبي. وهو « يوآب بن صروية ».
- (٤) الحرج: الضيق.

ذكر خبر الزرع الذى رعته الغنم وما حكم فيه سليمان عليه السلام

قال الكسائى : وبيننا داود - عليه السلام - فى يوم قضاؤه وسليمان بين يديه، إذ تقدم إليه قوم فقالوا : يا نبي الله ، إنا قوم حرثنا أرضا لنا وزرعناها وسقيناها حتى بلغت الحصاد، بغاء هؤلاء وأرسلوا أغنامهم فيها بالليل، فرعتها جميعا حتى لم يبق منها شيء . فقال داود لأصحاب الغنم : ما تقولون؟ قالوا : صدقوا .
فقال لأصحاب الزرع : كم قيمة زرعكم؟ قالوا : كذا وكذا . وقال لأرباب الغنم : كم قيمة أغنامكم؟ فذكروا قيمتها، فتقاربت القيم، فقال : ادفعوا أغنامكم إليهم بقيمة زرعهم . فقال سليمان : يا أبت إن أذنت لى تكلمت . قال : يا نبي تكلم بما عندك .
فقال سليمان لأرباب الغنم : ادفعوا أغنامكم إلى هؤلاء ينتفعوا بأصوافها وألبانها ونتائجها، وخذوا أنتم أرضهم فأحرثوها وآزرعوها وأسقوها حتى يقوم الزرع على سوقه، فإذا بلغ الحصاد فسلموا إليهم أرضهم بزرعها وخذوا أغنامكم ، فرضوا جميعا بذلك . قال الله تعالى : ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۖ ﴾ .

قال : ولما نظر مشايخ بنى إسرائيل إلى جلوس سليمان عن يمين أبيه مع صغر سنه حسدوه على ذلك . فأوحى الله إلى داود أن يقيم سليمان خطيبا لسمعهم من الحكمة ما ألهمه الله ليعلموا فضله عليهم . فجمع داود الناس حتى العباد والرهبان وأهل السياحة إلى محرابه ، وكانت سن سليمان يومئذ اثنتى عشرة سنة ، فأخرجه داود إليهم وألبسه لباس النبئين من الصوف الأبيض وقال : هذا أبى قد أخرجته إليكم خطيبا ليُورد عليكم مما علمه الله تعالى . فجلس على منبر أبيه وحمد الله تعالى . ووحده ، ووصف عجائب خلقه وصنعه ، فسجدوا شكرا لله ، ونظروا إليه بعد ذلك

بالعين الرفيعة وأجلّوه، وأعطى سليمان في حياة أبيه من العلم ما فسّر لبنى إسرائيل
خطبة آدم ووصية شيث ورفع إدريس وغير ذلك .

ذكر خبر الذين اعتدوا في السبت

قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا
قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ ^(١) . وقال تعالى : ﴿ وَأَسَاءَ لَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ
إِذْ يَعْتَدُونَ فِي السَّبْتِ ﴾ ^(٢) الآية .

قال الكسائي : وكان في زمن داود — عليه السلام — قومٌ من بني إسرائيل
من أبناء الذين كانوا مع موسى ؛ وكانوا ينزلون على ساحل البحر بقرية يقال لها :
«أيلة» وكان الله قد حرّم على بني إسرائيل أن يشتغلوا يوم السبت ، وأوجب عليهم فيه
العبادة ؛ لأن موسى — عليه السلام — أمرهم بالعبادة يوم الجمعة فأبوا وقالوا :
لا ينبغي لنا أن نشغل بعبادة الرب إلا في اليوم الذي فرّغ فيه من الخلق ، وهو
يوم السبت . فلما اختاروه شدد الله عليهم فيه ؛ قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا جُعِلَ
السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾ ^(٣) . وكان موسى يأمر قومه بتعظيمه ؛ فكانوا كذلك
مدة ، وكان على ساحل البحر إلى جانب أيلة حِجْرَان أبيضان ، وكانت الحيتان تخرج
إلى أصلهما ليلة السبت ويوم السبت ، لأنها كانت لاتصاد ، فإذا أقبلت ليلة الأحد

(١) سورة البقرة آية ٦٥

(٢) سورة الأعراف آية ١٦٣

(٣) أيلة : فرضة شهيرة في أديم واقعة على شاطئ الخليج الشرق من البحر الأحمر ، مر بها الاسرائيليون ،
وكانت ذات شأن في زمن سليمان . (راجع قاموس الكتاب المقدس للدكتور جوج بوست) .

(٤) سورة النحل آية ١٢٤

نحرجت منها إلى البحر، فيعتذر عليهم صيدها فيه إلا بمسقة؛ فذلك قوله تعالى :
 ﴿ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبَقْتَهُمْ تُسَبِّحُوا وَيَوْمَ لَا يُسَبِّحُونَ إِلَّا تَأْتِيهِمْ ﴾^(١) . بفعل فساق
 أهل « أيلة » يقول بعضهم لبعض : إنما حرم الله تعالى الأصطياد على آبائنا
 وأجدادنا لا علينا ، ونحن لا ذنب لنا ، وهذه الحيتان تكثر يوم السبت وليلتها ،
 فمن المحال تركها ؛ فأصطادوها وطبخوها وشربوا منها ، فشتم المؤمنون راحتها
 في يوم السبت ، فخرجوا إلى الفساق ووعظوهم وحذروهم ، فلم يكتروا لذلك ولم
 يتنبهوا عنه ، فاجتمع المؤمنون على أبواب القرية بالسلاح ومنعهم من دخولها ،
 فاشتد ذلك على الفساق وشق عليهم أن يمتنعوا من الأصطياد في يوم السبت لكثرة
 الحيتان فيه دون غيره من الأيام ، فقالوا : إن هذه [القرية]^(٢) مشتركة بيننا [و بينكم]^(٣)
 ولا يحل لكم أن تمنعونا منها ، فإذا أن تصبروا على أفعالنا أو تقاسمونا القرية فننفرد
 عنكم . فراضوا على ذلك وقاسمهم القرية ، وبنوا بينهم حيطانا عالية وبابا يدخلون
 منه غير بابهم ، وأنفردت كل طائفة ، واشتغل الفساق باللهو واللعب والأصطياد ،
 وحفروا أنهارا صغارا من البحر إلى أبواب دورهم ، فكانت الحيتان تأتيا
 في يوم السبت ، فإذا غربت الشمس هبت الحيتان بالرجوع إلى البحر ، فيسدون
 أفواه تلك الأنهار مما يلي البحر ، ويصيدون تلك الحيتان . هذا والمؤمنون
 يخوفونهم عذاب الله فلا يرجعون . فلما طال ذلك وتكثر منهم قال بعض المؤمنين
 لبعض : إلى كم نصح هؤلاء ولا يزيدون إلا تماديا وعتوا ! قال الله تعالى :
 ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾^(٤) الآية .

(١) سورة الأعراف آية ١٦٣

(٢) الكلمة عن الكسائي .

(٣) سورة الأعراف آية ١٦٤

قال : وأسفنى الفساق وكثرت أموالهم ، وأشتروا الضياع وأنهمكوا على الفسق .
فبلغ ذلك داودَ — عليه السلام — فلنهم ودعا عليهم . فبينما هم في منازلهم في شرِّ
ما هم فيه إذ زلزلت قريبتهم زلزلة عظيمة ، ففزع المؤمنون وخرجوا من بيوتهم ؛
قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ
ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَلِيْسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ ^(١) وقال تعالى : ﴿ لَعْنُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ
بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ .
فالذين لعنوا على لسان داود هم هؤلاء الذين اعتدوا في السبت ، والذين لعنوا على
لسان عيسى الذين سألوه نزول المائدة ، فلما نزلت عليهم كفروا .

قال : فسخ الله هؤلاء الذين اعتدوا في السبت قردة ، ومسح أصحاب المائدة
خنازير — وسنذكر إن شاء الله خبر أصحاب المائدة في موضعه من أخبار عيسى
عليه السلام — قال : فكان أحدهم يأتي حميمه من المؤمنين وعيناه تذرِفان دما
فيقول له : أنت فلان؟ فيشير برأسه ، أى نعم . فيقول لهم المؤمنون : قد أنذرناكم
عذاب ربكم وعقوبته فلم تتعظوا ، فترل بكم ما نزل .

قال الثعلبي قال قتادة : صارت الشبان قردة ، والشيوخ خنازير ، فما نجا إلَّا
الذين نَهَوْا وهلك سائرهم . قال : ثم برز المسوخون من المدينة وهاموا على وجوههم
متحيرين ، فمكثوا ثلاثة أيام ثم هلكوا ، وكذلك لم يلبث مسخ فوق ثلاثة أيام ،
ولم يتوالدوا ولم يتناسلوا ؛ ثم بعث الله تعالى عليهم ريحا ومطرا فغذفهم في البحر ،
فإذا كان يوم القيامة أعادهم الله إلى صُورهم الأولى البشرية ، فيدخلهم النار .
والله أعلم .

(١) سورة الأعراف آية ١٦٥ .

(٢) سورة المائدة آية ٨٧ .

ذكر استخلاف داودَ ابنه سليمانَ عليهما السلام

وخبِر الصحيفة وأبتداء أمر الخاتم

قال الكسائي — رحمه الله — : ولما أتى على سليمان بضْعُ وعشرون سنة نزل جبريل على داود بصحيفة ، وأمره عن الله تعالى أن يجمع أولاده ويقرأ عليهم ما في الصحيفة من المسائل ، فمن أجاب عمّا فيها فهو الخليفة من بعده . فأحضر داود أولاده ، وكان سليمان أصغرهم سنّاً ، وقرأ عليهم ما في الصحيفة ، فأقرّوا بالعجز عن معرفتها ، وذلك بحضور مشيخة بني إسرائيل ، فقال داود — عليه السلام — لسليمان — عليه السلام — : أجب عن هذه المسائل . فقال : أرجو أن يهديني الله تعالى إلى جوابها . فقال : يا سليمان ، ما الشيء ؟ قال : المؤمن . قال : فما بعض الشيء ؟ قال : الفاجر . قال : فما لا شيء ؟ قال : الكافر . قال : فما كل شيء ؟ قال : الماء . قال : فما أكبر شيء ؟ قال : الشُّرك . قال : فما أقل شيء ؟ قال : اليقين . قال : فما أمر شيء ؟ قال : الفقر بعد الغنى . قال : فما أحلى شيء ؟ قال : المال والولد . قال : فما أقبح شيء ؟ قال : الكفر بعد الإيمان . قال : فما أحسن شيء ؟ قال : الرُّوح في الجسد . قال : فما أوحش شيء ؟ قال : الجسد بلا رُوح . قال : فما أقرب شيء ؟ قال : لآخرة [من الدنيا] ^(١) . قال : فما أبعد شيء ؟ قال : الدنيا من الآخرة . قال : فما أشمر شيء ؟ قال : المرأة السوء . قال : فما خير شيء ؟ قال : المرأة الصالحة .

قال : وكان داود يصدّقه عَقِبَ كل مسألة ، ثم ألّفت إلى بني إسرائيل فقال : ما أنكرتم من قول أبي ؟ قالوا : ما أخطأ في شيء ، متّعك الله به ، وبارك لنا ولك فيه . قال : أترضّون أن يكون خيفتي عليكم ؟ قالوا نعم . هذا ما أورده الكسائي رحمه الله .

(١) الزيادة عن قصص الأنبياء للكسائي .

وقد ذكر العلبي في هذه القصة زيادات نذكرها . قال أبو إسحاق الثعلبي — رحمه الله تعالى — قال أبو هريرة — رضى الله عنه — : نزل كتاب من السماء مخنوم بخاتم من الذهب على داود فيه ثلاث عشرة^(١) مسألة، فأوحى الله تعالى إليه أن أسأل عنها أبنيك سليمان، فإن هو أخرجها فهو الخليفة من بعدك . قال : وإن داود — عليه السلام — دعا سبعين قسيساً وسبعين حبراً ، ولم يذكر أولاده . قال : وأجلس سليمان بين أيديهم وقال له : يا بُنَيَّ ، إن الله أنزل من السماء كتاباً فيه مسائل ، وأمرت أن أسألك عنها ، فإن أخرجتها فانت الخليفة من بعدى . قال سليمان : اسأل يا نبي الله عما بدالك ، وما توفيق إلا بالله .

قال داود : أخبرني يا بُنَيَّ ، ما أقرب الأشياء ؟ وما أبعد الأشياء ؟ وما آنس الأشياء ؟ وما أوحش الأشياء ؟ وما أحسن الأشياء ؟ وما أقبح الأشياء ؟ وما أقل الأشياء ؟ وما أكثر الأشياء ؟ وما القائمات ؟ وما المختلفان ؟ وما المتباغضان ؟ وما الأمر الذي إن ركه الرجل دُمَ آخره ؟ .

قال سليمان : أما أقرب الأشياء فالآخرة . وأما أبعد الأشياء فمافاتك من الدنيا . وأما آنس الأشياء فبجسد فيه روح . وأما أوحش الأشياء فبجسد بلا روح . وأما أحسن الأشياء فالإيمان بعد الكفر . وأما أقبح الأشياء فالكفر بعد الإيمان . وأما أقل الأشياء فاليقين . وأما أكثر الأشياء فالشكر . وأما القائمات : فالسما

(١) كذا في الأصول وقصص الأنبياء للثعلبي . غير أن الثعلبي قد ذكر في كتابه من المسائل أربع عشرة مسألة ، ومن الأجوبة أربعة عشر جواباً ، فراد في المسائل قوله : وما الساعيان ، وزاد في الأجوبة قوله : وأما الساعيان فالشمس والقمر .

(٢) هذه عبارة الثعلبي في النسخة المخطوطة والمطبوعة . وفي الأصول : « فالروح في الجسد » وهو خطأ من النسخ .

والأرض . وأما المختطفان : فالليل والنهار . وأما المتباغضان : فالموت والحياة .
وأما الأمر الذي إذا ركبته الرجل حمد آخره فالعلم . وأما الأمر الذي إذا ركبته الرجل
ذم آخره فالحدة عند الغضب .

قال : ففكروا الخاتم ، فإذا جواب المسائل سواء على ما نزل من السماء . فقال
القيسيون والأخبار : لا نرضى حتى نسأله عن مسألة ، فإن هو أخرجها فهو الخليفة .
قال : سلوه . قال سليمان : سلوني وما توفيق إلا بالله . قالوا : ما الشيء الذي إذا
صَلَحَ صَلَحَ كُلُّ شَيْءٍ من الإنسان ، وإذا فسد فسد كُلُّ شَيْءٍ منه ؟ قال : هو
القلب . فقام داود وصعد المنبر وحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال : إن الله
أمرني أن أستخلف عليكم سليمان . قال : فضجت بنو إسرائيل وقالوا : غلام
حَدَثٌ يَسْتَخْلَفُ علينا وفيما من هو أعلم وأفضل منه ! فبلغ ذلك داود ، فدعا رءوس
أسباط بني إسرائيل وقال : إنه بلغني مقاتلكم ، فأروني عصيكم ، فأى عصا أثمرت
فإن صاحبها ولي هذا الأمر [بعدي] ؛ فقالوا : قد رَضِينَا . فجاءوا بِعَصِيَّهم ؛ فقال
لهم داود : ليكتب كل رجل منكم اسمه على عصاه ؛ فكتبوا . ثم جاء سليمان بعصاه
فكتب عليها اسمه ؛ ثم أدخلت بيتا وأُغْلِقَ عليها الباب وسُكِّرَ بالأقفال ، وحرسه
رءوس أسباط بني إسرائيل . فلما أصبح صلب بهم الغداة ؛ ثم أقبل وفتح الباب
وأخرج عَصِيَّهم كما هي ، وعصا سليمان قد أثمرت وأورقت . قال : فسلموا ذلك
لداود ، فأخذ أبْنَه سليمان ثم سار به في بني إسرائيل فقال : هذا خليفتي فيكم من
بعدي .

قال وهب بن مُنَبِّه : لما استخلف داود أبْنَه وعظه فقال : يا بني ، إياك
والهَوَلُ ؛ فإن نفعه قليل ويهيجُ العداوة بين الإخوان . وإياك والغضب ؛ فإن
الغضب يستخف صاحبه . وعليك بتقوى الله وطاعته ؛ فإنهما يغلبان كل شيء . وإياك

وكثرة الغيرة على أهلك من غير شيء؛ فإن ذلك يورث سوء الظن بالناس وإن كانوا برّاء. وأقطع طمعك عن الناس؛ فإنه هو الغنى. وإياك والطمع فهو الفقر الحاضر. وإياك وما يُعتدّر منه من القول والفعل. وعود نفسك ولسانك الصدق؛ وألزم الإحسان؛ فإن أستطعت أن يكون يومك خيرا من أمسك فافعل. وصل صلاة مودّع، ولا تجالس السفهاء، ولا تردّ على عالم ولا تُماره في الدين. وإذا غضبت فألصق نفسك بالأرض وتحوّل من مكانك. وأرج رحمة الله فإنها واسعة وسعت كل شيء.

قالوا: ثم إن سليمان بعد أن استخلف أخفى أمره وتزوج امرأة واستتر عن الناس، وأقبل على العلم والعبادة. ثم إن امرأته قالت له ذات يوم: بأبي أنت وأُمّي، ما أكل خصالك وأطيب ريحك! ولا أعلم لك خصلة أكرهها إلا أنك في مئونة أبي، فلو أنك دخلت السوق فتعزّضت لرزق الله لرجوت ألا يخيبك الله. قال سليمان: إني والله ما عملت عملاً ولا أحسّنه، ثم دخل السوق صبيحة يومه ذلك فلم يقدر على شيء، فرجع فأخبرها. فقالت له: يكون غدا إن شاء الله.

فلما كان في اليوم الثاني مضى حتى انتهى إلى ساحل البحر وإذا هو بصياد، فقال له: هل لك أن أعينك وتُعطيني شيئا؟ قال نعم، فأعانه. فلما فرغ أعطاه الصياد سمكتين، فأخذهما وحجّد الله تعالى، ثم إنه شقّ بطن إحداهما فإذا هو بخاتم في بطنها، فأخذه وصرّه في ثوبه. وحجّد الله تعالى، وجاء بالسمكتين إلى منزله، ففحّرت امرأته بذلك، فأخرج الخاتم [ولبسه في إصبعه]؛ فعكفت عليه

(١) كذا في نسختي النعلبي المخطوطة والمطبوعة. وفي الأصول: «أبيك».

(٢) زيادة عن نسخة النعلبي المطبوعة.

الطير والريح، ووقع عليه بهاء الملك، ولم يلبث أبوه أن مات . [فلما ملك حمل المرأة وأبويها إلى إصطخر^(١)] .

وقد قيل في أمر الخاتم غير ذلك — على ما أورده الكسائي — وسنذكره إن شاء الله تعالى بعد هذا في أخبار سليمان عليه السلام .

ذكر وفاة داود عليه السلام

قال الكسائي : كان داود — عليه السلام — شديد الغيرة على النساء، ويُغلق الأبواب عليهنّ إذا خرج، ويحمل المفاتيح معه . فقيس : إنه رجع يوماً ففتح باب نسائه، فرأى رجلاً في داره ذا مهابة^(٢) . فقال له داود — وغضب — : من أنت ؟ ومن أدخلك داري ؟ قال : أدخلني الدار من هو أولى بها منك، أنا الذي لأهاب الملوك، ولا يمنعني دونهم الحجاب والجنود، وأفرق بين الجمع، أنا ملك الموت . فأرتعد داود وقال : دعني أدخل إلى أهلي لأودعهم . قال : لا سبيل إلى ذلك يا داود . فبكى وقال : من لبني إسرائيل من بعدى ؟ قال : أبنتك سليمان . قال : الآن طابت نفسي، إميض لما أمرت به، فقبض رُوحه — عليه السلام — وغسله سليمان وإخوته، وكفنه بأكفان نزلت عليه . من الجنة، وحمله إلى قبره،

(١) زيادة عن نسخة التعليق المخطوطة . وإصطخر : مدينة بفارس قرب مدينة برسبوليس (مدينة الفرس) التي كانت عاصمة تلك البلاد قديماً . وهي واقعة في الشمال الشرقي من شيراز، على ٣٥ ميلاً منها في الطريق إلى أصفهان . دخلها إسكندر المقدوني وحرق قصر ملوك الفرس فيها سنة ٣٣١ قبل الميلاد . وأسماها الآن « تشيل منار » أي ذات الأربعين عموداً . (راجع معهم الخريطة التاريخية للآل الإسلامية للرحوم أمين واصف) .

(٢) كذا في الكسائي . وفي الأصول : « في نهاية الجمال » .

ودُفِن دون غار إبراهيم — عليه السلام — قال : وعكفت الطير على قبره أربعين يوماً .

قال الثعلبي في خبر وفاة داود : إن داود كانت له وصيفة تُغلق الأبواب كل ليلة وتأتيه بالمفاتيح ثم تنام ، ويُقيل داود على ورده في العبادة . فأغلقت ذات ليلة الأبواب وجاءت بالمفاتيح ثم ذهبت لتنام ، فرأت رجلاً قائماً في وسط الدار فقالت : ما أدخلك هذه الدار ! فإن صاحبها رجل غيور ، نخذ حذرَكَ . فقال : أنا الذي أدخل على الملوك بغير إذن . فسمعه داود ، وكان في المحراب يصلي ، ففزع وأضطرب وقال : على به . فأثاه . فقال : ما أدخلك هذه الدار في هذا الوقت بغير إذن ؟ ! فقال : أنا الذي أدخل على الملوك بغير إذن . قال : فأنت ملك الموت ؟ قال نعم . قال : أجبْتِ داعياً أم ناعياً ؟ قال : بل ناعياً . قال : فهل أرسلت إلى قبل ذلك وأذنتي لأستعد للموت ؟ قال : كم أرسلت إليك يا داود فلم تنب . قال : ومن كانت رُسُلك ؟ قال : يا داود ، أين أبوك إيشي ؟ وأين أهلك ؟ وأين أخوك ؟ وأين قَهْرمانك فلان ؟ قال : ماتوا كلهم . قال : أما علمت أنهم رُسلي ، وأن النوبة تبلُغك ! ثم قبضه .

قال أهل التاريخ : كان عمر داود مائة سنة ، ومدة ملكه أربعين سنة .

(١)

وقد تقدم خبر آدم فيما وهب له من عمره .

(١) هنا ينتهي السفر الحادي عشر من هذا الكتاب من النسختين المسأخوذتين بالصورة الشمسية المحفوظتين بدار الكتب المصرية تحت رقمي ٥٤٩ و ٥٩٢ معارف عامة . وصورة ما جاء في آخر هذا السفر من النسخة الأولى : « كل السفر الحادي عشر على يد كاتبه نور الدين العامل غفر الله له ولوالديه في تاسع عشر ذي القعدة سنة ٩٦٦ هـ » . وصورة ما ورد في النسخة الثانية : « كل السفر الحادي عشر من نهاية الأرب في فنون الأدب للتویری وذلك في مستهل شهر رجب الفرد سنة ٩٦٦ هـ على يد كاتبه الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ إبراهيم الجبرق الحنفي ، غفر الله له ولوالديه آمين » .

$$\frac{1}{12}$$

ذكر نبوة سليمان بن داود عليهما السلام ومملكه

قال الكسائي - رحمه الله - : ولما قام سليمان - عليه السلام - من عزاء أبيه داود وتفزق الطير عن قبره ، دخل محراب أبيه ، فهبط عليه جبريل - عليه السلام - وقال له : إن الله تعالى يخصك بالسلام ويقول لك : المُلْكُ أحب إليك أو العِلْمُ ؟ . فخر سليمان ساجدا لله تعالى وقال : العِلْمُ أحب إليّ . من المُلْكِ ، لأنه أنفع الأشياء . فأوحى الله تعالى إليه : إنك تواضعت وأخترت العلم على المُلْكِ ، فقد وهبت لك العِلْمَ والمُلْكُ ، وأضفتُ إلى ذلك كمالَ العقل وزينةَ الخُلُقِ ، وزعتُ عنك العُجْبَ ، وسأطوى لك الدنيا بأسرها حتى تطاها بميشك وتشاهد عجائبها . فخر سليمان ساجداً لربه ، ورفع رأسه فإذا الرياح الثمانية قد وقفت بين يديه وقالت له : إن الله سخرنا لك ، فأركبنا إذا شئت إلى أى موضع شئت . وأقبلتِ الوحوشُ والسباعُ فوقفت بين يديه وقالت : إن الله أمرنا بالطاعة لك . وأقبلت الطير وقالت : قد أمرنا أن نُظَلِّكَ بأجنحتنا ولا نخالفك في أمر . وفوض الله - عز وجل - إلى سليمان أمر الدنيا شرقها وغربها .

ذكر حشر الطير لسليمان بن داود عليهما السلام وكلامها له

قال الكسائي : ولما آتاه الله النبوة والمُلْكُ أحب أن يستنطق الطير ، فحُشِرَت إليه ، فكان جبريلُ يُحشِرُ طيرَ المشرق والمغرب من البر ، وميكائيلُ يُحشِرُ طيرَ الهواء والجبال . فنظر سليمان إلى عجائب خَلْقها ، وجعل يسأل كل واحد منها عن مسكنه

(١) ابتداء الجزء الثاني عشر من تجزئة الأصل . وقد افتتح المؤلف بالبسملة والصلاة على النبي

صلى الله عليه وسلم .

(٢) في الكسائي : « الشح » .

(٣) في قصص الأنبياء للكسائي : « الأرض » .

ومعاشه فيخبره ، وكان بين يديه سبعةُ أُلوية من أُلوية الأنبياء ، يُمسكها سبعةُ من الملائكة .

قال : ولما حُشرت الطيرُ له جاءته فَوْجاً فَوْجاً ؛ فسألت عليه « الخُطافة »^(١) بثلاث لغات وقالت : يا نبيَّ الله ، أنا من آختراني نوح وحملني في السفينة ، ومنى تناسل كلُّ خُطافة في الدنيا ، ودعا لي آدمُ وقال : إنك تُدركين من أولادى مَنْ خلافتُهُ مثلُ خلافتى ، تُحشَرُ إليه الوحوش والطيورُ والمرَدَّةُ ، فإذا رأيته فأقرئيه منى السلام . وقالت له : يا نبيَّ الله ، إن معى سُورةً تعجَّب الملائكةُ من نُورها ، ما أُعطيت لأحدٍ من بنى آدم غيرَ أبىك إبراهيم ، فإنها نزلت كرامةً له يوم أُلقيَ في النار ، فهل لك أن تسمعها منى ؟ قال نعم . فقرأت سورة (الْحَمْدُ) حتى بلغت (وَلَا الضَّالِّينَ) ومدّت صوتها بآمين وسجدت ، وسجد معها سليمان عليه السلام .

ثم تقدّم « النّسر » وهو يومئذ في صورة عظيمة فقال : السلام عليك يا ملك الدنيا ، ما رأيتُ مُلكاً أعظم من مُلكك ، وإني صَحِبْتُ آدم وساعدته على كثرة حزنه ، وأنا أول من علِمَ بهبوطه إلى الأرض ، وكنتُ معه إلى أن تاب الله عليه وقال : إنه يكون من ذريتي من يحشر له الطير ، فإذا رأيته فأقرئهُ منى السلام ؛ وقد أدبْتُ إليك وديعته ، فأصطنعني يا نبيَّ الله ، إني علِمَ بمعادن الأرض وجباها ، ومعى آيةٌ عظيمة لا يفتُرُّ لسانى عنها ، وهى : (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ)^(٢) . ثم سجد وسجد معه سليمان ؛ فلما رفع رأسه جعله سليمان ملكاً على سائر الطيور .

(١) في الكسائي : « بثلاث لغات باللغات التي سلمت بها على آدم ونوح وإبراهيم عليهم السلام » .

(٢) كذا في نسخة أ وفي نسخة ب « مقاوز » .

(٣) سورة النساء آية ٨٧

ثم تقدمت « العُقَاب » ^(١) فوقفت بين يديه وسلمت عليه وقالت : يا نبي الله ، إن الله حين خلقني كنتُ أعظم خلقاً من هذا ، غير أن حُرني على هابيل يوم قتله قابيلُ صيرني الى ما ترى . ولقد توحشت الأرض والجبال يوم قُتل . ومعى آية أعطانيها ربى ، وهى : (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ أَمْرَ رَبِّهِ فَصَلَّى) ^(٢) . ثم قالت : سلطني على من شئت ، فإنى قوية سميمة .

٥

ثم تقدمت « العنقاء » وهى يومئذ شديدة البياض ، وصدرها كالذهب الأحمر ، ووجهها كوجه الإنسان ، ولها ذوائب كذوائب النساء ، ورجلان صفراوان ، ولها تحت أجنحتها يدان ، فى كل يد ثلاثون إصبعاً ، فوقفت بين يديه وسلمت وقالت : إن الله فضلك على كثير من الملوك حين أبرزنى اليك فى صورتي هذه ، فرنى بما شئت ، فوالله ما نطقْتُ لأحد إلا لصفوة الله آدم ، فإنى وقفت بين يديه وتعجب من حسن صورتي ، وقال : ما أشبهك بطيور الجنان ! فمنذ كم خلقك ربك ؟ قلت : منذ ألفى عام . ثم تجتثرت بين يديه فقال : أيها الطائر ، إنك مُعجَبٌ بخلقك ، والعجب يهلك صاحبه ، لقد فاز المفلحون وخسر المبطلون .

١٠

وللعنقاء خبر عجيب نذكره — إن شاء الله — فى آخر خبر الطير على ما تقف عليه إن شاء الله تعالى .

١٥

ثم تقدم « الغراب » وسلم وقال : يا نبي الله ، لقد فضلك الله على كثير من ولد آدم ، وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً ، وإنى كنت أبيض

(١) العقاب : طائر من العناق مؤنثة ، وقيل : العقاب يقع على الذكر والأنثى إلا أن ية ولوا :

هذا عقاب ذكر .

(٢) سورة الأعلى آيتى ١٤ و ١٥

قبل ذلك ، فصرت كما ترى ، لما سمعتم يقولون : اتخذ الرحمن ولدا . وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا . ولقد دعا لى أبوك آدم ونوح بطول العمر ؛ وسمعت أباك إبراهيم يتلو آية يخضع لها كل شيء ، وهى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝ ^(١) ﴾ .

ثم تقدمت « الحمامة » فسألت عليه وقالت : يا نبي الله ، أنا الحمامة التى أختارنى أبوك آدم لنفسه إلفا وأنيسا ، وكنت آنسُ به وبتسبيحه ؛ وكان اذا ذكر الجنة يصبح صبيحة عظيمة ويقول : أترانى أرجع إليها ؟ وإن لم أرجع إليها كنت من الخاسرين . وأعلم يا نبي الله أنه قد علمنى كلمات حفظتها عنه ، وهى : الله لا إله إلا هو وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله سيد الأولين والآخرين . وقد أقبلت إليك طائعة لأمرك ، فمرنى بما شئت . ١٠

ثم تقدم « الهدهد » فسلم عليه وسجد بين يديه وقال : ما أحببتُ أحدا كما أحببتك ، لأننى رأيت الدنيا ضاحكة لك ، وقد أعطاك الله ملكا عظيما ، فأتخذنى رسولا آتاك بالأخبار ، وأدلك على مواضع الماء . فقال له : أراك أكيس الطيور ، وأرى نخاخ بنى إسرائيل تصطادك ، ولا تغنى عنك كياستك شيئا . قال الهدهد : يا نبي الله ، الحيلة لا تنفع مع القضاء والقدر ، وإن الله يضيف إلى عقل المخلوق سبعين ضعفا ثم ينفذ فيه حكمه وقضاه . قال : صدقت . ثم سجد بين يديه مرارا . ١٥

ثم تقدم إليه « الديك » وهو آخر من تقدم ، فوقف بين يديه وهو فى نهاية الحسن ، وضرب بجناحيه ، وصاح صبيحة أسمع الملائكة والطيور وجميع من حضر

$$\frac{3}{12}$$

وقال في صياحه : يا غافلين اذكروا الله . ثم قال : يا نبيّ الله ، إني كنت مع أبيك آدم وكنت أوقفه أوقات الصلوات ، ومع نوح في الفلك ، ومع أبيك إبراهيم وكنت أسمعهم يقول : « اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء ، وتُعزّز من تشاء ، وتُنزّل من تشاء ، بيّديك الخير إنك على كل شيء قدير » . وأعلم يا نبيّ الله أني ما صحت صبيحة إلا أفزعته بها الجن والشياطين .
 ففرح سليمان به وأمره أن يكون معه حينما كان . ووقف كل طير بين يديه ، وفزع من حشر الطيور وعرفها بأسمائها ومنطقها ، وكانوا يعبدون الله بالليل والنهار ، وكذلك الوحوش والسباع ، حتى عرّف كل واحد منهم باسمه وصفته ونعته ^(١) .

١٠ ذكر خبر العنقاء في القضاء والقدر

قال أبو إسحاق الثعلبي — رحمه الله تعالى — بسند رفعه إلى جعفر بن محمد الصادق قال : عاتب سليمان الطير في بعض عتابه فقال لها : إنك تأتين كذا ، وتفعلين كذا ، فقالت له : والله ربّ السماء والأرض ، إنا لنحرص على الهدى ، ولكن قضاء الله يأتي إلى منتهى علمه وقدره . قال سليمان : صدقت ، لاحيلة في القضاء . فقالت العنقاء : لست أؤمن بهذا ، قال لها سليمان : أفلا أخبرك بأعجب العجب ؟ قالت بلى . قال : إنه وُلد اليلة غلامٌ في المغرب ، وجارية في المشرق ، هذا ابن ملك

(١) هذه عبارة الكسائي في النسخة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية برقم ٣٤٦٦ أدب ،

وعبارة الأصول : « قال : ولما فرغ من حشر الطير وعرفها بأسمائها ولغاتها وكانوا يأتونه بالليل والنهار ،

وكذلك الوحوش والسباع حتى عرفها بأسمائها والله أعلم » .

وهذه بنت ملك ، يجتمعان في أمتع المواضع وأهولها على سيفاح بقدر الله تعالى فيها . قالت العنقاء : يا نبي الله ، وقد وُلدا ؟ قال : نعم الليلة . قالت : فهل أُخبرت بهما ؟ من هما وما اسمهما وأسم أبويهما ؟ قال : بلى ، اسمهما كذا وكذا ، وأسم أبويهما كذا وكذا . قالت : يا نبي الله ، إني أفترق بينهما وأبطل القدر . قال : فإنك لا تقدرين على ذلك . قالت بلى . فأشهد سليمان عليها الطير وكفلتها البومة . ومرت العنقاء وكانت في كبر الجمل عظمًا ، ووجهها وجه إنسان ، ويدها وأصابعها كذلك ؛ فخلقت في الهواء حتى أشرفت على الدنيا وأبصرت كل دار فيها ، وأبصرت الجارية في مهدها قد آحتوشتها الظنور والخنول ، فأختلست المهدي والجارية وطارت ، ومرت حتى انتهت بها إلى جبل شاهق في السماء ، أصله في جوف البحر ، وعليه شجرة عالية في السماء ، لا ينالها طائر إلا يجهد ، لها ألف غصن ، كل غصن كأعظم شجرة في الأرض ، كثيرة الورق ، فأخذت لها فيه وكرا عجيبا واسعا وطيبا ، وأرضعتها وأحتضنتها تحت جناحها ، وصارت تأنبها بأنواع الأطعمة والأشربة ، وتكنبها من الحر والبرد ، وتؤنسها بالليل ، ولا تخبر أحداً بشأنها ، وتغزو إلى سليمان وتروح إلى وكرها . وعلم سليمان بذلك ولم يبده لها ، وبلغ الغلام مبلغ الرجال ، وكان ملكا من ملوك الدنيا ، وكان يلهو بالصيد ويحبّه ويطلبه حتى نال منه عظيما . فقال يوما لأصحابه : كل صيد البر وفلواته ومقازاته قد تمكنت من صيده ، فلوركت البحر لأنال من صيده فإنه كثير الصيد كثير العجائب ! . فقال وزير من وزرائه : نعم ما رأيت ، وهو أكثر ما خلق الله صيدا . فأمره بجهازه ، وهيا السفن وجعل يختار من كل شيء يملكه ، وأخذ من الوزراء والندماء والمثيبرين والحواري والغلمان والطباخين والخبازين والأهزة والصقور وغير ذلك مما يريد ويشتيه من الملاحى

٥

١٠

١٥

٢٠

- والشراب ، وركب ومّر في البحر يتصيد ويتلذذ لا يعرف شيئا غير ذلك ، حتى سار مسيرة شهر ، فأرسل الله تعالى على سفينته ريحا عاصفا خفيفة ساقتها حتى وصلت بها الى جبل العنقاء الذي فيه الجارية ، وذلك مسيرة خمسين سنة في خمسين ليلة ، ثم ركبت سفينته بإذن الله تعالى ، وأصبح الغلام فرأى سفينته راكدة ، فأخرج رأسه من السفينة ، فرأى الجبل وهو في لون الزعفران [صفرة^(١)] ، وطوله لا يُدرى أين منتهاه ولا عرضه ، ورأى الشجرة فإذا هي كثيرة الأغصان والورق ، ورقها عرض آذان الفيلة ليس لها عمر ، بيضاء الساق ، فقال : إني أرى عجبا ، أرى جبلا شاهقا لم أر مثله ، وأرى شجرة حسنة قد أعجبنى منظرها . فحرك سفينته نحو الجبل ، فسمعت الجارية التي في عُشّ العنقاء صوت الماء وكلام الناس ، ولم تكن سمعت قبل ذلك شيئا من ذلك ؛ فأخرجت رأسها من العُشّ ، فطلعت فرأى الملك صورتها في الماء ، ورأى عجبا من جمالها وكثرة شعرها وذوائبها ؛ فرفع رأسه إلى الشجرة فرأى الجارية ، فأبصر أمرا عظيما فأخذه القلق ، فناداها : مَنْ أَنْتِ ؟ فأفهمها الله تعالى لغته وقالت : لا أدرى ما تقول ولا مَنْ أَنْتِ إلا أنى أراك يشبه وجهك وجهى وكلامك كلامى ، وإني لا أعرف شيئا غير العنقاء ، وهى أمى التى ربّنتى وتسمينى بنتها . فقال لها الغلام : وأين العنقاء أمك ؟ قالت : فى نوبتها . قال : وما نوبتها ؟ قالت : تغدو كل يوم إلى ملكها سليمان فتسلم عليه وتقيم عنده إلى الليل ، ثم تروح وتجيئنى وتحدثنى بما فعل سليمان وبما حكم وقضى ، وإنه لملك عظيم ، على ما تصف أمى العنقاء ، وإنها تخبرنى أنه يشبهنى إلا أنها تخبر أنه أحسن وجها وأتم منى .

- قال : فأنذعر الغلام وفزع ، ثم قال : قد عرفته ، هو الذى قتل أبى وسبى ذريته ، وإنى لمن طلقائه ومن يؤدى إليه الخراج ، ورسله الطير والرياح ، ثم بكى الغلام . فقالت الجارية : وما يبكيك ؟ قال : أبكى على وحدثك فى مثل هذا الموضع الذى ليس به أنيس ولا أحد ، وإن مثلك فى الدنيا عدد الشجر والمدر ، وكلهم فى مقاصير الذهب والفضة والعيش الهنىء واللذة الحسنة مع الأزواج يتعانقون ويتنعمون ، ويتوالدون أولادا مثل خلقتك وخلقتى ، أرأيت إن هاجت الريح وأزعجتك من وكرك من يمسكك أن تقعى فى البحر ، فإن وقعت فى البحر فى الذى يُخرجك . قال : ففريت من قوله وقالت : وكيف لى أن يكون معى لمنسى مثلك يحدثنى مثل حديثك ، ويحفظنى من خوف ما ذكرت . فقال لها الغلام : أولا تعلمين أن الله الذى اتخذ سليمان نبياً وسخر له الطير والرياح هو الذى رحلك وساقنى إليك إلفاً وصاحباً وأنيساً ، وأنى من أبناء الملوك . قالت الجارية : وكيف تصير إلى وأصير إليك ، وهذه العنقاء تنام وتحضننى إلى صدرها بين جناحيها ؟ قال الغلام : تكثيرين جزعك ووحشتك وبكاءك على العنقاء ليلتك هذه إذا أنصرفت إليك ، فإذا قالت لك : ماتخشين وما شأنك ، فأخبريها بحديثك ، ثم أنظري إلى ما يكون ردّها عليك فتخبرينى به . فراحت العنقاء فوجدتها حزينة كئيبة . فقالت لها : يا بُنية ، ما شأنك ؟ قالت : الوحدة والوحشة ، وإنى لجزعة على نفسى لذلك . فقالت لها : يا بُنية لا تخافى ولا تحزنى ، إبنى أستاذن سليمان أن آتية يوماً وأتحلف عنه يوماً . فلمّا أصبحت أخبرت الغلام بجوابها . فقال لها : لا تُربدى هذا ، ولكن سأنحر من دوابى هذه فرساً وأبقر بطنه وأخرج ما فى جوفه وأقيره وأطيئه وأدخل أنا فى جوفه ، وألقيه على قرقور سفيتى هذه ، فإذا جاءتك العنقاء فقولى لها : إبنى (١) القرقور : ضرب من السفن كبار ؛ ولكن سياق كلام المؤلف يدل على أنه أراد به رأس السفينة .

أرى عجباً، خَلْقَةً مُلَقَّاةً على هذه السفينة، فلو أخطفتيها وحملتني إلى وكرى هذا،
فانظر وأستأنس بها، كان أحبَّ إلى من كينونتك عندى نهاراً وإمساكِك عني خبر
سليمان. فرجعت العنقاء فوجدتها في مثل حالها، وشغل سليمان عنها، فلم تصل إليه
في أَسْتِئْذَانِهَا إِيَّاهُ بِالْمُقَامِ يوماً في منزلها. فقالت لها: إن نبيَّ الله شُغِلَ عني اليوم
بالحُكْمِ بين الآدميين فلم أَصِلْ إليه. قالت لها: فإني لا أريد أن تُتَخَلَّى عنه نهاراً
لمكان أخبار سليمان، وإني أرى في البحر عجباً، شيئاً مرتفعاً ما هو؟ قالت العنقاء:
هذه سفينة قوم سيّارة ركبو البحر. قالت: فما هذا الذي أرى مُلْقًى على رأس
هذه السفينة؟ قالت: كأنه مَيِّتَةٌ رَمَوْهَا. قالت: فاحملها إلى لأستأنس بها وأنظرَ إليها.
فانقضّت العنقاء فأختطفَت الفرس والغلام في بطنها فحملتها إلى عَشْمَا. فقالت:
يا أُمَاهُ، ما أحسن هذا! وضحكت، ففريحت العنقاء بذلك وقالت: يا بُنَيَّةُ، لو علمتِ
لقد كنتِ آتيكِ بمثل هذا منذ حين. ثم طارت العنقاء إلى نَوْبَتِهَا إلى سليمان،
ونجّح الغلام من جوف الفرس فلاعبها ومسّها ولا مسها وأقنضها فأجلها، وفريح
كل واحد منهما بصاحبه وأستأنس به.

وجاء الخبر إلى سليمان بأجتماعهما من قِبَلِ الرِّيحِ، ووافقت العنقاء، وكان مجلس
سليمان يومئذ مجلس الطير؛ فدعا بعُرْفَاءِ الطير وأمرهم ألا يَدْعُوا طائراً إلا حشروه،
ففعّلوا؛ ثم أمر عُرْفَاءَ الْجَنِّ فحشروا الجنّ من ساكني البحار والجزائر والهواء والقَلَوَاتِ
والأَمْصَارِ، ففعّلوا وحشروهم، وأحضروا الإنس وكل دابةً، وأشدّت الخوف
وقالوا: نشهد بالله أن لنبيّ الله أمراً قد أهّمّه. فأول سهم خرج في تقديم الطير
سهم الحِدَاةِ. وكانت الطير لا تُتَقَدَّمُ إلا بسهام، فتقدّمت الحِدَاةُ وأستعدّت على
زوجها، وكان قد مجدها ولدها، فقالت: يا نبيّ الله، إنه سَقَدَنِي، حتى أحتضنت
بيضى وأخرجتُ ولدي محمدني. فأمر سليمان بولدها فأُتِيَ به، فوجد الشبه واحداً،

فالحقه بالذكر وقال لها : لا تمكّنيه من السّفاذ أبداً حتى تُشهدى على ذلك الطير لكيلا يحدّثك بعدها أبداً . فإذا سقّدها ذكّرها صاحت وقالت : يا طيور سفدنى اشهدى ، يا معشر الطير آشهدى .

- ثم خرج سهم العنقاء فتقدّمت ، فقال لها سليمان : ما قولك فى القدر؟ قالت : يا نبيّ الله ، إن لى من القوّة والاستطاعة ما أدفع الشرّ وآتى الخير . قال لها : وأين شَرُّك الذى بينى وبينك أنك تفترقين بقوتك واستطاعتك بين الجارية والغلام ؟ قالت : قد فعلتُ . قال سليمان : الله أكبر ! فأثبني بها الساعة والخلّق شهوداً لعلّهم تصديق ذلك ، وأمر عَريف الطير ألا يفارقها حتى يوافي بها . فترت العنقاء ، وكانت الجارية اذا قُربت منها العنقاء تسمع حَفيف أجنتها ، فيادر الغلام فيدخل جوف فرسه ، فقالت كالْمَرْعة : إن لكِ لشأناً إذ رجعتِ نهاراً . قالت : لعمري إن لى لشأناً ، إن سليمان قد أمرنى بإحضارك الساعة لأمرٍ جرى بينى وبينه فى أمرك ، فانا أرجو نُصرتى اليوم فيك . قالت : فكيف تمحلّنى ؟ قالت : على ظهري . قالت : وهل أستقرّ على ظهرك وأنا أرى أهوال البحر فلا آمن أن أزلّ وأسقطُ فأهلك ! قالت : ففى متقارى . قالت : وهل أصبر فى متقارك ! قالت : فكيف أصنع ؟ لا بدّ من إحضارك إلى سليمان ، وهذا عَريف الطير معى ، وقد دعا بكفيل البومة . قالت : أدخل جوف هذا الفرس ، ثم تمحلّين الفرس على ظهرك أو فى متقارك ، فلا أرى شيئاً ولا أسقطُ ولا أفزع . قالت : أصبّت . فدخلت فى جوف الفرس واجتمعت مع الغلام ، وحملت العنقاء الفرس بما فيه فى متقارها ، وطارت حتى وقعت بين يدى سليمان ، فقالت : يا نبيّ الله ، هى الآن فى جوف الفرس ، فأين الغلام ! فتبسّم سليمان — عليه السلام — طويلاً وقال لها : أتؤمنين

بَقَدَّرَ اللهُ تعالى وقضائه ! إنه لاحيلة لأحد في دفع قضاء الله تعالى وقدره وعلمه
 السابق الكائن من خير وشر . قالت العنقاء : أومن بالله وأقول : إن المشيئة للعباد
 والقوة ، فمن شاء فليعمل خيرا ومن شاء فليعمل شرا . قال سليمان : كذبت ماجعل
 الله من المشيئة إلى العباد شيئا ، ولكن من شاء الله أن يكون سعيدا كان سعيدا ،
 ومن شاء أن يكون كافرا كان كافرا ، فلا يقدر أحد أن يدفع قضاء الله وقدره بحيلة
 ولا بفعل ولا بعلم ، وإن الغلام الذي قد وُلِدَ بالمغرب والجارية التي وُلدت
 بالمشرق قد آجتماعا الآن في مكان واحد على سَفَاح ، وقد حَمِلت منه الجارية ولدا .
 قالت العنقاء : لا تَقُلْ يا نبي الله هذا ، فإن الجارية معي في جوف فرسي هذا .
 قال سليمان : الله أكبر ! أين البومة المتكفلة بالعنقاء ؟ قالت : هُنا . قال سليمان :
 على مثل قول العنقاء أنت ؟ قالت نعم . قال سليمان : يا قَدَّرَ اللهُ السابق قبل الخلق
 أخرجهما على قضاء الله وقدره . قال : فأخرجهما جميعا من جوف الفرس .

فأما العنقاء فناهت وفزعت فطارت في السماء وأخذت نحو المغرب ، وأخفت
 في بحر من بحار المغرب وآمنت بالقدر وحلفت لا ينظر الطير في وجهها أبدا استحياء
 منها .

وأما البومة فليزمت الآجام والجبال وقالت : أما بالنهار فلا خروج ولا سبيل
 إلى المعاش . فهي إذا خرجت نهارا وتجتأ الطير واجتمعت عليها وقالت لها :
 يا قَدَرِيَّة ، فهي تخضع لهذا .

هذا ما كان من شأن العنقاء في القضاء والقدر . فلنرجع إلى أخبار سليمان
 عليه السلام .

(١) كذا في نسخة التعلي المطبوعة . وفي الأصول والنسخة المخطوطة من التعلي :
 « للروحانيين » .

(٢) في قصص الأنبياء للعلي : « ألا تنظر في وجه طير » .

ذكر خبر خاتم سليمان عليه السلام

قال الكسائي: وأوحى الله تعالى إلى جبريل — عليه السلام — أنه قد سبق في علمي ألى أملك سليمان الدنيا ، ليعلم الجن والإنس أنى لم أخلق خلقاً هو أفضل من ذرية آدم ؛ وأمره أن يأخذ خاتم الخلافة من الجنة ويأتيه به . فجاء جبريل إلى سليمان ومعه الخاتم وهو يضيء كالكوكب الدرئى^(١)، ورائحته كالمسك، وعليه كتابة^(٢) بغير قلم، وهى : لا إله إلا الله محمد رسول الله . فأعطاه لسليمان وقال له : هنيئاً لك يابن داود بهذه الهدية، وكان في يوم الجمعة لسبع وعشرين خلت من المحرم . فلما صار الخاتم في كف سليمان لم يتمكن من النظر إليه حتى قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وكذلك كل من كان ينظر إليه^(٣) .

قال وقيل : إن الخاتم أنزل من تحت العرش من نور برهان الله ، وقيل لسليمان : لا تنزع من كفك إلا بأمانة ، وجعل الله عزه فيه ، فتختم سليمان به وصعد على كرسىه وأستقبل الناس بوجهه ورفع إليه الخاتم وهو يلهم ، وقال : هذا الخاتم جمع فيه عزى وسلطانى وفضلنى به ربى على العالمين ، وسلطنى على كل شيطان مرید . ثم سجد شكراً لله تعالى وسجد معه الناس . ثم نزل عليه بعد نزول الخاتم : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ فكان لا يقرؤها على شىء إلا خضع وذلل ، فتلاها على بنى اسرائيل فلم يسمعها أحد إلا أمتلاً فرحاً . ثم أمر بعبد ذلك باتخاذ البيض والسيوف ، فكان عنده اثنا عشر ألف درع من نسج داود .

(١) راجع الكسائي في هذا الموضوع فقيه تفصيل عما هنا .

(٢) عبارة الكسائي : « ثلاث بقين من شهر رمضان » .

(٣) هذه عبارة الكسائي . وفي الأصول : « فلما صار الخاتم في كفه لم يتمكن من النظر إليه حتى

قال : لا إله إلا الله محمد رسول الله » .

وقيل : إن داود لم يعمل أكثر من سبع أدرع ، ثم قال سليمان :
يا بني إسرائيل ، إنى أمرت بمجاهدة أعداء الله ؛ ثم جمع الخيول^(١) وشرع في الاستعداد
للحرب .

ذكر خبر حشر الجن لسليمان بن داود عليهما السلام

- قال الكسائي : وأمر الله — عز وجل — جبريل — عليه السلام — أن
يحشر الجن ، فنشر جناحه الأيمن على شرق الأرض ، والأيسر على غربها ، ونادى :
أيها الجن والشياطين ، أجيئوا سليمان بن داود بإذن الله ، فخرجت من سائر
الأماكن وهي تقول : لبيك لبيك يا حجة الله . فحضرها إلى سليمان طائفة ذليلة
تسوقها الملائكة ، وهي يومئذ أربعمائة وعشرون فرقة ، كل فرقة تدين بدين غير دين
الأخرى ، فوفقت بأجمعها بين يدي سليمان ، فنظر إلى عجائب صورها وسجد لله شكراً ؛
ثم قام على قدميه والخاتم في إصبعه ، فلما نظرت إليه الجن خرت ساجدة ثم رفعت
رءوسها وقالت : يا بن داود ، قد حشرنا إليك وأمرنا بالطاعة لك ، نخفتم على
أكتافهم بخاتمهم وجندهم وصنف مدرتهم بالحديد ولم يتخلف منهم إلا صخر الجن
تغيّب في جزيرة ، وسند ذكر خبره إن شاء الله تعالى . قال : وبقي إبليس بغير أعوان
وفرق سليمان الشياطين في الأعمال المختلفة . من الحديد والنحاس وقطع الصخور
والأشجار وعمارة القرى والمدن والحصون ، وأمرهم بعمل القدور والحفان ؛
قال الله تعالى : ﴿ يَمْلِكُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْخَوَابِ
وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ ﴾^(٢) . قيل : كان يأكل من كل جفنة ألف إنسان . وشغل

(١) في الكسائي : « الجنود » .

(٢) سورة سبأ آية ١٣

طائفة منهم بغوص البحار واستخراج الأصداف والجواهر منها ، وأمر بعضهم بحفر الآبار وشق الأنهار والقنوات ، وبعضهم بإخراج الكنوز والمعادن ، وغير ذلك من الأعمال .

ثم حُسِرَ له بعد ذلك الهوامُّ من الحيات والعقارب وغيرها من الحشرات ^(١) وسُخِّرَتْ له . فسأل كلا منها عن اسمها [وضررها ونفعها] وما أكلها ومشربها ومسكنها ومقدار أعمارها وعادتها وغير ذلك من أحوالها ، فأخبرته ، ثم صرفهم وأمرهم ونهاهم . والله أعلم .

ذكر خبر مطابخه عليه السلام

قال الكسائي : وأمر سليمان أن تُصَنَّعَ الأطعمة للخلق الذين معه ، حتى كان طبّاخوه ينادون في عسكره : مَنْ أَرَادَ طَعَاماً فليأت حتى نصنعه له كما يريد ، فإن سليمان نَصَبْنَا لذلك . وكانت موائده منصوبة ، كل مائدة طول ميل وأطول ، ومعه عِدَّة من الطّباخين ، مع كل طبّاخ شيطان يُعِينُهُ ، ورتب في كل مخبز ألف خباز ، وفي كل مطبخ ألف طبّاخ .

قال ويقال : إنه كان يُذَنَّبُ في مطبخه في كل يوم من الإبل والبقر والغنم زيادة على ثلاثين ألف رأس ، ويستعمل في مطابخه كل يوم كذا وكذا كُتْراً من الملح ، وكانت موائده منصوبة لعامة الناس فقـيـرهم وغنيهم ؛ وكان يُلقَى للطير في كل يوم من الحبوب سبعون ألف كُتْز — والكر عشرة أجرة ، والجريب ثلاثون قَفِيْزاً — وكانت تظل البلاد بأجنحتها .

(١) زيادة عن الكسائي .

(٢) القفيز : ميّال ثمانية مكايك . والمكوك صاع ونصف . ويقدر الصاع بالكيل المصرى بقدرين وثلاث .

ذكر خبر الرزق الذى سأل سليمان الله تعالى أن يجريه على يديه

قال الكسائى : ولما نظر سليمان — عليه السلام — إلى عِظَم ما آتاه الله

— عز وجل — من الملك ، سأل الله تعالى أن يجعل أرزاق المخلوقات على يديه .

فأوحى الله تعالى إليه : إنك لا تطيق ذلك . قال : يا رب فيوما واحدا ؛ فأوحى

الله إليه : إنك لا تطيق ذلك . قال : يا رب فساعة واحدة ؛ فأوحى الله إليه :

إني قد أعطيتك ذلك ، فاستعد الآن لأرزاق خلقى وأجمع لهم . فأخذ في الاستعداد

حتى جمع ما يُنِيف على حمل مائة ألف بغل وبعير ، وسار يريد ساحل البحر ، حتى

أتاه ووضع ما جمعه هناك ، ونادى مناديه في سَكَّان البحر احضروا لقبض أرزاقكم .

فاجتمع الحيتان والضفادع ودواب البحر على صُور مختلفة ، وإذا بجوت قد أخرج

رأسه وقال : اشبعنى يابن داود ، وهو على مثال الجبل . فقال سليمان : دونك

الطعام ، فأكل جميع ذلك ، ثم قال : زِدْنِي يَا نَبِيَّ الله ، والله ما أصابنى الجوع منذ

خلفتى ربى كما أصابنى اليوم حين جُعِل رزقى على يديك . فعجب سليمان منه وقال :

هل فى البحر مثلك ؟ فقال : إني لفي زُمرة من الحيتان فيها سبعون ألف زمرة ،

كل زمرة مثل عدد الرمل ؛ وفي البحر حيتان لو دخلت أنا فى جوف أحدها

ما كنت إلا كحردلة فى أرض فلاة . فبكى سليمان عند ذلك وقال : رب أَقِلْنِي عَثْرَتِي .

فأقاله الله تعالى : ثم أوحى إليه : أَنْ قِفْ يَا بَنَ داود حتى ترى جنودى ، فإن ما رأيت

قليل . فوقف وإذا بالبحر قد اضطرب اضطرابا عظيما وخرج منه شيء أعظم من

الجبل يشق البحر شقا وهو يقول : سبحان من تكفل بأرزاق العباد ، ثم نادى :

يَا بَنَ داود ، لولا اليَدُ الباسطة عليك لكنت أضعف الخلائق ، وإنك لم تقدر أن

تُسبِح حوتنا واحدا ولا نال كل طعمه ، فكيف تقدر أن تكفل بأرزاق الخلائق !

ثم مرَّ ذلك الحوت ، فنظر سليمان إلى خَلْق عظيم ، وقال : إلهى ، هل خلقت خلقا

أَكْبَرَ مِنْ هَذَا ؟ فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ : إِنَّ فِي الْبَحْرِ مَنْ يَحْتَاجُ أَنْ يَأْكُلَ سَبْعِينَ أَلْفًا
مِثْلَ هَذَا وَلَا يُشْبِعُهُ ، وَلَا يُشْبِعُهُ إِلَّا نَعْمَتِي وَلَطْفِي . فَعَلِمَ سَلِيمَانُ أَنَّ الَّذِي أُعْطِيَهِ
لَيْسَ بِشَيْءٍ فِي قُدْرَةِ اللَّهِ عِزٍّ وَجَلٍّ . وَاللَّهُ الْوَاسِعُ الْمُتَفَضِّلُ .

ذَكَرَ خَبَرَ بِنَاءِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَأَبْتَدَأَ أَمْرَهُ

- ٥ قال أبو إسحاق الثعالبي — رحمه الله تعالى — في سبب بناء بيت المقدس :
- إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَارَكَ فِي نَسْلِ إِبْرَاهِيمَ — عَلَيْهِ السَّلَامُ — حَتَّى جَعَلَهُمْ فِي الْكَثْرَةِ
غَايَةً لَا يُحْصَوْنَ . فَلَمَّا كَانَ زَمَنُ دَاوُدَ — عَلَيْهِ السَّلَامُ — لَبِثَ فِيهِمْ مَدَّةٌ مَدِيدَةٌ
بِأَرْضِ فَلَسْطِينَ وَهُمْ يَزْدَادُونَ كُلَّ يَوْمٍ كَثْرَةً ، فَأُغْجِبَ دَاوُدُ بِكَثْرَتِهِمْ فَأَرَادَ أَنْ يَسْلَمَ
عَدَدَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَأَمَرَ بَعْدَهُمْ ، وَبَعَثَ لَذَلِكَ عُرَفَاءَ وَتُقَبَاءَ ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَرْفَعُوا إِلَيْهِ
مَا بَلَغَ مِنْ عِدَّتِهِمْ ، فَكَانُوا يَعْدُونَ زَمَانًا مِنَ الدَّهْرِ حَتَّى عَجَزُوا وَأَيْسَوْا أَنْ يَحِيطَ
عَلَيْهِمْ بِعَدَدِ بَنِي إِسْرَائِيلَ . فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى دَاوُدَ : إِنِّي وَعَدْتُ أَبَاكَ إِبْرَاهِيمَ
يَوْمَ أَمَرْتَهُ بِذَبْحِ ابْنِهِ فَصَدَّقَنِي وَأَتَمَّ بِأَمْرِي أَنْ أَبَارِكَ لَهُ فِي ذُرِّيَّتِهِ حَتَّى يَصِيرُوا أَكْثَرَ
مِنْ عَدَدِ نَجُومِ السَّمَاءِ ، حَتَّى لَا يَحْصِيَهُمُ الْعَادُونَ . وَإِنِّي قَدْ أَقْسَمْتُ أَنْ أَبْتَلِيَهُمْ بِبَلِيَّةٍ يَقْلُ
مِنْهَا عَدَدُهُمْ ، وَيَذْهَبُ عَنْكَ إِعْجَابُكَ بِكَثْرَتِهِمْ . وَخِيَرَهُ بَيْنَ أَنْ يَتْلِيَهُمْ بِالْجُوعِ وَالْقَحْطِ
ثَلَاثَ سَنِينَ ، وَبَيْنَ أَنْ يَسْلُطَ عَلَيْهِمْ عَدُوُّهُمْ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ ، وَبَيْنَ أَنْ يَسْلُطَ عَلَيْهِمُ
الطَّاعُونَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ . فَجَمَعَ دَاوُدُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَخْبَرَهُمْ بِمَا أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ وَخِيَرَهُ
فِيهِ . فَقَالُوا : أَنْتَ أَعْلَمُ بِمَا هُوَ أَيْسَرُ لَنَا ، وَأَنْتَ نَسِينَا فَأَنْظُرْ لَنَا غَيْرَ الْجُوعِ فَلَا صَبْرَ لَنَا
عَلَيْهِ ، وَتَسْلِيطَ الْعَدُوِّ أَمْرٌ فَاضِحٌ . فَإِنْ كَانَ وَلَا بَدَّ فَالْمَوْتُ ، لِأَنَّهُ بِيَدِهِ لَا بِيَدِ غَيْرِهِ .
فَأَمَرَهُمْ دَاوُدُ أَنْ يَتَجَهَّزُوا لِلْمَوْتِ ، فَأَغْتَسَلُوا وَتَحَنَّنُوا وَلَبَسُوا الْأَكْفَانَ وَبَرَزُوا
إِلَى صَعِيدِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ قَبْلَ بِنَاءِ الْمَسْجِدِ بِالذَّرَارِيِّ وَالْأَهْلِينَ ، وَأَمَرَهُمْ دَاوُدُ أَنْ
- ١٠
- ١٥
- ٢٠

يَضْجُوا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَأَنْ يَتَضَرَّعُوا إِلَيْهِ لَعَلَّهُ أَنْ يَرْحَمَهُمْ . فَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الطَّاعُونَ فَأَهْلِكَ مِنْهُمْ فِي يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ أَلُوفٌ كَثِيرَةٌ لَا يُدْرَى عَدْدُهُمْ ، وَلَمْ يَفْرُغُوا مِنْ دَفْنِهِمْ إِلَّا بَعْدَ مَدَّةٍ شَهْرَيْنِ .

فلما أصبحوا في اليوم الثاني خرج داود ساجداً يتהל إلى الله تعالى ، فأستجاب الله تعالى منه وكشف عنهم الطاعون ورفع عنهم الموت . ورأى داود الملائكة سائلين سيوفهم فأغمدوها وهم يرقون في سُلَّمٍ مِنْ ذَهَبٍ مِنَ الصَّخْرَةِ إِلَى السَّمَاءِ . فقال داود لبني إسرائيل : إن الله قد منَّ عليكم ورحمكم بفضِّدوا له شكراً . قالوا : وكيف تأمرنا ؟ قال : آمركم أَنْ تَتَّخِذُوا مِنْ هَذَا الصَّعِيدِ الَّذِي رَحِمَكُمُ اللَّهُ فِيهِ مَسْجِداً لَا يَزَالُ فِيهِ مِنْكُمْ وَمَنْ بَعْدَكُمْ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى . فَأَخَذَ دَاوُدُ فِي بِنَائِهِ . فَلَمَّا أَرَادُوا أَنْ يَبْتَدِئُوا الْبِنَاءَ جَاءَ رَجُلٌ صَالِحٌ فَقِيرٌ يَحْتَبِرُهُمْ لِيَعْلَمَ كَيْفَ إِخْلَاصَهُمْ فِي بِنْيَانِهِمْ ، فَقَالَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ : إِنِّي لِي فِيهِ مَوْضِعاً أَنَا مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ ، فَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَحْجِبُونِي عَنْ حَقِّي . قَالُوا لَهُ : يَا هَذَا ، مَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا وَلَهُ فِي هَذَا الصَّعِيدِ حَقٌّ مِثْلُ حَقِّكَ ، فَلَا تَكُنْ أَجْبَلَ النَّاسِ وَلَا تَضَاقِبْنَا فِيهِ . فَقَالَ : أَنَا أَعْرِفُ حَقِّي وَأَنْتُمْ لَا تَعْرِفُونَ حَقَّكُمْ . قَالُوا لَهُ : إِنَّمَا أَنْ تَرْضَى وَتَطْيِبَ نَفْساً وَإِلَّا أَخَذْنَاهُ كَرْهًا . قَالَ لَهُمْ : أَوْتَجِدُونَ ذَلِكَ فِي حَكَمِ اللَّهِ تَعَالَى وَحَكَمِ دَاوُدَ ؟ ! قَالَ : فَرَفَعُوا خَبْرَهُ إِلَى دَاوُدَ فَقَالَ : أَرْضَوْهُ . فَقَالُوا : نَعَمْ نَأْخُذْهُ مِنْهُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ بِمَنَّةٍ . قَالَ : خَذُوهُ بِمَنَّةٍ شَاةٍ . فَقَالَ الرَّجُلُ : زِدْنِي يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، فَقَالَ : بِمِائَةِ بَقَرَةٍ . قَالَ : زِدْنِي يَا نَبِيَّ اللَّهِ ؛ قَالَ فَبِمِائَةِ بَعِيرٍ . قَالَ : زِدْنِي يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، فَإِنَّمَا تَشْتَرِيهِ اللَّهُ تَعَالَى . فَقَالَ دَاوُدُ : أَمَّا إِذْ قُلْتَ هَذَا فَأَحْتَكُمُ أُعْطِكَ . قَالَ : تَشْتَرِيهِ مِنِّي بِحَائِطٍ مِثْلِهِ زَيْتُونًا وَنَخْلًا وَعِنَبًا ؟ قَالَ نَعَمْ . قَالَ : أَنْتَ تَشْتَرِيهِ اللَّهُ تَعَالَى فَلَا تَبْخَلْ . قَالَ : سَلْ مَا شِئْتَ أُعْطِكَ ، وَإِنْ شِئْتَ أُؤَيِّرَكَ نَفْسِي . قَالَ : أَوْ تَفْعَلْ ذَلِكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ ؟

١٠

١٥

٢٠

قال : نعم إذا شئت . قال : أنت أكرم على الله تعالى من ذلك ، ولكن تبني حوله جداراً ثم تملأه ذهباً وإن شئت ورفاً . قال داود : هو هين . فالتفت الرجل إلى بنى إسرائيل وقال : هذا هو التائب والمخلص . ثم قال لداود : لأن يغفر الله تعالى لي ذنباً واحداً أحب إلي من كل ما وهبت لي ، ولكن كنت أختبركم . فأخذوا في بناء بيت المقدس ، وذلك فيما قيل لإحدى عشرة سنة مضت من خلافة داود . وكان داود ينقل لهم الحجارة على عاتقه ، وكذلك خيار بنى إسرائيل حتى رفعوه قامة . فأوحى الله تعالى إليه : إن هذا بيت مقدس ، وأنت سقاك للدماء ، ولست بانيه ، ولكن ابن لك أملكه بعدك أسمه سليمان أسلمه من سفك الدماء وأقضى إتمامه على يديه ويكون له صيته وذكره .

قال : فصلوا فيه زماناً إلى أن توفى الله نبيه داود واستخلف سليمان وأمره بإتمام بناء بيت المقدس . فجمع سليمان الإنس والجن والشياطين وقسم عليهم الأعمال ، فخص كل طائفة منهم بعمل ، فأرسل الجن والشياطين في تحصيل الرخام والمها الأبيض الصافي من معادنه ، وأمر ببناء المدينة بالرخام والصنّاح ، وجعلها آثنى عشر ربضاً ، وأزل كل ربض منها سبطاً من الأسباط . فلما فرغ من المدينة آتبدأ في بناء المسجد ، فوجه الشياطين فرقاً ، فريقاً منهم يستخرجون الذهب والفضة من معادنها ، وفريقاً يغوصون في البحر ويستخرجون أنواع الدرّ ويقامون الجواهر والحجارة من أماكنها ، وفريقاً يأتونه بالمسك والعنبر وسائر أنواع الطيب من أماكنها ، فأتي من ذلك بشيء لا يحصى إلا الله تعالى . ثم أحضر الصنّاع

(١) في نسخة النعلبي المطبوعة : « أحبار » .

(٢) المها : البلور .

(٣) الربض (بالتحريك) هنا : اللاحية .

وأمرهم بنحت تلك الحجارة وتنضيدها ألواحاً، وإصلاح تلك الجواهر وتثقيبها؛ فكانوا يُعاجلونَها فتصوّت صوتاً شديداً لصلابتها . فكره سليمان تلك الأصوات ، فدعا الجن فقال لهم : هل لكم حيلةٌ في نحت هذه الجواهر من غير تصويت ؟ فقالوا : يا بني الله ، ليس في الجن أكثر تجارب ولا أكثر علماً من صخر . فاستدعاه . وكان من أمره في حضوره إليه والتلطف في تحصيل حجر السامور ما ذكره — إن شاء الله تعالى — في أخبار صخر .

قالوا : فلما أتى بجيحر السامور ، وهو حجر الماس ، استعمله في أدوات الصنّاع ، فسهّل عليهم نحت الحجارة .

قالوا : فبنى سليمان المسجد بالرخام الأبيض والأصفر والأخضر ، وعمّده بأساطين المّها الصافي ، وفصّصه بألواح الجواهر الثمينة ، وفصّص سقوفه وحيطانه بالآلآء والياقوت وسائر الجواهر ، وبسط أرضه بألواح الفيروزج ، فلم يكن يومئذ بيت في الأرض أبهى ولا أنور من ذلك المسجد ؛ وكان يضيء في الظلمة كالقمر ليلة البدر .

٩
١٢

قالوا : فلما فرغ من بنائه جمع أخبار بني إسرائيل فأعلمهم أنه بناه لله تعالى ، وأن كل شيء فيه خالص لله تعالى . واتخذ ذلك اليوم عيداً ، فلم يُتخذ في الأرض قط أعظم منه ولا من الأطعمة التي عُمِلت فيه . قيل : إنه ذبح من الخراف خمسين ألفاً ، ومن البقر خمسة وعشرين ألفاً معلوفة ، ومن الغنم أربعاً مائة ألف شاة .

قالوا : ومن أعاجيب ما اتخذ سليمان بيت المقدس أنه بنى بيتاً وطين حيطانه بالحُضرة وصقله ؛ فكان إذا دخله الّورج الباز أستبان خياله في ذلك الحائط أبيض ؛

وإذا دخله الفاجر آستبان خياله في الحائط أسود . فارتدع عند ذلك كثير من الناس عن الفجور والخيانة . ونصب في زاوية من زوايا المسجد عصا آيُوس ، فكان مَنْ مسّها من أولاد الأنبياء لم تضرّه ، ومن مسّها من غيرهم أحترقت يده .

قالوا : ولما فرغ من بناء بيت المقدس قُرب قُرباناً على الصخرة ، ثم قال :
 ٥ اللهم أنت وهبت لي هذا الملك منّا منك على ، وجعلتني خليفتك في أرضك ، وأكرمتني به من قبل أن أكون شيئاً ، فلك الحمد . اللهم إني أسألك لمن دخل هذا المسجد خصلاً : ألا يدخله أحدٌ فيصلي فيه ركعتين مخلصاً فيهما إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمّه ، ولا يدخله مستتيب إلا تُبِتَ عليه ، ولا خائفٌ إلا أَمِنَتْه ، ولا سقيم إلا شَفَيْتَه ، ولا مُجِدَّبٌ إلا أخصبته وأغنيتَه . وإذا أجبته دعوتي فأجعل علامتها أن تقبل قُرباني . قال : فزلت نارٌ من السماء فسدت ما بين الخافقين ثم امتد منها ١٠ عنق فاحتمل القُربان وصعد به الى السماء .

وقال سعيد بن المسيّب : لما فرغ سليمان من بناء بيت المقدس تغلّقت أبوابه ، فعالجها سليمان فلم تفتح حتى قال في دُعائه : بصلوات أبي داود إلا ما فُتِحَتِ الأبوابُ ، ففُتِحَت . ففرغ له سليمان — عليه السلام — عشرة آلاف من قِراء ١٥ بنى إسرائيل ، خمسة آلاف بالليل ، وخمسة آلاف بالنهار ، فلا تأتي ساعةٌ من ليل أو نهار إلا والله عز وجل يُعبد فيها فيه .

وحكى الكسائي في خبر بناء بيت المقدس قال : فأوحى الله تعالى إلى سليمان — عليه السلام — أن تبنى بيت المقدس وترفع قواعده كما رفع إبراهيم قواعده البيت العتيق ، وأن تبنيه على صخرة المعراج . فأمر سليمان الجان أن تقطع الصخور . ٢٠ وتنقل الرُخام والأحجار والعمد وآلات العمارة إليه ، ثم أمر بالبناء على الأساس

الذى كان داود وضعه . فلما بكل البناء آنهار وأنهدم ، فأمر أن يُحْفَرُ أساسه حتى يبلغ الماء ، وعقَدَ البناء بالحجارة المنحوتة بعضهم على بعض ، فغلب الماء على البناء فما انعقد الأساس . فأمر أن تُصَنَعَ قِلاَءُ النحاس والرصاص ، وختمها بخاتمها ، وجعلها تحت الأساس . ثم أمر بالبناء فوقها فبنيت وارتفع البناء ، وعَمِلَ فيه عشرة آلاف عمود من الرخام الملون ، يلي كلَّ عمود ساريةٌ من الذهب ، وسارية من الفضة ، ومحاريب الذهب والفضة ، وكلُّ البناء والزخرفة في أربعين يوما .

قال : وكان يَعْمَلُ فيه في كل يوم ألف عِفْريت من الجن وألف شيطان وألف من الإنس . وفرغ منه يوم عرفة ، وأتخذ له قناديل من الذهب بسلاسل الفضة .

قال الثعلبي : فكان بيتُ المَقْدِسِ على ما بناه سليمان إلى أن غزاه بُحْتَنَصَرُ ، ١٠
فخرب المدينة وهدمها ، ونقض المسجد ، وأخذ ما كان في سقوفه وحيطانه من الذهب والفضة والدر والياقوت وسائر الجواهر ، فحمل ذلك معه إلى دار مملكته من أرض العراق . قال : ثم لم يزل خراباً إلى أن بُنِيَ في الإسلام .

قال الكسائي : ثم أمر الله سليمانَ بمجهاد العدو ، فرغب في جمع الخيل ، فأهديت ١٥
إليه من جهة ملوك الأطراف الخيول المسومة ، فأجتمع له ما يُذَيِّف عن سبعين ألف فرس بسروج الذهب والفضة بأجلة الديباج . وسار صوب بلاد الشام . وكان إذا خرج للغزو لا يستصحب شيطاناً ولا جنيّاً بل العباد من بني إسرائيل . والله المعين .

ذكر خبر وادي النمل وما قيل فيه

قال : ولما سار سليمان لقصد الغزو مرّ في طريقه بـوادي النمل . قال الثعلبي :
 إنه مرّ بـوادي السدير (١) (واد من الطائف) فأتى وادي النمل . قال الكسائي : فنظر
 إليهم وإذا هم يزيدون على مائة ألف كُرْدوس مثل السحاب ، وهم زُرْق العيون ،
 ولهم أيّد وأرجل . فقال سليمان : إني أرى سخابة في الأرض لا أعلم ما هي .
 فحملت إليه الريح قول النملة كما أخبر الله تعالى عنها : « حَتَّى إِذَا اتَّوَا عَلَى وَادِي
 النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ
 لَا يَشْعُرُونَ » فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا (٢) . قال : ونزل الناس معه ، فقال : أتدرون
 ما هذا السواد ؟ هذه أمة من الأمم يقال لها النمل ، وأخبرهم بقول النملة ، وسجد
 وسجدوا شكرًا لله تعالى . ودخلت النمل مساكنها زمرة بعد زمرة ، والنملة تناديهـم :
 الْوَحَا الْوَحَا فقد وافتكم الخيل . فصاح بها سليمان وأراها الخاتم بجأته خاضعة ،
 فوقفت بين يديه وهي أكبر من الذئب ، فسجدت بين يديه ثم قالت :
 يا نبي الله ، ما سجدتُ قبلك إلا لأبيك إبراهيم ، وهانا بين يديك مُرْنِي بأمرك .
 فقال : ما الذي تكلمت به قبيل وصولي إليك ؟ قالت : يا نبي الله ، إني رأيتك
 في مَوْجِكَ وعسكرك ، فناديت النمل أن يدخلوا مساكنهم لئلا يحطمهم جُنْدُكَ ،
 وأنا كتمشلت غيري من الملوك أريد الإصلاح لقومي . فقال لها : كم عددكم ؟

(١) في التفسير الكبير المسمى بالبحر المحفوظ لأئني حياث (ج ٧ ص ٦٠) : « وادي السدير

من الطائف » .

(٢) وادي النمل : بين بيت حبرون وعسقلان كما ذكره باقوت في معجم البلدان .

(٣) كردوس : فرقة .

(٤) سورة النمل آية ١٨

(٥) الوحا الوحا (يَمْذُ وَيَقْهَر) أى أُمِرُوا أُمِرُوا .

وما تأكلون وما تشربون؟ قالت: يا نبي الله، لو أمرت الحق والشياطين أن يحشرونا إليك لعجزوا، وليس على وجه الأرض وادٍ ولا جبلٌ ولا غابةٌ إلا وفي أركانها مثل سلطانك كراديس من النمل. ولو تفزق كُردوس واحد في الأرض لَمَّا وسعته. ولقد خلقنا قبل أبيك آدم، وإنا لنا كل رزق ربنا ونشكره. فأمرها أن تعرض النمل عليه. فنادتهم، فمروا به زُمرَةً بعد زُمرَةٍ، وسلموا عليه بلغاتهم وهو ينظر إليهم. فقالت ملكة النمل: يا نبي الله، مِنّا ما يأوى الجبال، ومِنّا ما يأوى قُرب المياه والأشجار والزرع، وفي الهواء وهي الطيّارة، فإذا نبتت أجنحتها هلكت وأختطفها الطير. والنملة لا تموت حتى يخرج من ظهرها كراديس من النمل، وليس على ظهر الأرض أحرض من النملة؛ وإنها لتجتمع في صيفها ما يملأ بيتها وهي مع ذلك تظن أنها لا تَشُوع. وتسميها تسال ربها أن يُوسّع الرزق على خلقه. قال الثعلبي قال الضحّاك: اسم النملة [التي كلمت سليمان] «طاحية» وقيل: «حرمي». والله أعلم.

ذكر خبر البعوض وما قيل فيه

قال الكسائي: ولما نظر سليمان إلى كثرة النمل قال: إلهي هل خلقت أكثر من النمل؟ فأوحى الله إليه: نعم وسترى ذلك. ثم أمر الله تعالى ملك البعوض أن يحشرها لسليمان، فحشرها من شرق الأرض وغربها. فأقبلت كراديس البعوض

(١) زيادة عن الثعلبي.

(٢) كذا في نسخة الثعلبي المخطوطة والجزء الخامس من تفسيره المسمى «الكشف والبيان في تفسير القرآن» المحفوظ بدار الكتب المصرية رقم ٧٩٧ تفسير. وفي شرح القاموس مادة «طخى» بالخاء المعجمة والنسخة المطبوعة من الثعلبي: «طاحية» وقال صاحب شرح القاموس نقلا عن النهاية: اسمها «عجلوف». وفي الأصول: «طاحية» بالجم المعجمة.

(٣) كذا في الثعلبي المخطوطة والمطبوعة. وفي شرح القاموس نقلا عن أعلام السهيل: «حرميا». وفي الأصول: «جرما».

كَالسَّحَابِ يَتَّبِعُ بَعْضُهَا بَعْضًا حَتَّى وَقَفَ مِنْهُمْ كُرْدُوسٌ عَلَى سُلَيْمَانَ ، وَأَقْبَلَ عَلَيْهِمْ
وَقَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، مَا لَكَ وَلِلضُّعْفَاءِ مِنْ خَلْقِ رَبِّكَ أَلْهَيْتَهُمْ عَنِ السَّبِيحِ ! .
يَا بَنَ دَاوُدَ ، إِنَّا فِي هَذِهِ الْأَرْضِ قَبْلَ أَبِيكَ آدَمَ بِالْفَتْى عَامَ مَا عَمِرَ ضُنَّا عَلَى آدَمَ
غَيْرِكَ ، نَأْكُلُ مِنْ رِزْقِ رَبِّنَا ، وَلَا نَفْتُرُ عَنْ ذِكْرِهِ صَبَاحًا وَلَا مَسَاءً . قَالَ : أَخْبِرُونِي
كَمْ أَنْتُمْ ؟ وَأَيْنَ مَاوَأَكَمْ ؟ وَمِنْ أَيْنَ تَرْزُقُونَ ؟ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، تَحْتَ يَدِي
سَبْعُونَ سَحَابَةً ، كُلُّ سَحَابَةٍ تَمْلَأُ الْمَشْرِقَ وَالْمَغْرِبَ ، لِكُلِّ زُمْرَةٍ مَوْضِعٌ مَعْلُومٌ ، نَأْكُلُ
كُلَّ وَاحِدَةٍ رِزْقَهَا ، وَلَوْلَا خَوْفُ الْمَعَادِ لَأَكَلْنَا مَا فِي الدُّنْيَا . ثُمَّ سَجَدُوا وَانْصَرَفُوا . وَكَانَ
سُلَيْمَانُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُدْرِكَ قَوْمًا بَعَثَ إِلَيْهِمُ الْبُعُوضَ فَيَأْكُلُ كُلُّ جَمْعٍ مَا فِي مَدِينَتِهِمْ .

ذكر خبر الخليل وما قيل فيها

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِذْ عَمِرَ ضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ * فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ
حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ
وَالْأَعْنَاقِ ﴾ ^(١) . قَالَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَوْفِيُّ فِي " كِتَابِ الْبَرَهَانِ فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ " :
فِي تَفْسِيرِهِ هَذِهِ الْآيَةِ : الصَّافِنُ مِنَ الْخَيْلِ الَّذِي يَجْمَعُ بَيْنَ يَدَيْهِ . وَقَالَ الْفَرَّاءُ :
الصَّافِنُ هُوَ الْقَائِمُ . وَقَالَ مَجَاهِدٌ : صُفُونُ الْفَرَسِ إِذَا رَفَعَ أَحَدُهُ رِجْلَيْهِ حَتَّى
يَكُونَ عَلَى طَرَفِ الْحَافِرِ . قَالَ ابْنُ زَيْدٍ : الْخَيْلُ أَخْرَجَهَا الشَّيْطَانُ لِسُلَيْمَانَ مِنْ مَرْجٍ
مِنْ مَرْوَجِ الْبَحْرِ . وَالصَّفْنُ أَنْ يَقُومَ الْفَرَسُ عَلَى ثَلَاثٍ وَيَرْفَعُ رِجْلًا وَاحِدَةً ،
يَكُونَ طَرَفُ الْحَافِرِ عَلَى الْأَرْضِ . قَالَ : وَكَانَتْ لَهَا أَجْنَحَةٌ . قَالَ : وَالْجِيَادُ
السَّرَاعُ . وَذَكَرَ أَنَّهَا كَانَتْ عَشْرِينَ فَرَسًا ذَوَاتِ أَجْنَحَةٍ . قَالَ وَقَوْلُهُ : " إِنِّي أَحْبَبْتُ

(١) سورة ص آية ٣١ وما بعدها .

(٢) الحوفي (بفتح الحاء المهملة وسكون الواو) نسبة إلى الحوف : ناحية عمان .

- حب الخير عن ذكر ربّي حتى توارت بالحجاب“ إنه لها عن الصلاة حتى فاتته .
 قال قتادة والسديّ : الخير : الخيل . وروى عن عليّ - رضي الله عنه - أنه
 سئل عن الصلاة الوسطى فقال : هي العصر ، وهي التي فتن بها سليمان . ”حتّى
 توارت بالحجاب“ ، يعني الشمس حتى تغيب في مغيبها . وقوله : ”ردوها علىّ“
 أى الخيل التي عُرِضَتْ عليّ فشغلتنى عن الصلاة . ”فطفق مسحاً بالسوق والأعناق“ ،
 أى جعل يمسح فيها السوق وهو جمع ساق . قال بعضهم : عقرها وضرب
 أعناقها ؛ قاله قتادة والحسن والسديّ . وقال ابن عباس - رضي الله عنهما - :
 جعل يمسح أعناقها وعراقيبها بيده حباً لها . وقيل : كشف عن عراقيبها
 وضرب أعناقها وقال : لا تشغليني عن عبادة ربّي مرة أخرى . قال أبو إسحاق :
 يجوز أن يكون الله أباح له ذلك لأنه لا يجعل التوبة من الذنب بذنب أعظم منه .
 ١٠ . والله أعلم .

وقال الثعلبيّ - رحمه الله - في قصة الخيل قال الكلبيّ : غزا سليمان أهل
 نصيبين ، فأصاب منهم ألف فرس . وقال مقاتل : ورث سليمان من أبيه داود
 ألف فرس ، كان داود أصابها من المارقة .

- ١٥ قالوا : فصلّى سليمان الصلاة الأولى وقعد على كرسيه ، فعرض عليه منها
 تسعمائة فرس ؛ فتنبّه لصلاة العصر ، فإذا الشمس قد غابت وفاتته الصلاة ولم يعلم
 بذلك ؛ فاعتم وقال : ردوها عليّ ، فردّت عليه ، فعرقها بالسيف ، وقزبها إلى الله
 - عز وجل - وبقي منها مائة فرس . فما في أيدي الناس من الخيل العراب فهي
 من نسل تلك المائة . وقال كعب : كانت الأفراس أربعة عشر فرساً ، فأمر بضرب
 أعناقها وسوقها بالسيف وقتلها ؛ فسلبه الله ملكه أربعة عشر يوماً ؛ لأنه ظلم
 ٢٠ (١) كذا في الثعلبيّ وكتب التفسير . وفي الأصول : « أربعةائة » وهو لا يتفق مع السياق .

الجيل بقتلها . قال الثعلبيّ وقال قوم : ” فطيق مسحاً بالسوق والأعناق “حبسها في سبيل الله وكوى سوقها وأعناقها بِمِيسَمِ^(١) الصّدقة . ورؤى عن عليّ بن أبي طالب — رضى الله عنه — أن الله تعالى أمر الملائكة الموكّنين بالشمس فردوها ، وصلى سليمان العصر في وقتها .

ذكر خبر بساط سليمان عليه السلام

قال الكسائيّ : وكان سليمان إذا ركب الرّيح تقدّم أمامه بساطه البعوض ثمّ الزناير وكل ما يطير في الهواء ، ثمّ الشياطين . وكان إذا أراد أن يركب الرّيح دعا الرياح الثمانية : الشمال والجنوب والصبّا والدبور والصرصر والعقيم والكرس والراكي ، فيبسّط بعضها على بعض ، ثمّ يبسط بساطه على هذه الرياح ، وكان من السندس الأخضر ، أخضر البطن أحمر الظهر ، أهده الله تعالى إليه من الجنة ، لا يعلم طولّه وعرضه إلا الله تعالى . وقيل : كان طولّه ثلاثمائة وسبعين فرسخاً في عرض عشرة آلاف ذراع . وكان سليمان إذا ركبّه جعل اللون الأخضر مما يلي الأرض ، فإذا رفع الناس رؤوسهم إليه يرونه على لون السماء . وكان يجلس على كرسيه وعن يمينه ويساره القضاة والعلماء والأخبار من بنى اسرائيل على كراسي معدّة لهم ، وهو جالس في وسط البساط وزمام الرّيح بيده ، ويتعدّى على مسيرة شهر ويتعشى على مسيرة شهر ؛ قال الله تعالى : ﴿ غُدُوهاَ شَهِرٌ وَرَوْأُهاَ شَهِرٌ^(٢) ﴾ .

قال : وكان سليمان إذا ركب الرياح على بساطه يرى كل شيء عليه من الجن والإنس والشياطين والهوام وغيرهم ، والطائر يُظَلّه ، ولا يقف على مدينة إلا فتحها .

(١) الميسم (بكسر الميم وفتح السين المهملة) : حديدة تكوى بها إبل الصدقة وغيرها لتعرف وتميّز عن غيرها من الإبل الملوكة .

(٢) كذا في الأصول . وفي الكسائي : « الكريس والدالي » .

(٣) سورة سبأ آية ١٢

ذكر خبر صخر الجنى

$$\frac{12}{12}$$

قال : وجمع سليمان — عليه السلام — عفاريت الجنّ والشیاطین وأمرهم
بإحضار صخر الجنى، فقالوا: يا نبي الله، إن الله قد أعطاه قوة جماعية منا؛ ويصعب

علينا حمله إليك، وما لنا إلا أمر واحد وهو أنه يأتي في كل شهر إلى عين في جزيرة

فيشرب ماءها. والرأى أن ننزله منها ونملأها نحرًا، فإذا جاء وشربه وسكر ذهب

قوته فنحمله ونأتيك به. ثم خرجوا ففعلوا ذلك، واختفوا في تلك الجزيرة. فجاء صخر

ليشرب فأشتم رائحة النحر وقال: أيتها النخرة إنك لطيفة غير أنك تسلبين العقل

وتجعين الحليم جاهلاً، وأمرك كله ندامة، وأنصرف ولم يشرب. ثم عاد في اليوم

الثاني وقد أجهده العطش فقال: ما من قضاء يأتي من الله إلا كان مبرماً، ثم نزل على

العين فشرب حتى أمتلأ، ثم قام ليخرج فسقط، فتبادرت العفاريت إليه ومعهم

طابع خاتم سليمان، فلما رآه ذل وخضع، فحملوه حتى وقفوه بين يدي سليمان وهو

يُخرج من فيه لُحَب النيران، ومن منخريه الدخان. فلما عين الخاتم ضعفت قوته

وخر ساجداً على وجهه، ثم رفع رأسه وقال: يا نبي الله، سيُزول هذا الملك عنك

ولا يبقى إلا ذكره. قال: صدقت. ثم قال له: يا نبي الله، ما الذي أحوجك

إلى وأنا بالبعد منك لا أخلط بالآدميين؟ فقال له سليمان: إن الناس قد اشتكوا

من وقع الحديد وصوته على الحجر. فقال: عليك بوكر العقاب وعُشه وبيضه،

فليس شيء من الطيور أبصر منه، فأُتِيَ به. فوضعه في البرية وغطاه بحمام من

القفار يرشديد الصفاء فوضعه على عُش العقاب. فجاء العقاب فلم ير عُشه، فطار

في الهواء حتى نظر إلى عُشه في تلك البرية، فأنقض عليه وضرب الجلام برجله

ليكبره فلم يقدر على ذلك، فطار وتعلق في الهواء وغاب يومه وليلته، ثم أقبل

صبحة اليوم الثاني وفي منقاره قطعة من حجر السامور، فأنقض على الجلام بذلك الحجر

فضربه به ، فانشقّ الجمام نصفين ولم يُسمع له صوت ، وأخذ العقاب عُشّه وبيضه وترك حجر السامور هناك ، فأخذه صخر وهو في صفاء المرأة وحرّ النار . فدعا سليمان بالعقاب وسأله عن حجر السامور من أين احتمله ، فأخبره أنه من جبل شايخ . فبعث سليمان الجن والشياطين فحملوا منه ما قدروا ، فكان يقطع به الأحجار والصخور والجَزَع من غير أن يُسمع له وقع .

٥

قال : ثم قال صخر : يا بنى الله ، أتحبّ أن أتخذ لك مدينةً ؟ قال نعم ؛ فأَتخذها . فعجب سليمان من ذلك ، وأمره أن يتخذ له مدينةً دون تلك المدينة حتى يحملها معه على بساطه حيثما ذهب . فقال : يا بنى الله ، لك كلمّا أردت السفر مدينةً على أى لون شئت . فبنى له مدينة في طول عسكره وعرضه ، وجعل لكل سبط من الأسباط قصرًا في طول ألف ذراع وعرضه مثل ذلك ، وفي كل قصر بيوت وغُرَف ، ثم بنى بعد ذلك مجلسًا من القوارير في طول ألف ذراع ، وعرضه مثل ذلك ، يجلس فيه العلماء والنضاة . وبنى لسليان قصرًا عجيبا في طول خمسة آلاف ذراع ، وعرضه مثلها ، وزخرفه بألوان القوارير ورصّعه بأنواع الجواهر ، وجعل فيه جميع الصور والتماثيل وأتقن صنعته . وكان مما صنع صخر لسليان الكرسي .

١٠

ذكر صفة كرسي سليمان عليه السلام وما انتهى إليه أمره

١٥

قالوا : وكان مما عمله صخر الجنى لسليان — عليه السلام — الكرسي ، وكان سليمان أمره بآتخاذه ليجلس عليه للقضاء ، وأمره بأن يعمل به بديعاً مهولاً بحيث إنه إذا رآه مبطل أو شاهد زور ارتدع وتغيّب .

٢٠

قال : فعمل له الكرسي وكان من أنياب الفيلة وفصصه بالياقوت والأؤلؤ ، والزبرجد وأنواع الجواهر ، وحفه بأربع تحلات من ذهب ، شماريخها من الياقوت

الأحمر والزَّبَجَد الأخضر ، على رأس نخلتين طاووسان من ذهب ، وعلى رأس النخلتين الآخرين نسران من ذهب ، بعضها يقابل بعضا ، وجعل مقابل جنبَي الكرسي أسدين من ذهب ، على رأس كل أسد منهما عمود من الزُّمَرْد الأخضر ، وعقد على التخلات أشجار كروم من الذهب ، عناقيدها من الياقوت الأحمر .

قالوا : وكان سليمان إذا أراد صعوده وضع قدميه على الدرجة السفلى فيستدير الكرسي كله بما فيه دَوْرَانِ الرِّحَا المسرعة ، وتنشر تلك النسور والطواويس أجنحتها ، ويسط الأسدان أيديهما ويضربان الأرض بأذناهما ، وكذلك كان يفعل في كل درجة يصعد فيها سليمان . فإذا استوى سليمان بأعلاه أخذ النسران اللذان على النخلتين تاج سليمان فوضعا على رأس سليمان ، ثم يستدير الكرسي بما فيه ويدور معه النسران والطاووسان ، والأسدان مائلان برؤوسهما إلى سليمان ، ينضجن عليه من أجوافها المسك والعنبر ، ثم تناولهما حمامة من ذهب جاثمة على عمود من جوهر من أعمدة الكرسي التوراة ، ففتحتها سليمان — عليه السلام — وبقروها على الناس ويدعوهم إلى فصل القضاء . فإذا دعا بالبينات [و] تقدمت الشهود لإقامة الشهادات دار الكرسي بما فيه من جميع ما حوله دَوْرَانِ الرِّحَا المسرعة .

قال أبو إسحاق الثعلبي قال معاوية لوهب بن منبه : ما الذي كان يُدِيرُ ذلك الكرسي ؟ قال : بلبثان من ذهب . قال : فإذا دار الكرسي بسط الأسدان أيديهما ويضربان الأرض بأذناهما ، وينشر النسران والطاووسان أجنحتها فتفرع منها الشهود ويدخلهم الرعب الشديد ، فلا يشهدون إلا بالحق .

(١) في بعض النسخ للثعلبي المخطوطة : « تين عظيم » .

قال : فلما توفى الله سليمان — عليه السلام — وجاء بُخْتَنَصْرُ إلى بيت المقدس أخذ الكرسيَّ وحمله إلى أنطاكية^(١)، وأراد أن يصعد عليه ولم يكن له علم بالصعود عليه ولا معرفة بأحواله . فلما وضع قدمه على الدرجة رفع الأسد يده اليمنى فضر به ضربة شديدة دقّه ورماه، فحمل بُخْتَنَصْرُ، فلم يزل يعرُج منها ويتوجّع إلى أن مات . وبقى الكرسيَّ بأنطاكية حتى غزاهم ملك من ملوك الشام يقال له كداس بن سدارس فهزم خليفة بُخْتَنَصْرُ وردّ الكرسي إلى بيت المقدس ، فلم يستطع أحد من الملوك الصعود إليه . فوضع تحت الصخرة فغاب فلم يعرف له خبر ولا يدري أين هو . والله أعلم بالصواب .

ذكر خبر بلقيس وأبتداء أمرها

قال الكسائي قال كعب : هي بلقيس بنت دى شريح ، وهي متولدة من الإنسان والجن . وأُمّها عَمِيرَةُ بنت ملك الجن . وكان لاتصال دى شريح والد بلقيس بعميرة بنت ملك الجن سبب عجبٌ نذكره على ما حكاه الكسائي ، قال : أهلك الله تعالى مساكن سبا بسيل العرِم ، على ما نذكر ذلك في كتابنا هذا إن شاء الله تعالى ، وهو يلى أخبار ملوك قحطان ، وذلك في الباب الثاني من القسم الرابع من الفن الخامس

(١) كانت في القديم حاضرة سوريا ، وهي واقعة على منعطف من نهر العاصي ، وقد قامت قديما غيرها من المدن في الثروة والعلوم والتجارة ، وكان لأهلها امتيازات مدنية خصوصية حتى انها كانت الثالثة بين مدن مقاطعات الرومان العظيمة . وقد اشتهرت بحسن موقعها وطيب هوائها ، وكانت محفوفة بفياض السرو الكثيفة ومجارى المياه العذبة . (راجع قاموس الكتاب المقدس للدكتور جورج بوست)

(٢) كذا في كتاب الإكليل للهمداني (ج ٨ ص ٣٠ طبع بغداد) ونسخة ب في بعض المواضع مضبوطة بالقلم بفتح الشين المعجمة وسكون الراء المهملة . وفي نسخة أ ، ج : « ذوا شرح » . وفي تاريخ الطبري (ص ٥٧٦ من القسم الأول) : « هي فيما يقول أهل الأنساب : بلقيمة بنت البشر ، ويقول بعضهم : ابنة ايلي شرح ، ويقول بعضهم : ابنة دى شرح بن دى جدن بن ايلي شرح بن الحارث بن قيس ... الخ » . وفي الكسائي : « ذو شرح » بالسين المهملة .

(١) في السفر الثالث عشر من هذه النسخة . قال : فلما أقترضوا وأباهم الفناء توارثها بعدهم جماعة من الملوك ليس هذا موضع ذكرهم ، حتى انتهى الملك إلى رجل فظ غليظ يقال له شَرَّاحِي الحِمِيرِي . وكان من عادته مع قومه أنه أقترض على أهل مملكته في كل أسبوع أن يأتوه بجارية من بناتهم فيفتنّها ثم يردها إلى أهلها . وكان ذو شرح وزيره وهو من أبناء ملوك حمير من ولد سبأ ، وكان لدى شرح ألف قصر وألف فرس عتيق وألف سيف يمان ، وكان يرجع إلى حُسْنٍ وجمالٍ وعقل ، وكان مُولعاً بالصيد ، فكانت الجنّ تتصوّر له في صورة الطي ، فإذا صادهم وهم بذبحهم كلبوه وقالوا له : لا تعجلْ فإنّا إنما جئنا للنظر إلى محاسن وجهك . وكانت الجنّ تؤذي أهل اليمن ، فأقسم ذو شرح أن يقتل ملك الجنّ ويتزوج بآبنته . قال : وكان اسم ملك الجنّ عُمَيْر ، وكان حسن الوجه ، وآبنته عَمِيرَة . فتر ذو شرح ذات يوم في واد من بلاد اليمن كثير الأشجار فتزل به ، حتى جثّه الليل ، وكان في جمع قليل من أصحابه ، وكان الوادي الذي نزل به من مساكن الجنّ . فلما مضى بعض الليل سمع همهمة الجنّ ، فقام ونادى : يامعشر الجنّ ، قد نزلتُ بكم الليلة على أن تُضيفوني فإنّي جارٌ لكم ، فأسمعوني من أشعاركم . قال : فأنشدته الجنّ من أشعارها ، وجاءته عَمِيرَة بنت عُمَيْر ملك الجنّ على أحسن صورة . فلما نظر إليها ذهل عقله من حسنها ، وغابت عن عينه فشفّف بجمها فقال : يامعشر الجنّ ، إن أتم زوجتموها منّي وإلا كنت حرباً لكم ما عشت أبداً . فنادوه : ياذا شرح ، إنك آدمي فكيف تقايل الجنّ ومسكنهم الهواء وظلمات الأرض ! مهلاً أيها الآدمي لا تعرّض نفسك إلى ما لا تقدر عليه وأرجع ، فإن قُدّر لك أمر فسوف تناله . فلما سمع ذلك أيسّ

(١) يقع هذا في نحو الجزء السابع عشر من أجزاء هذه الطبعة .

(٢) فرس عتيق ، أي رافع .

$\frac{14}{12}$

من الترويح وأخذ في مستأنف أمره في مؤالفة الجن، فكان يُهاديهم بما يصلح لهم من الهدايا، فصافاه عُمَيْرُ ملك الجن وأخاه وألقاه حتى صار عنده كالأخ. فلما رأى ذلك ذو شَرَحَ وأنه قد تمكّن من ملك الجن قال له : هل لك أن تزوجني أبنَتَكَ عَمِيرَةَ ليكون لى فى ذلك شَرَفٌ الى الممات ! فرغب فيه عُمَيْرُ ملك الجن لحسنه وجماله وشرفه وماله ؛ فزوجه أبنته بحضرة سادات الجن . وأنصرف ذو شَرَحَ الى مدينة سبأ وأهدى هدايا كثيرة الى ملك الجن وسادات قومه ، ثم زُفّت إليه فوطئها فحَمَلَتْ منه .

ذكر خبر ميلاد بلقيس وكيف كان وسبب مُلكها

قال : وولدت عَمِيرَةُ بنت ملك الجن بِلْقَيْسَ بنت ذى شَرَحَ على أحسن ما تكون من الصُور ، ثم ماتت أمها بعد ذلك بقليل ، فربّتها الجن . فلما بلغت مبلغ النساء قالت لأبيها : لئن كرهت المُقام عند الجن فأحملنى الى بلاد الإنس فإنهم أحبّ الى . فقال لها : إن للإنس مَلِكًا ظالما وذكر لها سُنَّتَهُ فى بلاد قومه ، وأنه يفتَضُّ الأَبكار ثم يرَدُّهن الى أهلنَّ . قالت : لا تخشَ ذلك على - وأتَقَلِّى ، وسرى ما يكون منى . فبنى لها قصرًا خارجَ مدينة سبأ من أعظم ما يكون من الأبنية ، وأتخذ لها عَرِيشًا من العاج والآبنوس والذهب والفضة ، ونقلها الى القصر واتخذ لها أواني الجوهر . فأقامت بلقيس فى قصرها زمنًا طويلًا ، وانتشر خبرها الى ملك سبأ ، فركب فى موكبه حتى وقَفَ على باب القصر ورأى حُسْنَ بَنائِهِ ، فرجع وأرسل بجارية من جواريه الى بلقيس ، فدخلت عليها ونظرت إليها وإلى ما فى قصرها من التَّحَفِ العظيمة وما عندها من جوارى الإنس والجن ، فعادت الى الملك وأخبرته بما هى عليه من الجمال وأنها أبنة وزيره . فأحضره وأنكر عليه وقال : كيف آتخذت

- مثل هذا القصر ولك مثل هذه البنت وأنت وزيري ولم تعلمي ولا أستاذتني في بناءه ! . فقال : أيها الملك ، أما القصر فأني أنفقت عليه المال الذي ورثته من أبي . وأما البنت فإنها ابنة عميرة بنت ملك الجن ، ورغبت في السكن في بلاد الإنس ، فحملتها الى هذا المكان ، فهذه قصتها . فقال : صدقت فزوجنيها ولا بد من ذلك . فقال : أحتاج في ذلك إلى إذنها . قال : استأذنها . بجاء اليها وقال : يا بُنَيَّة ، قد وقعتُ فيما كنت أخشاه عليك ، وذكر لها مقالة الملك . فقالت : زوجني منه ولا تخف ، فإنه لا يصل إلى . فزوجها منه بحضور أكابر أهل المملكة . ولما تمَّ الترويح كتب الملك كتابا إليها يقول : إني قد عشتُ أَسَمَكُ قبل أن أنظر إليك ، فإذا قرأت هذه الرقعة فعجلى بحضورك إلى . فكتبت إليه : إني لمشتاقا إلى وجهك أشوق منك إلى ، غير أن قصرى هذا هو من بناء الجن ، وفيه عجائب كثيرة ، وقد جمعت فيه ما لا يصلح إلا لملك . فإن رأيت أن نتحول إلى قصرى فأفعل . فلما ورد جوابها عليه ركب لوقته في حشمه وجنوده وسادات قومه . فبلغ بلقيس فقالت لأبيها : امض إلى الملك وقُلْ له : إنَّ أبنتي من بنات الجن ولم تنظر قط إلى مثل هذه الجنود ، ففرق هؤلاء وأدخل إليها منفردا . فقال ذلك للملك ، ففرق جنوده وأتى إليها بمفرده ، ودخل القصر وله سبعة أبواب . وكانت بلقيس قد جعلت عند كل باب جارية من بنات الجن من أحسن ما تكون من النساء ، وفي أيديهن أطباق الذهب فيها الدنانير والدرهم والطيب ، وأمرتهن أن ينثرن ذلك على الملك . فلما دخل توهم أن كل واحدة منهن أمرته وهم بالتزول عليها ، فتقول : أنا خادمتها وهي أمامك ، حتى انتهى إلى آخر الأبواب ، فتقدمت إليه جارية وأصعدته إلى العرش ، فنظر إلى القصر وما فيه من الآلات والزينة ، فرأى ما لم يخطر بباله . ثم أقبلت بلقيس والحواري بين يديها ينثرن على الملك من

أنواع النَّارِ وعلى رأسها تاجٌ، فصعدت على عرشها. فلما رآها الملك قُتِنَ بها وكاد
يُذهَلُ عقله. وأخذت في مخادعته وملاعبته، ثم أمرت بالطعام فأحضَرَ بين يديه.
فأمتنع من الأكل وقال: ما أريد أن أغفل عن وجهك. فأمرت بإحضار الشراب
فأتى به في آلات الجواهر النفيس. وأخذ في الشرب، فلم تزل به حتى أسكرته وغاب
عن عقله ووقع على قفاه لا يعقل من أمره شيئاً. فذبحته بلقيس، ثم دعت بأبيها وأعلمته
بما فعلت. ففرح وكتب إلى خزان الملك عن الملك: ^(١) إني قد أحبيتُ التزول
بهذا القصر فأجمعوا ما في الخزائن من الأموال وأنفذوه إلى عندي. فجمعوا الأموال
وأنفذوها إلى القصر. ثم أمرت بعد ذلك باتخاذ الأطعمة فصنعت ودعت سادات
ملوك اليمن. فلما جلسوا قدّمت إليهم الأطعمة فأكلوا، ثم قدّم إليهم الشراب
فشربوا. فلما أخذ منهم أشرفت بلقيس عليهم وقالت: إن الملك يأمركم أن
توجهوا إليه بنسائكم وبناتكم. فغضبوا وقالوا: أما يكفيه أنه فضّح بنات العرب
حتى طمع فينا نحن! فقالت لهم: لا تغضبوا حتى أرجع إليه وأعرّفه غضبكم.
ثم أمرت أن يُعاد عليهم الشراب ثانياً فشربوا ساعة، فعادت إليهم وقالت:
قد أخبرتُ الملك بغضبكم ومقاتلكم فقال: لا بدّ من ذلك. فأزداد القوم غضباً
وصاحوا. فقالت: على رسلكم حتى أراجعه وأسأله. ومضت وعادت فقالت:
إني عدتُ إلى الملك فوجدته قد نام، فما رأيكم في أمر أفعله وأريحكم مما أنتم
فيه من شره على أن تملكوني على أنفسكم؟ قالوا نعم. فحلفتم على ذلك وأخذت
عليهم العهود والمواثيق، وغابت ساعة وعادت ومعها رأس الملك فالتفت إليه،
ففرحوا بذلك واستبشروا وملكوها عليهم. فلكت بضع عشرة سنة حتى بعث الله
سليمان نبياً.

١٥
١٣

٥

١٠

١٥

٢٠

ذكر خبر سليمان وبنقيس وسبب زواجه بها

قال : وكان سبب اتصال خبرها بسليمان عليه السلام أنه بينما هو يسير على بساطه ، وكان الهدهد دليله على الماء لأنه يراه من عدة فراسخ ، فارتفع في الهواء لطلب الماء ، فنظر الى هدده قد أقبل من ناحية اليمن ، فالتقيا . فقال له الهدهد السليمانى : من أين أنت ؟ قال : من اليمن . وسأله الآخر فقال : أنا من الشام من طيور الملك سليمان . قال : ومن سليمان ؟ قال : نبي الله ملك الجن والإنس والطيور وجميع المخلوقات . قال : إن هذا ملك عظيم . قال : وهل فى اليمن ملك ؟ قال : نعم ، ملكة يقال لها « بلقيس » تحت يدها عشرة آلاف قائد ، تحت يد كل قائد كذا وكذا ألفا من العساكر .

- ١٠ . وحكى الثعلبى أنه قال لما أخبره بملك سليمان : إن لصاحبكم ملكاً عظيماً ، ولكن ليس ملك بلقيس دونه ، فإنها ملكة اليمن وتحت يدها اثنا عشر ألف قيل مع كل قيل مائة ألف مقاتل — والقليل هو القائد باغة أهل اليمن — فهل أنت منطلق معى حتى تراها ؟ قال نعم . فأنطلق الهدهدان حتى أتيا بلاد اليمن وصارا إلى قصرها ؛ فنظر إليها [الهدهد السليمانى] و إلى قصرها وملكها . وحضر وقت الصلاة لسليمان فلم يجد الهدهد ، فقال ما أخبر الله به عنه : ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ * لَأُعَذِّبْنَهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحْنَهُ أَوْ لَأُعَذِّبَنَّهُ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ۝ ٢١ ﴾ (٢) أى بحجة بينة . ثم دعا العقاب وقال : أنت عريف الطير ، فتعزف لى خبر الهدهد . فطار فى الشرق والغرب ، وإذا هو بالهدهد قد أقبل من جهة اليمن ، فجاء به إلى سليمان . فاستخبره عن سبب غيبته فقال : « أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبِيلٍ لَبِيبٍ

يقين . إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم .
وذ كرصفة عرشها وما فيه من أصناف الجواهر وغيرها ثم قال : « وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا
يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ » وخر ساجدا لله ، ثم رفع رأسه وقال : « أَلَا يَسْجُدُوا
لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ » . قال سليمان : « سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ
أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ » ! . ثم سأله عن الماء فقال : هو تحت قائمة كرسيك .

فأمر سليمان بتحويل البساط ، فحُول ونقر الهدهد بمنقاره فخرج الماء ، فشرب الناس
وصلوا . ثم قال للهدهد : « اذْهَبْ بِكُنَازِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ
مَاذَا يَرْجِعُونَ » وأقبل سليمان على أصف بن برخيا وقال : أكتب إلى هذه المرأة

١٦
١٢

كتابا لطيفا . فدعا بصحيفة من فضة وكتب : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . إنه من
سليمان . أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَى وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ » . وختم الكتاب وبعثه مع الهدهد في زمرة من
الطير ، فأقبلوا نحو اليمن وأنقضوا على قصرها ، ودخل الهدهد إلى قبتها من كوة من
كوى القبة وهي نائمة ، وقد وضعت خاتم مملكتها على صدرها ، فوضع الكتاب
على نحرها وطار . فلما استيقظت أخذت الكتاب وجمعت قومها ثم قالت : « إِنِّي
أَتَيْتُ إِلَى كِتَابٍ كَرِيمٍ » وفتحته وقالت : إنه من سليمان ، وقرأته عليهم وعلمت أنه

من قبل رجل عظيم . وجمعت أكابر قومها وأهل العقل والعلم الذين في مملكتها
و « قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ » . قالوا
نَحْنُ أَوَّلُو قُوَّةٍ وَأَوَّلُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ » . فعلمت عند
ذلك أنهم قد أخطأوا الرأي في عزيمتهم على الحرب و « قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا
قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَاجَ أَهْلِهَا آذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ » . وإني مُرسلة إليهم بهديّة
فناظرة يَمِرجعُ المُرسلون » .

قال : وأردت أن تختبر حال سليمان عليه السلام فقالت : إن طلب الدنيا أرضيناه بالمال وصرفنا أذاه عنا، وإن كان من الأنبياء ولم ترغبه الدنيا لم يكن لنا أمرٌ إلا الطاعة له ، فمضوا على رأيها، فأمرت باتخاذ الهدايا . فعاد الهدهد إلى سليمان وأخبره بما كان من أمرها مع قومها . فأمر سليمان أن يُفرش مِبدانه يَلِين الذهب والفضة، وأن يُبنى حَوْلَ الميدان حائطٌ من الفضة سُرفاته من الذهب، على كل سُرفَةٍ تاجٌ من الذهب مرصع بالجوهر، وأمر الجن أن يأتوا بأولادهم من الذكور والإناث، وأمر بإحضار كل فرس عجيب الخلق .

قال الثعلبي : إن سليمان عليه السلام سأل الجن عن أحسن دوابِّ رأوها في البحر . قالوا : رأينا دوابَّ في بحر كذا وكذا منمّرة منقطعة مختلفة ألوانها، لها اجنحة وأعرافٌ ونواصٍ . قال : علىَّ بها الساعة ، فأتوه بها . قال : شدوها عن يمين الميدان ويساره، ففعلوا . قالوا : وأمر سليمان الشياطين أن يُظهروا من التهويلات ما لم يُظهِروه قبل ذلك اليوم .

قال الكسائي : وكانت بلقيس قد أعدت مائةَ لَبْنَةٍ من الذهب، ومائةَ لَبْنَةٍ من الفضة ، ومائةَ غلامٍ أمرد ، لكل غلامٍ ضفائرٌ كضفائر النساء ، ومائةَ وصيفةٍ مضموماتٍ الشعر .

قال الثعلبي : وأختلفوا في عددهم، فقال الكلبي : عشرة غلمانٍ وعشر جوارٍ . وقال مقاتل : مائةٌ وصيفٍ ومائةٌ وصيفة . وقال مجاهد : مائتا غلام ومائتا جارية . وقال وهب : خمسمائة غلام وخمسمائة جارية . وألبست الغلمان ثياب الوصائف، وألبست الوصائف ثياب الغلمان .

وقال الثعلبي : قال وَهْبٌ وغيره من أهل الكتب : عمّدت بلقيسُ إلى خمسمائة جارية وخمسمائة غلام، فألبست الجوارى لباسَ الغلمان، وألبست الغلمان

لباس الجوارى ، وجعلت في سواعدهم أساور من ذهب ، وفي أعناقهم أطواقاً من ذهب ، وفي آذانهم أقراطاً ^(١) وشُئُوقاً من ذهب مرصعات بألوان الجواهر ، وحملت الجوارى على خمسمائة رَمَكَةٍ ^(٢) ، والغلمان على خمسمائة رِذْوَنٍ ، على كل فرس لحام من ذهب مرصع بالجواهر ، وغواشيتها من الدِّبَاج الملتون ، وبعثت إليه خمسمائة لَبْنَةٍ من ذهب ، وخمسمائة لَبْنَةٍ من فضة .

قالوا : وعمدت الى تاج من ذهب مرصع بالجواهر ، ومائة فرس من جياذ خيول اليمن ، عليها براقع الحرير وأجلة الدباج ، وبعثت بحقة من ذهب فيها دُرّة غير مثقوبة ، وجرع يمانى مثقوب ^(٣) معوج الثقب ، [وقارورة] وبعثت ذلك مع وزيرها ، وكتبت جواب كتاب سليمان وقالت : قد بعثت إليك بمائتي وصيف ووصيفة على سن واحدة ، وأحب أن تميز ذكورهم من إناثهم من غير أن تكشف عنهم ، ودُرّة غير مثقوبة تأمر من يثق بها من غير أن تستعين بأحد من الإنس والجن والشیاطين ، وجرع مثقوب تدخل فيه خيطا ، وقارورة تملؤها ماء ما نزل من السماء ولا نبع من الأرض .

فلما جاء الرسول ونظر الى ميدان سليمان وحيطانه وما على شرفاتها من التيجان والخيول حول الميدان ، دخل على سليمان بالجوارى والغلمان والحقة والقارورة ، ولم يظهر الذهب والفضة والخليل لأنه آستحقها بالنسبة إلى ما رآه .

(١) الاشاف جمع شف (بهت الشين المعجمة وسكون النون) وهو ما يعلق في أعلى الأذن .
وأما ما يعلق في أسفلها فهو قرط (بضم القاف وسكون الراء المهملة) .

(٢) الرمكة : الفرس .

(٣) زيادة يقتضيا الكلام الآتي .

وقال التعلبي : إنه كان مما بعثته خمسمائة لَبْنَةٍ من ذهب ، وخمسمائة لَبْنَةٍ من فضة . قال : فلمّا دنا القوم من الميدان ونظروا الى مُلْك سليمان ورأوا الدوابَّ تَرُوثُ على لَبْنِ الذهبِ والفضة رموا ما معهم من الهدايا . قال : وفي بعض الروايات أنّ سليمان لمّا أمر بفراش الميدان بلَبْنِ الذَّهَبِ والفضة أمرهم أن يتركوا على طريقهم موضعاً على قدر اللَّبْنِ التي معهم . فلمّا رأت الرسل موضع اللَّبْنِ خالياً وكل الأرض مفروشة خافوا أن يُتَّهموا بذلك ، وطرحوا ما معهم في ذلك المكان .

قال : ثم مروا على الشياطين ، فلمّا نظروا إليهم فزعوا . فقليل لهم : جُوزُوا فلا بأس عليكم . وكانوا يمتزون على كُرْدُوسٍ كُرْدُوسٍ من الجنّ والإنس والطير والسباع والوحش حتى وقفوا بين يدي سليمان عليه السلام .

قال الكِسائي : فقدم الكتابُ إلى سليمان ، فأخبر سليمان الرسول بما فيه قبل فتحه وقراءته ، وميز الوُصَفَاء من الوصائف ، وأمر دودةً فنقبت الدَّرةَ وأدخلت الخيط في الخنزَع ، وأمر أن تُساق الخيلُ حتى تعرق وتُمَلَأُ القارورة من عرقها ، وأقبل على وزير بلقيس وقال : ارجعْ إلى صاحبك بما جئت به من الهدية وقُلْ لها : « أتمدنتي بِمَالٍ فإنا آتاني اللهُ خيرٌ ممّا آتاكم بل أنتم هديتكم تَفْرَحُونَ . ارجعْ إليهم فلنأتينهم بِمَحْنُودٍ لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أدلةً وهم صاغِرُونَ » . قال : فعاد الوزير إليها بما جاء به من الهدية وأخبرها بما كان من أمر سليمان . فقالت لقومها : هل علمتم الآن أن رأيي كان أصوب من رأيكم في ترك المحاربة ؟ ومن أين لنا طاقةٌ بِمُحَرِّبِ نبي !! ثم جمعت أموالها وكنوزها وأستصحبَت ذلك معها

إِلَّا عَرَّشَهَا فَإِنَّا تَرَكْنَاهُ بِقَصْرِهَا وَأَغْلَقْتُ عَلَيْهِ سَبْعَةَ أَبْوَابٍ وَسَارَتْ إِلَى سُلَيْمَانَ وَمَعَهَا
مَلُوكُ الْيَمَنِ وَأَكْبَرُهَا وَسَادَاتُهَا ، فَبَلَغَ ذَلِكَ سُلَيْمَانَ .

قال أبو إسحاق التلعليّ رحمه الله تعالى : شَخَّصَتْ بِلَقِيسَ إِلَى سُلَيْمَانَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي آخِثٍ عَشْرَ أَلْفٍ قَيْلٍ مِنْ مَلُوكِ الْيَمَنِ ، تَحْتَ يَدِ كُلِّ قَيْلٍ مِنْهُمْ
مِائَةُ أَلْفٍ . قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : وَكَانَ سُلَيْمَانُ رَجُلًا مَهِيْبًا ،
لَا يُتَبَدَأُ بِشَيْءٍ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الَّذِي يُسْأَلُ عَنْهُ . فُخْرِجَ يَوْمًا لِيُجْلِسَ عَلَى سِرِيرِ مُلْكِهِ
فَرَأَى رَجُلًا قَرِيبًا مِنْهُ ، فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ قَالُوا : بِلَقِيسُ . قال : وَقَدْ نَزَلْتُ مِنْ هَذَا
الْمَكَانِ ؟ قَالُوا نَعَمْ . قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : كَمَا بَيْنَ الْكُوفَةِ وَالْحِيرَةِ
قَدْرُ فَرْسَخٍ .

قال : فَأَقْبَلَ حِينَئِذٍ سُلَيْمَانَ عَلَى جُنُودِهِ فَقَالَ : « يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرِّشِهَا
قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ . قال عَفْرِيْتُ مِنَ الْجَنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ
وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ » قال : أُرِيدُ أَسْرَعَ مِنْ ذَلِكَ . « قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ
الْكِتَابِ — وَهُوَ أَصْفُ بْنُ بَرْخِيَا — أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ » . قال :
وَكَانَ عِنْدَهُ اسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ . « فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقَرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي
أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ » . ثم قال
سُلَيْمَانُ : « نَكَرُوا لَهَا عَرِّشَهَا نَنْظُرُ أَتَنْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ » . فَأَقْبَلَ
عَفْرِيْتُ مِنَ الْجَنِّ وَقَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، إِن رَجُلِيهَا كَافِرٌ حَارٍ . قال له سُلَيْمَانُ : إِن
كَانَ ذَلِكَ كَمَا قُلْتَ وَإِلَّا عَاقِبَتُكَ . قال : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، أُرِيدُ أَنْ أَتَّخِذَكَ صَرْحًا^(١)
مِنْ قَوَارِيرٍ ، وَأَجْرِي فِيهِ مَاءٌ ، وَأُنْزَلَ فِيهِ الْحَيْتَانِ وَالسَّمَكُ ، فَلَا يَشْكُ مَنْ رَأَاهُ أَنَّهُ

(١) الرِّج : الْغُبَارُ أَوْ مَا أَثِيرُهُ .

(٢) الصَّرْح : الْقَصْر .

ماءً جارٍ ، فَاتَّخَذَهُ كَذَلِكَ . فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْهُ شُكْرَهُ . فَقَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، أَعُفْ عَنِّي فُلَانِي
كَذَبْتَ عَلَى بَلْقَيْسٍ فِي رِجْلَيْهَا ، فَعَفَا سَلِيْمَانُ عَنْهُ .

وَأَقْبَلَتْ بَلْقَيْسُ فَجَعَلَتْ تَنْظُرُ إِلَى الْجَنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ وَالْوَحْشِ وَغَيْرِهِمْ ،
وَهُمْ قِيَامٌ لَا يَضُرُّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا . فَلَمَّا قَارَبَتِ الصَّرْحَ الْمُرْدَّ إِذَا بِعَرْشِهَا ، فَتَعَجَّبَتْ .
فَقِيلَ : أَهَكَذَا عَرْشُكَ ؟ قَالَتْ : كَأَنَّهُ هُوَ ، وَعَلِمْتُ أَنَّهُ هُوَ ، وَأَنَّهُ مِنْ قُدْرَةِ
الْأَنْبِيَاءِ .

قَالَ : فَلَمَّا أَقْبَلْتُ إِلَى الصَّرْحِ حَسِبْتُهُ لُجَّةً وَكَشَفْتُ عَنْ سَاقَيْهَا . فَنَادَاهَا سَلِيْمَانُ :
إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَزَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ . فَأَرْسَلْتُ نَوْبَهَا عَلَى سَاقَيْهَا حَيًّا مِنْ سَلِيْمَانٍ ، ثُمَّ « قَالَتْ
رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسَأَمْتُ مَعَ سَلِيْمَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ » ثُمَّ أَسْلَمَ قَوْمُهَا .

١٠ قَالَ الثَّعْلَبِيُّ : اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي أَمْرِهَا بَعْدَ إِسْلَامِهَا ، فَقَالَ أَكْثَرُهُمْ : لَمَّا
أَسَأَمْتُ بَلْقَيْسُ أَرَادَ سَلِيْمَانُ أَنْ يَتَرَجَّعَهَا . فَلَمَّا هَمَّ بِذَلِكَ كَرِهَ مَا رَأَى مِنْ كَثْرَةِ شَعْرِ
سَاقَيْهَا وَقَالَ : مَا أَقْبَحَ هَذَا ! . فَسَأَلَ الْإِنْسَ : يَمَّ يَذْهَبُ هَذَا ؟ فَقَالُوا : بِالْمَوْسَى .
فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ : لَمْ يَمْسَسْنِي الْحَدِيدُ قَطُّ ، فَكَرِهَهُ سَلِيْمَانُ . فَسَأَلَ الْجَنِّ ، فَقَالُوا : لَا نَدْرِي .
فَسَأَلَ الشَّيَاطِينَ فَكَرُّوا عَلَيْهِ ، فَلَمَّا أَلَحَّ عَلَيْهِمْ قَالُوا : نَحْنُ نَحْتَالُ عَلَيْهِ حَتَّى يَكُونَ
كَالْفَضَّةِ الْبَيضاء ، فَاتَّخَذُوا لَهَا الثُّورَةَ^(١) وَالْحَتَامَ . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا :
١٥ هُوَ أَوَّلُ يَوْمٍ أُتِيحَتْ فِيهِ الثُّورَةُ . وَقَالَ الْكِسَائِيُّ فِي سِيَاقَةِ خَبَرِهِ : ثُمَّ قَالَتْ
بَلْقَيْسُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، أَرَى خَاتَمَكَ مَتَقَوَّشًا ، فَمَا الَّذِي عَلَيْهِ ؟ قَالَ : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ » . قَالَتْ : وَمَنْ مُحَمَّدٌ ؟ قَالَ : نَبِيٌّ يَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ ، فَأَمِنَتْ

$\frac{18}{12}$

(١) الثورَةُ : حجر الكلس ثم غلب على أخطاط تضاف إلى الكلس من زرنينغ وغيره ويستعمل لإزالة

يلقيس به . ثم قال لها بعد إيمانها : أتحبُّين أن ترجعي إلى بلادك وما كنت فيه ؟
قالت : لا ، بل أكون معك من بعض نسائك ، فتزوج بها سليمان عليه السلام .

هذا ما أورده الكسائي . وفيه زياداتٌ نقلها أبو إسحاق الثعلبيّ - قد ذكرناها
في أثناء القصّة ونبّهنا عليها وسبناها إلى قائلها . وحكى الثعلبيّ أيضاً في هذه القصّة
زياداتٍ قد رأينا إثباتها ؛ فمن ذلك وصّف قصرها وعرشها .

ذكر صفة القصر الذي بنته بلقيس وصفة عرشها

قال أبو إسحاق الثعلبيّ قال الشعبيّ : يُروى أن بلقيس لما ملكت أمرت
فحمل إليها خمسمائة أسطوانة من الرّخام ، كلّ أسطوانة خمسون ذراعا ، وأمرت
بها فنصبّت على تلّ قريب من مدينة صنعاء ، وخطّت بين كلّ أسطوانتين عشرة
أذرع ، ثم جعلت على ذلك سقفاً مبسوطةً بالواح الرّخام وألحمت بعضها إلى بعض
بالرصاص حتى صارت كأنها لوح واحد . ثم بنت فوق ذلك قصراً مربعاً من آجر
وجعلت في كلّ زاوية من زواياه قبةً من ذهب مشرفةً في الهواء ، وفيما بين ذلك
محالسٌ حيطانها من ذهب وفضة مربعة بأنواع الجواهر الملونة ، فكانت الشمس
إذا طلعت على ذلك القصر آتت بهب الذهب والجوهر فيكاد يُعشّش العيون وتحرأ فيه
الابصار . وجعلت باب ذلك القصر ممّا يلي المدينة بدرج من الرخام الأبيض
والأحمر والأخضر ، وفي جانبه حجراً مجتّبا وبوابها وحرسمها وخدمها وحشمها على
قدر مراتبهم .

قال : وأما صفة عرشها فكان مقدّمه من ذهب مفصّص بالياقوت الأحمر
والزمرّد الأخضر ، ومؤثّره من فضة مكلّل بأنواع الجواهر ، وله أربع قوائم :

قَائِمَةٌ مِنْ يَاقُوتٍ أَحْمَرَ، وَقَائِمَةٌ مِنْ يَاقُوتٍ أَصْفَرَ، وَقَائِمَةٌ مِنْ زُمْرَدٍ أَخْضَرَ، وَقَائِمَةٌ مِنْ دُرٍّ أَصْفَرَ، وَصَفَائِحُ السَّرِيرِ مِنْ ذَهَبٍ . وَعَلَيْهِ سَبْعَةُ بَيْوتَ ، عَلَى كُلِّ بَيْتٍ بَابٌ مُغْلَقٌ ، وَكَانَ ثَمَانِينَ ذِرَاعًا فِي ثَمَانِينَ ذِرَاعًا ، وَطَوْلُهُ فِي الْهَوَاءِ ثَمَانُونَ ذِرَاعًا ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ : ﴿ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ . أَيْ سَرِيرٌ ضَخْمٌ .

ذِكْرُ خَيْرِ وَادِي الْقِرَدَةِ

قال الكسائي : وبنينا سليمان عليه السلام مع بلقيس ذات يوم إذ قال لها : أكل اليمن في طاعتك ؟ قالت : نعم ، إلّا وادٍ عن يمين سبأ ، فيه أشجار ومياه غلبت عليه القردة وأزاحوا عنه سُكَّانَهُ ، وهو وادٍ طويلٌ عريضٌ ، وهم في كثرة ، وإنهم على سُنَنِ الْيَهُودِ لَا يَتْبَاعُونَ يَوْمَ السَّبْتِ . فبعث سليمانُ الْعُقَابَ لِيَأْتِيَهُمْ بِخَبَرِهِمْ . فطار إلى الوادي وعاد إليه قبل أن يقوم من مقامه ذلك ، وأخبره بكثرتهم . فركب سليمانُ الرِّيحَ على لِسَاطِهِ فِي قُبَّةِ الْقَوَارِيرِ ، وسار في نفر من بني إسرائيل حتى نزل على شفير الوادي ، فعلم القردة أنه سليمان ، فبادروا إلى طاعته وأتوه ، وقالوا : يا نبي الله ، إنا من نَسْلِ الْيَهُودِ الَّذِينَ أَعْتَدُوا فِي السَّبْتِ ، ونحن على دين موسى نعملُ بِأحكامِ التَّوْرَةِ ، وسألوه أن يُقَرِّهَمُ فِي ذَلِكَ الْوَادِي ، فَأَقْرَهُمُ فِيهِ وَكُتِبَ لَهُمْ سِجْلًا عَلَى لَوْحٍ مِنْ نُحَاسٍ وَجَعَلَهُ فِي عُنُقِ كَبِيرِهِمْ يَتَوَارَثُونَهُ ، ثُمَّ أَنْصَرَفَ عَنْهُمْ . هَكَذَا نَقَلَ . وَالصَّحِيحُ أَنَّ الَّذِينَ أَعْتَدُوا فِي السَّبْتِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ مُسِيخٍ لَمْ يُعَقِّبُوا . وَفِي الصَّحِيحِ : إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلْ لِمَسِيخٍ نَسْلًا ^(١) .

ذكر خبر الرجل الذى قُبِضَ بأرض الهند

- ١٩
١٢ قال الكسائى : كان سليمان عليه السلام قد سأل الله تعالى أن يرِيَهُ مَلَكُ الموت فأراه إِيَّاهُ ، وكان يعودُهُ ويأتيهِ في كل خميس . فأتاه في بعض الأيام على صورة البشر ، وجعل يُطِيلُ النظرَ إلى رجلٍ في مجلسِ سليمان حتى اربعَبَ ذلك الرجل . فلَمَّا فارقه مَلَكُ الموت قال : يا نبيَّ الله ، لقد فزعَنى هذا الرجل الذى كان في مجلسك من نظره إلى ، فَمَنْ هو ؟ قال : هو مَلَكُ الموت . قال : يا نبيَّ الله أسألك أن تأمُرَ الريح أن تمحِلنِي إلى أرض الهند ، فأمرها سليمان فحملته من مجلسه ووضعتهُ بأرض الهند . ثم جاء مَلَكُ الموت إلى سليمان ، فقال له : قد كنتَ اليوم عندى وأنت تنظرُ إلى ذلك الرجل نظرًا شافيًا حتى خاف منك . قال : يا نبيَّ الله ، إني كنتُ قد أمرت بقبض رُوحه في موضع من أرض الهند في هذا اليوم ، فلَمَّا رأيته عندك عَجِبْتُ متى يصل إلى الهند ، فإذا الريح قد جاءت به ، فألقته في البقعة التى أَمَرْتُ بقبض رُوحه فيها ، فقبضتُ رُوحه هناك . فعَجِبَ سليمان عليه السلام من ذلك .

ذكر خبر الفتنة وذهاب خاتم سليمان عليه السلام ورجوعه اليه

- ١٥ قال الكسائى : كان سليمان عليه السلام كَلَّمَا نزل بمِيزٍ من البرارى بَنَتِ الجنُّ والشياطين له قصرًا بديعًا ، فإذا تحوَّل عنه خزبوه . وكان له قصر على ساحل البحر من بناء الجنِّ ، فأمرهم أن يتركوه على حالته . فجاء سليمان إلى ذلك القصر ففترله ، وكان يحضر الجنى معه وهو شديد الحرص على أن يسلبه الخاتم ؛ لأنه كان قد علم أن مُلْكَهُ في خاتمِهِ . وكان لسليمان جاريةٌ أسمها « الأمانة » فكان إذا أراد الدخول إلى الخَلْوَةِ بنسائه يسلم الخاتم إليها ، فإذا اغتسل أخذ خاتمَهُ منها ، وكذلك إذا أراد الوضوء . فجاء سليمان في بعض الأيام ففتر ذلك القصر وأراد

الوضوء، فدفع الخاتم الى الجارية. بقاء صخر وقد ألقي على نفسه صورة سليمان، فقال للجارية: هات الخاتم، فناولته إياه وهي لا تعلم. فلما صار الخاتم في يد صخر لم يستقر في يده لأنه شيطان، فرماه في البحر، بقاء حوت بإذن الله فأبتلعه. ومضى صخر وهو على صورة سليمان بفلس على كرسيه ومعه الناس وهم يظنون أنه سليمان؛ فذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ﴾ قيل: الجسد هو صخر الجنى.

قال: وخرج سليمان من الخلاء وقد غير الله صورته إلى صورة صخر، فطلب الخاتم، فقالت الجارية: أعود بالله منك، قد دفعت الخاتم إلى سليمان. فعلم أن الله قد أوقع به البلية، فخرج يريد القصر ويقول للناس: أنا سليمان، والناس يهزءون بقوله ويقولون: لست سليمان أنت صخر الجنى. فجعل سليمان يدور على جميع الناس وهم على كلمة واحدة في إنكاره، وجعل يدور في القرى ويقول: أنا سليمان والناس يَشْتُمُونَهُ حتى لَزِقَ بطنه بظهوره من الجوع، فقال: إلهي إنك آبتيت كثيرا من الأنبياء ولم تحرمهم رزقك. إلهي إني تائب إليك من خطيئتي. فلم يزل سليمان كذلك أربعين يوما لم يَطْعَمَ شيئا، ثم وجد قرصة يابسة ملقاة، فأخذها ولم يقدر على أكلها ليئسها، فأقبل الى ساحل البحر وقعد يئس القرصة فاستلبتها الأمواج من يده. فقال: إلهي رزقتني بعد أربعين يوما قرصة يابسة نزلت حتى ألبها فاستلبتها الأمواج من يدي وأنت المتكفل بأرزاق العباد، وأنا عبدك المذنب، فارزقني فانت الرزاق الكريم. ثم جعل يمشي على الساحل وهو يبكي، فإذا هو بقوم يصطادون السمك، فسألهم شيئا من الطعام فنعوه وطرده وقالوا له: انصرف عنا، فأرأينا أوحش من وجهك. قال: ما عليكم من وجهي إذا أطعمتموني؟! قالوا: وحق سليمان

إِنْ قُتِلْنَا إِلَيْكَ لَنُوجِعَنَّكَ ضَرْبًا إِنْ لَمْ تَرْحَ عَنَّا . قال : يا قوم ، فإنا والله سُلَيْمَانُ .
فَضْرِبَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ عَلَى رَأْسِهِ وَقَالَ : أَتُكْذِبُ عَلَى نَبِيِّ اللَّهِ ! فَبَكَى حَتَّى بَكَتِ الْمَلَائِكَةُ
لِبُكَائِهِ وَرَحِمَهُ أُولَئِكَ الْقَوْمُ وَنَاوَلُوهُ سَمَكَةً وَأَعْطَوْهُ سِكِّينًا ، فَشَقَّ بَطْنَهَا لِيُصْلِحَهَا
وَيَسْوِيَهَا وَيَأْكُلَهَا ، فَخَرَجَ الْخَلَاءُ مِنْ بَطْنِهَا فَغَسَلَهُ وَجَعَلَهُ فِي إَصْبَعِهِ ، وَعَادَ إِلَيْهِ حَسَنُهُ
وَجَمَالُهُ ، فَوَضَعَ السَّمَكَةَ وَسَارَ يَرِيدُ قَصْرَهُ ، فَجَعَلَ يَمُرُّ بِتِلْكَ الْقَرْيَةِ ، فَكُلُّ مَنْ كَانَ قَدْ
أَنْكَرَهُ عَرَفَهُ وَتَسَبَّحَ لَهُ . وَبَلَغَ ذَلِكَ صَخْرًا الْجَنِيِّ فَهَرَّبَ . وَعَادَ سُلَيْمَانُ إِلَى قَصْرِهِ وَاجْتَمَعَ
لَهُ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ وَالشَّيَاطِينُ وَالسَّبَاعُ وَالْهَوَامُّ كَمَا كَانُوا أَوَّلَ مَرَّةٍ . فَبَعَثَ الْعِفَارِيتَ
فِي طَلَبِ صَخْرٍ فَأَتَوْهُ بِهِ ، فَأَمَرَ أَنْ يَنْقُرُوا لَهُ صَخْرَتَيْنِ وَصَفِّدَهُ بِالْحَدِيدِ وَجَعَلَهُ بَيْنَهُمَا
وَأَطْبَقَهُمَا عَلَيْهِ وَخَتَمَ عَلَيْهِ بِخَاتَمِهِ وَطَرَحَهُ فِي بُحِيرَةٍ طَبَرِيَّةٍ . يُقَالُ : إِنَّهُ فِيهَا إِلَى
يَوْمِ الْقِيَامَةِ . ثُمَّ أَمَرَ اللَّهُ الرِّيحَ أَنْ تَحْشُرَ لَهُ سَائِرَ الشَّيَاطِينِ فَحَشَرَتْ لَهُ ، فَصَفَّدَ
مَرَدَّتَهُم بِالْحَدِيدِ وَحَبَسَهُمْ . هَذَا مَا أوردته الكِسَائِيُّ فِي قِصَّةِ الْفَتْنَةِ ، وَهُوَ أَوَّلُ
مَا أوردته وأشبهه ما نقل .

وحكى الثعلبي رحمه الله في خبر الفتنة قال قال محمد بن إسحاق قال
بعض العلماء عن وهب بن منبه قال : سمع سليمان عليه السلام أن في جزيرة
من جزائر البحر رجلاً يقال له «صِيدُون» ملك عظيم الشأن لم يكن لأحد من الناس
عليه سبيل لمكانه في البحر . وقال غيره : إن هذه الجزيرة مسيرة شهر في مثله ،
وفيهما عجائب كثيرة وأشجار وأنهار ، وفي وسطها مجلس على عمد من مرمر ملون ،
والمجلس من ذهب مفصل بأنواع الجواهر يُشرف على جميع الجزيرة . وقيل :
إنه كان ساحراً ، فكانت الجنُّ تُطِيف به وتعمل له العجائب ، فدُلَّ سليمان
عليها فغزاه .

- نَرْجِعُ إِلَى سِيَاقِ الثَّعْلَبِيِّ قَالَ : فَخَرَجَ سَلِيَانٌ إِلَى الْجَزِيرَةِ تَحْمِلُهُ الرِّيحُ عَلَى ظَهْرِ الْمَاءِ حَتَّى نَزَلَ بِهَا بِجُنُودِهِ مِنَ الْحَقِّ وَالْإِنْسِ ، فَقَتَلَ مَلِكَهَا وَسَيِّ مَافِيهَا ، وَأَصَابَ فِيهَا أَصَابَ بِنْتُ الْمَلِكِ وَأَسْمُهَا «جَرَادَةُ» لَمْ يَرِ النَّاسُ مِثْلَهَا حَسَنًا وَجَمَالًا ، فَاصْطَفَاهَا سَلِيَانٌ لِنَفْسِهِ ، وَدَعَاهَا إِلَى الْإِسْلَامِ فَاسْلَمَتْ عَلَى جَفَاءٍ مِنْهَا وَقَلَّةٍ نَفْسَةٍ ، وَأَحْبَبَهَا سَلِيَانٌ حُبًّا لَمْ يَحِبَّ شَيْئًا مِنْ نِسَائِهِ ، وَكَانَتْ مَنَزَلُهَا عِنْدَهُ مَنَزَلَةً عَظِيمَةً ، وَكَانَ لَا يَذْهَبُ حَزْنُهَا وَلَا تَرْفًا دَمْعُهَا^(١) ٥ عَلَى أَبِيهَا . فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى سَلِيَانٍ وَقَالَ لَهَا : وَيْحَكِ ! مَا هَذَا الْحَزْنُ الَّذِي لَا يَذْهَبُ ، وَالِدَمْعُ الَّذِي لَا يَرِفُ ! . قَالَتْ : إِنِّي أَذْكُرُهُ وَأَذْكُرُ مُلْكَهُ وَمَا كَانَ فِيهِ وَمَا أَصَابَهُ فَيَحْزُنُنِي ذَلِكَ . قَالَ سَلِيَانٌ : فَقَدْ بَدَّلَكَ اللَّهُ مُلْكًا أَعْظَمَ مِنْ مُلْكِهِ ، وَسُلْطَانًا أَعْظَمَ مِنْ سُلْطَانِهِ ، وَهَذَا إِلَى الْإِسْلَامِ وَهُوَ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ . قَالَتْ : إِنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ ، وَلَكِنْ إِذَا ذَكَرْتَهُ أَصَابَنِي مَا تَرَى مِنَ الْحَزَنِ . وَلَوْ أَنَّكَ أَمَرْتَ الشَّيَاطِينَ فَصَوَّرُوا ١٠ لِي صُورَتَهُ فِي دَارِي أَرَاهَا بُكْرَةً وَعَشِيَّةً لِرَجُوتُ أَنْ يَذْهَبَ ذَلِكَ ، وَأَنْ يَسْكُنَ عَنِّي بَعْضُ مَا أَجِدُ فِي نَفْسِي . فَأَمَرَ سَلِيَانُ الشَّيَاطِينَ أَنْ يُمَثِّلُوا صُورَةَ أَبِيهَا فِي دَارِهَا حَتَّى لَا تَتَكْرَمَنَّ شَيْئًا ، فَمَثَلُوا لَهَا حَتَّى نَظَرَتْ إِلَى أَبِيهَا بِمِثْلِ ثِيَابِهِ الَّتِي كَانَ يَلْبَسُ فِيهِ . فَعَمِدَتْ إِلَيْهِ حِينَ صَنَعُوهُ فَأَزْرَتْهُ وَقَصَصَتْهُ وَعَمَّمَتْهُ بِمِثْلِ ثِيَابِهِ الَّتِي كَانَ يَلْبَسُ . ١٥ ثُمَّ كَانَتْ إِذَا خَرَجَ سَلِيَانٌ مِنْ دَارِهَا تَغْدُو عَلَى ذَلِكَ التَّمثالِ هِيَ وَوَلَا تُدْهِأُ فَيَسْجُدُنَ لَهُ كَمَا كَانَتْ تَصْنَعُ ذَلِكَ فِي مُلْكِهِ ، وَتَفْعَلُ ذَلِكَ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً وَسَلِيَانٌ لَا يَعْلَمُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا . وَبَلَغَ ذَلِكَ آصِفَ بْنَ بَرِّخِيَا ، وَكَانَ صَدِيقًا ، وَكَانَ لَا يُرَدُّ مِنْ بَابِ سَلِيَانٍ مَتَى أَرَادَ دُخُولَهُ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ ، فَأَنَاهُ فَقَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، كَثِيرَتْ سَنِي ، وَدَقَّ عَظْمِي ، وَتَقَدَّرَ عَمْرِي ، وَقَدْ حَانَ مِنِّي الذَّهَابُ ، وَقَدْ أَحْبَبْتُ أَنْ أَقُومَ ٢٠ مَقَامًا قَبْلَ الْمَوْتِ أَذْكُرُ فِيهِ مِنْ مَضَى مِنْ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ وَأُثْنِي عَلَيْهِمْ بِعَلَمِي ، وَأُعَلِّمُ النَّاسَ

(١) لَا تَرْفًا : أَيْ لَا تَحْجَفُ وَلَا تَقْطَعُ .

ما يجهلون من كثير من أمورهم، فقال : افعل . فجمع له سليمان الناس فقام فيهم خطيبا، فذكر من مضى من أنبياء الله وأثنى على كل منهم بما فيه، وذكر ما فضلهم الله به حتى انتهى إلى سليمان، فقال : ما كان أحلمك في صغرك، وأورعك وأفضلك في صغرك، وأحكم أمرك في صغرك، وأبعدك من كل ما تكره في صغرك، ثم انصرف .

فوجد سليمان في نفسه من ذلك . فلما دخل سليمان داره أرسل إلى آصف بن برخيا فقال : ذكرت من مضى من أنبياء الله، وأثبتت عليهم خيرا في كل زمانهم، وفي كل حال من أمورهم؛ فلما ذكرتني جعلت تثنى عليّ بخير في صغري وسكت عما سوى ذلك من أمري في كبري، فإذا أحدثت في آخر أمري ؟ قال : لأن غير الله يُعبد في دارك أربعين يوما في هوى امرأة . قال سليمان : في داري ! قال : نعم في دارك .

فاسترجع سليمان ثم دخل داره فكسر ذلك الصنم، وخافت تلك المرأة . ثم أمر سليمان بتياب الطهر فأتي بها، وهي ثياب لا يغزلها إلا الأبكار ولا تمسها امرأة ذات دم، فلبسها ثم خرج إلى فلاة من الأرض وحده ، فأمر برماد ففرش له ، ثم أقبل ثائبا إلى الله حتى جلس على ذلك الرماد تذللًا لله تعالى وتضرعا إليه، يبكي ويدعو ويستغفر مما كان في داره ، فلم يزل ذلك دأبه حتى أمسى، ثم رجع إلى داره . وكان له وليدة يقال لها «الأمينة» ، فكان إذا دخل لحاجته أو أراد إصابة امرأة من نسائه وضع خاتمها عندها حتى يتطهر، فوضعه يوما من الأيام عندها ثم دخل لقضاء حاجته، فأتاها صخر الحنّى على صورة سليمان لا يُنكر منه شيء ، فقال لها : يا أمينة، خاتمي؛ فناولته إياه، فجعله في يده ثم خرج حتى جلس على سرير سليمان وعكفت عليه الجن والإنس والطير . وخرج سليمان فأتى الأمينة وقد تغير عن حليته وهيئته عند كل من يراه . فقال : يا أمينة . قالت : ومن أنت ؟ قال : أنا سليمان بن داود . قالت : كذبت لست سليمان، وقد جاء سليمان وأخذ خاتمته وهو جالس على سريره في ملكه،

فعرَفَ سَليمانُ أَنَّ خَطيئَتَهُ قد أدركته ، بفعل يقف على الدار من دور بنى إسرائيل
 فيقول : أنا سَليمان بن داود ، فيَحْثُونُ عليه التراب ويسبُونه ويقولون : أنظروا
 إلى هذا المجنون يزعم أنه سَليمان . فلَمَّا رأى سَليمان ذلك عمَدَ إلى البحر ، فكان
 ينقل الحِيتانَ لأصحاب البحر منه الى السوق فيعطونه كلَّ يوم سمكتين ، فإذا أمسى
 باع إحدى سمكته بأرغفة ويشوى الأخرى فَيأكلها . فمكث كذلك أربعين صباحا
 عِدَّة ما كان ذلك الوثن في داره .

قال : وأنكرَ آصِفَ وعظَّمُ بنى إسرائيل حُكْمَ عدوِّ الله الشيطان في تلك المدة .
 فقال آصِفُ : يامعشر بنى إسرائيل ، هل رأيتم من اختلاف حكم سَليمان بن داود
 ما رأيتم ؟ قالوا نعم . قال : أمهلونى حتى أدخل على نسائه وأسألهن هل أنكرنَ
 منه فى خاصَّة أمره ما أنكرناه فى عامَّة أمرِ الناس ، فدخل على نسائه فقال: ويحكى !
 هل أنكرتن من أمر نبيِّ الله سَليمان ما أنكرناه ؟ فقلن : أشدَّ وأعظم ، ما يدع امرأة
 متا فى دمها ، ولا يفتسل من جنابة . فقال آصِفُ : إنا لله وإنا إليه راجعون ،
 إن هذا هو البلاء المبين . ثم خرج إلى بنى إسرائيل فقال : ما فى الخاصَّة أعظم
 ممَّا فى العامَّة . فلَمَّا مضت أربعون صباحا طار الشيطان عن مجلسه ثم مرَّ بالبحر
 ففقد الخاتم فيه ، فأبتلته سمكة وأخذها بعض الصيادين ، وقد عمل له سَليمان
 صدرَ يومه حتى إذا كان آخرُ النهار أعطاه سمكته ، فأعطى السمكة التى آبتلت
 الخاتم ، وحمل سَليمان سمكته فباع التى ليس فيها الخاتم بالأرغفة ، ثم عمَدَ إلى السمكة
 الأخرى فبقرها ليشويها ، فأستقبله الخاتم من جوفها فأخذه ، بفعله فى يده ووقع
 ساجدا لله تعالى ، وعكفت عليه الطير والوحش والجن . وأقبل إليه الناس ورجع إلى ملكه
 وأظهر التوبة من ذنبه ، وأمر الشياطين بإحضار صخر فأدخله فى صخرة عظيمة ،
 ثم شدَّ عليه أخرى ، ثم أوثقهما بالحديد والرصاص ، ثم أمر به فُقِذَ فى البحر .

هذا حديث وهب . وقال السُّدِّيُّ في سبب الفتنة : كان لسليمان مائة امرأة وكانت منهن امرأة يُقال لها « جَرَادَةٌ » وهى آثر نساءه وآمنهنَّ عنده ، وكان إذا أجنبَ أو أتى حاجته نزع خاتمَه ولم يأتَمِنْ عليه غيرها . فجاءها يوما من الأيام فقالت له : إنا أنحى بينه وبين فلان خصومة ، وإني أحبُّ أن تُقضىَ له إذا جاءك . قال نعم ، ولم يفعل ؛ فأبْتَلَى بِقوله وأعطاهَا خاتمَه ودخل المذهب^(١) ، فخرج الشيطان في صورته فقال لها : هاتى الخاتم ، فأعطته إيَّاه ، فجاء حتى جلس على مجلس سليمان ، وخرج سليمان بعده فساها أن تُعطيَه الخاتم فقالت : ألم تأخذهُ؟ قال : لا ! وخرج من مكانه . ومكث الشيطان يحكم بين الناس أربعين يوما ، فأنكر الناس حكمه ، فأجتمع قراء بنى إسرائيل وعلماؤهم فجاءوا حتى دخلوا على نساءه فقالوا : إنا قد أنكرنا هذا ، فإن كان سليمان قد ذهب عقله وأنكرنا حكمه ، فأبكي النساء عند ذلك . فاقبلوا يمشون حتى أتوه فأحدقوا به ثم نشروا التوراة فقرءوها ، فطار الشيطان من بين أيديهم حتى وقع على شُرْفَةٍ والخاتم معه حتى ذهب إلى البحر فوقع الخاتم في البحر فأبتلعه الحوت . فاقبل سليمان في حالته التي كان فيها حتى أتتهى إلى صيادين وهو جائع فاستطعمهم من صيدهم وقال : إني سليمان بن داود . فقام إليه بعضهم فضربه بعصاه فشجّه . فجعل يغسل دمه وهو على شاطئ البحر ، فلام الصيادون صاحبه الذى ضربه وقالوا : بشما صنعتَ حيث ضربته . فقال : إنه زعم أنه سليمان بن داود!

٢٢
١٢

١. (١) المذهب : المتوضأ .

(٢) كذا في الأصول . وعبارة التعليق : « واجتمع قراء بنى إسرائيل وعلماؤهم فجاءوا حتى دخلوا على نساءه فذكروا لمن ما أنكروا فقالوا : ونحن قد أنكرنا هذا فإن كانت سليمان قد ذهب عقله وأساء أحكامه فليس لنا صبر على ذلك ، فبكي النساء عند ذلك ... الخ » .

٢٠

فأعطاه سمكتين . فقام إلى ساحل البحر فشق بطونهما وجعل يغسلهما ، فوجد خاتمه في بطن إحداهما ، فأخذه ولبسه وردّ الله تعالى عليه مُلكه وبهاءه ، وجاءت الطير فعكفت عليه ، فعرفه القوم فقاموا يعتذرون إليه مما صنعوا . فقال : ما أؤاخذكم على عدوانكم ولا ألوكم على ما كان منكم ، هذا ما كان لا بدّ منه . وجاء حتى أتى مُلكه ، فأخذ الشيطان بفعله في صندوق من حديد ثم أطبقه وأقفل عليه بقفل وختمه بخاتمه ، ثم أمر به فألقى في البحر ، وهو فيه كذلك إلى يوم القيامة .

قال : وفي بعض الروايات أنّ سليمان لما أفتن سقط الخاتم من يده ، فأخذه سليمان فأعاده إلى يده ، فسقط من يده . فلما رآه لا يثبت في يده أيقن بالفتنة . وقال أصف لسليمان : إنّك مفتون بذهبك والخاتم لا يتأسك أربعة عشر يوماً ، ففرّ إلى الله تعالى تائباً من ذنبك وأنا أقوم مقامك وأسير في عملك وأهل بيوتك بسيرتك حتى يتوب الله عليك ويردّك إلى مُلكك . ففرّ سليمان هارباً إلى ربه ، وأخذ أصف الخاتم ووضع في يده فثبت . وإنّ الجسد الذي قال الله تعالى : ﴿ وَالْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ﴾ هو أصف كاتب سليمان ، وكان عنده علم من الكتاب . فاقام أصف في مُلك سليمان يسير سيرته ويعمل بعمله أربعة عشر يوماً ، إلى أن رجع سليمان إلى منزله تائباً إلى الله تعالى ، وردّ الله تعالى عليه مُلكه ، وقام أصف من مجلسه وجلس سليمان على كرسيه وأعاد الخاتم في يده فثبت فيها .

قال أبو إسحاق : وقيل في سبب ذلك ما روى عن سعيد بن المسيّب أنّ سليمان احتجب عن الناس ثلاثة أيام ، فأوحى الله تعالى إليه أنّ يا سليمان احتجب عن عبادي ثلاثة أيام فلم تنظر في أمورهم ولم تُنصف مظلوماً من ظالم . وذكر

(١) هذه عبارة التلوي . وفي الأصول : « وهو حيّ كذلك إلى الساعة »

حديث الخاتم وأخذ الشيطان إياه كما تقدم، وقال في آخره: قال علي: فذكرت ذلك للحسن فقال: ما كان الله ليسأطه على نسائه ^(١).

قال وقال بعض المفسرين: كان سبب فتنة سليمان أنه أمر ألا يتزوج امرأة إلا من بنى إسرائيل، فتزوج من غيرهم فعُوقب على ذلك.

وقيل: إن سليمان لما أصاب آبنة الملك صيدون أعجب بها، فعرض عليها الإسلام فأبت وأمتنعت، فخوفها فقالت: إن أكرهتني على الإسلام قتلْتُ نفسي. فخاف سليمان أن تقتل نفسها، فتزوج بها وهي مشركة أربعين يوما، وكانت تعبد صنما لها في خفية من سليمان إلى أن أسلمت، فعُوقب سليمان بزوال ملكه أربعين يوما.

قال وقال الشعبي في سبب ذلك: إن سليمان وُلد له ولد، فأجتهت الشياطين وقال بعضهم لبعض: إن عاش له ولد لم ننكح مما نحن فيه من البلاء والسُّخرة، وما لنا إلا أن نقتل ولده أو نَحْبَلَه. فعلم سليمان بذلك، فأمر السحاب أن يأخذ آبنه، وأمر الريح فحملته، وغدا آبنه في السحاب خوفا من مضرة الشيطان. فعاقبه الله تعالى بخوفه من الشيطان، ومات الولد فألقِي ميتا على كرسيه، فهو الجسد الذي ذكره الله تعالى في كتابه العزيز؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ﴾.

(١) في نسخة التعلي المطبوعة بعد هذه العبارة ما نصه: «ونعوذ بالله أن يسلط الشيطان على نساء أنبيائه بالمباشرة». وكيف يعتقد ذلك أحد وقد نزه الله تعالى أنبياءه عن مثل هذا القبيح. وهذا قول أصح الأقوال وأليق بأنبياء الله تعالى وأقرب إلى التقوى... الخ.»

ذكر عزرم سليمان عليه السلام أن يطوف على نسائه

قال الكسائي: كان سليمان عليه السلام قد أُعطيَ من القوة ما إنه يأتي على خمسمائة حرة وسبعائة سُرَّية . فقال في يوم : لأطوفنَّ على ألف امرأة وأجامعهنَّ كلهنَّ ، فتحمل كل واحدة منهنَّ بغلامين فارسين يركبون الخيل ويغزون البلاد ، ولم يقل إن شاء الله . وطاف عليهنَّ فلم تحمل منهنَّ غير واحدة ، حملت بنصف إنسان ، قيل : إنه الجسد الذي أُلقيَ على كرسى سليمان . والله تعالى أعلم .

والذي ثبت من هذه القصة ما روينا من صحيح البخاري بسندنا المتقدم إليه . قال البخاري حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ مَخْلَدٍ حَدَّثَنَا مُغِيرَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِي الزِّنَادِ عَنْ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : ” قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ لِأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى سَبْعِينَ امْرَأَةً تَحْمِلُ كُلُّ امْرَأَةٍ فَارِسًا يَجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَلَمْ يَقُلْ ، وَلَمْ تَحْمِلْ شَيْئًا إِلَّا وَاحِدًا سَاقِطًا إِحْدَى شِقَّتَيْهِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْ قَالَهَا لَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ . قَالَ شُعَيْبٌ وَابْنُ أَبِي الزِّنَادِ تَسْعِينَ وَهُوَ أَصَحُّ ^(١) .

٢٣
١٢

ذكر وفاة بلقيس زوجة سليمان عليه السلام

قال الكسائي: أقامت بلقيس عند سليمان سبع سنين وسبعة أشهر ثم توفيت ، فدفنها بمدينة تدمر من أرض الشام تحت حائط ، ولم يعلم أحد بموضع قبرها إلى أيام الوليد بن عبد الملك بن مروان .

(١) راجع صحيح البخاري (ج ٤ ص ١٢٦ طبع بلاق سنة ١٢٩٦ هـ) .

(٢) تدمر : مدينة قديمة معناها بالعبرانية « النخيل » وكانت عامرة ذات تجارة واسعة ، وهي واقعة بطرف بادية الشام في الشمال الشرقي من دمشق ، تميز عليها القوافل بين الشام والعراق من القرن السادس قبل الميلاد . (راجع معجم الخريطة التاريخية الإسلامية) .

قال موسى بن نصير: بُعِثْتُ في أيام الوليد إلى مدينة تَدْمُرَ ومعى العباس بن الوليد بن عبد الملك، بجاء مطر عظيم فَأَنهَارَ بَعْضُ حَائِطِ الْمَدِينَةِ ، فَأَنكَشَفَتْ عَنْ تَابُوتِ طَوْلِهِ سِتُونَ ذِرَاعًا وَعَرَضَهُ أَرْبَعُونَ ذِرَاعًا مُتَّخِذٍ مِنْ حِجْرِ كَالِزَّعْفَرَانِ مَكْتُوبٍ عَلَيْهِ : « هَذَا تَابُوتُ بَلْقِيسَ الصَّالِحَةِ أَسَامَتْ لثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً خَلَتْ مِنْ مُلْكِكَ سَلِيمَانَ ، وَتَزَوَّجَ بِهَا يَوْمَ عَاشُورَاءَ سَنَةَ أَرْبَعِ عَشْرَةِ خَلَتْ مِنْ مُلْكِكَ ، وَتَوَفَّيْتُ يَوْمَ الْاِثْنِينَ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ مَضَتْ مِنْ مُلْكِكَ ، وَقَدْ دُفِنْتُ لَيْلًا فِي حَائِطِ مَدِينَةِ تَدْمُرَ ، وَلَمْ يَطَّلَعْ عَلَى دَفْنِهَا إِنْسٌ وَلَا جِنٌّ وَلَا شَيْطَانٌ » . قَالَ : فَرَفَعْنَا غِطَاءَ التَّابُوتِ وَإِذَا هِيَ غَضَّةٌ كَانَهَا دُفِنْتُ لَيْلَتَهَا . فَكَتَبْنَا بِذَلِكَ إِلَى الْوَلِيدِ فَأَمَرَ بِتَرْكِهِ فِي مَكَانِهِ ، وَأَنْ يُنَبِّئَ عَلَيْهِ بِالصَّيْخِرِ وَالْمَرْمَرِ ، فَفَعَلْنَا ذَلِكَ .

ذكر خبر وفاة سليمان بن داود عليهما السلام

قال الكسائي: مَلِكُ سَلِيمَانَ شَرْقَ الْأَرْضِ وَغَرِبَهَا وَطَافَ أَقْطَارَهَا حَتَّى أَتَاهَا إِلَى السَّيِّدِ^(١) الَّذِي هُوَ بِالْقُرْبِ مِنْ جَبَلِ قَافٍ ، فَوَقَّفَ هُنَاكَ ثُمَّ قَالَ لِلرَّيْحِ : هَلْ

(١) هُوَ السَّيِّدُ الَّذِي بَنَاهُ الْإِسْكَانْدَرُ ذُو الْقُرْنَيْنِ وَهُوَ الْمَعْرُوفُ بِسَدِّ يَاجُوجَ وَمَاجُوجَ . وَقَدْ أُرْسِلَ الْحَافِيَةُ الْوَائِقُ بِاللَّهِ سَنَةَ ٢٣١ هـ بَعَثَ عَلَيْهِ بِرِيَاسَةِ سَلَامِ التَّرْجَمَانِ مَزْدَدَ بِالْمَالِ وَالْمَاءِ وَالزَّادِ لِنَاقِيَةِ بَحْرِهِ وَحَالِهِ . وَابْنُ خُرْدَاذِبِهِ هُوَ أَوَّلُ مَنْ رَوَى خَبَرَ هَذِهِ الْبُعْثَةِ الْعَلِيَّةِ عَنْ نَفْسِ رَئِيسِهَا ثُمَّ اسْتَمْلَاهُ مِنَ الْكُتَابِ الَّذِي كَانَ كَتَبَهُ فِي هَذَا الْمَعْنَى خَلِيفَةُ الْوَائِقِ بِاللَّهِ (رَاجِعِ الْمَسَالِكَ وَالْمَنَالِكَ طَبْعَ لَيْدَنَ سَنَةَ ١٣٠٦ هـ ص ١٦٢ — ١٧٠) . وَعَنْ ابْنِ خُرْدَاذِبِهِ نَقَلَ جَمِيعُ الْمَوْلُفِينَ الَّذِينَ جَاءُوا بَعْدَهُ مِثْلَ الْإِدْرِيسِيِّ وَابْنِ رُسْتَةَ وَابْنِ الْفَيْكِيِّ الْهَمْدَانِيُّ وَالْمَقْدِسِيُّ . أَمَّا سَنَةُ إِسْرَافِ هَذِهِ الْبُعْثَةِ فَقَدْ أَخَذَهَا عَنْ ابْنِ تَغْرِي بَرْدِي فِي النُّجُومِ الزَّاهِرَةِ (ج ٢ ص ٢٥٩) .

(٢) كَانَ الْإِعْتِقَادُ السَّائِدُ قَدِيمًا أَنَّ هُنَاكَ جَبَلًا وَاحِدًا مُحِيطًا بِأَكْثَرِ بَسِطِ الْمَعْمُورِ ، وَلَيْسَ هُوَ كَالْبَحْرِ مُحِيطًا بِجَمِيعِ كُرَةِ الْأَرْضِ ، هُوَ جَبَلُ قَافٍ ، وَلَا يَعْرِفُ فِي الْجَنُوبِ إِلَّا بِهَذِهِ التَّسْمِيَةِ ، وَيَعْرِفُ فِي الشِّمَالِ بِجَبَلِ قَافُوتَا . وَلَهُمْ فِي مَبْدَأِ هَذَا الْجَبَلِ وَمُنْتَهَا رَأْيِ تَرَاهِ مَبْسُوطًا فِي الْجَزْءِ الْأَوَّلِ مِنْ مَسَالِكِ الْأَصْبَارِ لِابْنِ فَضْلِ اللَّهِ الْعَمَرِيِّ (ص ٤٧) . وَقَدْ ذَكَرَ فِي كِتَابِ نَحْوَةِ الدَّهْرِ فِي عَجَائِبِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ (ص ٢٢) بِاسْمِ « قَافُوتَا » بِالْقَافِ فِي رِوَايَةٍ وَ(بِالْقَافِ) فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى . وَاسْمُهُ كَذَلِكَ بِاسْمِ « أَصْطِيقُونَ » أَوْ « أَصْطِيقُونَ » .

- جريت هاهنا قط؟ قالت : لا يا نبي الله، وإنه آخر الدنيا وليس وراءه إلا علم الله تعالى . ثم أمر الريح فأحتملته حتى نظر إلى التَّينِ المُحْدِقِ بالعالم ، فسار أياها على طَرَفٍ من أطرافه فإذا هو بملك ، فقال : يَا بَنِ داود إن هذا التَّينِ يحيط بالعالم الذى هو مسيرة خمسمائة عام . ثم أرتفع إلى مستقر الغمام ونظر إلى مجمع القَطَرِ، ونزل من هناك إلى مسكن الليل والنهار فاذا هو بملك يقول : اللهم أعطِ كل مُتَفِقٍ خَلْقًا .
- وكل ممسك تَلَفًا . ثم أمر الريح أن تحط بساطه إلى الأرض المقدسة، وكانت مدة غيبته مائة وثلاثين يوما . وكان في طول سَفَرِهِ هذه يرى شخصا بين يديه يسبق كل شيء ، فسأله من هو ؟ فأخبره أنه ملك الموت ، فوقعت عليه الرعدة وتغير لونه وجعل أبنيه رَجَبَمَ خَلِيفَتِهِ ، وأوصى الناس بالسمع والطاعة له . وأخذ
- ١٠ في الصوم والصلاة طول ليله ، فإذا أصبح خرج من محرابه إلى روضة هناك فيها نبات حسن يتسلل به . فخرج في بعض الأيام فرأى نبتًا غريبا لم يكن قد رآه قبل ذلك اليوم . فقال : أيها النبات ما أنت ؟ قال : أنا الخرنوب الذى لا أنبت في موضع إلا خربته . فقال سليمان : فما تصنع هاهنا فليست من نبات الرياض بل من نبات البرارى ؟ قال : قد أمرت أن أنبت هاهنا . فعاد سليمان من الغد وهو على حاله وقد زاد نباته . فقال له سليمان : ألم أمرك أن تلحق بموضعك من البرراى ! . قال الخرنوب : يا نبي الله ، إن هذا الموضع سيخرب عن قريب ، فسكت سليمان . فلما ضعف عن العبادة توكأ على عصاه . فبينما هو في محرابه متوكئا قائما يتلو الزبور والتوراة إذ أتاه ملك الموت ، فرفع رأسه إليه فناله شمة فشتمها فمات .
- وبقي سليمان على حاله لم يسقط إلى الأرض ولم يتحرك ولا مال . فهابوه وما جسروا أن يتقدموا إليه . وقالوا : إنه لم يمُتْ ، ولم تزل الإنس والجن والشياطين والوحش
- ٢٠

والطير في الطاعة والأعمال حتى مضت سنة ، ثم وقعت الأرض في أسفل العصا ؛
فذلك قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ
تَأْكُلُ مِنْسَأَتُهُ ﴾ فخر سليمان عند ذلك كالخشب اليابسة ، وكانت الجن قبل ذلك
تدعى علم الغيب ؛ قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا نَحَرَّ بَيْنَتِ الْجَنُّ أَنَّ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ
الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ ^(١) أى في تلك السنة في نقل الصخور والبنيان
وغير ذلك .

وحكى أبو إسحاق النعلبي رحمه الله تعالى في خبر وفاة سليمان عليه السلام :
قال أهل التاريخ : لبث سليمان في ملكه بعد أن رده الله عليه تعمل له الجن
ما يشاء من محارب وتمانيل وجفان كالجوابي وقدور راسيات وغير ذلك ،
ويعذب من الشياطين من يشاء ، ويأمرهم بحمل الحجارة الثقيلة ونقلها إلى حيث
أحب . فأتاهم إبليس وهم في العمل فقال : كيف أنتم ؟ فقالوا : ما بنا طاقة
لما نحن فيه . فقال لهم : تذهبون تحملون الحجارة وترجعون فرأغا لا تحملون شيئا ؟
قالوا نعم . قال : فأنتم في راحة . فأبلغت الريح ذلك سليمان ، فأمرهم أن يحملوا
ذاهبين وراجعين . فقال لهم إبليس : تعملون بالليل ؟ قالوا لا . قال : فأنتم
في راحة . فأبلغت الريح ذلك سليمان ، فأمرهم أن يعملوا بالليل والنهار . فأتاهم إبليس
فسألهم فشكوا إليه أنهم يعملون بالليل والنهار . فقال لهم إبليس : وفعلها ؟ قالوا :
نعم . قال : فتوقعوا الفرج ، فقد بلغ الأمر منتهاه . فلبثوا إلا يسيرا حتى مات
سليمان .

قال ابن عباس وغيره : كان سليمان يتحنّث^(١) في بيت المقدس السنة والستين والشهر والشهرين وأقل من ذلك وأكثر، يدخله ومعه طعامه وشرابه ، فدخله في المرة التي مات فيها . قال : وكان بدء ذلك أنه لم يكن يوماً يُصَبَّحُ فيه إلا نبت في بيت المقدس شجرةً فيسألها سليمان ما أسمك ؟ فتقول الشجرة : أسمى كذا وكذا . فيقول : لأى شيء تصلحين ؟ فتقول : لكذا وكذا ؛ [فيأمر بها^(٢) ف تُقَطَّع] ، فإن كانت تثبت لغرس غرسها ، وإن كانت لدواء كتب عليها الكذا وكذا . فبينما هو يصلى ذات يوم إذ رأى شجرةً بين يديه ، فقال لها : ما أسمك ؟ فقالت : الخرنوبه . قال : ولأى شيء نبتى ؟ قالت : لخراب هذا المسجد . فقال سليمان : ما كان الله ليُخْرِبَهُ وأنا حي ، أنت الذى على وجهك هلاكى وخراب بيت المقدس . فزعزعا وغرسها في حائط له ، ثم قال : اللهم عمّ عن الحق موتى حتى يعلم الإنسان أن الحق لا يعلمون الغيب . وكانت الحق يخبرون الإنسان أنهم يعلمون الغيب وأنهم يعلمون ما فى غد .

قال : ثم دخل سليمان المحراب فقام يصلى متكئاً على عصاه ، فمات على تلك الحالة ، ولم يعلم بذلك أحدٌ من الشياطين ، وهم فى ذلك يعملون له يخافون أن يخرج فيعاقبهم .

قال وقال عبد الرحمن [بن زيد]^(٢) قال سليمان لملك الموت : إذا أمرت بى فأعني . قال : فأناه فقال : يا سليمان قد أمرت بك وقد بقيت لك سوية . فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحاً من قوارير ليس له باب ، فقام يصلى وأتكأ على عصاه ، فدخل عليه ملك الموت فقبض رُوحه وهو متكئ على عصاه .

(١) يتحنّث : يتعبد .

(٢) زيادة عن التلوي .

قال وفي رواية أخرى : أت سليمان قال ذات يوم لأصحابه : قد آتاني الله من الملك ما ترون ، وما مرة على يوم في ملكي بحيث صفا لي من الكدر ، وقد أحبت أن يكون لي يومٌ واحد يصفوني إلى الليل ولا أغم فيه ، وليكن ذلك غدا . فلما كان من الغد دخل قصره له ، وأمر بإغلاق أبوابه ومنع الناس من الدخول عليه ورفع الأخبار إليه لئلا يسمع شيئا يسوءه ، ثم أخذ عصاه بيده وصعد فوق قصره وأنكأ عليها ينظر في ممالكه ، إذ نظر إلى شاب حسن الوجه ، عليه ثياب بيض قد خرج عليه من جانب قصره فقال : السلام عليك يا سليمان . فقال سليمان : وعليكم السلام ، كيف دخلت هذا القصر وقد منعت من دخوله ؟ أما منعك البواب والحجاب ! .
 أما هبتني حين دخلت قصرى بغير إذن !! فقال : أنا الذى لا يحجبني حاجب ، ولا يمنعني بواب ، ولا أهاب الملوك ، ولا أقبل الرشا ، وما كنت لأدخل هذا القصر بغير إذن . فقال سليمان : فمن إذن لك في دخوله ؟ قال : ربه . فارتعد سليمان وعلم أنه ملك الموت . فقال له : أنت ملك الموت ؟ قال نعم . قال : فيم جئت ؟ قال : جئت لأقبض رُوحك . قال : يا ملك الموت ، هذا يوم أردت أن يصفوني وما أسمع فيه ما يعنى . قال له : يا سليمان ، إنك أردت يوما يصفوك فيه عيشك حتى لا تغم فيه ، وذلك اليوم لم يُخلق في الدنيا ، فأرض بقضاء ربك فإنه لا مرد له . قال : فأقبض كما أمرت ، فقبض ملك الموت رُوحه وهو متكئ على عصاه .

٢٥
١٢

قال النعلبي قالوا : وكانت الشياطين تجتمع حول محرابه ومُصلّاه أينما كان . وكان للحراب كُوى بين يديه ومن خلفه ، فكان الشيطان الذى يريد أن يدخل يقول : ألسْتُ جليداً إن دخلتُ نخرجت من ذلك الجانب ، فيدخل حتى يخرج من الجانب الآخر . فدخل شيطان من أولئك فز ، ولم يكن شيطان ينظر إلى سليمان

٢٠

في المحراب إلا احترق، فتر ولم يسمع صوت سليمان، ثم رجع ولم يسمع، ثم رجع فوقع في البيت فلم يحترق، ونظر إلى سليمان عليه السلام قد سقط ميتا، فخرج فأخبر الناس أن سليمان قد مات، ففتحوا عنه وأخرجوه ووجدوا منسأته — وهي العصا بلسان الحبشة — قد أكلتها الأرضة^(٢)، فمكثوا يداؤبون له من بعد موته حولا كاملا، فأيقن الناس أن الحق كانوا يكذبونهم، ولو أنهم علموا الغيب لعلموا بموت سليمان، فلم يلبثوا في العذاب سنة يعملون .

قال : ثم إن الشياطين قالوا للأرضة : لو كنت تأكلين الطعام لأتيناك بأطيب طعام ، ولو كنت تشربين الشراب سقيناك أطيب الشراب ، ولكننا سننقل إليك الماء والطين . قال : فهم ينقلون إليها ذلك حيث كانت . قال :
 ١٠ ألم تر إلى الطين الذي يكون في جوف الخشب فهو مما تأتينا به الشياطين شكرا لها ؛ فذلك قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ ﴾ وهي الأرضة، ويقال لها القادح أيضا ، وهي دُوَيْبَّةٌ تأكل العيدان ﴿ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ ﴾ أى عصاه ﴿ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجُنُ ... ﴾ الآية .

قال أهل التاريخ : كان عمر سليمان ثلاثا وخمسين سنة، ومدة ملكه أربعين سنة ، ومُلْك يوم مَلِك وهو ابن ثلاث عشرة سنة .

وقال الكسائي قال وهب : عاش سليمان ستين سنة ، منها في الملك والنبوة

أربعون سنة . قال : وتفترقت الإنس والجن وغيرهم ، وتفترق بنو إسرائيل بعده

(١) الذي في كتب اللغة أن المنسأة اسم آلة، من نسأت الدابة إذا زجرتها ليزداد سيرها .

(٢) هذه الجملة لم ترد في الأصول وقد نقلناها عن التعلي، وقد أورد بعدها هذه العبارة : « فلم يعلموا

منذ كم مات فوضعوا الأرضة على العصا فأكلت منها يوما وليلة ثم حسبوا على ذلك النحو فوجدوه قد مات منذ سنة وكانوا يعلمون بين يديه ويتقارون إليه ويحسبون أنه حي ولا ينكرون احتباسه عن الخروج الى الناس لطول صلاته قبل ذلك . وفي رواية ابن مسعود : فمكثوا ... الخ » .

ثلاث فرق : فرقة كفروا وآتبعوا السحرة ، وفرقة أعتزلوا وقالوا : لانطيع بعده أحدا ، وفرقة آتبعوا ابنه رَجِيع^(١) .

قال الثعلبي : ملك بعد سليمان عليه السلام ابنه رَجِيع ، وكان قد استخلفه فنبأه الله تعالى ولم يكن رسولا ثم قُبِض ، وكان مُلكه سبع عشرة سنة . ثم ملك بعده ابنه أَيْشَا^(٢) بن رَجِيع ، وكان مُلكه ثلاثا وستين سنة . ثم ابنه أَيْنا . وقال الكسائي : ملك بعد رَجِيع ابنه لاي ، وملك بعد لاي ابنه أَيْشَا بن لاي ، ثم بعث الله تعالى بعد أن قبض أَيْشَا ، شعياً وهو من ولد هارون بن عمران .

وقال الثعلبي في سياقه : لما ملك أَيْنا بن أَيْشَا ، وكان رجلا صالحا ، وكان أعرج ، وكان به عِرْق النَّسَا ، فطمعت الملوك فيه لضعفه ، وافترقت ملوك بني إسرائيل ، فغزاهم ملك من ملوك الهند يقال له « زرج الهندى » في جمع كثير ، فبعث الله تعالى عليهم ملائكة فهزموهم ، فقصدوا البحر حتى ركبوه جميعا ، فبعث الله تعالى عليهم الرياح والأمواج حتى ضربت سُفُنَهُمْ بعضها ببعض ، فنكسرت وغرق زَرَجٌ ومن كان معه ، وألقت الأمواج أنفالقهم وأموالهم وسلبهم إلى محلة بني إسرائيل ، ونودوا أن خذوا ما غنمكم الله وكونوا فيه من الشاكرين . ثم لم يزل يغزوهم الملك بعد الملك من ملوك العراق وغيرهم ، فبُهِلَ كَهِمُ الله تعالى إلى أن ظهر فيهم الظلم والفساد ، وفشت فيهم المعاصي ، وعبد بعض ملوكهم الأصنام ، فكان من أمرهم ما نذكره إن شاء الله تعالى .

- (١) كذا في تاريخ الطبرى (ص ٦١٩ من القسم الأول) وتاريخ مختصر تاريخ الدول لابن العبري (ص ٥٥ طبع بيروت) وفي الكتاب المقدس (ج ١ ص ٥٧٦) : « رجعام » . وفي الأصول : « رجيع » .
(٢) كذا في الأصول . وفي الكتاب المقدس (ج ١ ص ٥٨٣) : « أيام » .
(٣) كذا في الأصول وتاريخ الطبرى (ص ٦٣٧ من القسم الأول) . وفي القاموس المحيط : « سعي » بالسین المهملة والشين لنة . وفي الكتاب المقدس (ج ٢ ص ٣٢٤) : « أشعيا » .
(٤) كذا في تاريخ الطبرى (ص ٦١٩ من القسم الأول) : وفي الأصول « روح » .

الباب الثالث

من القسم الثالث من الفن الخامس

في أخبار شعيا وإرميا عليهما السلام وخبر بختنصر وخراب بيت المقدس وعمارته وما يتصل بذلك من خبر عزير وفتنة اليهود

ذكر قصة شعياً عليه السلام

- قال أبو إسحاق الثعلبي رحمه الله : كان الملك إذا ملك من بني إسرائيل بعث الله معه نبياً يرشده ويسدده ويكون فيما بين الناس وبين الله تعالى ، ولا يُنزل الله تعالى عليه كتاباً إنما يأمر بأحكام التوراة وينهى عن المعصية ، ويدعو الناس إلى ما تركوا من الطاعة . وكان ممن ملك منهم « صديقة » . فلما ملك بعث الله تعالى شعياً بن أمصيا^(١) ، فملك ذلك الملك بنى إسرائيل وبيت المقدس زماناً ، ثم كثرت في بني إسرائيل الأحداث ، فبعث الله سنحاريب ملك بابل ، معه ستمائة ألف راية ، فاقبل حتى نزل حول بيت المقدس والملك إذ ذاك مريض في ساقه قرحة ، بفاء النبي شعياً عليه السلام فقال للملك بنى إسرائيل : إن سنحاريب ملك بابل قد أقبل ونزل بك في ستمائة ألف راية ، وقد هاهم الناس وفرقوا منهم . فكبر ذلك على الملك وقال : يا نجي الله ، هل أناك وحى^(٢) فيما حدث فتخبرنا به كيف يفعل الله

٢٦
١٢

(١) في الكتاب المقدس (ج ٢ ص ٣٢٤) : « آموص » .

(٢) كذا في الكتاب المقدس (ج ١ ص ٦٣٧) وتاريخ الطبري (ص ٦٣٨ من القسم الأول) ومختصر تاريخ الدول لابن العسري (ص ٦٤) وورد في هامشه : أن معنى سنحاريب « القمر يكثر الإخوة » ومن هنا يؤخذ أن الأشوريين كانوا يتفادون بالأسماء كالعرب . فسمى هذا سنحاريب تفاؤلاً بكثرته الإخوة . وفي الأصول : « سنحاريب » بالجمع المعجمة وهو تعريف

تعالى بنا وسنحارب ؟ قال : لم يأتني وحي . فبينما هم كذلك أوحى الله تعالى إلى شعياً أن أتت ملك بنى إسرائيل ففره أن يوصى بوصية ويستخلف على ملكه من يشاء من أهل بيته . فأتاه شعياً فقال : إن ربك عز وجل قد أوحى إلى أن أمرك أن توصى وصيتك وتستخلف من شئت على ملذك من أهل بيتك فإنك ميت . فلما قال له شعياً ذلك أقبل صديقة الملك على القبلة فصلّى ودعا وبكى ، فقال وهو يبكي ويتضرع إلى الله عز وجل بقاب مخلص وتوكل وصبر : [اللهم ربّ الأرباب وإله الآلهة القدوس المقدّس ، يارحم يارحم ، ياروعف يامن لا تأخذه سنة ولا نوم ، اذكرني بنبيّ وفعل وحسن قضائي في بنى إسرائيل ، وذلك كله كان منك وأنت أعلم به مني سرى وعلايتي لك] ، فاستجاب الله تعالى دُعاءه ، وكان عبدا صالحا . فأوحى الله تعالى إلى شعياً أن أخبر صديقة أن الله استجاب له وقيل منه ورحمه وأخر أجله خمس عشرة سنة ، وأنجاه من عدوه سنحاريب وجنوده . فأتاه شعياً فأخبره بذلك ، فذهب عنه الجزع ونزع ساجدا لله تعالى ودعا . فلما رفع رأسه أوحى الله تعالى إلى شعياً أن قل لملك صديقة يأمر عبدا من عبيده فيأتيه بماء التين فيجعله على قرحة ساقه فيشفى ويبرأ ، ففعل ذلك فشفي . وقال الملك لشعياً : سل ربك أن يجعل لنا علما بما هو صانع بعدونا هذا . فقال الله تعالى لشعياً : قل له إنى كفيتك عدوك وأنجيتك منهم ، وإنهم سيصبحون موتى إلا سنحاريب وخمسة نفر من كتابه . فلما أصبحوا جاء صارخ فصرخ على باب المدينة : يا ملك بنى إسرائيل ، إن الله تعالى قد كفأك أمر عدوك ؛ فإن سنحاريب ومن معه قد هلكوا . فخرج الملك فالتس سنحاريب فلم يوجد في الموتى . فبعث الملك في طلبه ، فأدركه الطلب في مغارة وخمسة من كتابه ، أحدهم

- (١) **بُخْتَنَصْرُ**، فجعلوهم في الجوامع ثم أتوا بهم ملك بنى إسرائيل، فلما رآهم خرّ ساجدا لله تعالى من حين طلعت الشمس إلى العصر، ثم قال لسنحاريب : كيف ترى فعل ربنا ؟ ألم يقتلكم بحوله وقوته ونحن وأتم غافلون ؟ ! فقال سنحاريب : قد أتاني خبر ربكم ونصره إياكم، ورحمته التي رحمكم بها قبل أن أخرج من بلادي، فلم أطع مرشدا ولم يلقني في الشقوة إلا قلة عقلي، ولو سمعت أو عقلت ما غرّوكم، ولكن الشقوة غلبت على وعلى من معي . فقال صديقه : الحمد لله رب العزة الذي كفاناكم بما شاء . إن ربنا لم يُيقك ومن معك لكرامة لك عليه، ولكنه إنما أبقاك ومن معك لتردادوا شقوة في الدنيا وعذابا في الآخرة، ولتضربوا من وراءكم بما رأيتم من فعل ربنا . ولدُمك ودُم من معك أهون على الله تعالى من دم قرادة لو قُتلت .
- ثم أمر صديقه أمير جيشه أن يحدف في رقابهم الجوامع، فطاف بهم سبعين يوما ١٠ حول بيت المقدس وإيليا، وكان يرزقهم في كل يوم خُبزتين من شعير لكل رجل . فقال سنحاريب للملك بنى إسرائيل : القتل خير مما تفعل بنا ، فأفعل ما أمرت . فأمر بهم الملك الى سجين القتل ، فأوحى الله تعالى إلى شعيا : أن قل للملك بنى إسرائيل : يرسل سنحاريب ومن معه لينذروا من وراءهم ، وأن يُكرّمهم ويحملهم حتى يبلّغوا بلادهم . فبلّغ شعيا الملك ذلك ، ففعل ما أمر به ، وخرج سنحاريب ومن معه حتى قدموا بابل . ١٥

(١) الجوامع : القيود . (٢) ورد في معجم البلدان لياقوت : أن إيليا (بكر أوله واللام ويا . وألف ممدودة) اسم مدينة بيت المقدس ، قبل معناه بيت الله ، وحكى الحفصى فيه القصر . وفيه لفة ثالثة حذف الياء الأولى فيقال : إيلاء (بسكون اللام والملة) . قال أبو علي : وقد سمي البيت المقدس إيليا بقول الفرزدق :
وبيتان بيت الله نحن ولاته * وقصر بأعلى إيليا . مشرف

- وسميت إيليا باسم بانها وهو إيليا . بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام . (٣) بابل : مدينة من أقدم وأكبر مدن العالم القديم ، على الجانب الأيسر من نهر الفرات ، بناها الكلدان ، وهي مدينة الفروذ ، اشتهرت في الأزمان الغابرة بالثروة والحضارة وفيها مات الاسكندر المقدوني سنة ٣٢٣ قبل الميلاد وحملت جثته الى الاسكندرية . وهذه المدينة الآن خراب لا يوجد غير أطلالها وفي مكان أطلالها قرية الحلة . (راجع معجم الخريطة التاريخية الإسلامية للرحوم أمين واصف بك وقاموس الجغرافية القديمة للرحوم أحمد زكى باشا) . ٢٠

فلما قَدِمُوا جَمَعَ سَنَحَارِيبُ النَّاسَ وَأَخْبَرَهُمْ كَيْفَ فَعَلَ اللَّهُ بِجُنُودِهِ . فَقَالَ لَهُ
كُتَّاهَانُهُ وَتَحَرَّتْهُ : قَدْ كُنَّا نَقْصُ عَلَيْكَ خَبَرَ رَبِّهِمْ وَخَبَرَ نَبِيِّهِمْ وَوَحَىَّ اللَّهُ إِلَى نَبِيِّهِمْ ، فَلَمْ
تُطْعَمْنَا ، وَهِيَ أُمَّةٌ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ مِنْ رَبِّهِمْ . وَلَيْثُ سَنَحَارِيبَ بَعْدَ ذَلِكَ سَبْعَ سِنِينَ
وَمَاتَ . وَاسْتَخْلَفَ يُحْتَضَرُ بْنُ أَبْنِهِ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ جَدُّهُ ، فَعَمِلَ بِعَمَلِهِ وَقَضَى
بِقَضَائِهِ ، فَلَبِثَ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً ثُمَّ قَبَضَ اللَّهُ تَعَالَى صَدِيقَةَ مَلِكِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَرَجَّحَ
أَمْرُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَتَنَافَسُوا الْمُلْكَ حَتَّى قَتَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وَنَبِيُّهُمْ شَعْيًا مَعَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ
إِلَيْهِ وَلَا يَقْبَلُونَ مِنْهُ . فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى شَعْيَا : أَنْ قُمْ فِي قَوْمِكَ
أَوْجَ عَلَى لِسَانِكَ . فَلَمَّا قَامَ أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى عَلَى لِسَانِهِ وَأَنْطَقَهُ بِالْوَحْيِ فَقَالَ : يَا مَاءُ
أَسْمَعِي ، وَيَا أَرْضُ أَنْصِتِي ؛ فَإِنَّ اللَّهَ يَرِيدُ أَنْ يَقْصُ شَأْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ رَبَّاهُمْ
بِنِعْمَتِهِ ، وَأَصْطَطَعَهُمْ لِنَفْسِهِ ، وَخَصَّمَهُمْ بِكَرَامَتِهِ ، وَفَضَّلَهُمْ عَلَى عِبَادِهِ ، وَأَسْتَقْبَلَهُمْ
بِالْكَرَامَةِ ، وَهُمْ كَالْغَنَمِ الضَّائِعَةِ الَّتِي لَا رَاعِيَ لَهَا ، فَأَوْى شَارِدَهَا ، وَجَمَعَ ضَالَّهَا ،
وَجَبَرَ كَسِيرَهَا ، وَدَاوَى مَرِيضَهَا ، وَأَسْمَنَ مَهْزُولَهَا ، وَحَفِظَ سَمِينَهَا . فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ بِهَا
تَنَاطَلَتْ كِبَاشُهَا فَقَتَلَ بَعْضُهَا بَعْضًا ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ عَظْمٌ صَحِيحٌ يُجَبَّرُ إِلَيْهِ آخَرُ كَسِيرِهِ .
فَوَيْلٌ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ الْخَاطِئَةِ الَّذِينَ لَا يَدْرُونَ مَا جَاءَهُمْ مِنَ الْخَيْرِ . إِنَّ الْبَعِيرَ مَا
يَذْكُرُ وَطَنَهُ فَيَأْتِيهِ ، وَإِنَّ الْحِمَارَ مَا يَذْكُرُ الْآرِيَّ^(٢) الَّذِي يُشَبِّعُ عَلَيْهِ فَيَرَاغُمُهُ ، وَإِنَّ
النُّورَ مَا يَذْكُرُ الْمَرْجَ الَّذِي يَسْمَنُ فِيهِ فَيَتَنَابَهُ ، وَإِنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ لَا يَدْرُونَ مِنْ
أَيْنَ جَاءَهُمُ الْخَيْرُ وَهُمْ أُولُو الْأَبْلَابِ وَالْعُقُولِ لَيْسُوا بِبَقَرٍ وَلَا حَمِيرٍ ، وَإِنِّي ضَارِبٌ لَهُمْ
مَثَلًا فَلْيَسْمَعُوهُ .

٢٧
١٣

١٠

١٥

(١) مرج الأمر : فسد وأختلط واضطرب . وفي الأصول : « نخرج » وهو تحريف .

(٢) الآري : محبس الدابة . (٣) المرج : الموضع الذي ترعى فيه الدواب .

٢٠

(٤) في الأصول : « من حيث » .

قل لهم : كيف ترون في أرض كانت جزراً زماناً حُرْبَةً مَوَاتَا لا عُمران فيها،
 وكان لها ربٌّ حكيمٌ قوًى، فأقبل عليها بالعمارة وكرِهَ أنْ تَحْرَبَ أرضُه، فأحاط عليها
 جداراً وشيّد فيها قصرًا وأنبط فيها نهرا، وصفف فيها غُرَاسا من الزيتون والرمان
 والنخيل والأعناب وألوان الثَّمَرِ كلّها، وولّى ذلك وأستحفظه ذا رأى وهمّة حفيظا
 قويا أمينا، فانتظرها، فلَمَّا أطلعت جاءَ طلعها خروبا ؟ ! . قالوا : بسّيت الأرض
 هذه ! نرى أن يُهدمَ جدارُها وقصرُها ويُدْمَرُ نهْرُها ويُقبَضَ قِيمُها ويُحْرَقَ غُرُسُها
 حتى تصير كما كانت أوّلَ مرّة خرابا مَوَاتَا لا عُمران فيها. قال الله عزّ وجلّ لهم : إنّ
 الجدارَ ذِقتي، وإنّ القصرَ شريعتي، وإنّ النهرَ كتابي، وإنّ القيمَ نبئي، وإنّ الغُرَاسَ
 همّهم، وإنّ الخروبَ الذى أطلع الغُرَاسَ أعمالُهم الخبيثة، وإنّى قضيتُ عليهم قضاءهم
 على أنفسهم، فإنه مثلٌ ضربَه الله لهم . يتقرّبون إلى بذبح البقر والغنم، وليس ينالنى
 اللحم ولا آكله . ويدعون أنهم يتقرّبون إلى بالتقوى والكفّ عن ذبح الأنفُس التى
 حرّمها، فأبديهم مخضوبَةً منها، وثيابهم مَرْمَلَةٌ^(٢) بدمائها؛ يُشَيِّدون إلى البيوت مساجدَ
 ويطهّرون أجوافها، ويتجسّسون قلوبهم وأجسادهم ويدسّسونها. فأى حاجة لى إلى
 تشييد البيوت ولست أسكنها ! وأى حاجة لى إلى تزويق المساجد ولست أدخلها !
 إنّما أمرتُ برفعها لأذْكَرَ فيها ولأُسَبِّحَ، ولتكون مُصَلًّى لمن أراد أن يصلى فيها .
 يقولون : لو كان الله يقدر على أن يجمع أَلْفَتَنَا لجمعها، ولو كان الله يقدر على أن يفقه
 قلوبنا لأفقهها، فأعتمد إلى عودين يابسين ثم آتيتُ بهما ناديهن في أجمع ما يكونون،
 فقل للعودين : إنّ الله يأمركما أن تكونا عودًا واحدًا . فلَمَّا قال لهما ذلك اختلطا
 فصارا واحدًا . فقال الله تعالى [قل] لهم : إني قد قدّرتُ على أن أفقه العودين اليابسين،
^(٣)

- وعلى أن أولَّف بينهما ، فكيف لا أقدر على أن أجمع ألفتهم إن شئت ! أم كيف لا أقدر على أن أفقه قلوبهم وأنا الذى صوّرتها ! . يقولون : صُمتنا فلم يُرفع صيامتنا ، وصليتنا فلم تُنور صلاتنا ، وتصدقنا فلم تترك صدقاتنا ، ودعونا بمثل حينين الحمام ، وبكينا بمثل عواء الذئب ، فى كل ذلك لا يُسمع ولا يُستجاب لنا . قال الله تعالى :
 ٥ فسئلهم : ما الذى يمنعنى أن أستجيب لهم ! ألسنتُ أسمع السامعين ، وأبصر الناظرين ، وأقرب المحبين ، وأرحم الراحمين ! ألا أن ذات يدي قلت ! وكيف يداى مبسوطتان بالخير أنفق كيف أشاء ، ومفاتيحُ الخزان عندى لا يفتحها غيرى ! . أولأن رحمتى ضاقت ! فكيف ورحمتى وسعت كل شئ ، إنما يترأخ المتراحمون بفضلها ! . أولأن البخل يعترينى ! أولست أكرم الأكرمين . والتفاح بالخيرات أجود من أعطى وأكرم من سئل ! . لو أن هؤلاء القوم نظروا لأنفسهم بالحكمة التى تورث فى قلوبهم [النور]
 ١٠ فنبذوها وأشتروا بها الدنيا ، إذا لأبصروا من حيث أتوا ، وإذا لأيقنوا أن أنفسهم هى أعدى العدا لهم . فكيف أرفع صياهم وهم يلبسونه بقول الزور ويتقوون عليه بطعمة الحرام ! وكيف أتور صلاتهم وقلوبهم صاغية إلى من يحاربني وينتهك محارمى ! أم كيف تركو عندى صدقاتهم وهم يتصدقون بأموال غيرهم ! إنما أجر عليها أهلها المغصوبين . أم كيف أستجيب لهم دعاءهم ، وإنما هو قول بالسنتهم والفعل من ذلك بعيد ! . إنما أستجيب للداعى البر ، وإنما أسمع قول المستعفف المستكين . وإن من علامة رضائى رضا المساكين . فلورحموا المساكين ، وقربوا الضعفاء ، وأنصفوا المظلوم ، ونصروا المغصوب ، وعدلوا للغائب ، وأدوا إلى اليتيم والأرملة والمسكين وكل ذى حقّ حقّه ، ثم لو كان ينبغى لى أن أكلم البشر إذا لكتبتهم ؛ وإذا لكنت نور أبصارهم ، وسمع آذانهم ، ومعقول قلوبهم ؛ وإذا لدعمت أركانهم فكنت قوة أيديهم وأرجلهم ؛ وإذا لثبّت ألسنتهم وعقولهم .

- يقولون لما سمعوا كلامي وبلغتهم رسالاتي إنها أقاويل منقولة، وأحاديث متوارثة، وتأليف مما يؤلف السحرة والكهنة، وزعموا أنهم لو شاءوا أن يأتوا بحديث مثله فاعلوا، وأن يطلعوا على علم الغيب بما يوحى إليهم الشياطين لأطلعوا، وكلهم يستخفي بالذي يقول ويُسِرّه ، وهم يعلمون أني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما يُبدون وما يكتبون . وإني قد قضيت يوم خلقت السماء والأرض قضاءً أثبتته على نفسي وجعلت دونه أجلاً مؤجلاً لا بد أنه واقع ، فإن صدقوا فيما ينتحلون من علم الغيب فليُخبروك متى أنفذه ، وفي أي زمان يكون . وإن كانوا يقيدرون على أن يأتوا بما يشاءون فليأتوا بمثل القدرة التي بها أفضى ؛ فلأني مُظهره على الذين كله ولو كره المشركون . وإن كانوا يقيدرون على أن يؤلفوا ما يشاءون فليؤلفوا مثل الحكمة التي أدبر بها أمر ذلك القضاء إن كانوا صادقين . فلأني قضيت يوم خلقت السموات والأرض أن أجعل النبوة في الأجراء^(١) ، وأجعل الملوك في الرءاء ، والعز في الأذلاء ، والقسوة في الضعفاء ، والغنى في الفقراء ، والثروة في الأفلاء ، والمداين في القلوات ، والآجام في المغاوز ، والترى في الغيطان ، والعلم في الجهلة ، والحكم في الأميين . فسَلِّهم متى هذا ومن القيم به وعلى يدي من أسببه ، ومن أعوان هذا الأمر وأنصاره . وإن كانوا يعلمون فإني باعثٌ لذلك نبياً أقياً لا أعمى من العُمان ولا ضالاً من الضالين ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولا صحّاب في الأسواق ، ولا مترين بالفحش ، ولا قوالٍ لئناً ، أسدده اكل جميل ، وأهب له كل خلق كريم ، ثم أجعل السبينة لباسه ، والبر شعاره ، والتقوى ضميره ، والحكمة معقوله ، والصدق والوفاء طبيعته ، والعفو والمعروف خلقه ، والعدل سيرته ، والحق شريعته ، والهدى إمامه ، والإسلام ملته ، أحمد أسمه ، أهدي به بعد الضلالة ، وأعلم به بعد الجهالة ، وأرفع به بعد الخمالة ، وأشهر

(١) الأجراء : جمع أجبر وهو من سلم نفسه بموض .

(٢) الآجام : جمع أجمة وهي الشجر الكثير المنلف .

به بعد النِّكَرَةِ ، وأَكْثَرَ به بعد القِلَّةِ ، وأَغْنَى به بعد العَيْلَةِ ، وأَجْمَعُ به بعد الفُرْقَةِ ،
وأَوَّلُفَ به قلوباً مختلفةً ، وأَهْوَأَ مُسْتَشْتَةً ، وأَمَّمَ منفَرَقَةً ، وأَجْعَلَ أُمَّتَهُ خَيْرَ أُمَّةٍ
أَخْرَجَتْ للنَّاسِ ، يَأْمُرُونَ بالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، إِيمَانًا بِي ، وَتَوْحِيدًا لِي ،
وَإِخْلَاصًا بِي ، يُصَلُّونَ قِيَامًا وَقُعُودًا ، وَرُكْعًا وَسُجُودًا ، وَيُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِي صَفُوفًا
وَزُحُوفًا ، وَيَخْرُجُونَ مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ آتِبْغَاءَ رِضْوَانِي [أَلُوفًا] ^(٢) . أَلْهَمَهُمُ التَّكْبِيرَ
وَالتَّوْحِيدَ ، وَالتَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ ، فِي مَجَالِسِهِمْ وَمَسِيرِهِمْ وَمُضَاجِعِهِمْ وَمُتَقَلَّبِهِمْ وَمَثْوَاهُمْ ؛
يَكْبُرُونَ وَيُهَلِّلُونَ وَيَتَدَسَّسُونَ عَلَى رِءُوسِ الْأَشْرَافِ ، وَيُطَهَّرُونَ لِي الْوُجُوهَ
وَالْأَطْرَافَ ، وَيَعْقِدُونَ الثِّيَابَ إِلَى الْأَنْصَافِ ؛ قُرْبَانُهُمْ دِمَائِهِمْ ، وَأَبَاجِيئُهُمْ صُدُورُهُمْ ؛
رُهْبَانُ اللَّيْلِ ، لِيُوثُّوا بِالنَّهَارِ . ذَلِكَ فَضْلِي أُوتِيَهُ مَنْ أَشَاءَ ، وَأَنَا ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ .
قال : فَلَمَّا فَرِغَ نَبِيُّهُمْ شَعْيًا مِنْ مَقَالَتِهِ عَدُّوا عَلَيْهِ لِيُقَاتِلُوهُ فَهَرَبَ مِنْهُمْ فَأَنْفَلَقَتْ لَهُ
شَجَرَةٌ فَدَخَلَ فِيهَا ، فَأَذْرَكَ الشَّيْطَانُ فَأَخَذَ بِهَيْدِيَةٍ مِنْ تَوْبِهِ فَأَرَاهُمْ إِيَّاهَا ، فَوَضَعُوا
الْمَنْشَارَ فِي وَسْطِهَا فَنَشَرُوهَا حَتَّى قَطَعُوهَا وَقَطَعُوهُ فِي وَسْطِهَا .

٥

١٠

ذَكَرَ قِصَّةَ إِرْمِيَا عَلَيْهِ السَّلَامُ

قال أَبُو إِسْحَاقَ الثَّعْلَبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : اسْتَخَلَفَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ
بَعْدَ قَتْلِهِمْ شَعْيًا عَلَيْهِ السَّلَامُ رَجُلًا مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ « نَاشِيَةُ بْنُ أَمْوَسَ » ، وَبَعَثَ
لَهُمُ الْخِضْرَ نَبِيًّا . قَالَ : وَأَسْمُ الْخِضْرِ إِرْمِيَا بْنُ حَلَفِيًّا ، وَكَانَ مِنْ سِبْطِ هَارُونَ
ابْنِ عِمْرَانَ . قَالَ : وَإِنَّمَا سُمِّيَ الْخِضْرُ لِأَنَّهُ جَلَسَ عَلَى فَرْوَةٍ بَيْضَاءَ فَقَامَ عَنْهَا وَهِيَ
تَهْتَرُ خَضْرَاءَ ^(٣) . فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِإِرْمِيَا حِينَ بَعَثَهُ إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ : يَا إِرْمِيَا ،
مَنْ قَبْلَ أَنْ خَلَقْتُكَ أَخْتَرْتُكَ ، وَمَنْ قَبْلَ أَنْ أَصَوِّرَكَ فِي بَطْنِ أُمِّكَ قَدَسْتُكَ ، وَمَنْ

١٥

•

(١) هذه الكلمة ليست في الثعلبي ، وتمدية الإخلاص هنا بالياء لا ترضاه اللغة .

(٢) زيادة عن الثعلبي . (٣) في الثعلبي المعطوكة : « ترهه » .

٢٠

قبل أن أُحرِّجَكَ من بطن أُمِّكَ طَهَّرْتُكَ ، ومن قبل أن تَبْلُغَ السَّعَى تَبَأْتُكَ ، ولأُمِّ
عَظِيمٍ أَجْتَبَيْتُكَ ؛ فذَكَرْتُ قَوْمَكَ نِعْمَى ، وعَرَّفْتُهُمْ أَحْدَانَهُمْ ، وَأَدْعُهُمْ إِلَى . وكانت
الْأَحْدَاثُ قَدْ عَظُمَتْ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فَرَكِبُوا الْمَعَاصِيَ وَاسْتَحْلَوْا الْحَرَامَ . فقال
إِرْمِيَا : إِنِّي ضَعِيفٌ إِنْ لَمْ تَقْوَى ، عَاجِزٌ إِنْ لَمْ تَتَصَرَّفْ . فقال الله عزَّ وجل :

أَنَا أُلْهِمُكَ . فقام إِرْمِيَا فِيهِمْ ولم يدر ما يقول ، فَأَلْهِمَهُ اللهُ عزَّ وجل خُطْبَةً .

طَوِيلَةٌ بَلِغَةٌ ، بَيْنَ لَمْ فِيهَا ثَوَابُ الطَّاعَةِ وَعِقَابُ الْمَعْصِيَةِ ، وَقَالَ فِي آخِرِهَا : وَإِنِّي
أُحْلِفُ بِمَزْنِي لِأَقِضُّنَّ لَهُمْ فِتْنَةً يَتَحَوَّرُ فِيهَا الْحَكِيمُ ، وَلَأَسْلُطَنَّ عَلَيْهِمْ جَبَّارًا فَاسِيَا قَلْبُهُ ،
أَلَيْسَ الْهِبَةُ وَأَنْزِعُ مِنْ صَدْرِهِ الرَّحْمَةَ ، يَتْبَعُهُ عَدَدٌ مِثْلُ سَوَادِ اللَّيْلِ الْمَظْلَمِ . ثم أَوْحَى
اللهُ تَعَالَى إِلَى إِرْمِيَا : إِنِّي مُهْلِكٌ بَنِي إِسْرَائِيلَ بَيَاقَتَ ، وَبِاقَتِ أَهْلِ بَابِلَ ، وَهُمْ مِنْ وَلَدِ
يَاقَتَ بْنِ نُوحَ . فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ إِرْمِيَا صَاحَ وَبَكَى وَشَقَّ ثِيَابَهُ وَنَبَذَ الرَّمَادَ عَلَى رَأْسِهِ .

فَلَمَّا سَمِعَ اللهُ عزَّ وجل تَضَرُّعَهُ وَبَكَاءَهُ نَادَاهُ : يَا إِرْمِيَا ، أَشَقَّ عَلَيْكَ مَا أَوْحَيْتُ
إِلَيْكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ يَا رَبِّ ، أَهْلِكْنِي قَبْلَ أَنْ أَرَى فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مَا لَا أُسْرَبُهُ .
فَقَالَ اللهُ عزَّ وجل : وَعِزَّتِي لَا أَهْلِكُ بَنِي إِسْرَائِيلَ حَتَّى يَكُونَ الْأَمْرُ فِي ذَلِكَ
مِنْ قَبْلِكَ . فَفَرِحَ بِذَلِكَ إِرْمِيَا وَطَابَتْ نَفْسُهُ وَقَالَ : لَا وَالَّذِي بَعَثَ مُوسَى بِالْحَقِّ

لَا أَرْضَى بِهَلَاكِ بَنِي إِسْرَائِيلَ . ثُمَّ أَتَى الْمَلِكَ فَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ ، وَكَانَ مَلِكًا صَالِحًا ،
فَفَرِحَ وَاسْتَبَشَرَ وَقَالَ : إِنْ يَعَذِّبُنَا رَبُّنَا فَبِذُنُوبٍ كَثِيرَةٍ ، وَإِنْ عَفَا عَنَّْا فَبِرَحْمَتِهِ .

ثُمَّ مِنْهُمْ لَيْثُوا بَعْدَ الْوَحْيِ ثَلَاثَ سِنِينَ لَمْ يَزِدَادُوا إِلَّا مَعْصِيَةً وَتَمَادِيًا فِي الشَّرِّ ، وَذَلِكَ
حِينَ اقْتَرَبَ هَلَاكُهُمْ وَدَعَاهُمُ الْمَلِكُ إِلَى التَّوْبَةِ فَلَمْ يَفْعَلُوا ، فَسَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمْ مُجْتَنَصِرَ
خُرُوجٍ فِي سِتْمِائَةِ أَلْفِ رَايَةٍ يَرِيدُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ . فَلَمَّا فَصَلَ سَائِرًا أَتَى الْخَبَرَ الْمَلِكَ^(١)

فَقَالَ لِإِرْمِيَا : أَيْنَ مَا زَعَمْتَ أَنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيْكَ ؟ فَقَالَ إِرْمِيَا : إِنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ

- لا يُخْلِفُ الميعاد وأنا به واثقٌ . فلَمَّا قُرِبَ الأجلُ وعزم الله عز وجل على هلاكهم بعث الله تعالى إلى إرميا مَلَكًا فتمثل له رجلا من بني إسرائيل فقال له : يا نبي الله ، أَسْتَفْتِيكَ في أهل رَجِي ، وصلتُ أرحامهم ولم آتِ إليهم إلا حُسْنًا ، ولا يزيد إكرامي إياهم إلا إسقاطا لي ، فأفْتِنِي فيهم . فقال له : أَحْسِنَ فيما بينك وبين الله وصالهم وأبشر بخير . فَأَنْصَرَفَ المَلَكُ فمَكَثَ أَيَّامًا ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَيْهِ في صورة ذلك الرجل فقعده بين يديه ، فقال له إرميا : أوما ظَهَرْتَ أخلاقهم لك بعدُ ؟ فقال : يا نبي الله ، والذي بعثك بالحق ما أعلم كرامةً يأتينا أحدٌ من الناس إلى أهل رَجِي إلا قَدَّمْتُمَا إليهم وأَفْضَلَ . فقال له إرميا : إِرْجِعْ إلى أهلك وأَحْسِنْ إليهم ، وآسَأِ الله تعالى الذي أَصْلَحَ عبادَه الصالحين أن يُصَلِّحَهُمْ . فقام الملك فمَكَثَ أَيَّامًا وقد نزل بِخَنْصَرٍ وجنوده حولَ بَيْتِ المَقْدِسِ بِأَكْثَرِ من الجراد ، ففَزِعَ منهم بنو إسرائيل وشقَّ عليهم . فقال مَلَكُهُم لإِرْمِيَا : يا نبي الله ، أَيْنَ ما وَعَدَكَ الله ؟ قال : إني بَرٌّ واثقٌ . ثُمَّ أَقْبَلَ الملك إلى إرميا وهو قاعد على جِدار بيت المقدس وهو يضحك ويستبشر بنصر ربِّه الذي وعده ، فقعده بين يديه وقال له : أنا الذي أَتَيْتُكَ في شأن أهلي مَرَّتَيْنِ . فقال إِرْمِيَا : أَلَمْ يَأْنِ لَهُمْ أَنْ يُفَيِّقُوا من الذي هم فيه ؟ فقال الملك : يا نبي الله ، كل شيء يُصَيِّبُنِي منهم قَبْلَ اليوم كنتُ أَصْبِرُ عليه ، فالْيَوْمَ رَأَيْتُهُمْ في عمل لا يُرِضِي الله عز وجل . فقال إِرْمِيَا : على أَىِّ عمل رَأَيْتَهُمْ ؟ قال : على عمل عظيم من سُخْطِ الله ، فغَضِبْتُ لله ولك وأَتَيْتُكَ لِأَخْبَرِكَ . وإني أسألك بالله الذي بعثك بالحق إلا مادَعَوْتَ الله عليهم لِيُهْلِكَهُمْ . قال إِرْمِيَا : يَا مَلِكُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ إِن كَانُوا على حقٍّ وصدِّاقٍ فأَبْقِهِمْ ، وَإِنْ كَانُوا على سُخْطِكَ وعَمَلٍ لا تَرْضاهُ فَأَهْلِكْهُمْ . فلَمَّا نَحَرَجَتِ الكلمة من فمِ إِرْمِيَا أَرْسَلَ الله عز وجل صاعقةً من السماء في بيتِ المَقْدِسِ فَالْتَهَبَ مَكَانُ القُرْبَانِ وَخُسِفَ بِسَبْعَةِ أَبْوابٍ من أبوابها .

- فلما رأى ذلك إرميا صاح وشق ثيابه وتبذ الرماد على رأسه وقال : يا مَلِكِ
السموات والأرض ، أين ميعادك الذى وعدتني ! فتودى : إنه لم يُصِبهُم الذى أصابهم
إلا بُقْيَاك ودعائك . فاستيقن إرميا أنها قُتِيَاه ، وأن ذلك السائل كان رسول ربه .
فطار إرميا حتى خالط الوحوش . ودخل بختنصر وجنوده بيت المقدس ووطئ الشام
وقتل بنى إسرائيل حتى أفناهم وحرب بيت المقدس ؛ ثم أمر جنوده أن يملأ كل
رجل منهم تُرسه ترابا ثم يقدفه فى بيت المقدس ، فقدفوا فيه التراب حتى ملئوه ؛
ثم أمرهم أن يجمعوا من كان فى بلدان بيت المقدس كلهم ، فجمعوا عنده كل صغير وكبير
من بنى إسرائيل ، فأختار منهم مائة ألف صبي ، وقيل سبعين ألف صبي . فلما خرجت
غنائم جُنده لتُقسَم قال له الملوك الذين كانوا معه : أيها الملك ، لك غنائمها كلها ، فأقسم
بيننا هؤلاء الصبيان الذين اخترتهم من بنى إسرائيل ، ففعل ذلك ، فأصاب كل رجل
منهم أربعة غلّة . وكان من أولئك الغلمان دانيال وحنايا وعزاريأ وميشائيل ،
وسبعة آلاف من أهل بيت داود عليه السلام ، وأحد عشر ألفا من سبط يوسف
ابن يعقوب ، وأخيه بنيامين عليه السلام ، وثمانية آلاف من سبط أشرس بن يعقوب ،
وأربعة عشر ألفا من سبط ربالون بن يعقوب ونفتالي بن يعقوب ، وأربعة آلاف
من سبط يهوذا بن يعقوب ، وأربعة آلاف من سبط روبيل ولأوى أبني يعقوب ،
ومن بقي من بنى إسرائيل .

$\frac{30}{12}$

(١) فى الكتاب المقدس (ج ٢ ص ٦٢٥) : « حنيا ... عزريا » . وراجع ماكتبه
عنهم الدكتور جورج بوست فى قاموس الكتاب المقدس .

(٢) فى الكتاب المقدس (ج ١ ص ٥٠) : « أشير » .

(٣) فى الكتاب المقدس (ج ١ ص ٥٠) : « زبولون » .

(٤) كذا فى الكتاب المقدس (ج ١ ص ٨٦) . وورد فى الأصول بحروف مبهمة .

(٥) فى الكتاب المقدس (ج ١ ص ٥٠) : « رأوبين » .

قال : وجعل مُخْتَصِرَ مَنْ بَقِيَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ثَلَاثَ فِرْقٍ ، فُتِلْنَا أَفْرَ بِالشَّامِ ،
وُتِلْنَا سَبَى ، وَتِلْنَا قَتْلَ . وَذَهَبَ بَأْنِيَّةِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَسَلَبَ حُلِيَّهِ حَتَّى أَقْدَمَ ذَلِكَ
بَابِلَ ، فَكَانَ عَلَى سَبْعِينَ أَلْفًا وَمِائَةً أَلْفٍ عَجَلَةٍ مِنْ حُلِيٍّ . فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى :
(وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا *
فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ) يَعْنِي بِمُخْتَصِرِ
وَاصْحَابِهِ (بَقَّاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا) فَهَذِهِ الْوَاقِعَةُ الْأُولَى الَّتِي
أَنْزَلَهَا اللَّهُ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ لِأَخْتِلَافِهِمْ وَظُلْمِهِمْ . وَلِنُصِلَ هَذَا الْفَصْلَ بِخَبَرٍ بِمُخْتَصِرِ .

ذكر خبر بمختصر وأبتداء أمره وكيف ملك

يَقَالُ فِي اسْمِهِ : بِمُخْتَصِرِ (بِتَشْدِيدِ الصَّادِ وَإِسْكَانِهَا) وَيَقَالُ فِيهِ : بِمُخْتَصِرِ .
وَقَدْ اخْتَلَفَ فِي أَمْرِهِ ، فَقَالَ قَوْمٌ : إِنَّهُ مَلَكٌ الدُّنْيَا أَجْمَعُ . وَقَالَ آخَرُونَ : بَلْ مَلَكٌ
بَابِلَ وَمَا أَفْتَتَحَهُ . وَقَالَ قَوْمٌ : إِنَّمَا كَانَ مَرْزُوبَانًا لِلْهَرَاسِفِ الْفَارَسِيِّ . وَقَالَ قَوْمٌ :
كَانَ أَصْلُهُ مِنْ أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ ، وَقِيلَ : بَلْ كَانَ مِنَ الْفُقَرَاءِ . وَسَنَذْكُرُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ
تَعَالَى مَا نَقَفَ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ . فَمِنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ أَبُو إِسْحَاقَ الثُّعْلُبِيُّ فِي تَفْسِيرِ
قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : (وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ ...) الْآيَاتِ بِسَنَدٍ رَفَعَهُ
إِلَى سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ : كَانَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَقْرَأُ التَّوْرَةَ ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ
« بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ » بَكَى وَفَاضَتْ عَيْنَاهُ ثُمَّ أَطْبَقَ الْمَصْحَفَ
وَقَالَ : أَيُّ رَبِّ أَرْنِي هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي جَعَلْتَ هَلَاكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى يَدَيْهِ ؟ فَأَرَى

(١) الَّذِي فِي الثُّعْلُبِيِّ : « بِفَعْلٍ بِمُخْتَصِرِ سَبَا يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ » .

(٢) سُورَةُ الْإِسْرَاءِ آيَتَا ٤٤ ، ٥

(٣) وَيَقَالُ لَهُ أَيْضًا : « نَبُوخَذَنْصَرُ » وَ « نَبُوكَدَنْصَرُ » . (رَاجِعْ تَارِيخَ الْمَشْرِقِ لِلْمَاسِيَرِ

- في المنام مسكينٌ بابلَ يقال له بُخْتَنَصْرُ، فأنطلق بـمال وأُعبد له وكان رجلاً مُوسِراً . فقيل له : أين تريد؟ قال : أريد التجارة . فسار حتى نزل بابلَ ، فنزل داراً فأكثرها ، ليس فيها أحدٌ غيره ، فجعل يدعو المساكين ويلطّف بهم حتى لا يأتيه أحدٌ إلا أعطاه . فقال : هل بقي مسكينٌ غيركم ؟ قالوا : نعم ، مسكينٌ بفتح آل فلان مريضٌ يقال له بُخْتَنَصْر . فقال لغلمته : أنطلقوا بنا ، فأنطلق حتى أنه فقال له : ما أسمك ؟ قال بُخْتَنَصْر . فقال لغلمته : أحتملوه ، فنقله إليه فموضه حتى برئ ، فكساه وأعطاه نفقةً ، ثم أذن الإسرائيلي بالرحيل ، فبكى بُخْتَنَصْر . فقال له الإسرائيلي : ما يُبكيك ؟ قال : أبكى أنك فعلت بي ما فعلت ، ولا أجد شيئاً أُجزيك به . قال : بلى ، شيئاً يسيراً . فقال له : وما هو ؟ قال : إن مُلكتُ أطمعني . فجعل يتبعه ويقول : تستهزئ بي ! ولا يمنعني من أن يُعطيه ما سألته .
- ١٠ إلا أنه يرى أنه يستهزئ به . فبكى الإسرائيلي وقال : لقد علمتُ ما يمنعك مما سألتك إلا أن الله تعالى يريد أن يُنفذ ما قد أمضى وكتب في كتابه .

(٢)

(١)

قال : وضرب الدهر ضرباً به فقال صيحون وهو ملك فارس بابلَ : لو أنا بعثنا طليعةً إلى الشام ؟ قالوا : وما ضرّك لو فعلت ؟ قال : فن ترؤن ؟ قالوا : فلان .

- ١٥ فبعث رجلاً وأعطاه مائة ألف فارس ، وخرج بُخْتَنَصْر في مطبخه لا يخرج إلا لياكل من مطبخه [ويعيش منه]^(٣) . فلما قدم الشام رأى صاحب الطليعة أكثر خلق الله فرساناً ورجالاً ، فكسر ذلك في ذَرعه فلم يسأل . فجعل بُخْتَنَصْر يجلس في مجالس

(١) ضربان الدهر : حدثانه .

(٢) كذا في الأصول وتاريخ الطبري (ص ٦٥٦ من القسم الأول) . وفي تاريخ الطبري أيضاً

(ص ٦٥٧ من القسم الأول) : « صيحاتين » . وفي الأصول في بعض المواضع : « صحيانين » .

(٣) زيادة عن التعليق .

أهل الشام فيقول : ما يمنعكم أن تغزوا بابل ! فلو غزوتموها فما دون بيت ما لها شيء . قالوا : لا نحسن القتال ولا نقاتل ، حتى انتفذ مجالس أهل الشام . ثم رجع أمير الطليعة فأخبر الملك بما رأى . وجعل يختصر يقول لفوارس الملك : لو دعاني الملك لأخبرته غير ما أخبره فلان . فرفع ذلك إلى الملك فدعاه ، فقال : إن فلانا لما رأى أكثر أرض الله كراعا ورجالا كسر ذلك في ذرعه ولم يسأله عن شيء ، وإنما لم أَدع مجلسا بالشام إلا جالستُ أهله فقلت لهم كذا وكذا ، فقالوا لي كذا وكذا . فقال صاحب الطليعة لاختنصر : بصحبتي لك مائة ألف دينار وتنزع عما قلت . قال : لو أعطيتني بيت مال بابل ما نزع . فضرب الدهر ضربا نه فقال الملك : لو بعثنا جريدة خيل إلى الشام ، فإن وجدوا مساعا ساعوا وإلا استلبوا ما قدروا عليه . قالوا : ما ضرك لو فعلت ؟ قال : فمن ترون ؟ قالوا : فلان . قال : بل الرجل الذي أخبرني بما أخبرني . فدعا بختنصر وأرسله وأتخَب معه أربعة آلاف من فرسانهم ، فأنطلقوا بغاسوا خلال الديار ، فسبوا ما شاء الله ولم يجرّبوا ولم يقتلوا . ومات صيحوه الملك ، فقالوا : استخلفوا رجلا . فقالوا : على رسلكم حتى يأتي أصحابكم فإنهم فرسانكم . فأمهلوا [وأخروا ذلك] حتى جاء بختنصر بالسبي وما معه ، فقسّم ذلك في الناس . فقالوا : ما رأينا أحدا أحق بالملك من هذا فملكوه .

قال : وقال السدي بإسناده : إن رجلا من بني إسرائيل رأى في المنام أن خراب بيت المقدس وهلاك بني إسرائيل على يدي غلام يتيم ابن أرملة من أهل بابل يدعى بختنصر ، وكانوا يصدّقون فتصدّق رؤياهم . فأقبل فسأل عنه حتى نزل على أمه وهو يحطّط . فلما جاء وعلى رأسه الحطب التي الحزمة ثم قعد في جانب

(١) زيادة عن النبطي .

(٢) أكارع الأرض : أطرافها القاصية .

من البيت ، فكلمه ثم أعطاه ثلاثة دراهم وقال : اشتر بهذه طعاما وشرابا ، فاشترى بدرهم لحما ، وبدرهم خبزا ، وبدرهم نحرأ ، فأكوا وشربوا ، حتى إذا كان اليوم الثاني فعل به كذلك ؛ وفي اليوم الثالث كذلك . ثم قال : إني أحب أن تكتب لي أمانا إن أنت ملكت يوما من الدهر . قال : تسخر مني ؟ قال : إني لا أسخر منك ، ولكن ماعليك أن تتخذها عندي يدا ! فكلمته أمه فقالت : ماعليك إن كان ، وإلا لم ينقص شيئا ، فكتب له أمانا . فقال له : أرايت إن جئت والناس حولك قد حالوا بيني وبينك فأجعل لي آية تعرفني بها . قال : ترفع صخيفتك على قصبة فأعيرك بها ، فكساه وأعطاه . ثم إن ملك بني إسرائيل كان يكرم يحيى بن زكريا عليهما السلام ويُدنى مجلسه ويستشير في أمره ولا يقطع أمرا دونه ، وإنه هوى أن يتزوج بنت امرأته .

- قال وقيل : كانت بنت أخيه ، قال الثعلبي^(١) : وهو الأصح إن شاء الله —
 فسأله عن ذلك ، فنهاه عن نكاحها وقال : لن أرضاها لك . فبلغ ذلك أمها فحقدت على يحيى عليه السلام حين نهاه أن يتزوج بنتها ، فعمدت أم الجارية حين جالس الملك على شربه فألْبستها ثيابا رقاقا حمراء وطبّتها وألبستها من الخلى ، وألبستها فوق ذلك كساء أسود وأرسلتها الى الملك ، وأمرتها أن تسقيه وأن تتعرض إليه ، فإن أرادها على نفسها أبت عليه حتى يعطيها ما سألته ، فإذا أعطاها ذلك سألته أن يؤتي برأس يحيى بن زكريا في طست ، ففعلت . فلما أخذ منه الشراب أرادها على نفسها ، فقالت : لا أفعل حتى تُعطيني ما أسألك . قال : ماتسأليني ؟ قالت : أسألك

(١) ذكر الثعلبي تأييدا لصحة قوله مانعه : « لما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما

قال : بعث عيسى بن مريم يحيى بن زكريا في اثني عشر من الحوار بين يعلون الناس . فكان مما نههم عنه

نكاح بنت الأخ . قال : وكانت لملكهم بنت أخ تعجبه يريد أن ينكحها وكانت لها في كل يوم حاجة يقضيها ، فسأل يحيى بن زكريا عن ذلك فنهاه عن نكاحها ... الخ » .

- أن تبعث إلى يحيى بن زكريا فَنُؤَى برأسه في طَسْتٍ . فقال : وَيَحْك ! سَلِينِي
غير هذا . قالت : ما أريد إلا هذا . فلما أُبْتُ عليه بعث إليه فَأَتَى برأسه ، والرأس
يتكلم حتى وُضِع بين يديه وهو يقول : لَا يَحِلُّ لَكَ . فلما أَصْبَح إذا دُمُهُ يَغْلِي ، فأمر
بترابٍ فَأُلْقِيَ عليه ، فَرَفِيَ الدَّمُ فوق التراب يَغْلِي ، فَأُلْقِيَ عليه أيضا فارتفع الدَّمُ فوقه ،
فلم يزل يُلْقَى عليه من التراب حتى بلغ سور المدينة وهو في ذلك يَغْلِي . فبلغ صَيِّحُونَ
ملك بابل ذلك فنادى في الناس ، وأراد أن يبعث إليهم جيشا [وَيُؤَمِّرُ عليهم رجلا] .
فأتاه بختنصر فكلَّمه وقال : إِنْ الذِي كُنْتَ أَرْسَلْتَ تِلْكَ الْمُتْرَةَ ضَعِيفٌ ، وَإِنِّي قَدْ
دَخَلْتُ الْمَدِينَةَ وَسَمِعْتُ كَلَامَ أَهْلِهَا [ذَا بَعْنِي] ^(١) فبعثه . فسار بختنصر ، حتى إذا بلغوا ذلك
المكان تحصَّنوا منه في مدائنهم فلم يُطْفِئْهُمْ . فلما أَشْتَدَّ عليه المُقَامُ وجاع أصحابُه
وأرادوا الرجوع خرجت امرأةٌ عَجُوزٌ من عجائز بني إسرائيل فقالت : أَيْنَ أَمِيرُ الْجُنْدِ ؟
فَأَتَى بِهَا إِلَيْهِ . فقالت : إِنَّهُ بَلْغَى أَنَّكَ تَرِيدُ أَنْ تَرْجِعَ بِجُنْدِكَ قَبْلَ أَنْ تَفْتَحَ هَذِهِ
المدينة . قال : نَعَمْ ، قَدْ طَالَ مُقَامِي وَجَاعُ أَصْحَابِي ، فَلَسْتُ أَسْتَطِيعُ الْمُقَامَ فَوْقَ
الَّذِي كَانَ مِنِّي . فقالت : أَرَأَيْتَكَ إِنْ فُتِحَتْ لَكَ الْمَدِينَةُ أُتْعِطْنِي مَا أَسْأَلُكَ ،
فَنَقْتُلَ مَنْ أَمْرُتُكَ بِقَتْلِهِ ، وَتَكْتَفِ إِذَا أَمْرُتُكَ أَنْ تَكْتَفِ ؟ فقال لها نَعَمْ . قالت :
إِذَا أَصْبَحْتَ فَأَقْسِمُ جَنْدَكَ أَرْبَعَةَ أَرْبَاعٍ ، ثُمَّ أَجْعَلُ فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ رُبْعًا ، ثُمَّ أَرْفَعُوا
أَيْدِيَكُمْ إِلَى السَّمَاءِ فَتَادُوا : إِنَّا نَسْتَفْتِحُكَ يَا اللَّهُ بِدَمِ يَحْيَى بْنِ زَكْرِيَا ، فَإِنِهَا سَوْفَ
تَسَاقُطُ ، ففعلوا ؛ فَتَسَاقَطَتِ الْمَدِينَةُ فَدَخَلُوا مِنْ جَوَانِبِهَا . فقالت : كُفَّ يَدُكَ وَأَقْتُلْ
عَلَى هَذَا الدَّمِ حَتَّى يَسْكُنَ ، وَأَنْطَلَقْتُ بِهِ إِلَى دَمِ يَحْيَى بْنِ زَكْرِيَا ، وَهُوَ عَلَى تَرَابٍ كَثِيرٍ ،
فَقَتَلَ عَلَيْهِ حَتَّى سَكَنَ ، فَقَتَلَ سَبْعِينَ أَلْفًا . فلما سَكَنَ الدَّمُ قالت له : كُفَّ يَدُكَ
فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا قُتِلَ نَبِيٌّ لَمْ يَرْضَ حَتَّى يُقْتَلَ مَنْ قَتَلَهُ وَمَنْ رَضِيَ قَتْلَهُ . وَأَتَاهُ

صاحبُ الصحيفة بصحيفته فكف عنه وعن أهل بيته ، وخرَّب بيت المقدس وأمر أن تُطرح الحِيفُ فيه ، وقال : مَنْ طَرَحَ فِيهِ جِيفَةً فَلَهُ جِزْيَتُهُ تِلْكَ السَّنَةِ . قال : وأعاناه الروم على خرابه من أجل أن بنى إسرائيل قتلوا يحيى بن زكريا .

قال : فلما خربَه بختنصر ذهب معه بوجوه بنى إسرائيل وسرّاتهم وذهب بدانيال وقوم من أولاد الأنبياء وذهب معه برأس جالوت الملك ، فلما قَدِم وجد صَيِّحُونَ مَلِكَ بَابِلَ قد مات مُلْكُ مكانه .

ذكر خبر بختنصر مع دانيال

قال : ولما سار بختنصر إلى بابل ومُلْكُ بعد موت الملك كان معه دانيال ، وكان أكرم الناس عليه هو وأصحابه ، فحسدهم المجوس على ذلك ، فوشوا بهم إليه وقالوا : إن دانيال وأصحابه لا يعبدون إلهك ولا يأكلون ذبيحتك . فدعاهم فسألهم ، فقالوا : أجل ، إن لنا رباً نعبدُه ، ولسنا نأكل من ذبيحتكم . فأمر أن يُخَدَّ لهم أَخْدُودٌ^(١) نَحْدُ لهم وألقوا فيه وهم ستّة ، وأُلْقِيَ معهم سَبْعُ ضِئْرٍ لِيَأْكُلَهُمْ ، ثم قال : اذهبوا بنا لنأكل ونشرب ، فذهبوا فأكلوا وشربوا ، ثم عادوا فوجدوهم سبعة والسبع مفترش ذراعيه بينهم ولم ينجِدْ منهم أحداً . فقالوا : ما بال هذا السابِعُ إنما كانوا ستّة ! نفِرج السابِعُ^(٢) إلى بختنصر ، وكان ملكاً من الملائكة ، فلطمه لطمَةً فصار من الوحش [ومسّخه الله] سبع سنين ، [ثم رَدَّه الله إلى صورته ورَدَّ عليه ملكه] . هذا ما حكاه السدّي .

وروى الثعلبيّ بسنده إلى وهب قال : لما سار بختنصر إلى بابل ومُلْكُ بعد موت ملكها واستتب أمرُه لبث على ذلك مدّة ، ثم رأى رؤيا عجيبه فافزعته وسأل عنها الكهنة والسحرة فمعجزوا عن تعبيرها . فبلغ ذلك دانيال وكان في السجن

(١) يَحْدُ : يحفر . والأخدود : الحفرة المستطيلة في الأرض . (٢) زيادة عن الثعلبي .

مع أصحابه وقد أحبه صاحب السجن وأعجب به لما رأى من حسن سمنه . فقال له
 دانيال : إنك قد أحسنت إلى ، وإن صاحبكم قد رأى رؤيا ، فدلّه علىّ لأعبرها له .
 بغاء السجان فأخبر بختصر بقصة دانيال ، فاستدعاه فجاء إليه . وكان من عادة من
 حضر بين يدي الملك أن يسجد له ، فلما أتوا بدانيال قام بين يديه ولم يسجد له .
 فقال : ما الذي منعك من السجود؟ فقال : إن لي رباً أتاني العلم والحكمة وأمرني
 ألا أَسْجُدَ لغيره ، فخشيتُ إن سجدتُ لغيره أن يترع مني الحكمة والعلم ويهلكني .
 فأعجب به وقال : نعم ما فعلت حيث وقفت بعهدك ، وأجلت علمك ، ثم قال :
 هل عندك علم هذه الرؤيا ؟ قال : نعم وأبشر ، فأخبره برؤياه قبل أن يخبره الملك
 بها ، وعبرها له . قال الثعلبي : وكانت الرؤيا على ما أخبرنا به عبد الله بن حامد
 في إسناده عن وهب بن منبه قال : إن بختصر رأى في آخر زمانه صنماً رأسه من
 ذهب ، وصدره من فضة ، وبطنه من نحاس ، ونفذه من حديد ، وساقاه من
 نحّار ، ثم رأى حجراً من السماء وقع عليه فدقه ، ثم ربا الحجر حتى ملأ ما بين المشرق
 والمغرب ، ورأى شجرة أصلها في الأرض وفرعها في السماء ، ثم رأى عليها رجلاً بيده
 فأس وسمع منادياً ينادي : اضرب جذعها ليتفرق الطير من فروعها ، وتفرق
 الدواب والسباع من تحتها ، وأترك أصلها قائماً . فعبرها دانيال عليه السلام له
 فقال : أما الصنم الذي رأيت ، فأنت الرأس وأنت أفضل الملوك . وأما الصدر
 الذي من فضة فأنتك يملك من بعدك . وأما البطن الذي رأيت من نحاس فإلك
 يكون بعد أنبك . وأما ما رأيت من الفخذين من حديد فيتفرق الناس فرقتين
 . في فارس يكون أشد الملوك . وأما النحّار فأخبر ملوكهم يكون دون الحديد . وأما
 الحجر الذي رأيته قد ربا حتى ملأ ما بين المشرق والمغرب فنبىّ ببعثه الله تعالى
 في آخر الزمان فيفرق ملوكهم كلّ ، ويربو ملوكه حتى يملأ ما بين المشرق والمغرب .

٥

١٠

١٥

٢٠

وأما الشجرة التي رأيت والطير التي عليها والسباع والدواب التي تحتها وما أمر بقطعها، فيذهب ملكك ويردك الله طائرا تكون نسرا ملك الطير، ثم يردك الله ثورا ملك الدواب، ثم يردك الله أسدا ملك السباع والوحش سبع سنين، وفي كل ذلك قلبك قلب إنسان، حتى تعلم أن الله له ملك السموات والأرض، يقدر على الأرض ومن عليها، وكما رأيت أصلها قائما فإن ملكك قائم .

قال : فسيخ يختصر نسرًا في الطيور، وثورا في الدواب، وأسدا في السباع، فكان مسخه كله سبع سنين، ثم رد الله تعالى إليه ملكه، فأمن ودعا الناس إلى الله تعالى .

قال : وسئل وهب بن منبه : أكان يختصر مؤمنا ؟ فقال : وجدت أهل الكتاب قد اختلفوا فيه، ففهم من قال : مات مؤمنا، ومنهم من قال : مات كافرا؛ لأنه حرق بيت المقدس وكتب الله وقتل الأنبياء، فغضب الله تعالى عليه ولم يقبل توبته .

قالوا : فلما عبر دانيال بختنصر رؤياه أكرمه وصحبه واستشاره في أموره وقربه منه حتى كان أكرم الناس عليه وأحبهم إليه، ففسده المجوس على ذلك وشؤا به وأصحابه إلى بختنصر فقالوا : إن دانيال وأصحابه لا يعبدون إلهك، ولا يأكلون ذبيحتك، فدعاهم وسألهم فقالوا : إن لنا ربنا نعبده ولسنا نأكل من ذبائحكم . فأمر بختنصر بأخذود، فخذلهم وألقوا فيه، وهم ستة، وألقي معهم سبع ضار لياكلهم، ثم قالوا : انطلقوا لنا كل ونشرب، فاكلوا وشربوا، ثم راحوا فوجدوهم جلوسا والسبع مفترش ذراعيه بينهم ولم يخدش منهم أحدا ولم ينكأهم بشيء، ووجدوا معهم رجلا فعادوهم فوجدوهم سبعة، فقالوا : ما بال هذا السبع وإنما

كانوا ستة ! . فخرج إليهم السابح ، وكان ملكا من الملائكة ، فلطم بختنصر لطمَةً فصار في الوحوش ، ومسحه الله تعالى سبع سنين ثم رده الله تعالى إلى صورته وردّ عليه مُلكه .

قال السُّدِّي : ثم إن بختنصر رآه رجع إلى صورته بعد المسخ وردّ الله تعالى عليه مُلكه ، كان دانيال وأصحابه أكرم الناس عليه ، فسدته المجوس ووشوا به ثانية فقالوا لبختنصر : إن دانيال إذا شرب الخمر لم يملك نفسه أن يبُول ، وكان ذلك فيهم عارٌ . فجعل بختنصر لهم طعاما وشربا فأكلوا وشربوا وقالوا للبوابين : أنظروا أول من يخرج إليكم ليبُول فأضربوه بالطَّبْرَين^(١) ، وإن قال لكم أنا بختنصر فقولوا له : كذبت ، بختنصر أمرنا بهذا . فحبس الله تعالى عن دانيال البُول ، وكان أول من قام من القوم يريد البُول بختنصر ، فقام مُدِلًا وذلك ليلا ، فخرج يسحب ثيابه ، فشده عليه البواب فقال : أنا بختنصر . فقال : كذبت ، بختنصر أمرني أن أقتل أول من يخرج ، فضربه فقتله .

وحكى محمد بن إسحاق بن يسار في سبب هلاك بختنصر غير ما حكاه السُّدِّي ، وذلك أنه قال بإسناده : لما أراد الله تعالى هلاك بختنصر أنبعث فقال لمن كان في يده من بنى إسرائيل : أرايت هذا البيت الذي نحرَبْتُهُ ، وهؤلاء الناس الذين قتلْتُم من هم ؟ وما هذا البيت ؟ قالوا : هذا بيت الله ومسجد من مساجده ، وهؤلاء أهله ، كانوا من ذراري الأنبياء فظلموا وتعذّوا وعصّوا ، فسُلّطت عليهم بذنوبهم ، وكان ربُّهم ربُّ السموات والأرض وربُّ الخلق كلهم ، يُكرمهم ويمنّهم .

(١) الطبرزين : جمعه طبرزيات . وهذا اللفظ مأخوذ من كلمة فارسية (نر ، نير) ومعناها الفأس ، وهي آلة للقتال عبارة عن عمود له حدّان ، وكانوا يعلّقونها في الدرع ليستخدّمها الفارس في وقت الزوال والبراز . (راجع شفاء الغليل وصباح الأعشى ج ١ ص ٣٦٥ وقاموس دوزي) .

وَيُزَيِّمُهُمْ، فَلَمَّا فَعَلُوا مَا فَعَلُوا أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى وَسَاطَ عَلَيْهِمْ غَيْرُهُمْ . قَالَ : فَأَخْبَرُونِي مَا الَّذِي يُطْلَعُ بِي إِلَى السَّمَاءِ الْعُلْيَا لَعَلِّي أُطْلَعُ إِلَيْهَا وَأَقْتُلَ مَنْ فِيهَا وَأَتَّخِذَهَا مُلْكًا فَإِنِّي قَدْ فَرِغْتُ مِنَ الْأَرْضِ وَمَنْ فِيهَا ؟ قَالُوا : مَا يَقْدِرُ عَلَى هَذَا أَحَدٌ مِنَ الْخَلَائِقِ . قَالَ : لَتَفْعَلُنَّ أَوْ لَا تَفْعَلُنَّ عَنْ آخِرِكُمْ . فَبَكَوْا وَتَضَرَّعُوا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، فَبَعَثَ اللَّهُ عِزْرَ وَجَلَ عَلَيْهِ بِقُدْرَتِهِ لِيُزَيِّمَهُ ضَعْفَهُ وَهَوَانَهُ بَعُوضَةً فَدَخَلَتْ فِي مَنْخَرِهِ ثُمَّ سَاخَتْ فِيهِ حَتَّى عَضَّتْ بِأَمِّ دِمَاغِهِ فَمَا يَقْزِرُ وَلَا يَسْكُنُ حَتَّى يُوجَأَ لَهُ رَأْسُهُ عَلَى أَمِّ دِمَاغِهِ . فَلَمَّا عَرَفَ أَنَّهُ الْمَوْتُ قَالَ لِحَاضَتِهِ مِنْ أَهْلِهَا : إِذَا مِتُّ فَشُقُّوا رَأْسِي فَأَنْظُرُوا مَا هَذَا الَّذِي قَتَلَنِي . فَلَمَّا مَاتَ شَقُّوا رَأْسَهُ فَوَجَدُوا الْبَعُوضَةَ عَاضَةً بِأَمِّ دِمَاغِهِ لِيُزَيِّمَ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ قُدْرَتَهُ وَسُلْطَانَهُ ، وَنَجَّى اللَّهُ تَعَالَى مَنْ بَقِيَ فِي يَدَيْهِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَرَدَّاهُمْ إِلَى إِبِلْيَا وَالشَّامِ ، فَبَنَوْا فِيهِ وَرَبَّوْا وَكَثُرُوا حَتَّى كَانُوا كَأَحْسَنِ مَا كَانُوا عَلَيْهِ . قَالَ :

١٠

فَبَزَعْمُونُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَحْيَا أَوْلَئِكَ الْمَوْتَى الَّذِينَ قُتِلُوا وَلَحِقُوا بِهِمْ . قَالَ : ثُمَّ مَاتَ مِنْهُمْ لَمَّا رَجَعُوا إِلَى الشَّامِ وَقَدْ أُحْرِقَ التَّوْرَةُ وَلَيْسَ مَعَهُمْ عَهْدٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى جَدَّدَ اللَّهُ عِزْرَ وَجَلَ تَوَارَتِهِمْ وَرَدَّاهُمْ عَلَيْهِمْ عَلَى لِسَانِ عُزَيْرٍ ، عَلَى مَا نَذَرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

$$\frac{34}{12}$$

قَالَ : وَكَانَ عُمرُ بَخْتَنْصَرٍ بِأَيَّامِ مَسْخِهِ نَبِيًّا وَخَمْسِينَ سَنَةً وَخَمْسِينَ يَوْمًا . فَلَمَّا

١٥

مَاتَ بَخْتَنْصَرٌ اسْتُخْلِفَ [أَبْنَاهُ] ^(٢) بِلِسْطَاسَ ^(٣) . وَكَانَتْ آتِيَةُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ الَّتِي حَمَلَهَا بَخْتَنْصَرٌ إِلَى بَابِلَ بَاقِيَةً ، فَتَجَسَّسَهَا بِلِجُومِ الْخَنَازِيرِ وَأَكَلَ وَشَرَبَ فِيهَا ، وَأَقْصَى دَانِيَالَ وَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ ، وَأَعْتَرَلَهُ دَانِيَالَ . فَبَيْنَا بِلِسْطَاسَ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ بَدَتْ لَهُ كَفٌّ بِغَيْرِ سَاعِدٍ وَكَتَبَتْ ثَلَاثَةً أَحْرَفَ بِمَشْهَدِهِ ثُمَّ غَابَتْ ، فَعَجِبَ مِنْ ذَلِكَ وَلَمْ يَدْرِ مَا هِيَ ، فَاسْتَدْعَى دَانِيَالَ وَأَعْتَذَرَ إِلَيْهِ وَسَأَلَهُ أَنْ يَقْرَأَ تِلْكَ الْكِتَابَةَ وَيُخْبِرَهُ بِتَأْوِيلِهَا . فَقَرَأَهَا دَانِيَالَ ، فَإِذَا

٢٠

(١) يوجأ : يضرب . (٢) زيادة عن النبطي .

(٣) في تاريخ ابن العبري (ص ٧٨) : « بِلِطْشَاصِر » .

هى : « بسم الله الرحمن الرحيم . وَزَنَ نَخْفَ^(١) ، وَوَعِدَ فَنَجَزَ ، وَجُمِعَ فَنَفَرَقَ » . فقال دانيال : أَمَا قَوْلُهُ وَزَنَ نَخْفَ ، أَى وَزَنَ عَمَلُكَ فِي الْمِيزَانِ نَخْفَ . وَوَعِدَ مُلْكُكَ فَنَجَزَ اليوم ، وَجُمِعَ فَنَفَرَقَ ، أَى جُمِعَ لَكَ وَلَوْلَاكَ مِنْ قَبْلِكَ مُلْكُكَ عَظِيمٌ فَنَفَرَقَ الْيَوْمَ فلا يرجع إلى يوم القيامة . فلم يلبث إلا قليلا حتى أهلكهم الله تعالى وضمعف ملكهم ، وَبَقِيَ دَانِيَالُ بَارِضٌ بِأَبْلِ إِلَى أَنْ مَاتَ بِالسُّوسِ^(٢) .

فهذه الأقاويل التي وردت في مختصر هي على ما جاء في التفسير والمبتدا^(٣) . وأما قول من قال إنه كان مَرزُ بَانًا للهراسف الملك الفارسيّ فسند كره إن شاء الله تعالى في أخبار ملوك الفرس ، على ما تقف عليه إن شاء الله تعالى في موضعه وهو في الباب الثالث من القسم الرابع من هذا الفن في السفر الثالث عشر من هذه النسخة من كتابنا هذا .

وهذه الاخبار التي قدّمنا ذكرها أو ردها أبو إسحاق الثعلبيّ في تفسيره وفي كتابه المترجم بـ « سِوَا قِيتِ الْبَيَانِ فِي قِصَصِ الْقُرْآنِ » . وقال في تفسيره : إِمَّا أَنْ رَوَايَةً مَنْ رَوَى أَنْ بَخْتَنْصَرُ غَزَا بَنِي إِسْرَائِيلَ عِنْدَ قَتْلِهِمْ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا عَلَيْهِمَا السَّلَامُ غَلَطَ عِنْدَ أَهْلِ السَّيَرِ وَالْأَخْبَارِ وَالْعِلْمِ بِأُمُورِ الْمَاضِينَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُسْلِمِينَ . وَذَلِكَ أَنَّهُمْ مُجْمِعُونَ عَلَى أَنْ بَخْتَنْصَرُ غَزَا بَنِي إِسْرَائِيلَ عِنْدَ قَتْلِهِمْ نَبِيَّهُمْ شَعْيَا وَفِي عَهْدِ إِرْمِيَا بْنِ حَلَفِيَّا عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، وَهِيَ الْوَقْعَةُ الْأُولَى الَّتِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَخَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَقْعُولًا ﴾ يعنى بَخْتَنْصَرُ وَجُنُودَهُ . قَالَ الثَّعْلَبِيُّ قَالُوا : وَمِنْ عَهْدِ إِرْمِيَا وَتَحْرِيبِ بَخْتَنْصَرِ الْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ إِلَى مَوْلِدِ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا أَرْبَعُمِائَةِ سَنَةٍ وَإِحْدَى وَسِتُّونَ سَنَةً . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(١) في الأصول : « ... وزن نخف ... وجمع نفرق ... » وقد أشتباه كما في الثعلبي لوضوحه .
(٢) السوس التي بها قبر دانيال عليه السلام : بلدة بنحو زستان (راجع معجم البلدان لباقوت ج ٣ ص ١٨٨ طبع أوربا) . (٣) هو الكشف والبيان في تفسير القرآن لأبي إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري المتوفى سنة ٤٢٧ هـ ومنه بعض أجزاء مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية .
(٤) هواسم كتاب أيضا .

ذكر خبر عمارة بيت المقدس بعد أن خربه بختنصر

وخبر الذي مرّ على قرية

قال الله عز وجل : ﴿ أَوَكَلَّيْنا مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ... ﴾ الآية .

- قال أبو اسحاق الثعلبي رحمه الله : اختلفوا في ذلك المسار من كان ، فقال
عكرمة وقتادة والربيع بن أنس والضحاك والسدي وناجية بن كعب وسليمان بن بريدة^(٢)
وسلم الخواص : هو عزي بن شرخيا . وقال وهب بن منبه وعبد الله بن عبيد
ابن عمير : هو إرميا بن حلقيا ، وكان من سبط هارون بن عمران ، وقد تقدم ذكره .

قال : وأختلفوا أيضا في القرية التي مرّ عليها ، فقال وهب وعكرمة وقتادة

- والربيع : هي بيت المقدس . وقال الضحاك : هي الأرض المقدسة . وقال ابن زيد :
هي الأرض التي أهلك الله تعالى بها الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر
الموت . وقال الكلبي : هي دير سابرا باذ . وقال السدي : هي سلماباذ . وقيل :
هي دير هنزقل^(٣) . وقيل : هي قرية العنب ، وهي على فرسخين من بيت المقدس .

(١) سورة البقرة آية ٢٥٩

- (٢) كذا في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (ج ٣ ص ٢٨٨) طبع دار الكتب المصرية وتهذيب
التهذيب لابن حجر (ج ٤ ص ١٧٤) . وفي الأصول : « يزيد » وهو تحريف .
(٣) كذا في معجم البلدان لياقوت وذكر أنه (بكسر أوله وزاء معجمة ساكنة وقاف مكسورة) وقال :
وأصله حزقيل ثم نقل إلى هنقل ، وهو دير مشهور بين البصرة وعسكر مكرم (خاص بالمجانين) ، ولابد حكاية
فيه مع أحد عقلاء المجانين ، وقد ذكره دعبيل بن علي حين هجا أبا عباد كاتب المأمون فقال :
فكانه من دير هنقل مفلت * حتى يجر سلاسل الأقياد

- وفي الأصول والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (ج ٣ ص ٢٨٩) طبع دار الكتب المصرية : « هنقل »
بالراء المهملة وهو خطأ . (راجع ياقوت ج ٢ ص ٧٠٦ ، ٥٤٢ طبع أوروبا ومسالك الأبصار لابن فضل الله
العمري ج ١ ص ٣٤٤ طبع دار الكتب المصرية) .

قال فالذى يقول : إن المآزر إرمياً وإن القرية بيت المقدس ، هو ما رواه محمد
 ابن إسحاق بن يسار عن وهب بن منبه : أنه لما كان من أمر إرمياً ما قدمناه ،
 وأنه طارماً آلهب مكان القربان وخسف بسبعة أبواب من أبواب بيت المقدس
 حتى خالط إرمياً الوحش ودخل يختصر وجنوده بيت المقدس وحرب كما تقدم . فلما
 رجع يختصر عن بيت المقدس أقبل إرمياً على حمار له معه عصير عنب في ركوة^(١)
 وسلّة تين حتى غشى إيلياء^(٢) . فلما وقف عليها ورأى خرابها قال : « أتى يحيى هذه الله
 بعد موتها » ! . قال : ثم ربط إرمياً حماره بحبل جديد ، فألقى الله تعالى عليه النوم ،
 فلما نام نزع منه الروح مائة عام وأمات حماره ، وعصيره وتينته عنده ، وأعمى الله تعالى
 عنه العين فلم يره أحد وذلك حتى ، ومنع الله السباع والطير لحمه . فلما مضى من
 نومه سبعون سنة أرسل الله عز وجل ملكاً إلى ملك عظيم من ملوك
 فارس يقال له : « بوشك^(٣) » فقال له : إن الله عز وجل يأمرك أن تنفر
 بقومك فتعمر بيت المقدس وإيلياء وأرضها حتى تعود أحسن ما كانت ، فانتدب
 الملك ألف قهرمان مع كل قهرمان ثلاثمائة ألف عامل ، فجعلوا يعمرونها فعمرت ،
 ونجى الله تعالى من بقي من بنى إسرائيل ولم يمت ببابل أحد منهم وردهم الله تعالى
 إلى بيت المقدس وعمروها ثلاثين سنة حتى كانوا كأحسن ما كانوا عليه ؛ وذلك
 بعد أن حُرّبت سبعين سنة . فلما مضت المائة سنة أحيا الله عز وجل
 منه عينيه وسائر جسده ميتاً ، ثم أحيا جسده وهو ينظر ، ثم نظر إلى حماره فإذا
 عظامه متفرقة بيض تلوح ، فسمع صوتاً من السماء : أيتها العظام البالية إن الله

(١) الركوة : إناء صغير من جلد .

(٢) إيلياء : اسم مدينة بيت المقدس . معناه بيت الله .

(٣) كذا في الأصول . وفي قصص الأنبياء للثعلبي المطبوعة : « بوشك » . وفي المخطوطة :

« نوشك » . وفي الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (ج ٤ ص ٢٩١) : « كوشك » .

يَأْمُرُكَ أَنْ تَجْتَمِعَ، فَاجْتَمِعْ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ وَاتَّصِلْ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ . ثُمَّ نُودِيَ :
 إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَكْتَسِبَ لِحْمًا وَجِلْدًا فَكَانَ كَذَلِكَ . ثُمَّ نُودِيَ : إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ
 تَحْيَا، فَقَامَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَنَهَى . وَعَمَّرَ اللَّهُ تَعَالَى إِرْمِيَا ، فَهُوَ الَّذِي يُرَى فِي الْقُلُوبِ ؛ فَذَلِكَ
 قَوْلُهُ تَعَالَى : (فَأَمَّا اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ) أَيْ أَحْيَاهُ (قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا
 أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ) وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَاتَهُ حُجِّي فِي أَوَّلِ النَّهَارِ وَأَحْيَاهُ بَعْدَ مِائَةِ عَامٍ .
 فِي آخِرِ النَّهَارِ قَبْلَ غَيْبِ بَوْبَةِ الشَّمْسِ ، فَقَالَ : « لَبِثْتُ يَوْمًا » ، وَهُوَ يَرَى أَنَّ الشَّمْسَ قَدْ
 غَرُبَتْ ، ثُمَّ آلَفَتْ فَرَأَى بَقِيَّةَ مِنَ الشَّمْسِ فَقَالَ : « أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ » ، بِمَعْنَى بَلْ بَعْضُ
 يَوْمٍ (قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَأَنْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ) يَعْنِي التِّينَ (وَشَرَابِكَ) يَعْنِي
 الْعَصِيرَ (لَمْ يَسْنَهُ) أَيْ لَمْ يَنْغَيِّرْ (وَأَنْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ) وَأَنْظُرْ إِلَى
 الْعِظَامِ كَيْفَ نَشَرْنَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لِحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ^(١) .
 ١٠ قَالَ وَهَبَ : لَيْسَ فِي الْجَنَّةِ كَلْبٌ وَلَا حِمَارٌ إِلَّا كَلْبُ أَصْحَابِ أَهْلِ الْكَهْفِ وَحِمَارُ إِرْمِيَا
 الَّذِي أَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ . هَذَا قَوْلٌ مِنْ قَالَ إِنَّهُ إِرْمِيَا بْنُ حَلَفِيَا .



وَأَمَّا مَنْ قَالَ إِنَّهُ عُزَيْرٌ ، فَإِنَّهُ يَقُولُ : إِنَّ بَخْتَنْصَرَ لَمَّا خَرَّبَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ
 قَتَلَ أَرْبَعِينَ أَلْفًا مِنْ قُرَاءِ التَّوْرَةِ وَالْعُلَمَاءِ ، وَقَتَلَ مِنْهُمْ أَبَا عُزَيْرٍ وَحَدَهُ . وَكَانَ عُزَيْرٌ
 ١٥ يَوْمَئِذٍ غُلَامًا قَدْ قَرَأَ التَّوْرَةَ وَتَقَدَّمَ فِي الْعِلْمِ ، وَأَقْدَمَهُ بِخْتَنْصَرَ مَعَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى
 أَرْضِ بَابِلَ ، وَهُوَ مِنْ وَلَدِ هَارُونَ . فَلَمَّا نَجَّى عُزَيْرٌ مِنْ بَابِلَ أَرْتَحَلَ عَلَى حِمَارٍ حَتَّى
 نَزَلَ عَلَى دِيرِ هَزْقِيلَ عَلَى شَطِّ دِجْلَةَ ، وَطَافَ فِي الْقَرْيَةِ فَلَمْ يَرَفِهَا أَحَدًا ، وَعَامَةً شَجَرَهَا
 حَامِلٌ ، فَأَكَلَ مِنَ الْفَاكِهِ وَأَعْتَصَرَ مِنَ الْعَنْبِ وَشَرِبَ مِنْهُ ، وَجَعَلَ فَضْلَ الْفَاكِهَةِ

في سَلَّة وفضل العَصِير في زِق . فلما رأى خراب القرية وهلاك أهلها قال : ﴿ أَتَى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ الآية ، وساق فيه نحو ما تقدم في خبر إرميا .

وقال قوم في قوله تعالى : ﴿ وَأَنْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ ﴾ إن الله تعالى لم يَمِثْ حماره فأحيا الله تعالى عينيه ورأسه وسائر جسده مِثَّ فقال له : « أَنْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ » فنظر الى حماره قائما كهيئته يوم ربطه حيا ، لم يَطْعَمْ ولم يَشْرَبْ مائة عام ، ونظر الى الرِّمَّة في عُنُقِهِ جديدة ؛ وهذا قول الضحَّاك وقتادة . وقال الآخرون : أراد عظام حماره كما تقدم في قصة إرميا . وقوله تعالى : ﴿ وَلَنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ ﴾ أى عبرة ودلالة على البعث بعد الموت . وقال الضحَّاك : وهو أنه عاد إلى قريته وأولاده وأولاد أولاده شيوخ وعجائز وهو أسود الرأس والحية .

١٠ وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : أحيا الله تعالى عُزَيْرًا بعد مائة سنة ، فركب حماره حتى جاء محلته^(١) ، فأنكره الناس وأنكر الناس ومنازلَه ، فأطلق على وَهْمٍ حتى أتى منزلَه ، وإذا هو بعجوز عمياء قد أتى عليها مائة وعشرون سنة ، وكانت أمة لهم ، ففرج عنهم عُزَيْرَ وَهْيَ ابنة عشرين سنة ، وكانت قد عرفتَه وعَقَلَتَه ؛ فلما أصابها الكِبَرُ والزَّمَنُ قال لها عُزَيْرُ^(٢) : يا هذه ، هذا منزل عُزَيْرِ^(٣) ؟ قالت : نعم هذا منزل عُزَيْرٍ وبكت وقالت : ما رأيتُ أحداً من كذا وكذا سنة يذكر عُزَيْرًا وقد نَسِيَهُ الناس . قال : فإني عُزَيْرُ . قالت : سبحان الله ! فإن عُزَيْرًا قد فقدناه من مائة سنة . قال : فإني أنا عُزَيْرُ ، إن الله أماتني مائة سنة ثم بعثنى . قالت : فإن عُزَيْرًا كان رجلاً مُجَابَّ الدعوة ، يدعو للريض وصاحب البلاء بالعاية والشفاء ، فأدعُ الله .

(١) كذا في التعلي . ووردت بحزقة في الأصول . (٢) الزمن : مصدر زمن يزمن

(مثل فرح) زَمَنًا وزَمَنَةً وزَمَانَةً . وبعبارة التعلي : « فلما أصابها الكبر لحقتها زمانة » .

(٣) كذا في التعلي . وفي الأصول : « هذه منازل » ولا تنفق مع السياق .

يَرِدْ عَلَى بَصْرَى حَتَّى أَرَكَ ، فَإِنْ كُنْتَ عُزَيْرًا عَرَفْتُكَ . فَدَعَا رَبَّهُ تَعَالَى فَاسْتَجَابَ لَهُ وَمَسَحَ بِيَدِهِ عَلَى وَجْهِهَا وَعَيْنَيْهَا فَصَحَّحَتْهَا ، وَأَخَذَ بِيَدِهَا وَقَالَ لَهَا : قَوْمِي بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى ، فَأُطْلِقَ اللَّهُ رِجْلَيْهَا ، فَقَامَتْ صَحِيحَةً كَأَنَّهَا تَشَطَّتْ مِنْ عِقَالٍ ، فَنَظَرَتْ إِلَيْهِ فَقَالَتْ : أَشْهَدُ أَنَّكَ عُزَيْرٌ . فَاِنْطَلَقَتْ إِلَى مَحَلَّةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَهُمْ فِي أُنْدِيَتِهِمْ وَمَجَالِسِهِمْ وَأَبْنُ لُغُزِيرٍ شَيْخُ ابْنِ مَائَةَ سَنَةٍ وَثَمَانِيَةِ عَشَرِ سَنَةٍ وَبَنُو أَبْنَةِ شَيْوُخٍ ٥ فِي الْمَجَالِسِ ، فَادَّت : هَذَا عُزَيْرٌ قَدْ قَدِمَ وَجَاءَكُمْ ، فَكَذَّبُوهَا . فَقَالَتْ : وَأَنَا فَلَانَةٌ مَوْلَاتُكُمْ دَعَا لِي رَبُّهُ فَرَدَّ اللَّهُ عَلَى عَنِي وَأُطْلِقَ رِجْلِي ، وَزَعَمَ أَنَّ اللَّهَ أَمَاتَهُ مَائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ . فَهَضَّ النَّاسُ وَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ ، فَقَالَ أَبْنَةُ : إِنَّهُ كَانَ لِأَبِي شَامَةٌ سُودَاءُ مِثْلَ الْهَلَالِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ ، فَكَشَفَ عَنْ كَتِفَيْهِ وَإِذَا هُوَ عُزَيْرٌ .

١٠

✱

وَأَمَّا خَبْرُ فِتْنَةِ الْيَهُودِ بِهِ وَقَوْلُهُمْ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ ، فَقَدْ رَوَى عَطِيَّةُ الْعَوْفِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : كَانَ عُزَيْرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ، وَكَانَتِ التَّوْرَةُ عَنْدهُمْ ، فَعَمِلُوا بِهَا مَا شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَعْمَلُوا ، ثُمَّ أَضَاعُوهَا وَعَمِلُوا بِغَيْرِ الْحَقِّ ، وَكَانَ النَّابُوتُ فِيهِمْ . فَلَمَّا رَأَى اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُمْ قَدْ أَضَاعُوا التَّوْرَةَ وَعَمِلُوا بِالْأَهْوَاءِ رَفَعَ عَنْهُمْ النَّابُوتَ وَأَنْسَاهُمْ التَّوْرَةَ وَنَسَخَهَا مِنْ صُدُورِهِمْ ، وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ مَرَضًا ، ١٥ فَاسْتَطَاقَتْ بِطُونُهُمْ ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ يَمَسُّ كَبِدَهُ ، حَتَّى نَسُوا التَّوْرَةَ وَفِيهِمْ عُزَيْرٌ . فَكَشَوْا مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْشَوْا بَعْدَ مَا نُسِخَتِ التَّوْرَةُ مِنْ صُدُورِهِمْ . وَكَانَ عُزَيْرٌ دَعَا اللَّهَ وَابْتَهَلَ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّ إِلَيْهِ الَّذِي نُسِخَ مِنْ صُدُورِهِمْ . فَبَيْنَمَا هُوَ يَصِلُ وَيَبْتَهِلُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى إِذْ نَزَلَ نُورٌ مِنَ السَّمَاءِ فَدَخَلَ فِي جَوْفِهِ ، فَعَادَ إِلَيْهِ الَّذِي كَانَ ذَهَبَ مِنَ التَّوْرَةِ ، فَأَذَّنَ فِي قَوْمِهِ فَقَالَ : يَا قَوْمُ ، قَدْ أَتَانِي اللَّهُ التَّوْرَةَ وَرَدَّهَا إِلَيَّ ، فَطَفِقَ ٢٠ يُعَلِّمُهُمْ ، فَكَشَوْا مَا شَاءَ اللَّهُ وَهُوَ يَعْلَمُهُمْ . ثُمَّ إِنَّ النَّابُوتَ نَزَلَ بَعْدَ ذَلِكَ . فَلَمَّا رَأَوْا

التابوت عَرَضُوا ما كان فيه على الذى كان يعلمهم عُزَيْر فوجدوه مثله ، فقالوا :
والله ما أوتيَ عزير هذا إلا وهو ابن آله .

- وقال السُّدَى وَأَبْنُ عَبَّاسٍ فى رواية عَمَّار بن ياسر : إنما قالت اليهودُ هذا لأَنَّ
العالمَةَ ظهرت عليهم فقتلوهم وأخذوا التوراة وهَرَبَ علماءهم الذين بَقُوا ودَفَنُوا
التوراة فى الجبال وغيرها ، ولحق عُزَيْر بالجبال والوحوش ، وجعل يتعبد فى رءوس
الجبال ولا يخالط الناس ولا ينزل إلا يوم عيد ، وجعل يبكى ويقول : يارب تركتُ
بنى إسرائيل بغير عالم ، فبكى حتى سقطت أشفار عينيه ، فنزل مرَّة الى العيد ، فلما
رجع إذا هو بامرأة قد تمثلت له عند قبر من القبور تبكى وتقول : يا مُطْعِمَاهُ ،
ويا كاسِيَاهُ ! فقال لها عُزَيْر : يا هذه أتقى الله وأصبرى وأحسبى ، أما علمتِ أَنَّ
الموت مكتوبٌ على الناس ! . وقال لها : وَيَحْيَا ! مَنْ كان يُطْعِمُكَ ويَكْسُوكَ قبل
هذا الرجل ؟ (يعنى زوجها التى كانت تندبُه) . قالت له : الله تعالى . قال : فإن الله
تعالى حى لا يموت . فقالت : يا عُزَيْر ، مَنْ كان يعلم العلماء قَبْلَ بنى إسرائيل ؟
قال : الله . قالت : فلم تبكى عليهم وقد علمتِ أَنَّ الموت حقٌّ وأن الله حى لم يمت .
فلما علم عُزَيْر أنه قد خُصِمَ ولَّى مُدْبِرًا . فقالت له : يا عُزَيْر ، لستُ بامرأة ولكنى
الدنيا . أما أنه ستنبئ لك فى مُصَلَّاكَ عَيْنٌ وتنبئ لك شجرةٌ ، فكلُّ من ثمره تلك
الشجرة وأشرب من ماء تلك العين وأغتسل وصلَّ ركعتين ؛ فإنه سيأتيك شيخٌ ،
فما أعطاك نخذ منه . فلما أصبح نبعت العين فى مُصَلَّاها وتنبَّت الشجرة ، ففعل
ما أمرته به ، وجاء شيخ وقال له : افتح فاك ، ففتح فاه فالتقى فيه شيئًا كهَيْئَةِ الجَمْرَةِ
العظيمة مجتمعا كهَيْئَةِ القوارير ثلاث مرَّات ، ثم قال له : أدخِلْ هذه العينَ فأمْسِ
فيها حتى تبلغ قومك . قال : فدخلها فجعل لا يرفع قدمه إلا زِيدَ فى علمه ، فرَجَعَ
إليهم وهو أعلم الناس بالتوراة . فقال : يا بنى إسرائيل ، قد جئْتُكم بالتوراة . فقالوا :

يا عُزَيْر، ما كنتَ كذاباً . فربط على كلِّ أصبعٍ له قلماً وكتب بأصابعه كلها حتى كتب التوراة كلها عن ظهر قلبه ، فأحيا لبني إسرائيل التوراة وأحيا لهم السنة . فلما رجع العلماء استخرجوا كُتُبَهُم التي كانوا دفنوها ، فعارضوا بها توراة عُزَيْر فوجدوها مثلها ، فقالوا : ما أعطاه الله تعالى هذا إلا أنه آبنه .

- وقال الكلبي : إن بختنصر لما ظهر على بني إسرائيل وهدم بيت المقدس وقتل مرة قراء التوراة ، كان عُزَيْر إذ ذاك غلاماً صغيراً ، فاستضعفه فلم يقتله ، ولم يدري أنه يقرأ التوراة . فلما توفى مائة سنة ورجعت بنو إسرائيل إلى بيت المقدس وليس منهم من يقرأ التوراة بعث الله عز وجل عُزَيْراً ليجدد لهم التوراة ويكون لهم آية ، فأتاهم فقال : أنا عُزَيْر . فكذبوه وقالوا : إن كنتَ عُزَيْراً كما تزعم فأتل علينا التوراة . فكتبتها وقال : هذه التوراة . ثم إن رجلاً قال : إن أبي حدثني عن جدِّي أن التوراة جُعِلَتْ في خابية ثم دُفِنَتْ في كرم . فأنطلقوا معه حتى آحتفروها وأخرجوا التوراة ، فعارضوها بما كتب عُزَيْر فلم يجدوه غادر منها [آية ولا ^(١) حرفاً ، فعجبوا وقالوا : إن الله لم يقذف التوراة في قاب رجل واحد منَّا بعد ما ذهبت من قلوبنا إلا أنه آبنه ؛ فعند ذلك قالت اليهود : عُزَيْر آبن الله .

(١) زيادة عن التعليق .

الباب الرابع

من القسم الثالث من الفن الخامس

في قصة ذى النون يونس بن متى عليه السلام وخبر بلوقيا

ذكر قصة ذى النون يونس بن متى عليه السلام

قال الكسائي رحمه الله قال وهب بن منبه : كان متى رجلا صالحا من أهل بيت النبوة ، ولم يرزق الولد الى آخر عمره بعد أن أسن هو وزوجته ، فسأل الله تعالى الولد ، فتودى : إن الله قد استجاب دعائك ، فأطلق إلى حاضرة التوبة ، وهو الموضع الذى أمر الله تعالى بنى إسرائيل أن يقتلوا أنفسهم فيه لما عبدوا العجل . فصار إلى هناك وإذا بملك قد هبط من السماء فضرب قبة على باب حاضرة التوبة ، وذلك فى ليلة عاشوراء ، وأمرهما أن يدخلها فدخلوا وواقعها ، فحملت بيونس ، ثم أنصرفا إلى منزلها . فلما صار لها أربعة أشهر توفى متى وبقيت أمر أنه أرملة ليس لها إلا قصعة كانت لآل هارون ، فكانت تضرب رزقها فى المساء والصباح من عند الله . فلما وضعت يونس لم يكن لها لبن يكفيه ، فكانت أمه تأتى إلى الرعاة وتسألهم اللبن فلا يجيبونها ، فكانت تقول : اللهم هذا الولد هبتك فلا تهلكه جوعا ، فكانت المواشى تأنيه وتمج عليه بضرعها حتى شبع ، فإذا شبع يقول : الحمد لله ، فأمن به جماعة من الرعاة ، فبقى كذلك حتى فطمته أمه ،

(١) كذا فى الأصول والكسائي . (٢) فى الكسائي : « الحمد لله الذى سقانى وآوانى ،

فكانوا يدهشون إليه من فصاحته على صغر سنه فأمن به فى ذلك الوقت سبعون راعيا يقولون آمنا بالذى

أسقى هذا الغلام من هذه الغنم ... الخ » .

- وكان يُسمَّى يَتِيمَ بنى اسرائيل، حتى أتت عليه سبعُ سنين، فأقبل على أمه فقال :
- يا أمّاه، لا ينبغي أن تذهب أيتامى بالبطالة، وأريد أن تلبسينى ثوبا من الصوف حتى ألحقَ بالعباد وأكون معهم. فقالت : يا بني، أنت صغير ولم يأن لك أن تسيح .
- فلم يزل بأمه حتى أجابته إلى ذلك ولحقَ بالعباد واشتهر ذكره فيهم بكثرة العبادة حتى استكمل من العمر خمسا وعشرين سنة، فرأى في منامه : إن الله يأمرُك أن تَمْضِيَ •
- إلى مدينة الرملة^(١) فلما فيها وليا من أوليائى وله ابنة عفيفة فتزوجها منه . فلما أصبح عزم على المسير، وصحبه جماعة من بنى اسرائيل من أصحابه، وسار حتى دخل مدينة الرملة، وسأل عنه فقيل : إنه فى السوق يبيع ويشترى . فعجِبَ يونس من ذلك وجاء الى السوق فرآه وهو يبيع الطيب ويكثر الضحك . فقال يونس : ليس هذا من صفات الأولياء والعباد . فنظر إليه زكريا وقام إليه وصاحفه وسلم عليه باسمه وأسم أبيه . قال : وكيف عرفتني ؟ قال : رأيتك فى المنام وأمرتُ أن أزوجَ ابنتى منك . وتوجّه به إلى منزله وقدم له الطعام فاكلا، وذكر له رؤياه وأنها سببُ مسيره الى الرملة، ثم سأله عن مكسبه بالبيع والشراء فقال : أَمَا البيعُ والشراء فبإباح، والتاجر فاجر إلا من أخذ الحق وأعطاه، وأتقى الله ولم يمدح ساعته .

٣٨
١٢

- ١٥ فلما أقبل الليل نزع زكريا ما كان عليه من الثياب ولبس الصوف ودخل محرابه ولم يزل فى صلاته ودعائه وتضرّعه حتى أصبح ، فنزع الصوف ولبس ما كان عليه بالأمس وبرز إلى السوق ويونسُ معه، فكان ذلك دأبه .

ثم زوجَ ابنته من يونس وهبَ لها بعضَ ماله . وأقام يونس عنده، ورزق الله يونس من زوجته ولدين ومات زكريا ، فأَحْتَمَلَ يونس زوجته إلى بيت

- ٢٠ (١) الرملة : مدينة عظيمة بفلسطين، بينها وبين بيت المقدس ثمانية عشر ميلا . (٢) فى الأصول : « ذكرى عليه السلام » والمذكور هنا هو زكريا بن عبدان، وليس زكريا النبيّ أبابجي عليهما السلام .

المقدس وأقام هناك يعبد الله تعالى . وشَعْيَا يومئذ بيت المقدس وهو نبي
في بني إسرائيل إلى أن بعث الله تعالى يونس نبياً .

قال : وكان في بلاد نِينَوَى مَلِكٌ ^(١) وكانت جيوشه كثيرة ، قيل : لأنها كانت تزيد على
عشرة آلاف قائد . وكان إذا غزا تكون معه تماثيل من الأسود والفيلة متخذة
من النحاس والحديد ، يخرج من أفواهها لَهَبُ النَّيران ، ومعه رجال يلعبون بالنيران .
فغزا هذا الملك بني إسرائيل على هذه الصورة ، فقتل من بني إسرائيل وسبى ، ثم عاد
إلى بلاد نِينَوَى ، وغزاهم ثانية وتكثرت غزواته فيهم . فأوحى الله تعالى إلى شَعْيَا
نبي بني إسرائيل أن يختار من عُبَاد بني إسرائيل أميناً قوياً يبعثه إلى بلاد نِينَوَى رسولاً
إلى مَنْ بها من الملوك وغيرهم ، فإنهم قد مجدوا حتى وأنكروا معرفتي . فدخل شَعْيَا
على حَرْقِيَا الملك وأمره أن ينادي في عُبَاد بيت المقدس ، وبها يومئذ عشرة آلاف
عابد ، لباسهم الشعر والصوف ونعالهم الخوص ، فنادى فيهم بالاجتماع فاجتمعوا ،
فاختار منهم ثلاثة واختار من الثلاثة يونس بن مَتَّى ، ثم قال له حَرْقِيَا : إن الله أوحى
إلى نبيه شَعْيَا أن يختار من جملة هؤلاء العباد والزهاد أعبدهم وأنقاهم ، وقد وقع
اختياره عليك لَتُبْعَثَ [إلى أهل] بلاد نِينَوَى . قال يونس : إن في بني إسرائيل
مَنْ هو أعبد مني وأزهدي ، فأبعث أيها الملك غيري . قال : لا أبعث سواك ، فأنهض

(١) نينوى : كانت قصبة آشور وأعظم مدنها . أسما آشور على ضفة دجلة الشرقية قبالة الموصل ،
وهي تبعد عن بابل نحو ٢٥٠ ميلاً وعن خليج فارس إلى الشمال الغربي منه ٥٥٠ ميلاً . (راجع قاموس
الكتاب المقدس للدكتور جورج بوست) .

(٢) في الكسائي : « يقال له ثعلب بن الأسارد » .

(٣) في الكسائي بعد هذا : « ومع كل قائد خلق كثير » .

(٤) التلمذة عن قصص الأنبياء للكسائي .

ولا تخالفني فإن هذا عن أمر الله . فَأَنْصَرَفَ يُونُسُ إِلَى أُمِّهِ وَأَخْبَرَهَا الْخَبْرَ وَأَسْتَشَارَهَا ،
 فَقَالَتْ : إِنْ اللَّهُ أَنْطَقَ الْمَلِكَ فِي حَقِّكَ بِالرَّسَالَةِ فِسِرْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَعْصِ اللَّهَ وَنَبِيَّنا
 شَعِيًّا وَمَلِكَنَا حَرِيقًا . فعزم على المسير وودَّع أُمَّهُ وحمل أَهْلَهُ حَتَّى بَلَغَ شَاطِئَ دِجْلَةَ ،
 فَنَزَلَ هُنَاكَ وَفَكَّرَ فِي أَمْرِهِ وَضَعْفَهُ وَعِيَالِهِ وَقَالَ : كَيْفَ لِي بِمُطَاوَلَةِ الْجَبَابِرَةِ وَالْفِرَاعِنَةِ !
 وَأَقْبَلَ عَلَى أَهْلِهِ وَقَالَ : قَدْ عَزِمْتُ عَلَى الْفِرَارِ ، فَهَاءُ أَهْلُهُ عَنْ ذَلِكَ . فسكت
 ٥ وقام ليعبر دِجْلَةَ إِلَى بِلَادِ نَيْنَوَى فَعَبَّرَ بَوْلَهُ الْأَكْبَرَ ، ثُمَّ رَجَعَ وَأَخَذَ وَلَدَهُ الثَّانِي .
 فَلَمَّا تَوَسَّطَ دِجْلَةَ زَادَ الْمَاءُ فَغَرِقَ ابْنُهُ الَّذِي كَانَ مَعَهُ ، وَكَانَ فِي يَدِهِ نَقْرَةٌ ^(١) مِنْ
 الذَّهَبِ كَانَ قَدْ وَرَثَهَا مِنْ حَمِيهِ فَغَرِقَتْ ، وَجَاءَ ذَنْبٌ إِلَى وَلَدِهِ الَّذِي عَبَّرَ بِهِ فَأَحْتَمَلَهُ .
 فَصَاحَتِ الْمَرْأَةُ : يَا يُونُسُ ، إِنْ أَبْنُكَ أَخَذَهُ الذَّنْبُ . فخرج من الماء يعدو خلف
 الذَّنْبِ فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ وَقَالَ : ارْجِعْ يَا يُونُسُ فَإِنِّي مَأْمُورٌ ، فَرَجَعَ يُونُسُ بِأَيِّكَ عَلَى وَلَدِيهِ .
 ١٠ فَلَمَّا بَلَغَ الشَّطْطَ لَمْ يَرِ أَهْلَهُ ، فَجَلَسَ يَبْكِي . فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ : إِنْكَ شَكَوْتَ كَثْرَةَ الْعِيَالِ ،
 وَقَدْ أَرَحْتُكَ مِنْهُمْ ، فَأَذْهَبِ الْآنَ إِلَى قَوْمِكَ فَإِنِّي سَارِدٌ عَلَيْكَ أَهْلَكَ وَلَدَيْكَ
 وَأَنَا عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . فَطَابَتْ نَفْسُهُ وَسَارَ حَتَّى بَلَغَ بِلَادَ نَيْنَوَى فَتَوَسَّطَ
 سُوقَهَا وَنَادَى : يَا قَوْمُ ، قُولُوا بَأْجَعَكُمْ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَتَى يُونُسَ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .
 فَلَمَّا سَمِعُوا ذَلِكَ أَقْبَلُوا عَلَى مَلِكِهِمْ وَأَخْبَرُوهُ بِهِ وَبِمَقَالَتِهِ . فَأَحْضَرَهُ الْمَلِكُ
 ١٥ وَقَالَ لَهُ : مَنْ أَيْنَ أَنْتَ ؟ قَالَ : رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ وَإِلَى أَهْلِ مَمْلَكَتِكَ فَأَمِنُوا بِهِ
 تَجَبُّوا مِنَ النَّارِ . فَأَمَرَ الْمَلِكُ بِجَبْسِهِ ثُمَّ بَعَثَ إِلَيْهِ وَزِيرَهُ ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ الْمَقْدَسِ ،
 وَأَسْمُهُ سَنْجِيرٌ ^(٢) ، فَقَالَ لَهُ : أُدْخِلْ عَلَى هَذَا الرَّجُلِ يُونُسَ وَتَعَرَّفْ أَمْرَهُ . فَدَخَلَ عَلَيْهِ
 وَسَأَلَهُ عَنْ أَسْمِهِ وَأَسْمَ أَبِيهِ ، وَمَنْ أَيْنَ أَقْبَلَ وَفِيَاذَا جَاءَ . فَذَكَرَ لَهُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ

(١) النقرة من الذهب : ماسيك مجتمعا منها .

(٢) كذا في الأصول . وفي الكسائي : « سنحاريب » .

إليهم . فقال له الوزير : أرى أن ترفق فإني أخشى عليك من هذا الملك فإنه جبار .
وأنصرف الوزير إلى الملك وقال له : قد عرفت الرجل ، وقد ذكر أنه رسول من
إله السماء . فهمم الملك بقتله ، فاستوهبه الوزير منه على أن يكون في البلد ولا يقول
مثل مقالته . فاستدعى الوزير يونس وذكر له ذلك . فقال له : أما القتل فلا أخشى
منه ، والرسالة فلا أتركها حتى يحكم الله بيني وبينه . ثم إن الملك خلّى سبيله على أنه
مجنون . فلم يزل يونس يدعوهم إلى طاعة الله تعالى في كل يوم عامة نهاره ، حتى إذا
جاء المساء أتى شطّ دجلة فيصليّ حتى يُصبح ، ثم يعود إليهم والناس يضرّبونه
ويرجمونه ويسبّونه حتى ضجّر فاستغاث إلى ربّه . فأوحى الله تعالى إليه : يا يونس ،
إنك دعوت القوم فلا تعجل عليهم وأدعهم أربعين يوما ، فإن آمنوا وإلا جاءهم
العذاب . فدعاهم حتى استكمل العدة ولم يؤمنوا . فأوحى الله إليه أن أخرج من بين
أظهمهم ، فخرج حتى بلغ شاطئ دجلة ، ففقد ينظر إلى العذاب كيف ينزل بالقوم .
فامر الله تعالى جبريل أن يرسل على قوم يونس سحابة فيها ألوان العذاب ؛ فأنطلق
إلى مالك وأمره بذلك ، فأخرج شرارة من الحُطمة^(١) على مثال سحابة سوداء مظلمة .
بغفاء بها الزبانية حتى بلغت بلاد دِينَوَيَ وأنبسطت حتى أظلت عليها ، فظن القوم أنها
مطر . فنظر وزير الملك إلى السحابة يخرج من أطرافها شرر النار ، فدخل على
الملك وقال : الحدّر الحدّر ! فليست هذه سحابة مطر بل هي سحابة عذاب ، وأخشى
أن يكون ذلك لتكذيبنا يونس نبيّ الله . ثم قال : أنظروا إلى يونس إن كان معكم
في بلدكم فلا تحافوا ، وإن كان قد خرج عنكم فقد هلكتم . فطلبوا يونس فلم يجدوه .
وجعلت السحابة تدنو حتى قرُبَتْ منهم ورمتهم بشرر كالرماد الأحمر لا يقع على

٣٩
١٣

شيء إلا أحرقه . فبينما الناس يقولون : أين نطلب يونس إذا هم بالملك قد خرج عليهم وجميع أصحابه وهم يقولون : أين أنت يا يونس ! فإننا لانعود إلى مخالفتك ، فلم يجدوه . فأقبل عليهم سنجير الوزير وقال : أيها الملك ، إن يكن يونس قد غاب عنا فإن إلهه لم يرغب ، فعمالوا حتى نتضرع إلى الله لعله يرحمنا . فخرجوا بأجمعهم ونسائهم وأطفالهم إلى ظاهر البلد ليكون ويتضرعون ، فقام سنجير فيهم وقال :
 ٥ إلهنا إنك أمرتنا أن نعتق رقاب عبيدنا وإمائنا ونحن عبيدك وإماؤك فأعتقنا . إلهنا إنك أمرتنا أن نعفو عن ظلمنا فأغفر لنا وأعف عنا . اللهم أعتقنا من عذابك فإننا قد آمنا بنبيك يونس وجميع النبيين فأغفر لنا ذنوبنا ، ثم خروا سجدًا بأجمعهم . فأوحى الله تعالى إلى ملائكة العذاب أن أرجعوا ، فأنصرفت السحابة عنهم ، وسمعوا صوتا : أبشروا بأهل نينوى برحمة من ربكم ، فرجعوا إلى المدينة وقد آمنوا .
 ١٠ وجاء يونس لينظر إلى ما نزل بهم من العذاب ، فليقه إبليس في صورة شيخ . فقال له يونس : من أين أقبلت أيها الشيخ ؟ [قال] : من نينوى . قال : فما نزل بهم اليوم ؟ قال : ما نزل بنا إلا سحابة بيضاء أمطرت مطرا جودا ، وكان يونس قد وعدنا بالعذاب فلم يكن وعلمنا كذبه . فغضب يونس وقال : لا أعود إلى قوم كذّوبى ، وسار . قال الله تعالى : ﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾^(١) . قال مجاهد وقادة والضحاك والكلبي : معناه أن لن نقضى عليه بالعقوبة ، وهى رواية العوفي عن ابن عباس ، ودليل ذلك قراءة عمر بن عبد العزيز والزهرى « فظن أن لن نُقدّر عليه » بالتشديد . وقال عطاء وكثير من العلماء : معناه نصيْق عليه الحبس .

قال الكسائي: فلم يزل يسير حتى لحق بساحل البحر، فإذا هو بسفينة مازة
فلوح إليهم فدخلوا إليه فقال: احملوني معكم فإني رجل منقطعٌ غريبٌ من بيت
المقدس. فحملوه فقعده على كوثل السفينة^(١). فلما توسطوا البحر هبت عليهم رياح
كثيرةٌ من جميع الجوانب وأشرفوا على الغرق، فأخذوا في الدعاء والتضرع ويونس
لا يتكلم، فأقبل أهل السفينة عليه وقالوا: لمَ لم تدعُ أنت معنا؟ قال: لأني مغموم
لذهاب الأهل والولد. فلم يزالوا به حتى دعا، فأزداد البحر هيجاناً. قال يونس:
اطرحوني في البحر فإن هذا من أجلى. قالوا: ما نفعل. قال: فأقترعوا. فأقترعوا
فوقعت القرعة عليه. فقالوا: إن القرعة تُخطئ وتصيب، ولكن تعالوا حتى نتساهم.
بفعل كل واحد منهم لنفسه سهماً ثم رموا بها في البحر، فغرقت إلا سهم يونس فإنه
بقي على وجه الماء. قال الله عز وجل: ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾^(٢). ثم أقبل
حوت عظيم من بحر الهند حتى بلغ جانب السفينة، فقام يونس ليرمي بنفسه، فتعلق
القوم به وقالوا: ألا ترى هذه الأمواج وهذا الحوت العظيم! فأقعدوه والبحر يزيد
عليهم بكثرة أمواجه وأهواله، فصار إلى جانب السفينة ليرمي بنفسه، فإذا بالحوت
قد دار إلى الجانب الذي قصد أن يرمى نفسه منه، فعلم يونس أنه هو المراد، فغطى
وجهه بكسائه ورمى نفسه في البحر فأبتلعه الحوت. قال الله تعالى: ﴿فَأَلْقَمَهُ^(٣)
الْحُوتَ وَهُوَ مَلِيمٌ﴾^(٤) معناه يلوم نفسه على ما فعله. ويبقى في جوف الحوت وهو يسمع

- (١) الكوثل (بالثاء المثلثة): ذنب السفينة. وفي ١: «كوبل» بالباء الموحدة. وفي ب:
«كوتل» بالثاء المشاء وكلاهما تصحيف. (٢) سورة الصافات آية ١٤١
(٣) ورد في الكسائي عن كعب الأحبار: أن ذلك البحر هو بحر الروم. وفي قاموس الجغرافية
القدية للرحوم أحمد زكي باشا (ص ٢٢): أن بحر الروم هو البحر الأبيض المتوسط، وسمى بحر الروم
لأن البلاد التي على سواحه كانت كلها في ملك الروم. (٤) سورة الصافات آية ١٤٢

(١) تسبيح الحيتان بلغاتهم، فلم يزل كذلك حتى بلغ [إلى موضع يُسمَع فيه صَريف الأفلام].

وهو إذا سجد يكون سجوده على كبد الحوت وهو يقول له : يا يونس ، أسمعني تسبيح المغموين المحبوسين في حَبْس لم يُحَبَس فيه أحد من الآدميين ، ويونس يقول : ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ، وكانت الملائكة تقول : إلهنا

٥ إنا نسمع تسبيح مكروب كان لك شاكرًا ، اللهم أرحمه في غربته . قال الله تعالى : ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ﴾ الآية . قيل : ظلمة الليل ، وظلمة

البحر ، وظلمة بطن الحوت . قال الله تعالى : ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ (٢) أي المصلين ﴿لَلَّيْتُ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ . وأخلف في مدة لُبْثه ، فمنهم من قال : لبث أربعين يوما ، وقيل : ثلاثة أيام . فلما انقضت المدة التي قدر الله

١٠ عليه ألهم الله الحوت أن يرجع إلى الموضع الذي آبتله فيه . فشق ذلك على الحوت لأنه كان قد أنس به وتسبيحه ، فناداه الملك إن آفذه من بطنك فليس هو مطعم لك . فتقدم الحوت إلى الساحل وقذفه . قال الله تعالى : ﴿فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ (٣)

قال : خرج كالفرخ الذي لا ريش له ، وهو لا يقدر على القيام ، فأثبت الله عليه شجرة من يقطين كان لها ثلاثة أغصان : غصن قبل المشرق ، وغصن قبل المغرب ،

١٥ والنفس الثالث على رأسه . وجاءه جبريل فقال : يا يونس ، إن الله قد أعطاك من الجنة ما ترضى به ، ثم أمرَّ يده على رأسه وجسمه فأثبت الله شعره ولحيته ، وأمر

(١) كذا في تفسير القرطبي . وصريف الأفلام ، أي صوت جربانها بما تكتبه من أفضية الله تعالى ووجهه وما يتسخونه من اللوح المحفوظ (كما في النهاية لابن الأثير) . وفي الأصول : « حتى بلغ حصن الرجال » وهو تحريف .

- ٢٠ (٢) سورة الأنبياء آية ٨٧ (٣) سورة الصافات آية ١٤٣
(٤) سورة الصافات آية ١٤٤ (٥) سورة الصافات آية ١٤٥
(٦) البقطين : شجر القرع .

الله طيبة فوقفت بين يديّ يونس وكتبته بإذن الله، فقص من لبنها فقوى عند شربه؛ ثم بشرته بإيمان قومه وأخبرته بما كان من أمرهم وسبب إيمانهم وذكرت أشقياتهم إلى رؤيته. وكانت الطيبة ترعى حول يونس فإذا جاع أو عطش أرضعته، فلم يزل كذلك أربعين يوماً. فنام في بعض الأيام ثم آتته فرأى اليقطينة قد جفت والطيبة قد غابت، فأغم لذلك، فعلم يونس أن الله ضرب له مثلاً بقومه، ثم هبط عليه مَلَكٌ وقال: قُم إلى قومك فإنهم يمتنون رؤيتك، وأناه بجلتين فأترز بواحدة وأتردى بالأخرى، ثم سار حتى دخل قرية كثيرة الأشجار والخيرات وأهلها يقطعون تلك الأشجار ويلقون ثمارها في الأرض، فقال: يا قوم، كيف تفعلون ذلك وتبطلون على أنفسكم ثمارها! فأوحى الله تعالى إليه: يا يونس، إنك أشفقت على قوم لانعرفهم من قطعهم الأشجار ولم تُشفق على قومك وهم مائة ألف أو يزيدون! فعلم يونس أن هذا مثلٌ ضربه الله تعالى له، فقال: إلهي لا أعود إلى ذلك أبداً. ثم سار حتى دخل قرية أخرى وقت المساء، فتلقاه رجلٌ من أهل القرية وسأله أن ينزل عليه فنزل. فلما أكل وشرب نظر إلى بيت الرجل وفيه نَخَّار كثير يريد أن يُوقد عليه. فأوحى الله تعالى إليه: يا يونس، قل لهذا الفاحرائي أن يكسر الفخار الذي قد عمَّله. فقال يونس ذلك للفاحرائي، فقال: يا هذا أضفئك لما رأيتُ فيك من أثر الخير وإذا أنت رجل مجنون، تأمرني أن أكسر نَخَّاراً قد أعتبت فيه نفسي لأنتفع بثمره! قُم الآن فأخرج من عندي، وأخرجه. فأوحى الله تعالى إليه: يا يونس، إنه أشفق على نَخَّاره وسماك مجنونا وأخرجك من منزله حين أمرته بكسره، وأنت بُعثت إلى مائة ألف أو يزيدون فدعوت عليهم ولم تفكر في هلاكهم فترحمهم! قال: إلهي لا أعود إلى ذلك أبداً. فلما أصبح سار فإذا هو برجل يزرع زرعاً، فقال له الرجل: ادعُ الله عز وجل حتى يبارك لي في زرعى، فدعا له فأنبته الله تعالى من ساعته

٥

١٠

١٥

٢٠

وقام على سُوقه ، ففرج الرجل وأتى بيونس إلى منزله . فأوحى الله تعالى إليه :

يايونس ، قد حزنت على إرسال الجراد على الزرع ولم تزرعه ، ولم تحزن على إرسال العذاب على مائة ألف أو يزيدون ! . قال : إلهي تبتُ إليك من ذنبي لا أعود إليه أبدا . وسار حتى دخل قرية وهناك امرأة معها رجل وهو ينادي : مَنْ [يحمل] ^(١)

هذه المرأة إلى بلادِ يَنْوَى [ويردّها] ^(٢) إلى زوجها وله مائةٌ مثقال من الذهب ؟ فنظر

إليها يونس فإذا هي أمراؤه ، فقال : أيها الرجل ، ما قصة هذه المرأة ؟ قال : إنها كانت قاعدةً على شاطئِ دجلةٍ تنتظر زوجها يونس ، فترهبها ملكٌ من ملوك هذه القرية فأحتملها وأراد أن يفجر بها ، فأبى الله يديه ورجليه ، فساها أن تدعوه بالفرج ولا يعود إلى ذلك ، فدعت له . فلما عافاه الله لوقته دفعها إلى وأعطاني

مائة مثقال ذهباً على أن أحملها إلى بلادِ يَنْوَى ، وما يمكنني ذلك . قال يونس :

أنا أحملها فأعطيني الذهب ، فأعطاه إياه وسلم إليه المرأة . فساروا وقد فرحا حتى أتيا قريةً أخرى ، وإذا برجل يبيع سمكةً ، فأشترها يونس وقعد ليُصلحها فشقّ بطنها فوجد فيها تلك الصرّة الذهب التي وقعت منه في دجلة ، فقال : الحمد لله الذي ردّ عليّ أهلي ومالي ، اللهم فأرددْ عليّ أولادي يا أرحم الراحمين ، ثم سار فإذا هو برجل على دابةٍ

ومن ورائه غلامٌ ، فإذا هو ولد يونس الصغير . فتعلق به ، فقال له الرجل : مَنْ أنت ؟

قال : أنا يونس . فسلم إليه الغلام وقال : الحمد لله الذي ردّ الأمانة إلى أهلها وخلص ذمتي . فسأله يونس عن قصة الغلام فقال : أنا رجل صياد ، وكنتُ قد أُلقيتُ الشبكة في طرف دجلةٍ فوق هذا الغلام فيها فأخذته ، وإذا بهاتف يقول :

٤١
١٢

(١) سقط هنا ما معناه : « فأرسل الله جرادا إلى الزرع فأكله ، فحزن يونس لذلك » ، فأوحى

الله ... الخ . « وخبر الزرع وصاحبه ليس في الكسائي .

(٢) النكبة عن الكسائي .

- يا صيَّاد، احفظ هذا الغلام حتى يأتِيَ اليك يونس فإنه أبوه فادفعه إليه . ثم قال له : يا نبيَّ الله ، أدعُ لي أن يُغَيِّبَني الله عن صيد السمك ، فدعا له فرزقه الله مالا وولدا . وسار يونس حتى قُرب من بلاد نينوى ، فإذا هو برايع على قارعة الطريق يرعى غنما وهو يقول : اللهم اردد عليّ والدي ، فرآه يونس فعرفه وهو ولده الأكبر ، فتعانقا وبكيا طويلا ، ثم قال له : يا أبتِ إن هذه الأغنام لرجل في القرية فسِرْ معي حتى أردّها إليه ، فسارا إلى القرية وإذا بشيخ على باب داره ، فقال له الغلام : هذا أبي . فقام الشيخ إلى يونس وسلم عليه . فقال له يونس : هل تعرف قصّة هذا الغلام ؟ قال الشيخ : نعم ، كنتُ أرعى هذه الغنم ، وإذا بهذا الغلام على ظهر ذئب فكلمني الذئب بقدرة الله وقال : إذا جاء اليك يونس فأدفعْ إليه هذا الغلام . ثم قال له : يا نبيَّ الله ، أدعُ الله أن يغفر لي ذنوبي وأن يُميتني في وقتي هذا ، فدعا له فقبضه الله لوقته ، فغسله يونس وكفنه وصلى عليه ودفنه . ثم سار حتى قُرب من المدينة ، فإذا هو بغلام يرعى غنما فوقف يونس عليه السلام وقال : يا غلام ، هل من لبنٍ ؟ قال الغلام : يا هذا ، والذي بعث إلينا يونس نبيا ما ذقتُ اللبن منذ غاب عنا نبينا يونس . قال : فانا يونس نبيّ الله . فقبل الغلام رأسه وقال : لو رأيتنا يا نبيّ الله ونحن نجول تحت العذاب لرحمّتنا . قال : يا غلام ، اذهب الآن إلى المدينة وأخبر الناس أنك قد رأيتني . قال : أخشى أن يكذبوني . فقال : سِرْ إليهم [وهذه الأغنام شهودٌ لك ^(١)] . فضى حتى توسّط سوق المدينة وقال : أيها الناس ، البُشْرى فقد رجع إلينا يونس نبينا وقد لقيناه . فاتصل الخبر بالملك فقام عن سريره وقال : عليّ بالغلام ، فأتي به ، فسأله فاخبره بمقدّم يونس . ففرح وخرج الملك وأهل المدينة والتقوا بيونس وأدخلوه المدينة وأجلسه الملك في موضعه ، ووقف بين يديه ، وفرح به أهل المدينة . فقام

يونس فيهم ما شاء الله يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر الى أن مات الملك ومات امرأة يونس وولده جميعا ، فاستخلف يونس الراعى على مدينة يَدَنَوَى وخرج هو وسبعون رجلا من العباد حتى جاء الى جبل يقال له صِهْيُون^(١) فكانوا هناك يعبدون الله حق عبادته ، حتى مات يونس عليه السلام ، ومات العباد الذين صحبوه ، ففُتِرُوا هناك في جبل صِهْيُون ، رضى الله عنهم ورحمهم .

ذكر خبر بلوقيًا وما شاهد من العجائب

وهذه القصة تشتمل على عجائب كثيرة ووقائع قد ينكرها بعض من يقف عليها لغرابتها وليست بمستنكرة بعد أن ثبت في صحيح البخارى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ” بَلَّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً وَحَدَّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ وَمَنْ كَذَبَ عَلَى مُتَعَمِّدٍ فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ “ . ولتأخذ الآن في سَرْدِ القصة .

قال أبو إسحاق النعلى رحمه الله تعالى في كتابه المترجم بيواقيت البيان في قصص القرآن بسند رفعه عن عبد الله بن سلام قال :

(١) صهيون (الجبل المشمس أو الجاف) قد يطلق هذا الاسم للدلالة على كل أورشليم إلا أنه يختصر غالباً في الجبل الجنوى الغربى من المدينة . وكان هذا الجبل محاطاً من كل جانب إلا جانب الشمال بأودية عميقة الجوانب شاهقها ، فكان وادى الجبانين الى شرقه يفصله عن موريا وأوفل وادى ابن هنوم الى جنوبيه وغربيه ، وسمى جزؤه المحاذى للمدينة غرباً وادى جيحون . (راجع قاموس الكتاب المقدس للدكتور بوست) .

(٢) أى آية من القرآن ، أو المراد بالآية العلامة الظاهرة ، أى ولو كان المبلغ فضلاً أو إشارة ونحوهما . (راجع القسطلانى ج ٥ ص ٥٠٤ طبع بلاق) .

كان في بني إسرائيل رجل يقال له « أوشيا » وكان من علمائهم ،
 وكان كثير المال ، وكان إماما لبني إسرائيل ، وكان قد عَرَفَ نَعْتَ النَّبِيِّ صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في التوراة ، فغاب عنه ، وكان له ابْنٌ يقال له بُلُوقِيَّا خليفة
 أبيه في بني إسرائيل ، وذلك بعد سليمان بن داود عليهما السلام . فلما مات
 أوشيا بقي أبْنُه بُلُوقِيَّا والأمانة في يده والقضاء ، ففَتَّشَ يوماً خزان أبيه فوجد
 فيها تابوتا من حديد مُقْفَلًا بِقُفْلٍ حَدِيدٍ ، فسأل الخُزَّانَ عن ذلك ، فقالوا :
 لا ندرى . فأَحْتَالَ على القفل حتى فَتَّكَهُ ، فإذا فيه صندوق من خشب الساج ، فَتَّكَهُ
 وإذا فيه أوراق ، فقرأها فإذا فيها نعت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأُمَّتُهُ وهي مَحْمُومَةٌ
 بالمسك ، فقرأ ذلك على بني إسرائيل ثم قال : الويل لك يا أبت من الله فيما كتبت
 وكتمت من الحق وأهله ! . فقالت بنو إسرائيل : يا بُلُوقِيَّا ، لولا أنك إمامنا وكبيرنا
 لنبشنا قبره وأخرجناه منه وحرَّقناه بالنار . قال : يا قوم ، [لا ضير^(٢)] إنما ترك حظَّ
 نفسه وخيسر في دينه ودُنياه ، فألحقوا نعت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأُمَّتُهُ بالتوراة .
 قال : وكانت أُمُّ بُلُوقِيَّا في الأحياء ، فأَسْتَأْذَنَها في الخروج إلى بلاد الشام ، وكانوا
 يومئذ في بلاد مصر . فقالت : وما تصنع بالشام ؟ قال : أسأل عن محمد وأُمَّتِهِ ،
 فلعلَّ الله تعالى أن يرزقني الدخول في دينه ، فأَذِنَتْ له . فبرَزَ بُلُوقِيَّا وقَدِمَ بلاد الشام .
 فبينما هو يسير إذا أَتَمَّى إلى جزيرة من جزائر البحر ، فإذا هو بجِيات كأمثال
 الإبل عِظْمًا وفي الطُّول ما شاء الله وهنَّ يقان : لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله . فقلن
 له : أيها الخلق المخلوق من أنت ؟ وما أَسْمُكَ ؟ قال : أَسْمَى بُلُوقِيَّا ، وأنا من بني إسرائيل .
 فَقُلْنَ : وما إسرائيل ؟ قلت : من ولد آدم . فَقُلْنَ : سمعنا باسم آدم ولم نسمع باسم

(١) كذا في التعليق . وفي الأصول : « بعث النبي » .

(٢) التكمة عن التعليق .

إسرائيل . فقال بلوقيا : أيتها الحيات مَنْ أَنتِ؟ فقلن : نحن حيات من حيات جهنم ونحن نعذب الكفار فيها يوم القيامة . قال بلوقيا : وما تصنعن هاهنا؟ وكيف عرفتن محمدا؟ فقلن : إن جهنم تفور وتزفر في كل سنة مرتين فتلقينا هاهنا ثم نعود إليها ، فشدّة الحر في الصيف من حرّها ، وشدّة البرد في الشتاء من بردها . وليس في جهنم دَرَك من دركاتّها ، ولا بابٌ من أبوابها ، ولا سُرادق من سُرادقاتها إلا وقد كُتِب عليه : « لا إله إلا الله محمد رسول الله » فمن أجل هذا عرّفنا محمدا صلى الله عليه وسلم . قال بلوقيا : أيتها الحيات ، هل في جهنم مثلكنّ أو أكبر . منكنّ؟ فقلن : إن في جهنم حيات تدخل إحداها في أنف إحداهنّ وتخرج من فيها ولا تشعر بذلك لعظمها . قال : فسلم بلوقيا عليهنّ ومضى حتى أتى جزيرة أخرى ، فإذا هو بجيات كأمثال الجذوع والسواري ، وعلى متن إحداهنّ حية صغرى صفراء كلما مشّت اجتمعت الحيات حولها فإذا نفخت صرّ تحت الأرض خوفا منها . فلما رآها ورأته قالت له : أيها الخلق المخلوق مَنْ أَنتِ؟ وما أسمك؟ قال : أسمى بلوقيا ، وأنا من بنى إسرائيل من ولد إبراهيم . فاخبرني أيتها الحية مَنْ أَنتِ؟ قالت : أنا موكلة بالحيات وأسمى تملیخا ، ولولا أنى موكلة بهنّ لقتلت الحيات بنى آدم كلهم في يوم واحد ، ولكنت إذا صفرّت صفرة [واحدة^(١)] وسمعن صوتى دخان في الماء الذى تحت الأرض . ولكن يا بلوقيا إن لقيت محمدا صلى الله عليه وسلم فأقرئه منى السلام . قال : ومضى بلوقيا إلى بلاد الشام فأتى بيت المقدس ، وكان بها حبرٌ من أحبارهم يسمى عفان الخير ، فأتاه فسلم عليه وقصّ عليه قصّته . فقال له : ليس هذا زمان محمد ولا زمان أمته ، بينك وبينه بعد سنين وقرون . ثم قال عفان : يا بلوقيا أرني موضع الحية التى أسمها تملیخا ، فإن قدرت أن أصيدها رجوت أن أنال معك ملكا

عظيما ونحيا حياة طيبة الى أن يبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فندخل في دينه .
 قال : فمن حرص بلوقيا على الدخول في دين محمد صلى الله عليه وسلم قال : أنا أريك
 المكان . فقام عفان وأخذ تابوتا من حديد وحمل فيه قدحين من فضة في أحدهما خمر
 وفي الآخر لبن ؛ ثم سارا جميعا حتى أتتبا الى موضع الحية ففتحا باب التابوت وتحميا .
 وجاءت الحية تبغى الرائحة فدخلت التابوت وشربت من اللبن والخمر حتى سكرت
 ونامت . فقام عفان ودب الى التابوت دببا خفيفا فأغلق بابه وأحتضنه وسارا جميعا
 فلم يمتزا بشجرة ولا بيت إلا كلمهما بإذن الله تعالى . فترا بشجرة يقال لها الدواء
 فقالت : يا عفان ، من يأخذني ويقطعني ويدقني ويعصر مائي ودُهني ويطلبي به
 قدميه فإنه يغوص البحار السبعة ولا يتبلّ قدماه ولا يفرق . فقال عفان : إياك
 طلبتُ ، فقطع تلك الشجرة فدقها وعصر دُهنها وجعله في كوز ثم خلّى عن الحية فطارت
 بين السماء والأرض وهى تقول : يا بنى آدم ما أجركم على الله تعالى ، ولن تصلوا الى
 ما تريدون ، وذهبت الحية . وسار عفان وبلوقيا الى اليم فطليا أقدامهما ثم عبّرا البحر
 ومشيا على الماء كما كانا يمشيان على الأرض حتى قطعا البحر الأول ثم الثانى ، فإذا
 هما بجبل في وسط البحر ليس بعالي ولا متدانٍ ترابه كالمسك ، عليه غمام أبيض ،
 وفيه كهفٌ ، وفي الكهف سريرٌ من الذهب عليه شابٌ مُستلقٍ على قفاه ذو وفرة ،
 واضعٌ يده اليمنى على صدره واليسرى على بطنه بمنزلة النائم وليس بنائم وهو ميت ،
 وعلى رأسه تين وخاتمه في الشمال . قال : وكان ذلك سليمان بن داود ، ومُلك سليمان
 في خاتمه ، وكانت حلقتة من ذهب وفصّه من ياقوت أحمر مربع ، مكتوبٌ عليه
 أربعة أسطر ، في كل سطر اسمٌ من أسماء الله الأعظم . وكان عند عفان علمٌ من
 الكتاب ، فقال بلوقيا : من هذا ؟ قال : هذا سليمان بن داود ، نريد أن نأخذ خاتمه

٥

١٠

١٥

٢٠

٤٣
١٢

فتملك مُلكه ونرجو الحياة إلى أن يبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم . فقال بلوقيا :
 أليس قد سأل سليمان ربه : « رَبِّ هَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي » فأعطاه
 الله إياه على ما سأل ، ولا يُنَال مُلْك سليمان إلى يوم القيامة لدعائه . فقال عفان :
 يا بلوقيا اسكُتْ إِنَّ الله معنا ومعنا آسم الله الأعظم ، ولكن أنت يا بلوقيا فأقرأ
 التوراة . فتقدّم عفان ليزرع خاتم سليمان من إصبعه ، فقال التّنين : ما أجراك على الله !
 إن غلبتنا بأسم الله فنحن نغلبك بقوة الله . قال : فكلمنا نفخ التّنين ذكر بلوقيا
 آسم الله ، فلم تعمل نفخات التّنين فيهما . ودنا عفان من السرير ليزرع الخاتم من إصبع
 سليمان ، فأشتغل بلوقيا بالنظر إلى نزول جبريل من السماء ، فلما نزل صاح بهما صيحة
 ارتجّت الأرض والجبال وتزلزلت منها وأختلطت مياه البحار وماجت وألتطمت
 حتى صار كلّ عَذْبٍ مِلْحًا من شدة صيحته ، وسقط عفان على وجهه ، ونفخ التّنين
 فخرجت من بطنه شُعلة نار كأنها البرق الخاطف ، فاحترق عفان وعادت نفخته
 في البحر فما مرّت البرقة بشيء إلّا أحرقتة ولا بقاء إلّا أجاشته وأغثته . وذكر بلوقيا
 آسم الله الأعظم فلم ينله مكروه ، ثم تراءى له جبريل في صورة رجل فقال له : يا ابن آدم
 ما أجراك على الله تعالى ! فقال له بلوقيا : من أنت رحمك الله ؟ قل : أنا جبريل أمين
 ربّ العالمين . قال له يا جبريل ، إنما خرجتُ حبّا لمحمد ودينه ولم أقصد الخطأ
 ولم أتعمد . قال : فبذلك نجوت . ثم صعد جبريل إلى السماء ، ومضى بلوقيا فطلى
 قدميه بذلك الدّهْن فأضلّ الطريق الذي جاء منه وأخذ في طريق آخر ، وسار فقطع
 ستة أبحر ووقع في السابع فإذا هو بجزيرة من ذهب حشيشها الورس^(١) والزعفران
 وأشجارها النخل والرمان . قال بلوقيا : ما أشبه هذا المكان بالجنة على ما وُصِفَتْ !
 ثم دنا من بعض تلك الأشجار فتناول من ثمرها ، فقالت الشجرة : يا خاطئ ابن الخاطئ

(١) الورس : نبات كالسمسم أصفر يزرع باليمن و يصنع به ويخذ منه الغمرة (طلاء) للوجه فاذا

جف عند إدراكه فتفتت خرائطه فينبض فينبض منه الورس .

لا تأخذ متى شيئا . فمتعجب ، وإذا بجبال الشجرة قوم يترأفون ، بأيديهم سيوفٌ
 مسلولة ، يتناوش بعضهم بعضا بالطنن والضرب . فلما رأوا بلوقيا طافوا به وأحدقوا
 من ورائه وهشوا به سوءا ، فذكر اسم الله فهابوه وعجبوا منه وأغمدوا سيوفهم وقالوا
 بأجمعهم : لإله إلا الله محمد رسول الله . ثم قالوا له : مَنْ أَنْتَ يا عبد الله ؟ قال :
 أنا من بنى آدم اسمي بلُوقِيَا . قالوا : نعرف آدم ولا نعرفك فما أوقعك إلينا ؟ قال :
 إني خرجت في طلب نبي يسمى محمدا وإني قد ضللتُ عن الطريق الذي أردته فرأيت
 من الأحوال كذا وكذا . قالوا : يا بلوقيا نحن من الحقّ مؤمنون ، ونحن مع ملائكة
 الله في السماء ، ثم نزلنا إلى الأرض وقاتلنا كفرة الحقّ ونحن هاهنا مقيمون نغزوهم
 ونجاهدهم إلى يوم القيامة ، ولسنا نموت إلى يوم القيامة وأنت لانصبر معنا . فقال
 بلوقيا لملك الحقّ : يا صخر ، أخبرني عن خلق الحقّ كيف كان ؟ قال : لما خلق الله
 جهنّم خلق لها سبعة أبواب وسبعة ألسن ، خلق منها خلقين : خلق في سماءه ^(١) [سماء]
 حيليت ، وخلق في أرضه ^(٢) [سماء] ^(٣) تمليت . فأما حيليت فإنه خلق على صورة أسد ،
 وتمليت في صورة ذئب ، وجعل الأسد ذكرا والذئب أنثى ، وجعل طول كل
 واحد منهما مسيرة خمسمائة عام ، وجعل ذنب الذئب بمنزلة ذنب العقرب ، وذنب
 الأسد بمنزلة الحية ، وأمرهما أن ينفضا في النار آتفاضة ففعلا ، فسقط من ذنب
 الذئب عقارب ، ومن ذنب الأسد حيات ^(٤) . ففearب جهنّم وحياتها من ذلك .
 ثم أمرهما أن يتناكحا ففعلا ، فحمل الذئب من الأسد فولد سبعة بنين وسبع بنات .
 فأوحى الله تعالى إليهم أن يزوج البنات من البنين كما أمر آدم ، فستة بنين

٥

١٠

١٥

(١) النكحة عن التعلّي . (٢) في التعلّي : « جبلت » . (٣) في التعلّي : « يملت » .

(٤) كذا في التعلّي . وفي الأصول : « عقرب » .

(٥) كذا في التعلّي . وفي الأصول : « حية » .

٢٠

أطاعوا وواحد لم يطع ولم يترج فلعله أبوه وهو إبليس . وكان اسمه الحارث ، وكنته أبو مرة ؛ فهذا أول خلق الجن . ثم قال له : يا بلوقيا إن دوابنا لا تثبت مع الإنس ولكن أجّل فرسى وأبرقه حتى لا يعرف راكبه ، فأركب عليه على أسم الله تعالى ؛ فإذا انتهيت إلى أقصى أعمال على ساحل بحركذا وإذا شيخ وشاب ومشايخ معهما فإنك ستلقاهما هناك فأذفع الفرس إليهما وأمض في حفظ الله راشدا . بخاء

بلوقيا على الفرس حتى انتهى إليهم فسلم على الشيخ والشاب ونزل عن الفرس ودفعه إليهما . وكان قد فصل من عند ملك الجن عند صلاة الغداة ووصل إليهما نصف النهار . فقالا لبلوقيا : مذكم فارقت الملك ؟ قال : فارقه غدوة . فقالا له : ما أسرع ماجئت ! قد اتعبت فرسنا . فقال بلوقيا : والله ما مددت إليه يدا ولا حرّكت عليه رجلا ولم أركضه عنفا . قالا : صدقت ولكن فرسنا أحسّ بك وبمزلتك ، فطار ما بين السماء والأرض ليُريح نفسه منك ، فكم تراه جاء بك ؟ قال : خمسة فراسخ أو أقل أو أكثر . قالا : بل جاء بك مسيرة مائة وعشرين سنة ، وكان يطير بك بين السماء والأرض حول الدنيا دون « قاف » وأنت لا تعلم . فحولوا عنه السرج والجام والبرق وإذا العرق يقطر من كل شعرة منه ، وله جناحان انقضا من كثرة الطيران . فقال بلوقيا : هذا والله العجب . فقالوا : يا بلوقيا عجائب الله لا تنقضي . ثم سلم عليهم ومضى فركب اليم . فبينما هو يسير إذ رأى ملكا إحدى يديه بالشرق والأخرى بالمغرب وهو يقول : لا إله إلا الله محمد رسول الله . فسلم عليه بلوقيا ، فقال له الملك : من أنت أيها الخلق المخلوق ؟ فقال : أنا بلوقيا وأنا من بنى إسرائيل من ولد آدم . ثم قال له : أيها الملك ما أسمك ؟ قال : [اسمي يوحايل وأنا موكل بضوء النهار وظلمة الليل . فقال : فبال يديك مبسوطتين ؟ فقال له : في يدي اليمنى ضوء النهار ،

وفي يدي اليسرى ظُلمة الليل، ولو سبق النهار الليل لأضاءت السموات والأرضون، ولم يكن الليل أبداً، ولو سبقت الظلمة النور لأظلمت السماء والأرض ولم يكن ضوء أبداً. وبين يديه لوح معلق فيه سطران سطر أبيض وسطر أسود، فإذا رأيت السواد ينتقص نقصت الظلمة، وإذا رأيت السواد يزيد زدت الظلمة، وإذا رأيت السطر الأبيض يزداد زدت في البياض والنور، وإذا انتقص نقصت؛ فذلك الليل في الشتاء أطول والنهار أقصر؛ وفي الصيف النهار أطول والليل أقصر. ثم سلم بلوقيا ومضى، فإذا هو بملك قائم يده اليمنى في السماء ويده اليسرى في الأرض في الماء تحت الثرى وهو يقول: لا إله الله محمد رسول الله. فسلم عليه بلوقيا، فقال له: مَنْ أَنْتَ وما أَسْمُكَ؟ قال اسمي بلوقيا وأنا من بني إسرائيل من ولد آدم. قال له بلوقيا: أيها الملك ما أَسْمُكَ؟ قال^(١): اسمي ميخائيل^(٢). قال: فإلى أراك يمينك في السماء وشمالك في الماء؟ قال: أحبس الريح يميني والماء بشمالى، ولو رفعت شمالى عن الماء لزحرت البحار كلها في ساعة واحدة ولطمت بإذن الله تعالى، ويدي اليمنى في الهواء أحبس الريح عن بني آدم لأن في السماء ريحا يقال لها الهائمة^(٣) لو أرسلتها لقتلت مَنْ في السماء وَمَنْ في الأرض من برّدها. فسلم عليه بلوقيا ومضى، وإذا بأربعة من الملائكة، أحدهم رأسه كرأس الثور^(٤) والآخر رأسه كرأس النسر؛ والثالث رأسه كرأس الأسد؛ والرابع رأسه كرأس الإنسان. فالذى رأسه كرأس الثور يقول: اللهم ارفع العذاب عن البهائم، وأرفع عنهم برد الشتاء وحر الصيف، وأجعل لهم في قلوب بني آدم الرأفة والرحمة كيلا يكرهن ولا يكلفوهن فوق طاقتهن،

(١) الكلمة عن الثعلبي . (٢) في ١ « ميخايل » . وفي الثعلبي: « صمعايل » .

(٣) في الثعلبي: « الهائمة » . (٤) في الأصول بعد قوله « كرأس الثور » هذه العبارة:

« وهو يقول: اللهم ارحم البهائم » ولعلها مقحمة من النسخ لأنها ستذكر بعد سطور ولم ترد في الثعلبي .

(٥) كذا في الثعلبي . وفي الأصول: « كيلا يكرههم ولا يحملوهم فوق طاقتهم » .

٥

١٠

١٥

٢٠

- وأجعلني من أهل شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة . وأما الذى رأسه كراس الذئسرفيقول : اللهم ارحم الطيور ولا تعذبها ، وأدفع عنها برد الشتاء وحر الصيف ، وأجعلني من أهل شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة .
- وأما الذى رأسه كراس الأسد فإنه يقول : اللهم ارحم السباع ولا تعذبها وأدفع عنها برد الشتاء وحر الصيف ، وأجعلني من أهل شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة .
- وأما الذى رأسه كراس الإنسان فإنه يقول : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، اللهم أرحم المسلمين ولا تعذبهم وأدفع عنهم حر النار ، وأجعلني من أهل شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة . فسلم عليهم ومضى حتى أتى على جبل قاف وإذا هو بملك قائم على قاف ، وهو جبل محيط بالدنيا من ياقوتة خضراء . فسلم بلوقيا على الملك ، فقال له : من أنت ؟ فقال : أنا بلوقيا وأنا من بنى إسرائيل من ولد آدم .
- فقال الملك : وأين تريد ؟ قال : خرجت في طلب من يسمى محمدا ، ولست أرى أمره ولا أدرى في أى بلاد أنا . فقال الملك : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، قد أمرنا بالصلاة على محمد . قال بلوقيا : أيها الملك ، ما أسمك ؟ قال : اسمى حزقايل . قال : وما تصنع هنا ؟ قال : أنا أمين الله على قاف ، وإذا في يده وتر مرة يعقده ومرة يحلّه ، وعروق الأرض كلها مشدودة عليه والوتر في كف الملك [قال : (١) فإذا أراد الله أن يضيق على عباده أمرني أن أمد الوتر وأعقده وأرتق عروق الأرض فتضيق الدنيا على العباد والبلاد . وإذا أراد الله أن يوسع عليهم أمرني أن أرخي الوتر وأفتق عروق الأرض فتتسع الدنيا على العباد والبلاد . وإذا أراد أن يخوف قوما أمرني أن أحرك عروق تلك الأرض ، فمن أجل ذلك موضع يهتر وموضع لا يهتر ، وموضع يتزلزل وموضع

٤٥
١٢

لا يتزلزل . قال بلوقيا : أيها الملك ، ما وراء قاف؟ قال : وراء قاف أربعون دنيا غير الدنيا التي جئت منها ، في كل دنيا أربعائة ألف باب ^(١) ، في كل باب أربعة آلاف ضعف مثل الدنيا التي جئت منها ، وليس فيها ظلمة بل كلها نور وأرضها ذهب عليها حُجَبٌ من نور ، وسكانها الملائكة لا يعرفون آدم ولا إبليس ولا جهنم وهم يقولون : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، لذلك أُلْهِمُوا وله خُلِقُوا وبه أُمِرُوا الى يوم القيامة .

قال بلوقيا : فما وراءهم؟ قال : حُجَبٌ ووراء الحُجَب علم الله وقدرته . قال بلوقيا : أخبرني أيها الملك على أى شيء هذا الجبل موضوعا؟ قال : على قرني ثور وأسمه قرياطيه وهو أبيض ، رأسه بالشرق ومؤخره بالمغرب ، وما بين قرنيّه مسيرة ثلاثين ألف سنة وهو ساجد لربه على صخرة بيضاء . قال بلوقيا : أيها الملك ، كم الأرضون؟ وكم البحار؟ قال : الأرضون سبع ، والبحار سبع . قال : لفهم أين هي؟ قال : تحت الأرض السابعة . قال : فسلم بلوقيا عليه ومضى حتى انتهى الى حجاب طرفه في السماء وأسفله في الماء ، عليه باب مُقْفَل وعليه خاتم من نور ، وعلى الباب مَلَكَان أحدهما رأسه كراس الثور ، والآخر رأسه كراس الكبش وبدنه كبذن الثور وهما يقولان : لا إله إلا الله محمد رسول الله . قال : فسلم بلوقيا عليهما فردّا عليه السلام وقالا : أيها الخلق الضعيف المخلوق من أنت؟ وما أسمك؟ قال : أسمى بلوقيا وأنا من بنى اسرائيل من ولد آدم . فقالا : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، هذه أسامي ما عرفناها . قال بلوقيا ؟ كيف عرفتم محمدا ولم تعرفوا آدم ومحمد من نسله ؟ . فقالا : لهذا خُلِقْنَا وبذلك أُمِرْنَا ، ولم نسمع بأسم آدم ولا اسرائيل . فقال بلوقيا : افتحا لي الباب حتى أجوز . فقالا : ما نحسن فتحه ، وإت الله في السماء مَلَكَا أسميه

(١) كلمة « ألف » ليست في النسخة .

(٢) في النسخة المخطوطة هكذا : « مرسته وهو أنبط » وفي المطبوعة : « واسمه يموت وهو أبيض » .

- جبرائيل عسى أن يقدر على فتحه . فدعا بلوقيا ، فأمر الله تعالى جبريل فنزل عليه
وفتح الباب ، ثم قال : يا بن آدم ما أجراك على الله ! . ثم جاز بلوقيا حتى انتهى الى البحرين :
بحر مالح وبحر عذب . فلما وصل إليهما رأى بينهما حاجزا ، وفي البحر المالح جبل
من ذهب ، وفي البحر العذب جبل من فضة ، وبينهما ملك على صورة النمل ومعه
ملائكة على تلك الصورة . فسلم عليهم فردوا عليه السلام وقالوا له : من أنت ؟
فاخبرهم بقصته . ثم قال بلوقيا : من أنتم ؟ قالوا : نحن أمناء الله تعالى على هذين
البحرين لا يلتقيان ولا يبغيان . فقال لهم بلوقيا : ما هذا الجبل الأحمر ؟ قالوا :
هذا كنز الله في الأرض وكل ذهب في الأرض إنما هو من نصاب هذا الجبل ،
وكل ما في الدنيا من ماء عذب هو من هذا البحر . وهذا البحر إنما يبيىء من تحت
العرش من قبل أن خلق الله تعالى الملائكة ؛ وكل ما يجري من ماء مالح فهو من
ذلك البحر المالح . وهذا الجبل الأبيض هو من فضة وهو كنز الله تعالى ؛ وكل كنز
في الدنيا وكل معدن فضة فهو من عروق هذا الجبل . فسلم بلوقيا عليهم ومضى
حتى انتهى الى بحر عظيم ، فإذا هو بحيتان كثيرة عظيمة وقد اجتمعت وبينها حوت
عظيم يقضى بين الحيتان . فلما نظر الى بلوقيا قال : لا إله إلا الله محمد رسول الله .
فسلم بلوقيا وأخبره بحال النبي صلى الله عليه وسلم وأنه خرج في طلبه ، فرد
السلام ثم قال : يا بلوقيا ، إن أقيمت محمدا فأقرته متى السلام . فقال :
نعم إن شاء الله . ثم قال : أيتها الحيتان إنى جائع عطشان وماء البحر ملح وما أجد
ما أكل . فقال الحوت الأعظم : يا بلوقيا سأطعمك طعاما تسير أربعين سنة
لا تعب ولا تجوع ولا تعطش ، قال : فاطعمه ذلك الحوت قرصا أبيض ، فأكله
ومضى حتى بلغ العُمران . قال : ومن قبل أن يبلغ العُمران رأى شابا يجرى على الماء
كأنه البدر . فقال له بلوقيا : من أنت ؟ قال : سليل الذى خلّني . فسار بلوقيا يوما

وليلة فإذا هو بأخر يمر على الماء ضوءه كضوء النجوم . فقال له بلوقيا : يا قتي ، من أنت ؟ قال : سَلِ الذي خَلَنِي . فسار بلوقيا يوما وليلة ، فإذا هو بشاب كأنه القمر يلوح في آخر الشمس ، فقال بلوقيا : ^(١١) أَسْأَلُكَ اللهَ إلّا وقفت . قال : فوقف وقال : لماذا استخلفتني ؟ قال : خَشِيتُ أن تفوتني مثل أصحابك الماسين ، فن كان الأول ؟ قال : إسرئيل صاحب الصور ، والثاني ميكائيل صاحب المطر ، والثالث

جبرائيل أمين رب العالمين . فقال بلوقيا : ما ذا تصنعون في اليوم ؟ قال جبريل : حية من حيات البحر قد آذت سُكَّانَه ، فدَعُوا اللهَ عليها فاستجاب الله دعاءهم وأمرنا أن نسوقها الى جهنم ليعذب الله بها الكفار يوم القيامة . قال بلوقيا : كم طولها وكم عَرْضُها ؟ قال : طولها مسيرة ثلاثين سنة ، وعَرْضُها مسيرة عشرين سنة .

فقال بلوقيا : يا جبريل ، أياكون في جهنم مثل هذه أو أكبر منها ؟ فقال جبريل : إنا في جهنم من الحيات ما تدخل هذه في أنف إحداهن ولا تشعر بها من عِظَم خَلْقَتها . فسلم بلوقيا عليه ومضى الى جزيرة أخرى ، وإذا هو بغلام أمردين قبرين ، فسلم عليه بلوقيا وقال : يا شاب ، من أنت وما اسمك ؟ قال : اسمي صالح . قال : فما هذان القبران ؟ قال : أحدهما أبي والآخرا أمي ، كانا سائحين فماتا هاهنا ،

وأنا عند قبريهما حتى أموت . فسلم بلوقيا ومضى حتى انتهى الى جزيرة ، فإذا هو بشجرة عظيمة عليها طائر رأسه من ذهب ، وعيناه من ياقوت ، ومتقاره من لؤلؤ ، وبدنه من زعفران ، وقوائمه من زُمرّد ، وإذا مائدة موضوعة تحت الشجرة وعليها طعامٌ وحوتٌ مشوي . فسلم عليه بلوقيا فردّ عليه الطائر السلام . فقال بلوقيا : أيها الطائر من أنت ؟ قال : أنا من طيور الجنة ، وأن الله تعالى بعثني الى آدم بهذه المائدة لما هبط من الجنة وكنت معه حتى لقي حواء ، وأنا هاهنا من ذلك

(١) كذا في الأصول ونسخة التعلي المطبوعة . وفي نسخة التعلي المخطوطة : « آخر الشهر » .

- الله تعالى قد بعثه رسولا إلى بني إسرائيل : نفخ زكريا ساجداً لله تعالى على ذلك ،
 وخرج إلى بني إسرائيل ودعاهم ، فكذبهم وصدقته آخرون . فاقام زكريا
 في بني إسرائيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وعمران يعبد الله . وكان
 زكريا وعمران لم يرزقا الولد . فبينما حنة ذات يوم جالسة إلى جانب عمران إذ رأت
 حامة ترقق فرخا لها ، فبكت شوقا منها إلى ولد ، وذكرت ذلك لزوجها عمران فقال :
 قومي ندعو الله ربنا في ذلك ، فقاما جميعا وصليا ودعوا الله تعالى أن يرزقهما ولدا ،
 فرأى عمران في منامه إن الله قد استجاب دعاءك . فقام إلى زوجته فواقعها فحملت
 منه ، وقالت ما أخبر الله تعالى عنها . قال الله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَتْ أُمْرَأَةُ عِمْرَانَ
 رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾^(١) .
 قال : وكان الناس في ذلك الزمان يتقربون إلى الله عز وجل بتعوير أولادهم ،
 وكانوا يخدمون بيت المقدس في صغرهم إذا بلغوا ، فمن أحب أن يقيم على الخدمة
 أقام ، ومن اختار الانصراف انصرف .

ذكر ميلاد مريم بنة عمران عليه السلام

- قال الكسائي : ولما حررتها أمها لله تعالى قال لها زوجها : إنك حررت
 ما في بطنك ، فإن كان أنثى كيف يكون محزرا ؟ فأغتمت لذلك حتى وضعت مريم .
 قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ
 وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ
 الرَّجِيمِ ﴾^(٢) ثم قالت : « رب إني كنت نذرت لك ما في بطني محزرا فتقبلها مني » . قال

(١) سورة آل عمران آية ٣٥

(٢) سورة آل عمران آية ٣٦

الله تعالى : ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾ ^(١) . قال : ثم حملتها حتى دخلت بيت المقدس وزكريّا هناك في نَفَرٍ من عُبَادِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فقال لها : ماهذه يا حَنَّة ؟ قالت : هذه ابنتي مريم ، قد جعلتها مُحَرَّرَةً وقد قبلها الله مِنِّي فَأَقْبَلُوهَا ولا تردوها ، فأقبل بنو إسرائيل على زكريّا وقالوا : ماتنقل في هذه ؟ قال : لا بدّ لها من مُكْتَفِلٍ إلى أن تبلغ مبلغ الخدمة ثم تكون خادمة في المسجد . قالوا : أينما يكفلها ؟ قال زكريّا : أنا أولى بها لأنّي زوج خالتها ، ولكنّا نقترع ، فأخذوا أَقْلَامَهُمْ وصاروا إلى عَيْنِ سُلْوَانَ ^(٢) وقالوا : نَرِي بِأَقْلَامِنَا فِيهَا فَايْنًا وَقَفَ قَلَمُهُ فَهُوَ الَّذِي يَكْفُلُهَا ؛ فَالْقَوْهَا فَرَسَبَتْ أَقْلَامُهُمْ جَمِيعًا إِلَّا قَلَمَ زَكْرِيَّا فَإِنَّهُ طِفْلاً وَغَالِبَ الْحَرِيَّةِ ، فأخذها وأسترضع لها بعض نساء بني إسرائيل . ثم مات عِمْرَانُ والد مريم . قال : وبنى لها زكريّا بيتًا لَا يُصْعَدُ إِلَيْهِ إِلَّا بِسُلْمٍ ، وكان لَا يُصْعَدُ إِلَيْهَا إِلَّا زَكْرِيَّا يَحْمِلُ إِلَيْهَا الطَّعَامَ ، وَأَبْنُ خَالٍ لَهَا يَقَالُ لَهُ يَوْسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ التَّجَارِ ، وكان من العباد المحرّرين ، وكان زكريّا إِذَا صَعِدَ إِلَيْهَا وَجَدَ عِنْدَهَا فِي الصَّيْفِ فَوَاكِهَ الشَّتَاءِ ، وَفِي الشَّتَاءِ فَوَاكِهَ الصَّيْفِ ، فَيَعِجِبُ مِنْ ذَلِكَ . قال الله تعالى : ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ^(٣) .

(١) سورة آل عمران آية ٣٧

(٢) سلوان : محلة في ريف مدينة بيت المقدس تحتها عين حذبة تسق جنانا عظيمة وقفها عثمان ابن عفان رضي الله عنه على ضعفاء البلد . قال عبيد الله الفقير : ليس من هذا الوصف اليوم شيء لأنّ مِين سلوان محلة في وادي جهنم في ظاهر بيت المقدس لا عمارة عندها البتة إلا أن يكون مسجدا أو ما يشابهه وليس هناك جنان ولا ريف . ولعل هذا كان قديما . والله أعلم . (عن معجم البلدان لياقوت) .

ذكر دعاء زكريا أن يرزقه الله عز وجل الولد

ومولد يحيى بن زكريا

قال الكسائي: فلما نظر زكريا إلى ما رزق الله عز وجل من الفاكهة في غير وقتها قال: إن الذي رزق هذه الفواكه لقادر على أن يرزق من العجزو المقيم والشيخ الكبير الولد. قال الله تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾^(١). قال: ولما أراد زكريا أن يدعو استجيا من الله تعالى، فجلس سبعة أيام ثم قام إلى المحراب ووافق ذلك يوم عاشوراء، فكلّمه المحراب بإذن الله تعالى وقال: يا زكريا، أوجدت ربك بخيلا! يا زكريا إن ربك أبدا رحيم. فعند ذلك عزم على الدعاء وأجتهد في العبادة، ثم رفع يديه «ونادى ربه نداء خفياً» معناه أخفاه عن قومه «قال ربّ إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً» يعني غلب بياضه على سواده «ولم أكن بدعائك رب شقياً» معناه لم تخيبني في الدعاء «وإني خفتُ الموالى من ورأى» يعني الذرية من بعدى أن تصير الجهورية في غير أولاد الأنبياء «فهب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب» يعني مكاني وجبورتي والتابوت الذي فيه وأقلام المحررين ومفاتيح القربان، ثم قال: «وأجعله ربّ رضيعاً» في بني إسرائيل. فاستجاب الله تعالى دعاءه وأمر جبريل أن ينزل عليه بالبشرى فاتاه وأنته الملائكة وأحدقوا بالمحراب. قال الله تعالى: ﴿فَدَايَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُنْشِرُكُمْ بِحَيٍّ﴾^(٢). الآية. وقال تعالى: ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ

٤٨
١٢

(١) سورة آل عمران آية ٣٨

(٢) سورة آل عمران آية ٣٩

مِنْ قَبْلُ سَيِّئًا * قَالَ رَبِّ أَتَى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتْ أَمْرَاتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا * قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا (١) .
 (قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آتَيْكَ أَلا تُكَلِّمُ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ (٢) . قال الكلبي : كان زكريا يوم بُشِّرَ بالولد ابن اثنتين وتسعين سنة . وروى الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان ابن مائة وعشرين سنة . وكانت امرأته بنت ثمان وتسعين .

قالوا : ولما جامع زكريا امرأته اغتسل وعاد الى محرابه ، بفأته نساء بنى إسرائيل وقالوا له : نرى أمرك أعجب من أمرائك ، فذهب زكريا ليتكلم فلم يقدر على الكلام ، فعلم أن امرأته قد حملت فكتب لهم في الأرض ، إِنِّي لَا أَقْدِرُ عَلَى الْكَلَامِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ .

قال الثعلبي رحمه الله : فإن قيل : لم أنكر زكريا ذلك وسأل الآية بعد ما بشرته الملائكة ؟ أكان ذلك شكًا في وحيه ؟ ، أم إنكارًا لقدرته ، وهذا لا يجوز أن يُوصَفَ به أهل الإيمان فكيف الأنبياء ؟ ! فالجواب عنه ما قال عكرمة والسدي : إن زكريا لما سمع نداء الملائكة جاءه الشيطان فقال : يا زكريا إن الصوت الذي سمعتَ ليس من الله إنما هو من الشيطان سخر بك ، ولو كان من الله لأوحاه إليك خفيًا كما ناديت خفيًا وكما يوحى إليك في سائر الأمور ؛ فقال ذلك دفعًا للوسوسة . قال : وفيه جواب آخر ، وهو أنه لم يشك في الولد وإنما شك في كيفيته والوجه الذي يكون منه الولد فقال : أأتى يكون لي ؟ أى كيف يكون لي ولد ؟ أتجعلني وأمرأتى شابين أو ترزقنا على كبرنا ، أو ترزقني من امرأة عاقرة ، أم من غيرها من النساء ؟ فقال

(١) سورة مريم آية ٩

(٢) سورة آل عمران آية ٤١

ذلك مستخبراً لا مستنكراً . وهذا قول الحسن . « قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس » تكف عن الكلام ثلاثة أيام وتقبل بكيتك على عبادتي وطاعتي ؛ لأنه ما حبس لسانه عن الكلام ولكنه نهى عنه ؛ ويدل عليه قوله : ﴿ وَأَذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالنَّعِثِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴾ . هذا قول قوم من أهل المعاني . وقال آخرون : عَقِلَ لِسَانُهُ عَقُوبَةً لَهُ لِسْوَائِهِ الْآيَةَ بعد مُشَافَهَةِ الْمَلَائِكَةِ لِمَا بِهِ ، فلم يقدر على الكلام ثلاثة أيام ، لأنهم كانوا اذا صاموا لم يتكلموا إلا رَمَزًا .

قال : وفي بعض الأخبار أنه لما وُلِدَ يُحْيَى رُفِعَ الى السماء فغُذِيَ بأنهار الجنة حتى قُطِمَ ثم أُنْزِلَ الى أبيه ، فكان يُضِيءُ البيت لنوره .

وآختلفوا في تسميته يحيى ولم يُسَمَّ بذلك ؟ قال ابن عباس رضي الله عنهما : لأن الله تعالى أحياه به عُمرُ أمه . وقال قتادة وغيره : لأن الله تعالى أحياه قلبه بالإيمان والنبوة . وقال الحسين بن الفضل : لأن الله تعالى أحياه بالطاعة حتى لم يعص ولم يهجم بمعضية . وقيل : سُمِّيَ بذلك لأنه أَسْتَشْهَدُ والشهداء أحياء عند ربهم يُرْزَقُونَ .

ويحيى أول من أقر بعيسى عليه السلام وصدقه ؛ وذلك أنه لما كان في بطن أمه استقبلتها مريم وقد حملت بعيسى ، فقالت لها أم يحيى : يا مريم ، أحامل ؟ أنت ؟ فقالت : لماذا تقولين ؟ قالت : إني أرى ما في بطني يسجد لما في بطنك ؛ فذلك تصديقه وإيمانه . وكان يحيى أكبر من عيسى بستة أشهر ، وقُتِلَ قبل رفع عيسى . وقوله تعالى فيه : ﴿ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا ﴾ قال ابن جبير : السيد الذي يطيع ربه عز وجل . وقال الضحّاك : السيد الحسن الخلق . وقال عكرمة : السيد الذي لا يفضّض . وقال سُفْيَانُ : السيد الذي لا يحسد . وحصورا ، قال

أبن مسعود وأبن عباس وغيرهما : هو الذى لا يأتى النساء ولا يقربهن ، فعول بمعنى فاعل ، يعنى أنه حَصَرَ نفسه عن الشهوات : وقال المبرد : الحَصُور : الذى لا يدخل فى اللعب ولا الباطل .

ذكر صفة يحيى بن زكريا وحليته

- ٥ قال كعب الأحبار : كان يحيى بن زكريا عليهما السلام حسنَ الوجه والصُّورة ، لَيْنَ الجَنَاحِ ، قصيرَ الأصابع ، طويلَ الأنف ، مقرونَ الحاجبين ، رقيقَ الصوت ، كثيرَ العبادة ، قوياً فى طاعة الله عز وجل وقد ساد الناس فى عبادته .

ذكر نبوة يحيى عليه السلام وسيرته وزهده

- ١٠ قال الله تعالى : ﴿ يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتِنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ^(١) 》 . قيل : هو أن يحيى عليه السلام قال له أقرانه من الصبيان : يا يحيى اذهب بنا نلعب ، فقال : أَللَّعِبِ خُلِقْتُ ! . وقال الآخرون : هو أنه نبي وهو صغير ، وكان يعِظُ الناس ويَقِفُ لهم فى أعيادهم وجمعهم يدعُوهم الى الله تعالى ، ثم ساح ودخل الشام يدعو الناس . ولما بعثه الله عز وجل إلى بنى إسرائيل أمره أن يأمرهم بنحس خصال وضرب لكل خصلة منها مثلاً :

- ١٥ أمرهم أن يعبدوا الله تعالى ولا يُشركوا به شيئاً وقال : مَثَلُ الشَّرِكِ مَثَلُ رَجُلٍ اشترى عبيداً من خالص ماله ثم أسكنهم داراً له ودفع لهم مالاً يتجرون فيه ويأكل كل واحد منهم مايكفيه ، ويؤدون إليه فضل الربح ، فعمد العبيد إلى فضل الربح فدفعوه إلى غير سيدهم .

وَأَمَرَهُم بِالصَّلَاةِ وَقَالَ : إِنْ مَثَلَ الْمُصَلِّي كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَأْذَنَ عَلَى مَلِكٍ فَأَذِنَ لَهُ وَدَخَلَ عَلَيْهِ ، فَأَقْبَلَ الْمَلِكُ عَلَيْهِ بِوَجْهِهِ لِيَسْمَعَ مَقَالَتَهُ وَيَقْضِيَ حَاجَتَهُ ، فَلَمَّا دَخَلَ الرَّجُلُ أَتَتْهُ يَمِينًا وَشِمَالًا وَلَمْ يَهْتُمْ بِحَاجَتِهِ ، فَأَعْرَضَ الْمَلِكُ عَنْهُ بِوَجْهِهِ وَلَمْ يَقْضِ حَاجَتَهُ .

وَأَمَرَهُم بِالصَّدَقَةِ وَقَالَ : مِثْلُهَا كَمَثَلِ رَجُلٍ أَسْرَهُ الْعَدُوَّ فَأَشْتَرَى مِنْهُمْ نَفْسَهُ بِنِئْنٍ مَعْلُومٍ ، فَجَعَلَ يَعْمَلُ فِي بِلَادِهِمْ وَيُؤَدِّي إِلَيْهِمْ مِنْ كَسْبِهِ الْقَائِلَ وَالكَثِيرَ حَتَّى وَفَى ثَمَنَهُ فَأُعْتُقَ .

وَأَمَرَهُم بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَقَالَ : مَثَلُ الذَّكْرِ مِثْلُ قَوْمٍ لَمْ يَحْصُنْ وَلَهُمْ عَدُوٌّ ، فِإِذَا أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ عَدُوُّهُمْ دَخَلُوا حِصْنَهُمْ فَلَمْ يَقْدِرِ الْعَدُوُّ عَلَيْهِمْ ، كَذَلِكَ مَنْ ذَكَرَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ .

- وَأَمَرَهُم بِالصَّيَامِ وَقَالَ : مِثْلُهُ كَالْحِنَّةِ ^(١) لَا يَصِلُ عَدُوُّهُ إِلَيْهِ . وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ١٠ فِيهِمْ كَثِيرٌ التَّقَشُّفِ وَالْعِبَادَةِ وَالزَّهْدِ وَالسِّيَاحَةِ إِلَى أَنْ قُتِلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

ذِكْرُ مَقْتَلِ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا وَأَبِيهِ زَكَرِيَّا عَلَيْهِمَا السَّلَامُ

اختلف العلماء في سبب قتل يحيى ؛ فقال بعضهم : كان يحيى عليه السلام في زمن ملكٍ من ملوك بني إسرائيل ، وكانت له امرأةٌ وهى بنت ملك صيدا ، وكانت قتالةً للأَنْبياء والصالحين ، وكانت عاهرة تبرز للناس ، وكان يحيى يزجرها ١٥

(١) الحنة (بضم الجيم المعجمة) : كل ما وقى من سلاح . وفي العبارة يُجَازى والمعنى المراد واضح .

(٢) صيدا (بالقصر والمد) : مدينة على ساحل بحر الشام من أعمال دمشق ، شرق صور ، بينهما ستة فراسخ . كان لها في القرن السابع عشر إلى القرن الثالث عشر قبل الميلاد شهرة عظيمة في التجارة والحضارة ، وتفوق كبير في الملاحة . ولما انتقلت السيادة إلى جارتها مدينة صور حفظت مركزها أيضا وبقيت قاعدةً لملكه كنعان . فتحها المسلمون في خلافة عمر سنة ٦٣٨ م (١٧ هـ) . (راجع تاريخ صيدا ومعجم الخريطة التاريخية) . ٢٠

عن ذلك ويقول لها : لأُبْرِزِينَ كاشفةً عن وجهكِ . وكان كثيرا ما يقول لها :
مكتوبٌ في التوراة : إِنَّ الزَّانَةَ يُوقَفُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيُرِيحُهُمْ أَتْنٌ مِنَ الْجِلْفِ . فأمرت
بيحي فسُجِنَ . وكان قد حُبِسَ رجلٌ من أبناء الملوك ، وكان يختلف إليها ، فعلم بها
وبه يحيى فزجره ، فبلغ ذلك امرأة الملك فحملت بنتا لها وآستقبلت بها زوجها .
فقال : لم فعلتِ ذلك ؟ فقالت : وَجَبَ لها عليك حق . فقال : سَلِّبِي مَاشِئَتِي .
فسأله أهل السجن . فظنَّ أنها ترحمهم وتسرحهم فقال : قد فعلت . فأمرت
المرأة بأهل السجن فعرضوا . فلما مرَّ بيحي أمرت به فدُفِجَ في طَسْتٍ ثم حملت
الطست إلى أبيها بأمر أمها وقالت : أيتها الملك ، إني ذبحتُ لك ذبيحةً من
أعظم ما وجدتُ ، ولو كانت مثله ألفاً لذبحتهم لك . فقال : ومن هو ؟
قالت : يحيى بن زكريا . قال : هلكتِ وأهلكِ أبو يك . فغضب الله ما بهم من
النعم ، وسلط عليهم عدوهم فذبح البنات وأبويها ، وسلط عليهم الكلاب حتى أكلتهم .
وقال الثعلبي^(١) في تفسيره : والصحيح من ذلك ما ذكره محمد بن إسحاق بن
يسار قال : عبرت بنو إسرائيل بعد ما عمرت الشام ، وعادوا إليها بعد خراب مُجْتَنَصَرٍ
إليها وسببهم منها ، ففعلوا بعد ذلك يُحْدِثُونَ الْأَحْدَاثَ بعد مهلكٍ عَزِيزٍ عليه السلام ،
ويعود الله عليهم ويبعث فيهم الأنبياء ، ففريقا يكذبون وفريقا يقتلون ، حتى كان
آخرُ من بعث الله تعالى فيهم من أنبيائهم زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام .
فمات زكريا وقُتِلَ يحيى بسبب نهيهِ الملك عن نكاح أبنته في قول عبد الله بن الزبير ،
وأبنة أمراءه في قول السُّدِّيِّ ، وأبنة أخيه في قول ابن عباس رضى الله عنهما
وهو الأصح إن شاء الله تعالى ؛ لِمَا رَوَى الْأَعْمَشُ عَنِ الْمُنْهَالِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ
عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : بَعَثَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا عَلَيْهِمَ

السلام في آثني عشر من الحواريين يعلمون الناس ، فكان مما نهوهم عنه نكاح ابنة الأخ . قال : وكانت للمكهم ابنة أخ تُعجبه يريد أن يزوجها ، وكانت لها في كل يوم حاجة يقضيها لها . فلما بلغ ذلك أمها أنه نهى عن نكاح بنت الأخ قالت [لأبنتها : اذا دخلت على الملك فسألكِ فقولى له : حاجتى أن تذهب لى يحيى بن زكريا . فلما دخلت عليه سألتها حاجتها قالت : حاجتى أن تذهب لى يحيى بن زكريا . فقال : [سألني غير هذا . قالت : لا أسألك إلا هذا . فلما أبت عليه دعا يحيى ودعا بطست فذبحه فيه ، فندت من دمه قطرة على الأرض ، فلم تزل تغلي حتى بعث الله عز وجل ملك بابل ، فقتل عليها من بنى إسرائيل حتى سكنت . وقد تقدم أيضا خبر مقتله ، وأن مختصر هو الذى قتل على دمه حتى سكن . والصحيح أن مختصر إنما قتل بسبب قتل شعياً عليه السلام .

قال الثعلبي أيضا : وقال علماء النصارى : إن قتل يحيى كان على يدى ملك من ملوك بنى إسرائيل يقال له هيرودس بسبب امرأة يقال لها هردوبا ، كانت امرأة أخ له يقال له قلفوس ، عَشَقها فوافقته على الفجور ، فنهاه يحيى وأعلمه أنها لا تحل له ، فسألت المرأة هيرودس أن يأتيها برأس يحيى ففعل ، ثم سقط في يده وجزع جزعاً شديداً .

وقال كعب : كان يحيى عليه السلام من أحسن الناس وجهاً وأجلهم في زمانه ، فأحبته امرأة الملك الذى كان في ذلك الزمان حباً شديداً ، فأرسلت اليه تراوده ،

(١) التكملة عن الثعلبي والطبرى (ص ٧١٣ من القسم الأول) . وعبارة الأصول : « عن نكاح بنت الأخ قالت : تذهب يحيى بن زكريا قال » وهى مضطربة من النسخ .

(٢) راجع (ص ١٥٧) من هذا الجزء .

(٣) يقال لكل من ندم أو حزن وتحسر على فائت من فعل أو ترك أو عجز : قد سقط في يده .

فأرسل إليها أنه لا يعلم له بالنساء والمليك أحق أن يطأ فراشه . فلما جاءها الرسول غَضِبَتْ وقالت : كيف لي أن أقتله حتى لا يخبر الناس أني قد راودته ! . فلم تزل بالملك حتى وهب لها رأس يحيى بن زكريا ، وأرسلت إليه وهو قائم يصلّي في محراب داود في بيت المقدس فضرب عنقه وأخذ رأسه . فلما أرادوا أن يأخذوا رأس يحيى خَسَفَ الله بها وبأهلها الأرض عقوبةً لقتلها يحيى عليه السلام .

قال كعب : فلما رأى زكريا أن ابنه يحيى قد قُتِلَ وخُسِفَ بالقوم انطلق هاربا في الأرض ، حتى دخل بستانا عند بيت المقدس فيه أشجار . وأرسل الملك في طلبه غضبا لما لقيت المرأة وأهلها . فترزكريا بشجرة من تلك الأشجار فنادته الشجرة : يا نبي الله ، هلم إلى هاهنا . فلما أتاها التفت عليه الشجرة ودخل زكريا عليه السلام في وسطها ، فأنطلق عدو الله إبليس لعنه الله حتى أخذ بطرف ردائه ، فأخرجه من الشجرة ليصدقه إذا أخبرهم ، وجاء الذين يلتمسون زكريا ، فأخبرهم إبليس أنه دخل الشجرة ، فقالوا : لا نصدقك . قال : فإني أرىكم علامة تصدقوني بها . قالوا : فأرناها ، فأراهم طَرف ردائه ، فأخذوا الفؤوس فضربوا الشجرة حتى قطعوها بآثنتين ، فسلب الله عليهم أخت أهل الأرض عُلجا مجوسيا ، فانتقم الله من بني إسرائيل بدم يحيى وزكريا ، فقتل عظماء بني إسرائيل وسبى منهم مائة ألف وعشرين ألفا .

وقد قيل في سبب قتل زكريا غير هذا ، وسنذكره إن شاء الله في أثناء أخبار عيسى بن مريم على ما تقف عليه إن شاء الله تعالى .

ذكر هلاك بني إسرائيل ونحراب بيت المقدس ثانيا

قال التعلبي رحمه الله تعالى في بعض طُرُقَه عن محمد بن إسحاق : إن نحراب

بيت المقدس ثانيا وقُتل بني إسرائيل كان بعد رفع عيسى بن مريم وقُتل يحيى بن زكريا . فلما فعلوا ذلك سلط الله تعالى عليهم ملكا من ملوك بابل يقال له نَرْدُوس^(١) ،

فسار إليهم بأهل بابل حتى دخل عليهم الشام ؛ فلما ظهر عليهم أمر رأسا من رؤوس أجناده يدعى نبُوزَرَادَان صاحب الفيل فقال له : إني قد كنتُ حلفتُ باللهِ إن

أنا ظهرتُ على أهل بيت المقدس لأقتلنهم حتى تسيل دماؤهم في وسط عسكرى إلى ألا أجدا أحدا أقتله ، فأمره أن يقتلهم حتى يبلغ ذلك منهم ، وأن نبُوزَرَادَان

٥١
١٢

دخل بيت المقدس فقتلهم في البقعة التي كانوا يقربون فيها قربانهم ، فوجدوا فيها دما يغلي فسألهم عنه فقالوا : هذا دمُ قربان قُربناه فلم يُتَقَبَّلْ مِنَّا فلذلك هو يغلي كما

١٠ تراه ، ولقد قُربنا منذ ثمانمائة سنة القربان فتُقبَّلْ مِنَّا إلا هذا القربان . فقال : ماصدقتموني الخبر . قالوا له : لو كان كأول دمائنا لُقبِلْ ولكنّه قد انقطع مِنَّا المُلْكُ

والنبوة والوحي فلذلك لم يُقبَّلْ . فذبح منهم نبُوزَرَادَان على ذلك الدم سبعمائة وسبعين

رُوحا من رؤوسهم فلم يهدأ ، فأمر بسبعة آلاف من سبيهم فذبحهم على الدم فلم يَبرُد . فلما رأى نبُوزَرَادَان أن الدم لا يهدأ قال لهم : ويلكم يا بني إسرائيل !

١٥ أُصدقوني وأصبروا على أمر ربكم ، فقد طالما ملكتم الأرض تفعلون فيها ما شئتم ، قبل

(١) كذا في تاريخ الطبري (ص ٧٢٠ من القسم الأول والبحر المحيط لأبي حيان (ج ٦ ص ١١)

وفي نسخة ١ ، ب : « جردوس » بالجيم المعجمة . وفي نسخة ج « جردوس » بالخاء المهملة .

(٢) كذا في الكتاب المقدس (ج ١ ص ٦٥١) . وفي تاريخ الطبري (ص ٧٢٠ من القسم الأول)

٢٠ « نبوزرادان » . وفي الأصول : « نبوزرادان » .

(٣) كذا في الأصول وتاريخ الطبري . وفي الكتاب المقدس (ج ١ ص ٦٥١) : « رئيس الشرط » .

وفي نسخة من تاريخ الطبري أشير إليها في الهامش (ص ٧٢٠ من القسم الأول) : « صاحب القتل » .

- أَلَا أترك نافعاً نازكاً أو أُنْثى إلا قتلته . فلما رأوا الجهد وشدة القتل صدقوه الخبر فقالوا : إن هذا دم نبيٍّ ما كان ينهانا عن أمور كثيرة من سخط الله ، فلو أطلعناه لكان أُرشد لنا ، وكان يخبرنا بأمركم فلم نصدقوه فقتلناه فهذا دمه . فقال لهم : ما كان اسمه ؟ قالوا : كان اسمه يحيى بن زكريا . قال : الآن صدقتموني ، لمثل هذا ينتقم منكم ربكم . ولما رأى أنهم قد صدقوه خرساجدا وقال لمن حوله : أغلقوا باب المدينة وأخرجوا من كان هاهنا من جيش خردوس . وخلا في بني إسرائيل ثم قال : يا يحيى بن زكريا ، قد علم ربِّي وربُّك ما قد أصاب قومك من أجلك وما قُتل منهم ، فأهدأ بإذن الله تعالى قبل ألا أبقى من قومك أحداً ، فهدأ دم يحيى بن زكريا بإذن الله تعالى ، ورفع نبوزرادان عنهم القتل وقال : آمنتُ بما آمنت به بنو إسرائيل وصدقت به وأيقنت أنه لا ربَّ غيره . فأوحى الله تعالى إلى رأس من رؤوس بقية الأنبياء عليهم السلام أن نبوزرادان حَبُورٌ صُدُوقٌ — والحبور بالعبرانية حديث الإيمان — فقال نبوزرادان : يا بني إسرائيل ، إن عدو الله خردوس أمرني أن أقتل منكم حتى تسيل دماؤكم وسط عسكره ، وإني لستُ أستطيع أن أعصيه . قالوا له : افعل ما أمرت به ، فأمرهم أن يحفروا خندقاً وأمر بأموالهم من الخيل والبغال والحمير والبقر والغنم فذبحها حتى سال الدم في العسكر ، وأمر بالقتلى الذين كانوا قُتلوا قبل ذلك فطرحوا على ما قُتل من مواشيم حتى كانوا فوقها . فلما بلغ الدم عسكر خردوس أرسل إلى نبوزرادان أن أرفع عنهم القتل فقد بلغتني دماؤهم . ثم آنصرف عنهم إلى بابل وقد أنفى بني إسرائيل أو كاد . وهذه هي الواقعة الآخرة التي أنزل الله تعالى فيها وفي الأولى : ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوكَ كَبِيرًا * فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ (١) فكان مختصر

وجنوده . ثم ردَّ الله لهم الكَرَّةَ عليهم . وكانت الوقعة الآخرة خَرْدُوس وجنوده فلم تُقَمْ لهم بعد ذلك راية . وانتقل المَلِكُ بالشام ونواحيها الى الروم واليونان ، إلَّا أنَّ بقايا بني إسرائيل كثروا وانتشروا بعد ذلك . وكانت لهم الديانة والرياسة ببית المقدس ونواحيها على غير وجه المَلِك . وكانوا في نعمة ومَنَّة الى أن بدلوا وأحدثوا الأحداث واستحلوا المحارم وضيعوا الحدود ، فسَلَطَ الله تعالى عليهم طَطُّوس بن اسفَيَانوس الرومى فأنحرب بلادهم وطردهم عنها ، ونزع الله تعالى منهم المُلْك والرياسة وضرب عليهم الذِّلَّ ، فلبسوا في أمة من الأمم إلَّا وعليهم الصَّغار والجزية والمُلْك في غيرهم . وبقي بيت المقدس خرابا الى أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه فعمَّره المسلمون بأمره .

قال : ورَوَى أبو عَوَّانة عن أبي بشر قال : سألت سَعِيدَ بن جُبَيْر عن قول

- ١٠ الله عز وجل : ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ ﴾ الآيات فقال : أمَّا الذين جاسوا خلال الديار فكان صَرَّخان الخرزى شَعَثَ من الديار وتبرَّ . ثم قال : ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ ﴾ الى قوله : ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ ﴾ الى قوله : ﴿ تَنْبِيْراً ﴾ قال : هذا بختنصر الذى نَحَرَّبَ بيت المقدس . ثم قال لهم : ﴿ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْجَحَكُمْ وَإِنْ عُدتُمْ عُدتُمْ ﴾ قال : فعادوا فَعِيدَ عليهم ، فبعث الله تعالى عليهم ملك الروم . ثم عادوا أيضا فَعِيدَ عليهم ، فبعث عليهم درم أوزن ملك الرى . ثم عادوا أيضا فَعِيدَ عليهم ، فبعث عليهم سابور ذا الأكتاف .

(١) كذا في تاريخ الطبرى (ص ٧٤٣ من القسم الأزل) ونسخة ج . وفي نسخة ١ ، ب :

« طحوس » . (٢) في تاريخ الطبرى : « سلفسيانوس » . (٣) الصغار : الذل .

(٤) جاسوا : عاثوا وقتلوا . (٥) وفي الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (ج ١٠ ص ٢١٦) :

٢٠ « وقال سعيد بن جبیر في قوله تعالى : (ثم نبثنا عليكم عبادا لنا أولى بأسا شديد فجاسوا خلال الديار) هو سنحاريب من أهل نينوى بالموصل ملك الروم » . (٦) تبر : أهلك ودمر .

(٧) كذا في الأصول ولم نجد هذا الاسم في المظان .

وقال قتادة : هذه الآية قضاء قُضِيَ على القوم كما يسمعون ، فبعث عليهم في الأولى جالوت فسبي وقتل وتخرب بيت المقدس وسامهم سوء العذاب ، ثم قال : (عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ) فعاد الله عليهم برحمته . ثم عاد القوم بشر ما يحضّرم . فبعث الله تعالى عليهم ما شاء أن يبعث من نعمته وعقوبته . ثم بعث الله تعالى عليهم هذا الحى من العرب ، كما قال تعالى : (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ^(١)) فهم بهم في عذاب الى يوم القيامة .

وهذه الأخبار التي أوردناها في هذا المكان من خبر زكريا ويحيى ونوح بيت المقدس ثانيا ، منها ما كان في زمن عيسى عليه السلام ، ومنها ما كان بعد رفعه . وإنا أوردناها سياقة وتركنا خبر عيسى عليه السلام لثلا تنقطع بغيرها وليتلو بعضها بعضا . فلنرجع الى أخبار عيسى بن مريم عليه السلام .

ذكر خبر حمل مريم بنة عمران بعيسى عليهما السلام

قال الكسائي رحمه الله تعالى : وكانت مريم تموت وتريد في كل يوم وتعبد الله تعالى حتى برزت في العبادة على نساء بنى اسرائيل . فلما بلغت مبلغ النساء أتت منزل زكريا ، فقال لها : كيف خرجت من بيتك ومفتاحه معي ؟ قالت : إني رأيت أمرا فيحيا — أرادت بذلك الحيض — فحسنت بإذن الله . فأمرها زكريا أن تكون عند خالتها حتى تطهر ، ففعلت ذلك . فلما طهرت وأغتسلت عادت إلى عبادتها . فكان ذلك عادتها وشأنها اذا حاضت . فذلك قوله تعالى : (وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّخَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا * فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا ^(٢)) أى سترها (فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا) يعنى جبريل (فَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا) أى في صورة رجل

(١) سورة الأعراف آية ١٦٧ (٢) سورة مريم آية ١٦ وما بعدها .

﴿ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴾ (قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا * قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا * قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَلِجَعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ﴾ ثم نفخ في جيبها فوصلت النفخة الى جوفها فحملت بعيسى لوقتها . ويقال : إن زكريا في ذلك الوقت أفضى إلى أمراته فحملت بيجي .
وقيل : إن امرأة زكريا حملت قبل مريم بثلاثة أشهر، وقيل ستة أشهر . وكانت مريم إذ ذاك بنت خمس عشرة سنة ، وقيل ثلاث عشرة سنة .

وحكى الثعلبي في قصة حمل مريم أنه كان معها في المسجد ابن عم لها من الحررين يقال له يوسف بن يعقوب النجار ، وكان رجلا حكيما نجارا ، يتصدق بعمل يديه ، وكان يوسف ومريم اذا نفد ماؤهما أخذ كل واحد منهما قُلتَه وأنطلق إلى المغارة التي فيها الماءُ يستقيان منه ثم يرجعان إلى الكنيسة . فلما كان اليوم الذي لقيها فيه جبريل ، وكان أطول يوم في السنة وأشدَّ حرًا ، نفد ماؤها ، فقالت : يا يوسف ، ألا تذهب بنا نستقي ؟ فقال لها : إن عندي لفضلا من ماء أكتفي به في يومي هذا إلى غد . قالت : لكنني والله ما عندي ماء ، فاخذت قُلتها ثم انطلقت وحدها حتى دخلت المغارة ، فوجدت عندها جبريل عليه السلام ، قد مثله الله عز وجل بشرا سويا ، فقال لها : يا مريم ، إن الله قد بعثنى اليك لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا . قالت : إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا . قال عِكْرمة : وكان جبريل قد عَرَضَ لها في صورة شابٍّ أَمْرَدَ وَضَى الوجه ، جَعَدَ الشعر ، سَوَى الخَلْق . قال الحكماء : وإنما أرسله الله تعالى في صورة البشر لثبُت مريم عليها السلام وتقدير على آستماع كلامه ، ولو أنهاها على صورته التي هو عليها لَفَزَعَتْ ونَفَرَتْ عنه ، ولم تقدر على آستماع كلامه . فلما آستعادت مريم منه قال : ﴿ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ

رَبِّكَ ﴿ الْآيَةُ . فلما قال ذلك استسلمت لقضاء الله تعالى . فنفخ جبريل في جيب درعها ، وكانت قد وضعت ، ثم انصرف عنها . فلما ليست مريم درعها حملت بعيسى عليه السلام ، ثم ملأت قوتها وانصرفت الى المسجد . وقال السدي وعكرمة : إن مريم عليها السلام كانت تكون في المسجد ما دامت طاهرة فإذا حاضت تحولت الى بيت خالتها حتى إذا طهرت عادت الى المسجد . فبينما هي تغتسل من الحيض وقد أخذت مكانا شرقيا — قال الحسن : إنما اتخذت النصارى الشرق قبلة لأن مريم انتبذت مكانا شرقيا — فآتخذت ، فضربت من دونهم حجابا ، أى ستر . وقال مقاتل : جعلت الجبل بينها وبين قومها ، فبينما هي كذلك اذ عرض لها جبريل وبشرها ونفخ في جيب درعها .

٥٣
١٢

قالوا : فلما اشتملت على عيسى وتبين حملها داخلها الغم وعلمت أن بنى إسرائيل سوف يقذفونها ، فنادتها الملائكة : ﴿ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ ﴾ أى من الحيض ﴿ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ * يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ . قال : وبشرها الله تعالى بعيسى فقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ * وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ . ﴿ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ * وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَآئِيلَ ﴾ الآية فطابت نفسها . قال وهب : فلما اشتملت على عيسى وكان معها يوسف النجار ، وكانا منطلقين الى المسجد الذى يجبل صهيون — وجبل صهيون على باب بيت المقدس — وكان ذلك المسجد يومئذ من أعظم مساجدهم ، وكانت مريم ويوسف يخدمان ذلك المسجد ، وكان لخدمته فضل عظيم ، فكانا يلينان معالجته بأنفسهما وتطهيره ، وكان لا يعلم أحد من أهل زمانهما أشد اجتهادا وعبادة

- منهما . فكان أول من أنكر حمل مريم يوسف النجار . فلما رأى ما بها استعظمه وقُطِعَ به ولم يدر على ماذا يضع أمرها . فكان إذا أراد أن يَتَّهَمَهَا ذكر صلاحها وعبادتها وبرأتها وأنها لم تَغِبْ عنه ، وإذا أراد أن يبرِّئها رأى الذى ظهر بها من الحمل . فلما أَشْتَدَّ ذلك عليه كَلَّمَهَا ، فكان أول ما كَلَّمَهَا به أن قال لها : إنه قد وقع فى نفسى منك ومن أمرك شيء ، وقد حرصت على أن أكتُمه فغلبنى ذلك .
- ٥ ورأيتُ أن الكلام فيه أَشْفَى لصدري . فقالت : قل قولاً جميلاً . قال : خبرينى يا مريم ، هل يَنْبُتُ زرع بغير بَذَرٍ ؟ قالت نعم . قال : فهل تَنْبُتُ شجرة بغير غِثِّ يصيبها ؟ قالت نعم . قال : فهل يكون ولدٌ من غير حَمْلٍ ؟ قالت : أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ الله عز وجل أنبت الزرع يوم خلقه من غير بَذَرٍ ، والبَذَرُ إنما تكون من الزرع الذى كان أنبته من غير بَذَرٍ ! . أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ الله عز وجل أنبت الشجر من غير غِثِّ ، وبالقَدَرِ
- ١٠ جعل الغِثَّ حياة الشجر بعد ما خلق كل واحدة على حدة ! . أو تقول إن الله لا يقدر على إنباته ! . قال يوسف لها : لا أقول هذا ، ولكنى أعلم أن الله تبارك وتعالى يقدر على ما يشاء ، يقول لذلك : كُنْ فَيَكُونُ . فقالت له مريم : أو لم تعلم أن الله تبارك وتعالى خلق آدم وأمرأته حواء من غير ذكر ولا أنثى ! . قال بلى .
- فلما قالت له ذلك وقع فى نفسه أن الذى بها شيء من أمر الله ، وأنه لا يَسْمَعُه أن يسألها عنه ، وذلك لما رأى من كتمانها . وقال الكسائى : لما قال يوسف لمريم : هل يكون ولد من غير حَمْلٍ ؟ قالت : نعم ، آدم من غير أب وأُم . قال صدقت . ثم قال : هذا الولد الذى فى بطنك من أبوه ؟ قالت : هذا هبة ربِّى لى ، ومثله كمثل آدم خلقه من تراب . فنطق عيسى فى بطنها وقال : يا يوسف ما هذه الأمثال التى تضربها ! قم فاشتغل بصلاتك واستغفر لذنبك مما قد وقع فى قلبك . فقام يوسف
- ٢٠ وجاء الى زكريا وأخبره ، فاعْتَمَ وقال لأمرأته : إن مريم حاملٌ ، وأخاف من فساق

بنى إسرائيل أن يتهموا يوسف بها . قالت : توكل على الله وأستعن به فإنه يردّ عنها مقالة الفسّاق .

قالوا : ثم تولى يوسف خدمة المسجد وكفأها كل عمل كانت تعمله فيه لما رأى من رقة جسمها ، وأصفرار لونها ، وكأف وجهها ، وتواء بطنها ، وضعف قوتها . والله أعلم .

ذكر خبر ميلاد عيسى بن مريم عليهما السلام

قال الكسائي رحمه الله : فلما دنا وقت الولادة خرجت مريم في جوف الليل من منزل زكريا حتى صارت إلى خارج بيت المقدس ؛ فذلك قوله تعالى : ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴾ . قال : وأخذها الطلق ، فنظرت إلى نخلة يابسة بفلسطين تحتها فاخضرت النخلة من ساعتها وصار لها سَعَفًا وخوصًا وحملت الرطب لوقتها ، وأنبع الله في أصل النخلة عينا من الماء . قال : وعن وهب أنه لما دنت ولادة مريم عليها السلام أوحى الله تعالى إليها أن تخرج من المحراب فتبتوأ منزلا تلد فيه ، فتحولت إلى بيت خالتها أم يحيى بن زكريا لتلد في بيتها . قال : فلما دخلت عليها استقبلتها أم يحيى وسألت عليها . فلما ألتقيا أحسّت أم يحيى بسجود من في بطنها ، فقالت : يا مريم ، إن الذي في بطني يسجد لما في بطنك .

قالوا : ثم أوحى الله تعالى إلى مريم أن تخرج من أرض بيت لحم^(١) إلى جهة من الأرض تلد فيها ، فحملها يوسف النجار على حمار بأكاف^(٢) ليس بينها وبين الأكاف غير

(١) بيت لحم : قرية صغيرة مبنية على أكمة تبعد ٦ أميال إلى الجنوب من أورشليم وهي محاطة بتلال تكسوها الأشجار والنباتات الجميلة ، وفيها مياه عذبة تنفجر من أراضيها الخصبة . (راجع قاموس الكتاب المقدس للدكتور جورج بوست) . (٢) أكاف الحمار (بضم أوله وكسره) : برذعه .

نوبها وهي مُثْقَلَةٌ لَا تَكَادُ تَقُومُ . فَانْطَلَقَا فِي سَوَادِ اللَّيْلِ مِنْ بَيْتِ لَحْمٍ يُؤْتِمَانُ الْجِبَالَ ،
حَتَّى إِذَا كَانَا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ بَيْنَ نَخْلَاتٍ يَتَرَلَّهَا الرُّكْبَانُ ، بَيْنَهُنَّ أَوَارِيٌّ مَبْنِيَةٌ بَنَاهَا السَّفَرُ^(١)
لِيَمْلُقُوا فِيهَا دَوَاهِيَهُمْ . فَتَزَلَّ ذَلِكَ الْمَنْزِلُ ، فَأَدْرَكَهَا الْخَاضُ ، فَالْتَجَأَتْ إِلَى بَعْضِ تِلْكَ
الْأَوَارِيِّ وَهُوَ فِي أَصْلِ جَذْعِ نَخْلَةٍ يَابَسَ خَلٌّ لَيْسَ فِيهِ عَرَّاجِينَ وَلَا غَيْرَهَا ، فَأَنْبَتَهُ اللَّهُ^(٢)

تَعَالَى وَاتَّمَرَهُ حَتَّى أَظْلَمَهَا وَأَكْنَهَا وَتَدَلَّتْ عَلَيْهَا غَصُونُهُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ حَتَّى سَتَرَهَا السَّعْفُ
وَالْعَرَّاجِينَ . وَاشْتَدَّ بِهَا الطَّلَقُ وَدَاوَمَهَا سَبْعَ لَيَالٍ ، وَأَشْرَفَتْ عَلَى الْمَوْتِ ، فَقَالَتْ
مَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ عَنَّا ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ
يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا نَسِيًّا^(٣) 〉 . قَالَ : وَاشْتَدَّ عَلَيْهَا الْبُرْدُ ، فَعَمِدَ يَوْسُفُ إِلَى
حُطْبٍ بَجَعَلَهُ حَوْلَهَا كَالْحَظِيرَةِ ، ثُمَّ أَشْعَلَ فِيهِ النَّارَ فَأَدْفَأَهَا ، وَكَسَرَهَا سَبْعَ جُوزَاتٍ

فَاكْتَمَهَا . فَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ تَوَقَّعَ النَّصَارَى النَّارَ لَيْلَةَ الْمِيلَادِ وَلَعَبَ بِالْجُوزِ . قَالَ وَقَالَ ١٠
كَعَبَ : إِنَّمَا خَرَجْتَ مَنْفَرْدَةً ، فَلَمَّا فَقَدَهَا زَكَرِيَّا أَحْمَهُ ذَلِكَ ، وَبَعَثَ يَوْسُفَ التَّجَّارَ
فِي طَلَبِهَا ، بَجَاءَ حَتَّى نَظَرَ إِلَيْهَا تَحْتَ النَّخْلَةِ . قَالَ : وَلَمَّا شَكَتْ مِنْ أَلَمِ الْوِلَادَةِ
مَا شَكَتْ وَقَالَتْ : « يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا نَسِيًّا » أَيْ لَا تُعْرِفُ
وَلَا تَذْكُرُ ﴿ فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا 〉 — قِيلَ : إِنْ الَّذِي نَادَاهَا عِيسَى . وَقِيلَ : جَبْرِيلُ —

﴿ أَنْ لَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا 〉 وَهُوَ الْجَدُولُ الصَّغِيرُ . قَالُوا : كَانَ ١٥
نَهْرًا مِنْ مَاءٍ عَذْبٍ ، يَكُونُ بَارِدًا إِذَا شَرِبْتَ مِنْهُ ، وَفَاتَرًا إِذَا اسْتَعْمَلْتَهُ ﴿ وَهَزَّى إِلَيْكَ
بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا 〉 أَيْ نَضِيجًا ﴿ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا 〉
أَيْ كُلِي وَاشْرَبِي مِنَ الْمَاءِ الَّذِي أَنْبَعَهُ اللَّهُ لَكَ وَقَرِّي عَيْنًا بِهَذَا الْوَلَدِ ﴿ فَلَمَّا تَرَيْنَ
مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا 〉 أَيْ صَمْتًا ﴿ فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ أَنْسِيًّا 〉

٢٠ (١) أَوَارِيٌّ جَمْعُ آرِيٍّ وَهُوَ مَحْبِسُ الدَّابَّةِ . (٢) السَّفَرُ : جَمَاعَةُ الْمَسَافِرِينَ .
(٣) عَرَّاجِينَ : جَمْعُ عَرَّاجُونَ ، وَهُوَ أَصْلُ الْعَذْقِ الَّذِي يَبْجُجُ وَتَقَطُّعُ مِنْهُ الشَّارِخُ يَبْقَى عَلَى النِّخْلِ
يَابَسًا . سَمِيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ رَاجِعٌ . (٤) سُورَةُ مَرْيَمَ آيَةٌ ٢٣ وَمَا بَعْدَهَا .

قال : فلما جاء يوسف التجار كلهم فلم تتكلم ، فتكلم عيسى في حجرها وقال : يا يوسف ، أبشر وقرّ عيناً وطب نفساً ، فقد أخرجني ربّي من ظلمة الأرحام الى ضوء الدنيا ، وسأقي بني إسرائيل وأدعوهم الى طاعة الله .

واختلف العلماء في مدّة حمل مريم عليها السلام بعيسى ووقت وضعها إياه ، فقال بعضهم : كان تسعة أشهر كحمل سائر النساء ، وقيل : ثمانية أشهر ، وكان ذلك آية أخرى لأنه لم يعش مولود يوضع لثمانية أشهر غير عيسى ، وقيل : ستة أشهر ، وقيل : ثلاث ساعات ، وقيل ساعة واحدة . وقال ابن عباس : ما هو إلا أن حملت فوضعت ، ولم يكن بين الحمل والانتباز إلا ساعة واحدة ؛ لأن الله تعالى لم يذكر بينهما فصلاً . وقال مقاتل : حملته مريم في ساعة وصور في ساعة ووضعت في ساعة حين زالت الشمس من يومها وهي بنت عشر سنين ، وقد كانت حاضت حيضتين قبل أن تحمل بعيسى عليه السلام . قال : فأصرف يوسف الى زكريّا وأخبره بولادة مريم وكلام عيسى ، فأزداد زكريّا غمّاً لما يقوله الناس .

قال الثعلبي قال وهب : فلما وُلد عيسى عليه السلام أصبحت الأصنام كلها بكل أرض منكوسة على رؤوسها ، ففزع الشياطين ولم يدروا لم ذلك ، فساروا مسرعين حتى جاءوا إبليس وهو على عرش له في بحّة خضراء يتمثل بالعرش يوم كان على الماء ، فأثّوه وقد خلت ستّ ساعات من النهار . فلما رأى إبليس جماعته فزع من ذلك ولم يرم جميعاً منذ فزعهم قبل تلك الساعة إنما كان يراهم أشناتاً ، فسأهم ، فأخبروه أنه حدث في الأرض حادث أصبحت الأصنام كلها منكوسة على رؤوسها ، ولم يكن شيء أعون على هلاك بني آدم منها لما يدخل في أجوافها فتكلمهم وتدبر أمرهم ، فيظنون أنها هي التي تكلمهم ، فلما أصابها هذا الحادث صغرها في أعين

بنى آدم وأذلّها ، وقد خَشِينَا ألاَّ يعبدوها بعد هذا . وأعلم أنا لم نأتك حتى أحصينا الأرض وقلبنا البحار وكل شيء ، فلم نزد بما أردنا إلا جهلا . فقال لهم إبليس : إنَّ هذا لأمرٌ عظيم ، فكونوا على مكانكم . وطار إبليس عند ذلك ولبت عنهم ثلاث ساعات ، فتر بالمكان الذى وُلِدَ فيه عيسى عليه السلام . فلما رأى الملائكة مُحَدِّقِينَ بذلك المكان علم أنَّ ذلك الحادث فيه ، فأراد إبليس أن يأتيه من فوقه فإذا فوقه ٥
 رهوس الملائكة ومناكبهم الى السماء ، ثم أراد أن يأتيه من تحت الأرض فإذا أقدمُ الملائكة راسيةً ، فأراد أن يدخل من بينهم فنحوه عن ذلك ، فرجع إبليس إلى أصحابه فقال : ما جئكم حتى أحصيت الأرض كلها شرقها وغربها وبرّها وبحرها والخافقين والجو الأعلى ، وكل هذا بلغته في ثلاث ساعات ، وأخبرهم بمولد عيسى عليه السلام وقال : ما آسَمت قبله أم على ولد إلا بعلى ، ولا وضعته قط إلا وأنا ١٠
 حاضرها . وإنى لأرجو أن أضلَّ به كثيرا ممن يهتدى ، وما كان نبى قبله أشدَّ علىّ وعليكم من هذا المولود .

٥٥
١٢

قال : ثم خرج من تلك الليلة قوم يؤمنونه من أجل نجم طلع ، وكانوا قبل ذلك يتحدثون أنَّ مطلع ذلك النجم من علامات مولود في كتاب دانيال ، فخرجوا يريدونه ومعهم الذهب والمرُّ واللَّبَان ، فتراها بملك من ملوك الشام ، فسألهم أين تريدون ؟ ١٥
 فأخبروه بخبرهم . قال : فما بال الذهب والمرُّ واللَّبَان أهديتوه له من بين الأشياء

(١) هو هيرودس الأكبر الذى حكم من ٤٠ — ٤ قبل الميلاد ، والتاريخ المسيحى متأخر عن وقته

الأصل بأربع سنين ، ولذلك يكون ميلاد المسيح في السنة الأخيرة من ملكه . وكان هيرودس هذا حديد الدهن قوى الإرادة مشهورا بالحيل غير أنه كان عنيفا صارما لا يبالى الحق في إجراء مقاصده . (راجع

الكتاب المقدس ج ٣ ص ٣ وقاموس الكتاب المقدس للدكتور بوست وتاريخ الطبرى ص ٧٤٠ من ٢٠

كلها؟ قالوا: تلك أمثاله؛ لأن الذهب سيد المتاع كله، وكذلك هذا النبي - سيد أهل زمانه. ولأن المتر يجبر به الكمر والجرح، وكذلك هذا النبي - يشفي الله تعالى به كل سقيم ومريض. ولأن اللبان يبلغ دُخانَه إلى السماء ولا يبلغها دُخان غيره، وكذلك هذا النبي - يرفع الله تعالى إلى السماء ولا يرفع في زمانه أحدا غيره. فلما قالوا ذلك للملك حدث نفسه بقتله فقال: اذهبوا، فإذا علمتم مكانه فأعلموني ذلك فإني راغب في مثل ما رغبت فيه من أسره. فأنطلقوا حتى دفعوا ما كان معهم من تلك الهدية إلى مريم، وأرادوا أن يرجعوا إلى الملك ليُعلموه بمكان عيسى، فلقبهم ملكٌ فقال لهم: لا ترجعوا إليه ولا تعلموه بمكانه فإنه إنما أراد بذلك ليقته، فأنصرفوا في طريق آخر. وقال مُجاهد: قالت مريم عليها السلام: كنت إذا خلوت أنا وعيسى حدثني وحديثه، فإذا شغلني عنه شيء سبَّح في بطني وأنا أسمع.

٥

١٠

قالوا: وكان مولد عيسى عليه السلام بعد مضي آئنتين وأربعين سنة من ملك أغسطس، وخمسين سنة مضت من ملك الأشغانيين ملوك الطوائف. وكانت المملكة لملوك الطوائف، والرياسة بالشام ونواحيها لقيصر ملك الروم، والملك عليها من قبل قيصر هيرودس، وقيل في اسمه هرادوس.

(١) هذه عبارة التعلي الذي ينقل عنه المؤلف. وفي الأصل: «..... أهدى به هذه الأشياء.»

١٥

(٢) كذا في تاريخ الطبري (ص ٧٤٠ من القسم الأول). وفي الأصول: «أعسوطوس» وهو تحريف.

(٣) كذا في تاريخ الطبري (ص ٧٠٦ من القسم الأول). وذكر الطبري أن الأشغانيين استمر ملكهم ستا وستين ومائتي سنة. وفي الأصول: «الأسكانين».

٢٠

(٤) كذا في الكتاب المقدس (ج ٣ ص ٣) وقاموس الكتاب المقدس لبوست وتاريخ الطبري ص ٧٤٠ من القسم الأول). وفي الأصول: «هردوس».

ذكر رجوع مريم بعيسى عليه السلام بعد مولده الى قومها

قال الكسائي: ثم قامت مريم بعد الولادة وحملت عيسى على صدرها حتى
 أشرفت به على بنى إسرائيل وزكريا بينهم . وقال الثعلبي قال الكلبي: احتمل
 يوسف مريم وعيسى الى غار فأدخلهما فيه أربعين يوما حتى تعالت^(١) مريم من
 نفاسها، ثم جاء بهما فكلّهما عيسى في الطريق فقال: يا أتماه، أبشرى فإنى عبد الله
 ومسيحه . قال الله تعالى: ﴿ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ ^(٢) ﴾ . فلما نظروا اليها بكوا و ﴿ قَالُوا
 يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴾ أى عظيما فظيحا لا يُعرف منك ولا من أهل
 بيتك ، وكانوا أهل بيت صالحين . ﴿ يَا أُخْتَ هَارُونَ ﴾ واختلف فى سبب
 قولهم لها « يا أخت هارون » ، فقال الكسائي: ناداها هارون وكان أخاها من
 أتماها ، وهو من أحبار بنى إسرائيل وعُبادهم ، وقال لها: ﴿ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ
 سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا ﴾ ، فمن أين لك هذا الولد ! وقال الثعلبي قال قتادة :
 كان هارون رجلا صالحا من أتقياء بنى إسرائيل ، وليس هارون أخا موسى . وقال
 وهب: كان هارون من أفسق بنى إسرائيل وأظهرهم فسادا، فشبهوها به . ﴿ فَأَشَارَتْ
 إِلَيْهِ ﴾ أى كلموه . ﴿ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾ ! ، وضربوا بأيديهم على
 جباههم تعجبا، فتحنح عيسى و ﴿ قَالَ إِنِّ عَبْدُ اللَّهِ آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا
 وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْمًا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ
 يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ . قالوا :
 فلما سمع ذلك أحبار بنى إسرائيل علموا أنه لا أب له وإن الله تعالى خلقه كما خلق
 آدم . فقال زكريا : الحمد لله الذى برأنا بقول عيسى من فساق بنى إسرائيل . قالوا :
 ثم لم يتكلم عيسى بعدها حتى كان بمنزلة غيره من الصبيان . وقيل غير هذا . والله أعلم .
 ٢٠

(١) تعالت المرأة من نفاسها : خرجت منه وطهرت . (٢) سورة مريم آية ٢٧ وما بعدها .

ذكر خروج مريم وعيسى عليهما السلام إلى مصر

وما ظهر له من المعجزات في مسيره ومدة مُقامه إلى أن عاد

٥٦

١٢

قال الله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ .^(١) اختلف العلماء في الربوة فقال عبد الله بن سلام : هي دمشق . وقال أبو هريرة : هي الرملة . وقال قتادة وكعب : هي بيت المقدس . وقال كعب : هي أقرب الأرض إلى السماء . وقال أبو زيد : هي مصر . وقال الضحاك : هي غوطة دمشق . وقال أبو العالية : هي أيلة . وقال بعض المفسرين : هي قرية من قرى مصر تسمى سَدَمَنْت . وسَدَمَنْت : بلد من بلاد إقليم الفيوم معروفة مشهورة . وقوله تعالى : ﴿ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ القرار : الأرض المستوية . والمعين : الماء الظاهر . وكان سبب خروج مريم إلى مصر ما حكاه الكسائي وغيره من أهل السير قالوا : وبلغ الملك هيرودس خبر عيسى فهم يقتل مريم وأبناها ، فخاف زكريا والمؤمنون عليهما من القتل ، وذلك بعد مولد عيسى بأيام قلائل ، فقال زكريا لمريم : إني أخاف عليك وعلى أبنك من هذا الملك ، وأمر يوسف النجار أن ينقلهما إلى أرض مصر ، وأعطاهما أمانا وزودهم ، فسار يوسف بهما نحو مصر .

✦
✦ ✦

وكان من المعجزات التي ظهرت على يَدَي عيسى عليه السلام في مسيره ومُقامه بمصر أنه بينما هم سائرون إلى أرض مصر رأى يوسف النجار في بعض الطريق أسداً ففزع منه ، فقال عيسى : قرباني إلى الأسد ولا تقرباه أتم ، فقربوه ، فلما صار بين يَدَي الأسد قال عيسى : أيها الوحش ، ما وقوفك على قارعة الطريق ؟ قال : لثور

يَمَزَّ عَلَى لَا يَدُلِّي مِنْهُ . قَالَ عِيسَى : هَذَا الثَّورُ لِقَوْمٍ مَسَاكِينَ لَيْسَ لَهُمْ سِوَاهُ ، وَلَكِنْ
انْطَلِقْ إِلَى بَرِيَّةٍ كَذَا وَكَذَا ، فَإِنَّكَ سَتَرَى جَمَلًا مَبْنِيًّا فَكُلْهُ ، وَاتْرَكْ هَذَا الثَّورَ لِأَصْحَابِهِ ،
فَمَضَى الْأَسَدُ نَحْوَ الْمَيْتَةِ وَتَرَكَهُمْ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ .

معجزة أخرى :

- ٥ . قال : ثُمَّ سَارُوا ، فَأَرَأَوْا قَوْمًا قَدْ اجْتَمَعُوا بِالْقُرْبِ مِنْ دَارِ مَلِكٍ مِنَ الْمُلُوكِ . فَقَالَ
لَهُمْ عِيسَى : مَا وَقُوفُكُمْ هَاهُنَا ؟ . قَالُوا : امْضُ أَيُّهَا الصَّبِيُّ لِشَأْنِكَ . قَالَ : أَنَحْبُونُ
أَنْ أَخْبِرَكُمْ بِوَقُوفِكُمْ ؟ قَالُوا نَعَمْ . قَالَ : إِنَّكُمْ تَرِيدُونَ دُخُولَ هَذِهِ الدَّارِ إِذَا جَنَّ اللَّيْلُ
فَتَأْخُذُونَ مَالَ هَذَا الْمَلِكِ ، فَلَا تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ مُؤْمِنٌ ، وَدَلَّمْ عَلَى كَيْتَرٍ وَقَالَ : إِنَّهُ كَانَ
لِقَوْمٍ مَاتُوا ، فَسَارَ أُولَئِكَ إِلَيْهِ وَاقْتَسَمُوا مِنْهُ مَا لَا عَظِيمًا .

معجزة أخرى :

- قال : ثُمَّ سَارُوا حَتَّى دَخَلُوا قَرْيَةً عَامِرَةً وَقَدْ اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَى بَابِ مَلِكِهَا وَمَعَهُمْ
صَنْمٌ مِنْ حَجَرٍ وَهُمْ يَبْكُونَ وَيَسْجُدُونَ لِذَلِكَ الصَّنَمِ . فَقَالَ عِيسَى : مَا شَأْنُكُمْ أَيُّهَا الْقَوْمُ ؟
فَقَالُوا : إِنَّ امْرَأَةً هَذَا الْمَلِكِ قَدْ عَسُرَ عَلَيْهَا وَضَعُ الْوَلَدَ ، وَقَدْ أَمَرْنَا الْمَلِكَ أَنْ نَسْجُدَ
لهَذَا الصَّنَمِ وَنَسْأَلَهُ أَنْ يَخَفِّفَ عَنْهَا مَا هِيَ فِيهِ . قَالَ عِيسَى : أَذْهَبُوا إِلَى الْمَلِكِ
وَقُولُوا لَهُ : لَوْ وَضَعْتُ يَدِي عَلَى بَطْنِهَا يَخْرُجُ الْوَلَدُ عَاجِلًا . فَأَخْبَرُوا الْمَلِكَ فَقَالَ :
١٥ ائْتُونِي بِهِ ، فَأَدْخَلَتْ مَرْيَمُ وَعِيسَى عَلَى الْمَلِكِ ، فَمَجَّبَ مِنْ نَظْقِهِ وَهُوَ صَغِيرٌ ، وَأَدْخَلَ
عَلَى الْمَرْأَةِ ، فَقَالَ عِيسَى : إِنْ أَخْبَرْتِكَ بِمَا فِي بَطْنِهَا وَخَرَجَ كَمَا أَقُولُ أَتُؤْمِنُ بِرَبِّي الَّذِي
خَلَقَنِي مِنْ رُوحِهِ ؟ . قَالَ نَعَمْ . قَالَ عِيسَى : فِي بَطْنِهَا غَلَامٌ عَلَى خَدِّهِ خَالٌ أَسْوَدٌ ،
وَعَلَى ظَهْرِهِ شَامَةٌ بَيْضَاءُ ، ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى بَطْنِ الْمَرْأَةِ وَقَالَ : أَيُّهَا الْجَنِينُ ، بِالَّذِي
خَلَقَ الْخَلْقَ وَأَسْبَغَ عَلَيْهِمْ سَعَةَ الرِّزْقِ أَخْرِجْ . فَخَرَجَ الْوَلَدُ عَلَى مَا وَصَفَهُ عِيسَى .
٢٠

فهم الملك أن يؤمن، فقال وزرائه : إن هذه المرأة ساحرة، وهذا الصبي مثلها، وقد طردوها من بيت المقدس، ولم يزالوا به حتى ردّوه عن الإيمان . فأرسل الله تعالى على الملك وقومه صاعقة فأهلكتهم . ثم مضى يوسف بهما حتى دخلا مصر، ونزلت مريم دار دهقان^(١) هناك، ولم يكن لها ما تعيش منه إلّا الغزل، فكانت تغزل السكّان والصوف بالأجرة لأهل مصر، ويوسف يحتطب ويبيع الحطب مدّة ليس لهم رزق إلّا من ذلك .

معجزة أخرى :

٥٧
١٢

قال التعلبي قال وهب : كان أول آية رآها الناس من عيسى أن أمه كانت نازلة في دار دهقان من أهل مصر أنزلها به يوسف النجار حين ذهب بها إلى مصر، وكانت داره بأوى إليها المساكين، فسرق للدهقان مال من خزانته فلم يتهم المساكين، فخزنت مريم لمصيبة الدهقان . فلما رأى عيسى حزن أمه بمصيبة صاحب ضيافتها قال لها : يا أمّاه ، أتخبّين أن أدلّه على ماله ؟ قالت : نعم يا بني . قال : قولي له يجمع لى مساكين داره . فقالت مريم ذلك للدهقان، فجمع له المساكين . فلما اجتمعوا عمد إلى رجلين منهم أحدهما أعمى والآخر مقعد ، فحمل المقعد على عاتق الأعمى وقال له : قم به . فقال الأعمى : أنا أضعف من ذلك . فقال عيسى : وكيف قويت على ذلك البارحة ! . فلما سمعوه يقول ذلك ضربوا الأعمى حتى قام . فلما استقل قائما هوى المقعد إلى كوة الخزانة . فقال عيسى عليه السلام : هكذا احتالا على مالك البارحة ، لأن الأعمى استعان بقوّة والمقعد بعينيه . فقال المقعد والأعمى : صدق ، فردّا على الدهقان ماله . فقال الدهقان لمريم : خذي نصف المال . فقالت : إنى لم أخلق لهذا . قال : فأعطه ابنك . قالت : هو أعظم مني شأنًا . والله أعلم بالصواب .

معجزة أخرى :

- قال : ثم لم يلبث الدهقان أن أعرس أبنا له ، فصنع له عيدا بجمع عليه أهل مصر وكان يُطعمهم شهرين . فلما انقضى ذلك زاره قوم من أهل الشام ولم يعلم الدهقان بهم حتى نزلوا به وليس عنده يومئذ شراب . فلما رأى عيسى أهتامة بذلك دخل بيتا من بيوت الدهقان فيه جرار ، فأمر عيسى يده على أفواهها وهو يمشي ، فكلما مرَّ بيده على جرة امتلأت شرابا حتى أتى على آخرها ، وهو يومئذ ابن اثنتى عشرة سنة .

معجزة أخرى :

- قال : وبينما عيسى يلعب مع الصبيان بأرض مصر ، إذ وثب غلام منهم على غلام آخر فقتله . فجاء أهله وتعلقوا بجميع الصبيان وفيهم عيسى وأتوا بهم إلى القاضي . فقال القاضي : مَنْ قتل هذا ؟ قالوا : هذا ، وأشاروا إلى عيسى . فقال له القاضي : لم قتلَ هذا الغلام ؟ قال : أراك حاكما جاهلا ، كان يجب أن تسألني : أقتلته أم لا ! قال القاضي : أراك ذا عقل ، فما أسمك ؟ قال : عيسى بن مريم . قال : يا عيسى ، لم قتلته ؟ قال : يا جاهل ، أبهذا أمرتك ؟ ثم دنا عيسى من الغلام وقال : قم بإذن الله الذي يحيي العظام وهي رميم ، فأستوى جالسا وقال له : مَنْ قتلَكَ ؟ قال : قتلني فلان بن فلان ، وهذا عيسى بن مريم برىء من دمي . فعجِب الناس من ذلك وقتلوا قاتل الغلام ، وأخذت مريم بيد عيسى وأنطلقت .

معجزة أخرى :

- قال : وأتت به أمه إلى معلِّم ليعلِّمه ، فقال : إنَّ ربِّي قد أغنانِي عن تعليم المعلمين وقد علَّمَنِي التوراة والإنجيل . قالت : صدقت ، ولكن تكون عند معلِّم خير من أن تلعب مع الصبيان . فأتت به إلى معلِّم يعلِّمه ، فعلمه عيسى . قال الثعلبي : وروى

محمد الباقر رحمه الله قال : لما وُلد عيسى عليه السلام كان أبْنُ يومٍ كأنه أبْنُ شهرٍ ،
فلما كان أبْنُ تسعة أشهر أخذت والدته بيده وجاءت به الى كُتَّابٍ وأقعدهت بين
يَدَيِ المؤدَّب . فقال له المؤدَّب : قل : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » فقالت عيسى
عليه السلام . فقال المؤدَّب : قل : أُمِجِدْ ، فرفع عيسى رأسه وقال للمؤدَّب : هل تدرى
ما أُمِجِدْ ؟ فعلاه ليضربه . فقال : يا مؤدَّب ، لا تضربنى ، إن كنت تدرى وإلا فسَلِّنى
حتى أفسر لك . فقال : فسّر له . فقال عيسى عليه السلام : الألف آلاء الله ،
والباء بهجة الله ، والجيم جلال الله ، والدال دين الله . هُوَ ، الهاء هى جهمهم وهى
الهاوية ، والواو ويل لأهل النار ، والزاي زفير جهم . حُطِّى ، حُطَّت الخطايا عن
المستغفرين . كَلَّمَنُ ، كلام الله غير مخلوق لا مبدل لكلماته . سَعَفَص ، صاع بصاع
والجزاء بالجزاء . قَرَشَتْ تفرشهم حين تحشرهم ، أى تجمعهم . فقال المؤدَّب لأُمِّه :
أيتها المرأة ، خذى بيد أبنك فقد عُلِّمَ ولا حاجة له الى مؤدَّب . وقال سعيد بن جبَر :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” إِنَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَرْسَلْتَهُ أُمُّهُ إِلَى الْكُتَّابِ
لِيَتَعَلَّمَ ، فَقَالَ لَهُ الْمُعَلِّمُ قُلْ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فَقَالَ وَمَا بِاسْمِ اللَّهِ . قَالَ لَا أَدْرَى .
قَالَ الْبَاءُ بَهَاءُ اللَّهِ وَالسَّيْنُ سَاءُ اللَّهِ وَالْمِيمُ مَمْلَكَتُهُ “ . والله أعلم بالموفق .

معجزة أخرى :

قال الكسائى : وَأَنْطَلَقْتُ بِهِ أَنَّهُ إِلَى صَبَاغٍ لِعَلَّمَهُ صِنْعَةَ الصَّبَاغَةِ . فَأَخَذَهُ
الصَّبَاغَ وَأَمَرَهُ أَنْ يَمْلَأَ التِّيغَارَاتَ مِنْ تِيفَارٍ كَبِيرٍ ، وَنَاوِلَهُ أَصْبَاغًا وَأَمَرَهُ أَنْ يَجْعَلَ
فِي كُلِّ تِيفَارٍ صَبْغًا ، وَأَنْ يَصْبُغَ الثِّيَابَ فِي تِلْكَ التِّيغَارَاتِ عَلَى اخْتِلَافِ أَلْوَانِهَا ، وَفَارَقَهُ
الصَّبَاغَ وَخَرَجَ إِلَى مَنَزَلِهِ . فَعَمَدَ عِيسَى إِلَى تِيفَارٍ وَاحِدٍ وَمَلَأَهُ مَاءً وَأَخَذَ جَمِيعَ تِلْكَ

(١) فى كتب اللغة : التيفار : الإبانة (بكسر الهمزة وتشديد الجيم) . والإبانة : إناة نفس
فيه الثياب جمعه أجاين .

الأصباغ فجعلها فيه، ووضع جميع تلك الثياب فيه وأنصرف إلى أمته . فلما كان من الغد جاء الصبّاغ إلى الحانوت فنظر إلى ما فعله عيسى، فقال له : يا عيسى أهلكتى وأفسدت ثياب الناس . قال عيسى : يا صبّاغ، ما دينك؟ قال : دين اليهود . قال : قل : لا إله إلا الله وأنى عيسى رُوح الله، وأدخل يدك في هذا التيفار وأخرج كل ثوب على ما تريد . فأمن الصبّاغ بالله وبعيسى عليه السلام وأدخل يده فأخرج كل ثوب على ما أرادته أصحابه . قال : وظهر لعيسى بمصر معجزات كثيرة .

ذكر خبر زكريا عليه السلام

مع هيرودس الملك وما كان من أمره

- قال الكسائي : ولما كان من أمر عيسى عليه السلام وكلامه ما قدّمناه وتنكّست الأصنام ليلة مولده، جاء إبليس لعنه الله إلى الملك في صورة شيخ وقال له : ١٠ أيها الملك، إن لك عندي نصيحة فأخُلْ معي . فخفا به وقال : ما نصيحتك؟ قال : قد بلغك ما كان من شأن المولود الذي تكلم في المهد . قال نعم . قال : وقد رأيت ما حلّ بالأصنام من شؤم مولده، وإنه خليق أن يشمل الأرض كلها بشؤمه، وأنت فلا يمكنك قتله الآن لخروجه من بلادك، وأرى أن تفعل أمرا يتشاءم الناس بسببه بهذا المولود ويعينونك على قتله، وأنت مع ذلك تطلبه، فإن ظفرت به ذبحته . ١٥ قال الملك : فما الذي رأيت؟ فلعمرى لقد وقع في نفسي إنك خليق أن يكون عندك رأى ومكيدة . قال : تذبح الولدان، فإن ذلك يبغضه إلى الناس ويتشاءمون به فيكفوك أمره . قال : لقد آتيت بالأمر على وجهه، وأمر بذبح الولدان من سنتين فما دونهما، فوقع الذبح في صبيان بنى اسرائيل . قال : ثم انطلق إبليس إلى مجالس بنى اسرائيل ونواديهم يقول : الفاحشة في مريم ويقذفها بزكريا، يعرض ٢٠

بذلك لخيارهم ، ويوح به ويصرح لشرارهم ، حتى شاعت الفاحشة على زكريّا .
فلما رأى زكريّا ذلك هرب وأتبعه سفائهم وشرارهم ، وسلك في واد كثير النبات ،
حتى اذا توسّط الوادى انفرجت له شجرة فدخلها وأقبل القوم في طلبه ، وإبليس
يقدمهم حتى أوقفهم عليه وهو في الشجرة وقد ألثمت عليه ، فأشار عليهم
بقطعها ، فُقطعت . ثم قال لهم : أتى العقوبة والنكال أبلغ في هذا الذى أورث آباءكم
الطيبين إبراهيم وإسحاق ويعقوب وذريتهم من بعدهم الفضيحة والعار ؟ ! . قالوا :
القتل أو النشر . فأشار عليهم بنشره ، فنشروه نصفين ثم أنصرفوا عنه ، وغاب عنهم
إبليس لعنه الله . وبعث الله تعالى الملائكة ففسلوا زكريّا وصلّوا عليه ثلاثة أيام
ثم دفنوه . وقد قيل في مقتل زكريّا غير هذا ، وقد تقدّم في أخباره . والله أعلم .

ذكر رجوع عيسى ومريم عليهما السلام

١٠

من مصر

قال الكسائي قال وهب : وأقامت مريم وأبنا عيسى بمصر اثنتي عشرة سنة حتى
أهلك الله الملك هيروُدس . قال : وأوحى الله تعالى إلى مريم بوفاة الملك وأمرها أن
ترجع إلى بلادها بالشام ، بجاء يوسف النجار فرجع بها . فلم تزل هي وأبنا يسكنان
بجبل الخليل بقرية يقال لها الناصرة ، وبها سميت النصارى ، وبها ابتدأت النصرانية .
قال : ثم أوحى الله تعالى إلى عيسى بعد أن تمت له ثلاثون سنة أن يبرز إلى
الناس ويدعوهم إلى الله تعالى ، وأنزل عليه الإنجيل . فكان يسير في البلاد ويدعو

١٥

(١) كذا في معجم البلدان لياقوت والكاتب المقدس (ح ٣ ص ٩٧) . وهي مدينة اشتهرت بكونها
وطن المسيح مدة طفولته وصباه إلى أن ابتدأت خدمته . وهي تبعد ١٤ ميلا عن بحر الجليل و ٦ أميال
عن تابور و ٦٦ ميلا عن أورشليم . وفي الأصول : « ناصورية » .

٢٠

الناس إلى الله عز وجل، ويرغبهم فيما عنده، ويهديهم في الدنيا ويضرب لهم أمثالا، ويداوى المرضى والزمنى^(١)، ويبرئ الأكمه والأبرص. فأحببه الناس وسكنوا إليه، وكثرت أتباعه حتى أمتنع وعلا أمره. ثم أحيا الموقى بإذن الله تعالى.

قالوا: وربما اجتمع عليه من المرضى والزمنى في الساعة الواحدة خمسون ألفا، فن أطاق منهم أن يبلغه بلغه، ومن لم يقدر على ذلك أتاه عيسى يمشى إليه. وإنا كان يداويهم بالدعاء بشرط الإيمان.

(٢)

ذكر خبر الحواريين

حين أتبعوا عيسى عليه السلام وآمنوا به

قال الكسائي رحمه الله: ومرّ عيسى على قوم يصيدون السمك وهم أربعة:

- ١٠ شمعون، وأخ له اسمه أنديريوس، ويعقوب، ويوحنا. فوعظهم وزهدهم في الدنيا ووعدهم الجنة ونعيمها فآمنوا به وآتبعوه. قال: ومرّ بطائفة أخرى فوجدهم على نهر يغسلون الثياب، منهم لوقا، وتوما، ومرقس، ويوحنا، وأخوان لهم صبيان لم يبلغوا الحلم، أحدهما شمعون والآخر يعقوب، وقيل في أسمائهم غير هذا. والله تعالى أعلم.
- ١٥ فقال لهم عيسى: يا قوم، إنكم تقصرون هذه الثياب وتنظفونها من أوساخها، فلم لا تفعلون ذلك مع قلوبكم! ثم قال لهم: إني رسول الله إليكم جميعا، وبشّرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾

(١) الزمنى: أصحاب العاهات.

(٢) الحواريون: سموا بذلك لياض ثيابهم، وكانوا قصارين وصباغين. وهم خاصة الأنبياء ودخلواهم وأنصارهم كما قال تعالى: «من أنصارى إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله» وقال عليه

- ٢٠ الصلاة والسلام: "لكل نبي حوارى وحوارى الزبير". وأسمائهم كما في الكتاب المقدس (ج ٣ ص ١٦) سمعان وأنديراوس ويعقوب بن زبدي ويوحنا وفيلبس وبرثلماوس وثوما ومتى العشار ويعقوب ابن حلقى وتداوس وسمعان القانونى ويهوذا الإسخريوطى.

(٣) سورة الصف آية ٦

قال : فأتبعوه ، وكانوا كلهم اثني عشر رجلا ، أربعة منهم كانوا يصيدون السمك ، وثمانية يقصرون الثياب . وكان من القصارين رجل أسفل النهر يقال له ^(١) يوذنا لم يسمع كلام عيسى . فلما رأى أصحابه أتبعوه لحق بهم ، وهو الذي ارتد بعد ذلك ودل اليهود على عيسى ، فصاروا به قبل آرتداده ثلاثة عشر .

ذكر الخصائص والايات والمعجزات

التي أظهرها الله تعالى على يد عيسى عليه السلام بعد مبعثه

قال الله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ﴾ ^(٢) . قوله تعالى : ﴿ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ ﴾ قال الحسن : ذكر النعمة : شكرها ، وأراد بقوله : ﴿ نِعْمَتِي ﴾ نعمي ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ ^(٣) . ثم ذكر تعالى النعم فقال : ﴿ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ وقال : ﴿ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ ^(٤) . واختلفوا في روح القدس ماهو ؟ فقال الربيع بن أنس : هو الروح الذي نفخ فيه ، أضافه سبحانه الى نفسه

(١) اسمه « يهوذا الإسخريوطي » كما في الكتاب المقدس (ج ٣ ص ٨٥) .

(٢) سورة المائدة آية ١١٠ (٣) سورة ابراهيم آية ٣٤ (٤) سورة البقرة آية ٨٧ وورد في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي عن روح القدس مانعه : أنه جبريل عليه السلام وهو الأصح . قال النحاس : وسمى جبريل روحا وأضيف إلى القدس لأنه كان يتكلم بالله عز وجل له روحا من غير ولادة والد ولده ؛ وقال حسان :

وجبريل رسول الله فينا * وروح القدس ليس به خفاء

(راجع ج ٢ ص ٢٤ من الطبعة الثانية وج ٦ ص ٣٦٢ من الطبعة الأولى) .

تَكْرُمًا وَتَخْصِيصًا، نَحْوُ : بَلِّتَ اللَّهَ، وَنَافَةَ اللَّهَ . وَالْقُدُسُ : هُوَ اللَّهُ تَعَالَى يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ : ﴿ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾ وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَتَفَحَّخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا ﴾ ^(١) . وَقَالَ آخَرُونَ : أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى بِالْقُدُسِ : الطَّهَارَةَ ، يَعْنِي الرُّوحَ الطَّاهِرَةَ ، سَمِّيَ رُوحَهُ قُدْسًا لِأَنَّهُ لَمْ يَتَضَمَّنْهُ أَصْلَابُ الْفَحْوَلَةِ إِنَّمَا كَانَ أَمْرًا مِنْ اللَّهِ تَعَالَى . وَقَالَ السُّدِّيُّ وَكَعْبٌ : رُوحُ الْقُدُسِ هُوَ جَبْرِيلُ ، وَتَأْيِيدُ عِيسَى يَجْبِرُ بِهِمَا السَّلَامُ هُوَ أَنَّهُ كَانَ رَفِيقَهُ وَقَرِينَهُ يُوحِي إِلَيْهِ وَيُعِينُهُ وَيَسِيرُ مَعَهُ حَيْثُمَا سَارَ إِلَى أَنْ صَعِدَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ . وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَعُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ : هُوَ اسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمِ ، وَبِهِ كَانَ يُحْيَى الْمَوْتَى وَيُرَى النَّاسُ تِلْكَ الْعَجَائِبُ . وَقَوْلُهُ : ﴿ وَإِذْ هَلَلْتُكَ الْكِتَابَ ﴾ يَعْنِي الْخَطَّ ، ﴿ وَالْحِكْمَةَ ﴾ يَعْنِي الْعِلْمَ وَالْفَهْمَ . ﴿ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾ كَانَ يَقْرَأُهُمَا مِنْ حِفْظِهِ . وَقَوْلُهُ : ﴿ وَإِذْ تَخَلَّقْتَ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي ﴾ . قَوْلُهُ : ﴿ تَخَلَّقُ ﴾ أَيْ تَجْعَلُ وَتَصَوِّرُ وَتَقْدِّرُ ﴿ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ ﴾ أَيْ كَصُورَةِ الطَّيْرِ . فَكَانَ عِيسَى يَصَوِّرُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةَ الطَّيْرِ ثُمَّ يَنْفُخُ فِيهِ فَيَصِيرُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى . قَالُوا : وَلَمْ يَخْلُقْ غَيْرَ الْخُفَّاشِ . وَأَمَّا خُصُّ بِالْخُفَّاشِ لِأَنَّهُ أَكْلُ الطَّيْرِ خَلْقًا ، فَتَكُونُ أَبْلَغُ فِي الْقُدْرَةِ ، لِأَنَّ لَهَا نِدْيًا وَأَسْنَانًا ، وَهِيَ تَلِدُ وَتَحْبِضُ وَتَطْهَرُ . قَالَ وَهْبٌ : كَانَ يَطِيرُ مَا دَامَ النَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ ، فَإِذَا غَابَ عَنْ أَعْيُنِهِمْ سَقَطَ مِيتًا لِيَتَمَيَّزَ فِعْلُ الْخَلْقِ مِنْ فِعْلِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَلِيَعْلَمَ أَنَّ الْكَمَالَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ . وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَتَبَرَّأُ الْإِنَّمَةُ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي ﴾ . الْإِنَّمَةُ : الَّذِي وَلَدَ أَعْمَى وَلَمْ يَرِ الضَّوْءَ قَطُّ . قَالُوا : وَلَمْ يَكُنْ فِي الْإِسْلَامِ أَسَمُهُ غَيْرَ قَسَادَةٍ . وَالْأَبْرَصُ : الَّذِي بِهِ وَصَحَّ ، وَكَانَ الْغَالِبُ عَلَى زَمَنِ عِيسَى الطَّبِّ ، فَأَرَاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى الْمَعْجَزَةَ مِنْ جَنْسِ ذَلِكَ .

قال أبو إسحاق الثعلبي رحمه الله : يروى أن عيسى عليه السلام مرّ بدبر فيه
 عُثْمَانُ ، فقال : ما هؤلاء ؟ فقيل : هؤلاء قوم طُلبوا للقضاء فطمسوا أعينهم بأيديهم .
 فقال لهم : ما دعاكم الى هذا ؟ فقالوا : خفنا عاقبة القضاء فصنعنا بأنفسنا ما ترى .
 فقال : أنتم العلماء والحكماء والأحبار والأفاضل ، امسحوا بأيديكم أعينكم وقولوا :
 باسم الله . ففعلوا ذلك فإذا هم جميعا يبصرون .

ذكر خبر سام بن نوح وغيره

الذين أحياهم عيسى بإذن الله عز وجل

قال الكسائي قال وهب : سألت طائفة من بنى اسرائيل عيسى بن مريم عليه
 السلام أن يُحيي لهم سام بن نوح وقالوا : ^(١) أخى لنا سام بن نوح ليكلّمنا وإلاّ قتلناك ،
 وإن فعلت آمنا بك وأتبعناك . فأوحى الله تعالى اليه : نادِه ثلاث مرّات فإنه سيُجيبك .
 فقام عيسى على قبره وناداه ثلاث مرّات : يا سام بن نوح قم بإذن الله ، فقام
 في الثالثة وهو أشمط الرأس واللحية . فقال له عيسى : أهكذا متّ أبيض الرأس
 واللحية ؟ قال : لا ، ولكنى سمعت نداءك خفت أن تكون القيامة فشَمِطْتُ ،
 وأخبر القوم بما أرادوه وكلهم ، ثم رده عيسى الى قبره ، وما آمن بعيسى منهم
 إلّا قليل .

(١) وعبارة الكسائي : « فقالوا : أخى لنا سام بن نوح وسام يومئذ في تابوت من حجر . قال :
 فوثب عيسى وتوضأ وصلى ركعتين ... الخ » وعبارة الثعلبي : « قال له الحواريون وهو يصف لهم سفينة
 نوح عليه السلام : لو بعثت لنا من شهد السفينة فينت لنا ذلك ... الخ » . ووردت العبارة في الأصول
 مضطربة .

(٢) الأشمط : من خالط بياض رأسه سواد .



قالوا : ومن أحياء عيسى بن مريم العازر ، وكان صديقا له ، فأرسل أخته الى عيسى إن أخاك العازر يموت فأتيه ، وكان بينه وبين أن يصل إليه مسيرة ثلاثة أيام ، فأتاه هو وأصحابه فوجدوه قد مات منذ ثلاثة أيام ، فقال لأخته : انطلي بنا الى قبره ، فأنطلقت معهم الى قبره وهو في صخرة مُطَيِّقة . فقال عيسى : اللهم رب السموات ٥ السبع والأرضين السبع إنك أرسلتني الى بنى اسرائيل أدعوهم الى دينك وأخبرتهم أني أحبي الموتى بإذنك فأحي العازر . فقام العازر وأوداجه تقطر . فخرج من قبره وبقى وُولد له .

٦١
١٢

قالوا : ومَرَّ عيسى عليه السلام برجل جالس على قبر وكان يكثر المرور به فيجده جالسا عنده ، فقال له : يا عبد الله ، أراك تكثر القعود على هذا القبر . فقال : ١٠ ياروح الله ، امرأة كانت لي وكان من جمالها وموافقها كيت وكيت ولى عندها ودبة . فقال عيسى : أتحب أن أدعو الله تعالى فيحييها ؟ قال نعم . فتوضأ عيسى وصلى ركعتين ودعا الله عز وجل فإذا أسود قد خرج من القبر كأنه جذع محترق . فقال له : ما أنت ؟ قال : يا رسول الله أنا في عذاب منذ أربعمئة سنة ، فلما كانت هذه الساعة قيل لي أجِبْ فأجبت . ثم قال : يا رسول الله ، قد مررت على من أليم العذاب ما إن ردني الله الى الدنيا أعطيته عهدا ألا أعصيه ، فأدعُ الله لي . فرق ١٥ له عيسى ودعا الله عز وجل ثم قال له : امض ، فضى . فقال صاحب القبر : يارسل الله ، لقا غلظت بالقبر ، إنما قبرها هذا . فدعا عيسى عليه السلام ، فخرج من ذلك القبر امرأة شابة جميلة . فقال له عيسى : أتعرفها ؟ قال : نعم هذه امرأتى . فدعا عيسى حتى ردّها الله عليه . فأخذ الرجل بيدها حتى اتبها الى شجرة فنام تحتها ٢٠ ووضع رأسه في حجر المرأة . فتر بهما ابن ملك فنظر اليها ونظرت اليه وأعجب كل

واحد منهما بصاحبه ، فأشار اليها فوضعت رأس زوجها على الشجرة وآتبت
 ابن الملك . فاستيقظ زوجها ففقدها وطلبها فدلَّ عليها ، فأدركها وتعلق بها وقال :
 أمرأتى ، وقال الفتى : جاري . فبينما هم كذلك إذ طلع عيسى فقال الرجل : هذا
 عيسى وقص عليه القصة . فقال لها عيسى : ما تقولين ؟ قالت : أنا جارية هذا
 . ولا أعرف هذا . فقال لها عيسى : ردّي علينا ما أعطيناك . قالت : قد فعلت .
 فسقطت مكانها ميتة . فقال عيسى : هل رأيتم رجلا أماته الله كافرا ثم بعثه فآمن !
 وهل رأيتم امرأة أماتها الله مؤمنة ثم أحيها فكفرت ! .

قالوا : ومرتوا بميت على سرير ، فدعا عيسى الله تعالى ، بغلس الميت على السرير ونزل
 عن أعناق الرجال ولبس الثياب وحمل السرير على عنقه ورجع إلى أهله وبقي وولد له .
 ومن أحياه عيسى بإذن الله تعالى آتية العازر ، قيل له : أتحيها وقد ماتت
 بالأمس ! فدعا الله عز وجل ، فعاشت وبقيت وولدت .

قال الكسائي : وسأل بنو إسرائيل عيسى عليه السلام أن يحيي لهم عزيرا ،
 فقال : التمسوا قبره فآتمسوه ، فوجدوه في صندوق من حجر ، فعالجوه ليفتحوا بابَه
 فلم يستطيعوا ذلك . فرجعوا إلى عيسى وأخبروه أنهم عجزوا أن يُخرجوه من قبره ،
 فأعطاهم ماء في إناء وقال : انضحوه بهذا الماء فإنه يفتح . فأنطلقوا ونضحوه
 بالماء فأنفتح طابقه . فأقامه عيسى في أكفانه فزعمها عنه ، ثم جعل ينضح جسده
 بالماء ولحمه ينبت وشعره وهم ينظرون . ثم قال عيسى : يا عزير احي بإذن الله ،
 فإذا هو جالس . فقالوا : ما شهادتك على هذا الرجل ؟ فقال عزير : أشهد أنه
 روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم وأنه عبد الله ونيّه وآبن أمتّه . قالوا : يا عيسى ، ادعُ
 ربك يحييه لنا فيكون بين أظهرنا . فقال عيسى : ردّوه إلى قبره فإنه انقطع رزقه
 . وأنقضى أجله ، فردّوه إلى قبره .

ومن معجزاته عليه السلام إخباره عن الغيوب

قال الله عز وجل إخبارا عنه : ﴿ وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْرُحُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ ^(١) . قالوا : لما أبرا عيسى عليه السلام الآكامه والأبرص وأحيا الموتى بإذن الله قالوا له : إنك تزعم أنك تُخبرنا بما نأكل في بيوتنا وما ندخر . قال نعم . قالوا : فإنا نجعل خيارنا وأحبارنا ورهباننا فنامرهم أن يأكلوا ويدخروا في بيوتهم ثم نأتيك فتخبرنا . قال نعم . فانطلقوا الى بيوتهم وأكلوا وآذخروا وأقبلوا اليه من الغد ، وسأله كل رجل منهم وهو يخبره بما أكل وآذخر .

ومما أخبر به عيسى عليه السلام من المقربات قصّة ابن العجوز . وكان من خبره ما حكاه أبو إسحاق الثعلبي رحمه الله أن عيسى عليه السلام مرّ في سياحته بمدينة ومعه الحواريون ، فقال : إن في هذه المدينة كنزا ، فمن يذهب فيستخرجه ؟ . قالوا : يا روح الله ، لا يدخل هذه القرية غريب إلّا قتلوه . فقال لهم : مكانكم حتى أعود اليكم ، ومضى حتى دخل المدينة فوقف بباب فقال : السلام عليكم يا أهل الدار ، غريب أطعموه . فقالت له امرأة عجوز : أما ترضى أن أدعك لا أذهب بك الى الوالى حتى تقول أطعمونى شيئا ! . فبينما عيسى بالباب إذ أقبل ابن العجوز فقال له عيسى : يا عبد الله ، أضفنى ليلتك هذه . فقال له الفتى مثل مقالة العجوز . فقال له عيسى : أما إنك لو فعلت ذلك زوجتك بنت الملك . فقال له الفتى : إما أن تكون مجنونا ، وإما أن تكون عيسى بن مريم . قال : أنا عيسى . فأضافه وبات عنده . فلما أصبح قال له : اغد وأدخل على الملك وقل له : جئت أخطب أبنتك فإنه سيأمر بضربك وإخراجك . فمضى الفتى حتى دخل على الملك وقال له :

٦٢
١٢

جئت أخطب إليك آبتك ، فأمر به فُضرب وأخرج . ورجع الفتى إلى عيسى فأخبره ، فقال له : إذا كان الغد فأذهب إليه وأخطب إليه فإنه يثالك بدون ذلك . ففعل ما أمره عيسى ، فضربه الملك دون ذلك . فرجع إلى عيسى فأخبره ، فقال : إرجع إليه وأخطبها فإنه سوف يقول لك : إني أزوجه إياها على حُكْمِي ، وحُكْمِي قصر من ذهب وفضة ، وما فيه من فضة وزبرجد ، فقل له : أفعل ذلك . فاذا بعث معك فأخرج فإنك سوف تجده فلا تُحدث فيه شيئا . فدخل عليه فخطب إليه ، فقال : تُصديقها حُكْمِي ؟ فقال : وما حكك ؟ فحك الذي سُمِّي [له] عيسى^(١) . فقال له : نعم ، أبعث من يقبض ذلك . فبعث معه [قوماً]^(١) ، فدفع إليهم ما سألهم الملك . فمحبب الملك من ذلك وسلم إليه آبته . فتمحبب الفتى وقال لعيسى : يا روح الله ، تقدر على مثل هذا وأنت على مثل هذه الحال ! . قال عيسى : لأنني آثرت ما يبقى على هذا الفاني . فقال الفتى : وأنا أدعه وأصحبك . فتخلّى من الدنيا وأتبع عيسى . فأخذ بيده وأتى أصحابه وقال : هذا هو الكنز الذي قلت لكم . فكان ابن العجوز مع عيسى حتى مات . والله أعلم .

ذكر خبر يجمع عدّة معجزات من معجزات عيسى عليه السلام

حكى أبو إسحاق الثعلبي رحمه الله قال وهب : خرج عيسى عليه السلام يسبح في الأرض ، فصاحبه يهودي ، وكان مع اليهودي رغيفان ، ومع عيسى رغيف . فقال له عيسى : تشاركني في طعامك ؟ قال اليهودي نعم . فلما رأى اليهودي أن عيسى ليس معه إلا رغيف واحد ندّم . فقام عيسى إلى الصلاة فأكل اليهودي رغيفا . فلما قضى عيسى صلاته قدما طعامهما ، فقال عيسى لليهودي : أين الرغيف الآخر؟

فقال : ما كان إلا رغيّف واحد ، فأكل عيسى رغيّفا وصاحبهُ رغيّفا ، ثم أنطلقا بجاء الى شجرة ، فقال عيسى لصاحبه : لو أننا بتنا تحت هذه الشجرة ! . فناما ثم أصبحا . فأنطلقا فلقيّا أعمى ، فقال له عيسى : أرايتَ إن عاجلتك حتى ردّ الله عليك بصرك هل تشكره ؟ قال نعم . فمسّ عيسى عليه السلام بصره ودعا الله تعالى فإذا هو صحيح .

فقال عيسى لليهودي : بالذي أراك الأعمى بصيرا كم كان معك من رغيّف ؟ فقال :

والله ما كان إلا رغيّف واحد ، فسكت عيسى عنه . ومرّا فإذا هما بمقعد ، فقال له

عيسى : أرايتَ إن عاجلتك فعافاك الله تعالى هل تشكره ؟ قال بلى . فدعا الله عيسى

فإذا هو صحيح قائم على رجله . فقال صاحب عيسى : ما رأيتُ مثل هذا قط ! . فقال

عيسى : بالذي أراك الأعمى بصيرا والمُقعد صحيحا ، مَنْ صاحب الرغيّف الثالث ؟

خلف له اليهودي ما كان معه إلا رغيّف واحد ، فسكت عيسى . وأنطلقا حتى انتهيا

الى نهر عجّاج جرّار ، فقال عيسى : لا أرى جسرا ولا سفينة ، فخذ بُجْجَزِي^(١) من ورائي

وضع قدمك موضع قدمي ، ففعل ومشيا على الماء . فقال له عيسى : بالذي أراك

الأعمى بصيرا والمقعد صحيحا وسخر لك هذا البحر حتى مشيت عليه ، مَنْ صاحب

الرغيّف الآخر ؟ فقال : لا والله ما كان إلا رغيّف واحد ، فسكت عيسى . وأنطلقا

فإذا هما بطباء يريّين ، فدعا عيسى بطبي فأتاه فذبجه وشوى منه بعضا وأكلاه ، ثم

ضرب عيسى بقية الطّبي بعصاه وقال : قُمْ بإذن الله عز وجل فإذا الطّبي يعدو . فقال

الرجل : سبحان الله ! . فقال عيسى : بالذي أراك هذه الآية ، مَنْ صاحب الرغيّف

الآخر ؟ فقال : ما كان إلا رغيّف واحد . فأنطلقا فمزا بصاحب بقر ، فنادى عيسى :

يا صاحب البقر ، اجرّ لنا من بقرك هذه عجلا . قال : ابعت صاحبك يأخذه .

فأنطلق اليهودي بجاء به ، فذبجه وشواه وصاحب البقر ينظر اليه . فقال له عيسى :

- كُلَّ ولا تكسر له عظما، ففعل . فلما فرغ قذف بعظامه في جلدده وضربه بعصاه وقال : قُمْ بإذن الله تعالى ، فقام العجل وله حُور . فقال : يا صاحب البقر خذ عجلك . قال : ويحك ! من أنت ؟ قال : أنا عيسى بن مريم . قال : عيسى السحار ! ثم فز منه . فقال عيسى لصاحبه : بالذى أحيا لك العجل ، كم كان معك من رغيف ؟ قال : ما كان معي إلا رغيف واحد ، فسكت عيسى . ومضيا حتى دخلا قرية ، فنزل عيسى في أسفلها واليهودى في أعلاها ، فأخذ اليهودى عصا عيسى وقال : أنا الآن أبرئ المرضى وأحيى الموتى . قال : وكان ملك تلك المدينة مريضا مُدفا . فأنطلق اليهودى ينادى : مَنْ يَدْنِي طيبا ، حتى أتى قصر الملك ، فأخبر بوجعه ، فقال : أدخلوني عليه فأنا أبرئه ، وإن لقيتموه قد مات فأنا أحييه . فقيل له : إن وجع الملك قد أعيا الأطباء قبلك ، فليس من طيب يداويه ولا يشفيه إلا صلبه . فقال : أدخلوني عليه ، فأدخلوه ف ضرب الملك بعصاه فمات . فجعل يضربه بالعصا وهو ميت ويقول : قُمْ بإذن الله . فَأُخِذَ لِيُصَلَّبَ . فبلغ ذلك عيسى ، فأقبل إليه وقد رُفِعَ على الخشبة ، فقال لهم : أرايتم إن أحييت لكم الملك أتكونون لى صاحبي ؟ قالوا نعم . فدعا الله تعالى عليه السلام فأحياه وقام وأنزل اليهودى من الخشبة ، فقال : يا عيسى ، أنت أعظم الناس على منة ، والله لا أفارقك أبدا . فقال له عيسى : أنشدك الله الذى أحيا الطير والعجل بعد ما أكلناهما ، وأحيا هذا بعد ما مات ، وأنزلك من الجذع بعد ما صُلبت ، كم كان معك من رغيف ؟ قال : والله ما كان معي إلا رغيف واحد ، قال : لا بأس . ثم أنطلقا حتى أتيا قرية عظيمة خربة فيها كثر وفيها ثلاث كِبَنَات من ذهب . فقال الرجل لعيسى : هذا المال لك ؟ فقال : أجل ! واحدة لى ، وواحدة لك ، وواحدة للذى أكل الرغيف الثالث . فقال اليهودى : أنا والله أكلته وأنت تصلى . فقال عيسى : هى لك كلها . فأنطلق عيسى وتركه قائما ينظر وهو لا يستطيع أن

- يحمل واحدة منهم ، وكلما أراد أن يحمل واحدة ثقلت عليه . فقال له عيسى : دعه فإن له أهلا يهلكون عليه . فحملت نفس اليهودى تطلع إلى المال ويكره أن يعصى عيسى ويعجز عن حمله . فأنطلق مع عيسى ، فبينما هما كذلك إذ مرَّ بالمال ثلاثة نفر فأقاموا عليه . فقال آثنان منهما لصاحبهما : انطلق إلى أهل هذه القرية فأتنا بطعام وشراب ودواب تحمل هذا المال عليها . فلما ذهب صاحبهما قال أحدهما للآخر :
- هل لك أن تقتله إذا رجع ونقسم المال فيما بيننا ؟ قال نعم . وقال الذى ذهب فى نفسه : هو ذا أجعل فى الطعام سمًا فإذا أكله ماتا وبصرى المال كله إلى ، ففعل ذلك . فلما رجع إليهما قتلاه ، ثم أكلا الطعام فماتا . ومرت عيسى عليه السلام بهم وهم موتى حوله ، فقال : هكذا تصنع الدنيا بأهلها ، فأحياهم بإذن الله عز وجل ، فأعتبروا ومرتوا ولم يأخذوا من المال شيئاً . ففتطعت نفس اليهودى صاحب عيسى إلى المال فقال : أعطنى المال . فقال له عيسى : خذه فهو حظك من الدنيا والآخرة . فلما ذهب اليهودى ليحمله خسف الله تعالى به الأرض ، وأنطلق عيسى عليه السلام .

ذكر خبر المائدة التى أنزلها الله عز وجل من السماء

- قال وهب : وسأل بنو إسرائيل عيسى بن مريم عليه السلام أن ينزل عليهم مائدة من السماء . قال الله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ نَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَنَطْمِئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنَّ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونُ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ . وقرأ على وعائشة وسعيد بن جبْرِ ومجاهد رضى الله عنهم « هَلْ تَسْتَطِيعُ رَبُّكَ » (بالثناء المثناة من أعلاها ونصب الباء الموحدة فى ربك) وأخثاره الكسائى وأبو عبيد

٦٤
١٢

على معنى هل تستطيع أن تدعو ربك وتسال ربك . قالوا : لأنّ الحواريين لم يكونوا
 شاكّين في قدرة الله تعالى . وقرأ الباكون « يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ » (بالياء المثناة من تحتها
 ورفع الباء) وقالوا : إنهم لم يشكوا في قدرة الله تعالى وإنما معناها هل يُنزل أم لا ،
 كما يقول الرجل لصاحبه : هل تستطيع أن تنهض معي وهو يعلم أنه يستطيع ،
 وإنما يريد هل يفعل أم لا ، وأجراه بعضهم على الظاهر فقالوا : غلط القوم وكانوا
 بشرأ ، فقال لهم عيسى عليه السلام استعظما لقولهم : « اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ »
 معناه أن تشكوا في قدرة الله أو تنسبوه إلى عجز أو نقصان . وقيل : قال لهم :
 اتقوا الله أن تسألوه شيئا لم تسأله الأمم قبلكم . قالوا : إنما سألنا لأننا نريد أن
 نأكل منها فنستيقن قدرته وتطمئن وتسكن قلوبنا ، ونعلم أن قد صدقتنا بأنك رسول
 الله ، ونكون عليها من الشاهدين ، فنقرّ الله بالوحدانية والقدرة ، ولك بالرسالة والنبوة .
 وقيل : ونكون عليها من الشاهدين لك عند بني إسرائيل إذا رجعنا إليهم . قال
 الكسائي : فأمرهم عيسى بصيام ثلاثين يوما وأن الله بعد ذلك يطعمهم ويُنزلها
 عليهم . فصاموا حتى تمّ الأجل ، فقام عيسى وصلى وسأل الله تعالى وقال : ﴿ اَللّهُمَّ
 رَبَّنَا اَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ
 خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ ^(١) . قال قوله : ﴿ عِيدًا ﴾ أى عائدة من الله علينا وحجة وبرهان .
 والعيد اسم لما أعدته وعاد إليك من كل شيء ؛ ومنه قيل ليوم الفطر ويوم الأضحي
 عيد ، لأنهما يعودان كل سنة . وقوله : ﴿ لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا ﴾ . قال الثعلبي : يعنى
 لأهل زماننا ولمن يبعث من بعدنا . وقرأ زيد بن ثابت : « لِأَوَّلَانَا وَآخِرَانَا » ^(٢) .

(١) سورة المائدة آية ١١٤

(٢) في الأصول : « لأولينَا وآخرينَا » . والتصويب من البحر المحيط لأبي حيان (ج ٤ ص ٥٦)
 وغيره من كتب التفسير ؛ قال صاحب البحر : وقرأ زيد بن ثابت وابن محيصن والبخاري « لأولانا
 وآخرانا » أنشأوا على معنى الأمة والجماعة .

وقال ابن عباس رضى الله عنهما : يعنى يا كل منها آخر الناس كما يا كل أولهم . (وَأَيَّةٌ مِنْكَ) دلالة وحجة . قال الله عز وجل مجيبا لعيسى عليه السلام : (إِنِّى مُنْزِلُهَا عَلَيْكُمْ) . وقرأ أهل الشام وقناة وعاصم «مُنْزِلُهَا» بالتشديد لأنها نزلت مرّات ، والتفصيل يدل على الكثير مرّة بعد مرّة . وقال تعالى : (فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مَنكُم) أى يكفر بعد نزول المائدة (فَإِنِّى أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ) ^(١) أى عالمى زمانهم . قال : بجحد القوم وكفروا بعد نزول المائدة فمسيخوا قردةً وخنازير . قال الثعلبى : وأختلف العلماء فى المائدة ، هل نزلت أم لا ؟ فقال مجاهد : ما نزلت مائدة ، وهذا مثل ضرب . وقال الحسن : والله ما نزلت المائدة ، إن القوم لما سمعوا الشرط وقيل لهم : (فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مَنكُم) فأنى أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين) . استعفوا وقالوا : لا نريدها ولا حاجة لنا فيها ، فلم تنزل . قال أبو إسحاق الثعلبى : والصواب أنها نزلت ، لقوله عز وجل : (إِنِّى مُنْزِلُهَا عَلَيْكُمْ) ولا يقع فى خبره الخلف ولتواتر الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين رضوان الله عليهم وغيرهم من علماء الدين فى نزولها . قال كعب : أنزلت يوم الأحد ، فذلك اتخذته النصرارى عيداً .

واختلفوا فى صفتها وكيفيّة نزولها ، فحكى الكسائى عن وهب قال : أنزل الله تعالى على عيسى ^(٢) مِثْلًا فيه ثلاث سمكات مشويات ليس لها شوك ولا قشر وثلاثة أرغفة ، والملائكة تحملها حتى وضعوها بين يديّ عيسى . قال : وقد قيل : إن المائدة كانت سفرة من الأدم الأحمر ، وكان فيها سمكة واحدة مشوية وحوّلها الخضر ^(٣)

(١) سورة المائدة آية ١١٥

(٢) المثل : زبيل يعمل من الخوص يحل فيه التمر وغيره يسع خمسة عشر صاعاً .

(٣) السفرة : هى التى تتخذ من الجلود ولها معاليق تنضم وتنفرج ، فالأفراج سميت سفرة ؛ لأنها إذا حلت معاليقها أفترجت فأفترت عما فيها فقبل لها السفرة .

والبقول ، وعند رأسها خل ، وعند ذنبها ملح وخمسة أرغفة على كل منها زيتون ،
 وخمس رقمانات وممرات . وقال الثعلبي في تفسيره : روى قتادة عن خِلاس بن
 عمرو عن عمّار بن ياسر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " نزلت المائدة خبزاً
 ولحماً ^(١) ، وذلك أنهم سألو أيسى طعاماً يأكلون منه لا ينفد ، فقيل لهم : إنها مقيمة
 لكم ما لم تخونوا أو تخبوا أو ترفعوا ، فإن فعلتم ذلك عُدَّتْهم . قال : فما مضى يومهم
 حتى خبوا ورفعوا وخانوا . وقال إسحاق بن عبد الله : إن بعضهم سرق منها وقال :
 لعلها لا تنزل أبداً ، فُرفعت ومُسَخُوا قردة وخنازير . وقال آبن عباس رضي الله
 عنهما : إن عيسى بن مريم عليه السلام قال لبنى إسرائيل : « صوموا ثلاثين يوماً
 ثم سألوا الله تعالى ما شئتم يُعطِكم » . فصاموا ثلاثين يوماً ، فلما فرغوا قالوا : يا عيسى ،
 إنا لو عملنا لأحد ففضينا عمله لأطعمنا طعاماً ، وإنا قد صُمنّا وجُعنا ، فأدعُ الله أن
 يُنزل علينا مائدة من السماء ففعل . فأقبلت الملائكة بمائدة يحملونها ، عليها سبعة
 أرغفة وسبعة أحوات ^(٢) حتى وضعتها بين أيديهم ، فأكل منها آخر الناس كما أكل
 أولهم . وروى عطاء بن السائب عن راذان وميسرة قالا : كانت المائدة إذا
 وضعت لبنى إسرائيل اختلفت عليهم الأيدي من السماء بكل طعام إلا اللحم . وقال
 سعيد بن جبّير عن آبن عباس رضي الله عنهم : أنزل على المائدة كل شيء إلا الخبز
 واللحم . قال عطاء : أنزل عليها كل شيء إلا السمك واللحم . وقال عطية العوفي :
 نزل من السماء سمكة فيها طعم كل شيء . وقال عمّار وقتادة : كانت مائدة
 تنزل من السماء وعليها ثمر من ثمار الجنة . وقال وهب بن منبه : أنزل الله تعالى

٦٥
١٢

١٠

١٥

(١) نص الحديث كما ورد في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (ج ٦ ص ٣٧٢) : " أنزلت

المائدة من السماء خبزاً ولحماً وأمروا ألا يخونوا ولا يقتلوا لعدّائهم فأتوا بالذي وعدوا ولم يمتثلوا
 قردة وخنازير " .

(٢) أحوات (جمع حوت) : وهو نوع من السمك معروف .

٢٠

- أَفْرِصَةً مِنْ شَعِيرٍ وَحَيْتَانَا . فَقِيلَ لَوْهَب : مَا كَانَ ذَلِكَ يُعْنَى عَنْهُمْ ؟ قَالَ :
- لَا شَيْءَ ، وَلَكِنْ اللَّهُ أَضْعَفَ لَهُمُ الْبَرَكَةَ ، فَكَانَ قَوْمٌ يَأْكُلُونَ وَيُخْرَجُونَ وَيَبْقَى
- الْآخَرُونَ فَيَأْكُلُونَ وَيُخْرَجُونَ ، حَتَّى أَكَلُوا بِأَجْمَعِهِمْ وَفُضِّلَ . وَقَالَ الْكَلْبِيُّ
- وَمُقَاتِلُ : اسْتَجَابَ اللَّهُ تَعَالَى لِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ : إِنِّي مُتَرَلِّمٌ عَلَيْكُمْ كَمَا سَأَلْتُمْ ،
- فَمَنْ أَكَلَ مِنْ ذَلِكَ الطَّعَامِ ثُمَّ لَمْ يُؤْمِنْ جَعَلْنَاهُ مِثْلًا وَلَعْنَةً لِمَنْ بَعْدَهُمْ ، قَالُوا : قَدْ
- رَضِينَا . فَعَدَا شَعْمُونَ الصَّغَا وَكَانَ أَفْضَلُ الْخَوَارِئِينَ فَقَالَ : هَلْ مَعَكَ طَعَامٌ ؟ قَالَ :
- نَعَمْ مَعِيَ سَمَكَانٌ وَسَبْعَةُ أَرْغِفَةٍ . قَالَ : قَدِّمِهَا . فَقَطَعَتْ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قِطْعَةً
- صَغِيرًا ثُمَّ قَالَ : اقْعُدُوا فِي رَوْضَةٍ وَتَرَفَّقُوا رِفَاقًا ، كُلُّ رِفْقَةٍ عَشْرَةٌ . ثُمَّ قَامَ عِيسَى
- عَلَيْهِ السَّلَامُ وَدَعَا اللَّهُ تَعَالَى فَاسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ وَنَزَلَ فِيهَا الْبَرَكَةُ ، فَصَارَ خَبْزًا صَحَّاحًا وَسَمَكًا
- صَحَّاحًا . ثُمَّ قَامَ عِيسَى بِجَعْلٍ يُلْقَى فِي كُلِّ رِفْقَةٍ مَا حَمَلَتْ أَصَابِعُهُ ، ثُمَّ قَالَ : كُلُوا بِأَسْمِ اللَّهِ ،
- بِجَعْلٍ الطَّعَامِ يَكْثُرُ حَتَّى بَلَغَ رُكْبَهُمْ ، فَأَكَلُوا مَا شَاءَ اللَّهُ وَفُضِّلَ مِنْهُ ، وَالنَّاسُ نَحْسَةٌ
- آلَافٌ وَنِيفٌ . فَقَالَ النَّاسُ جَمِيعًا : نَشْهَدُ أَنَّكَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ . ثُمَّ سَأَلُوهُ مَرَّةً
- أُخْرَى ، فَعَدَا اللَّهُ تَعَالَى ، فَانْزَلَ اللَّهُ خَبْزًا وَسَمَكًا ، نَحْسَةٌ أَرْغِفَةٌ وَسَمَكَتَيْنِ ، فَصَنَعَ بِهَا
- مَا صَنَعَ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى . فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى قُرَاهِمُ وَنَشَرُوا هَذَا الْحَدِيثَ ضَحَكَ مِنْهُمْ
- مَنْ لَمْ يَشْهَدْهَا ، وَقَالُوا لَهُمْ : وَيَحْكُمُ ! إِنَّمَا سَحَرُ أَعْيُنِكُمْ ، فَمَنْ أَوَادَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ الْخَيْرَ ثَبَّتَهُ
- عَلَى بَصِيرَتِهِ ، وَمَنْ أَرَادَ فِتْنَتَهُ رَجَعَ إِلَى كُفْرِهِ . فَسَخَّخُوا خَنَازِيرَ وَبَلِيسَ فِيهِمْ صَبِيًّا
- وَلَا أَمْرًا . فَكَشَوْا بِذَلِكَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ثُمَّ هَلَكُوا ، وَلَمْ يَتَوَالِدُوا وَلَمْ يَأْكُلُوا وَلَمْ يَشْرَبُوا .
- وَقَالَ كُتُبٌ : نَزَلَتْ مَائِدَةٌ مِنْكَ مِنَ السَّمَاءِ تَطِيرُ بِهَا الْمَلَائِكَةُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
- عَلَيْهَا كُلُّ طَعَامٍ إِلَّا اللَّحْمَ . وَقَالَ قَتَادَةُ : كَانَتْ تَنْزِلُ عَلَيْهِمْ بَكْرَةٌ وَعَشِيَّةٌ حَيْثُ كَانُوا
- كَالْمَنْزِلِ وَالسَّلَوى لِبْنِ إِسْرَائِيلَ . وَقَالَ يَمَّانُ بْنُ رِثَابٍ : كَانُوا يَأْكُلُونَ مِنْهَا مَا شَاءُوا .
- وَرَوَى عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ عَنْ سَلْمَانَ الْفَارَسِيِّ قَالَ : لَمَّا سَأَلَ الْخَوَارِئُونَ عِيسَى

أَبْن مَرْيَمَ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمُ الْمَائِدَةُ لِبَسِ صَوْفًا وَبِكَيِّ وَقَالَ : ﴿ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ﴾ الآية ، وَأَرْزُقْنَا عَلَيْهَا طَعَامًا نَأْكُلُهُ ، وَأَرْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ . فَتَزَلَتْ سُفْرَةٌ حُمْرَاءُ بَيْنَ غَمَامَتَيْنِ ، غَمَامَةٌ مِنْ فَوْقِهَا وَغَمَامَةٌ مِنْ تَحْتِهَا ، وَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْهَا وَهِيَ تَهْوِي مُنْقَضَةً حَتَّى سَقَطَتْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ . فَبَكَى عِيسَى وَقَالَ : « اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ الشَّاكِرِينَ ، اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا رَحْمَةً وَلَا تَجْعَلْهَا عُقُوبَةً وَمِثْلَهُ ^(١) » وَالشُّهُودُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهَا ، يَنْظُرُونَ إِلَى شَيْءٍ لَمْ يَرَوْا مِثْلَهُ قَطُّ ، وَلَمْ يَجِدُوا رِيحًا أَطْيَبَ مِنْ رِيحِهِ . فَقَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : لِيَقُمْ أَحْسَنُكُمْ عَمَلًا فَيَكْشِفُ عَنْهَا وَيَذْكُرَ اسْمَ اللَّهِ وَيَأْكُلَ مِنْهَا . فَقَالَ شِمْعُونُ الصَّفَّا رَأْسَ الْخَوَارِيِّينَ : أَنْتَ أَوْلَى بِذَلِكَ مِنَّا . فَقَامَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَتَوَضَّأَ وَصَلَّى صَلَاةَ طَوِيلَةٍ وَبَكَى بَكَاءَ كَثِيرًا وَكَشَفَ الْمُنْدِيلَ عَنْهَا وَقَالَ : بِأَسْمِ اللَّهِ خَيْرِ الرَّازِقِينَ ، فَإِذَا هُوَ بِسَمَكَةٍ مَشْوِيَةٍ لَيْسَ عَلَيْهَا فُلُوسٌ وَلَا شَوْكٌ تَسِيلُ سِيلًا مِنَ الدَّمِ ، وَعِنْدَ رَأْسِهَا مِلْحٌ ، وَعِنْدَ ذَنْبِهَا خَلٌّ ، وَحَوْلَهَا مِنْ أَنْوَاعِ الْبَقُولِ مَا خَلَا الْكَزَاثَ ؛ وَإِذَا نَحْمَسَةٌ أَرْغَفَتْ عَلَى وَاحِدٍ مِنْهَا زَيْتُونٌ ، وَعَلَى الثَّانِي عَسَلٌ ، وَعَلَى الثَّلَاثِ بَيْضٌ ، وَعَلَى الرَّابِعِ جُبْنٌ ، وَعَلَى الْخَامِسِ قَدِيدٌ . قَالُوا : فَلَمَّا اسْتَقَرَّتْ بَيْنَ يَدَيْ عِيسَى قَالَ شِمْعُونُ رَأْسَ الْخَوَارِيِّينَ : أَنْتَ أَوْلَى بِأَرْوَاحِ اللَّهِ ، أَمِنْ طَعَامِ الدُّنْيَا هَذَا أَمْ مِنْ طَعَامِ الْآخِرَةِ ؟ فَقَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : لَيْسَ شَيْءٌ مِمَّا تَرَوْنَ ، وَلَكِنَّهُ شَيْءٌ أَفْعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْقُدْرَةِ الْغَالِبَةِ ، كُلُوا مِمَّا سَأَلْتُمْ يُمِيدُكُمْ وَيَزِدُّكُمْ مِنْ فَضْلِهِ . قَالَ الْخَوَارِيُّونَ : يَا رُوحَ اللَّهِ ، لَوْ أَرَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ الْيَوْمَ آيَةً أُخْرَى ! فَقَالَ عِيسَى : يَا سَمَكَةَ أَخِي بِإِذْنِ اللَّهِ . فَاضْطَرَبَتِ السَّمَكَةُ وَعَادَتْ عَلَيْهَا فُلُوسُهَا وَشَوْكُهَا فَفَزَعُوا مِنْهَا . فَقَالَ عِيسَى : مَا لَكُمْ تَسْأَلُونَ أَشْيَاءَ إِذَا أُعْطِيتُمُوهَا كَرِهْتُمُوهَا ،

(١) المثلة (بالضم) : التمثيل .

(٢) في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (ج ٦ ص ٣٧٠) : « تسيل سيلان الدم » .

ما أخوفني عليكم أن تعذبوا ! يا سمكة عودی كما كنتِ بإذن الله تعالى . فعادت السمكة مشوية كما كانت . فقالوا : يا روح الله ، كن أول من يأكل منها ثم نأكل نحن . فقال عيسى : معاذ الله أن أكل منها ، ولكن يأكل منها من سألها ، يخافوا أن يأكلوا منها . فدعا عيسى عليه السلام أهل الزمانة والمرضى وأهل البرص والجذام والمقعدين والمبتلين فقال : كلوا من رزق الله ولكم المهنأ ولغيركم البلاء . وفي رواية : كلوا من رزق ربكم ودعوة نبيكم وأذكروا اسم الله . فأكلوا وصدروا عنها وهم ألف وثلاثمائة رجل وامرأة من فقير وزمن ومريض ومبتلى كلهم شعبان يتجشأ ، ثم نظر عيسى عليه السلام الى السمكة فاذا هي كهيتها حين نزلت من السماء . ثم طارت المائدة صعدا وهم ينظرون إليها حتى توارت عنهم . فلم يأكل منها يومئذ زمن إلا صمغ ، ولا مريض إلا برا ، ولا مبتلى إلا عوفي ، ولا فقير إلا استغنى ولم يزل غنيا حتى مات ؛ وندم الحواريون ومن لم يأكل منها إذ لم يأكلوا منها . وكانت اذا نزلت أجمع الفقراء والأغنياء والصغار والكبار والرجال والنساء فيزدحمون عليها . فلما رأى عيسى ذلك جعلها نوبة بينهم ، فلبثت أربعين صباحا تنزل تُصْحَى ولا تزال منصوبة يؤكل منها حتى اذا فاء الفء طارت صعدا وهم ينظرون الى ظلها حتى تتوارى عنهم . وكانت تنزل غبا ، تنزل يوما ولا تنزل يوما كفاقة صالح . وأوحى الله عز وجل الى عيسى أن أجعل مائدتي ورزقي للفقراء دون الأغنياء ، فعظم ذلك على الأغنياء حتى شكوا وشككوا الناس فيها وقالوا : أترون المائدة حقا نزلت من السماء ! فقال عيسى : هلكنم تجهزوا لعذاب الله . فأوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام : إني شرطت على المكذبين شرطا أن من كفر بعد نزولها عذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين . فقال عيسى : « إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم

فإنك أنت العزيز الحكيم . فسخ منهم ثلاثمائة وثلاثة وثلاثون رجلا . وقال الكسائي عن وهب : سُخ منهم خمسة آلاف وخمسمائة ، فباتوا على فرشهم مع نسائهم في ديارهم ، فأصبحوا خنازير يسعون في الطرقات والكُاسات وياكلون العذرة . فلما رأى الناس ذلك فزعوا الى عيسى عليه السلام ، وبكى على المسوخين أهلهم . ولما أبصرت الخنازير عيسى عليه السلام بكّت وجعلت تطيف به وجعل عيسى يدعومهم بأسمائهم واحدا واحدا فيكون ويشيرون بروسهم ولا يقدرّون على الكلام ، فعاشوا ثلاثة أيام ثم هلكوا . وهؤلاء الذين لعنوا على لسان عيسى كما قال تعالى : (لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ) الآية .

ذكر ما قالته الشياطين الثلاثة في عيسى بن مريم

وأتبعهم الناس بعدهم

قال الكسائي قال وهب : جاء إبليس الى عيسى عليه السلام هو وأصحاب له على صور رجال ذوى هيئة وشيبة وعيسى يقول لبنى إسرائيل : (قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ) الآية . فقال إبليس : أتخلق وتسقي المرضى ونحّي الموتى وتنبئنا بالغيب ؟ قال عيسى نعم . قال إبليس : هذا الله عز وجل ! يا أيها الناس فانظروا اليه ، فإنه نزل اليكم ليُريكم قدرته . فقال أحد أصحاب إبليس : بشما قلت يا شيخ ! أخطأت وجرّت وقلت قولاً عظيماً ، أترعّم أن الله يتحلّى لخلقّه لينظروا الى قدرته ! وهل ينبى لخلقّه أن ينظروا اليه أو يسمعوا كلامه أو يقوموا لرؤيته ! لا ، ولكنه ابن الله وليس هو الله . فقال الثالث : كلاً كما قال شططا وأخطأ وجار وقال قولاً عظيماً ، وهل ينبى لله أن يتخذ صاحبة يكون له منها ولد ! وهل ينبى لولد هو من الله

أن تستقل به قوة امرأة ويسمه رَجَمًا ! ولكنه إله مع الله وليس بولد لله وليس بالله كما قلنا . قال : ففتزقوا على ذلك ونطق الناس بقولهم ، فصارت ذلك كلام النصارى . قال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ . وقال تعالى : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ ﴾ . وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ .

ذكر خبر إبليس حين عارض عيسى عليه السلام

وما خاطبه به وجوابه

- قال وهب : ثم جاء إبليس الى عيسى بن مريم فعارضه في عَقَبَةٍ ^(٤) من عقاب الأرض المقدسة يقال لها عَقَبَةُ قَيْق : فقال له : أنت المسيح بن مريم ؟ قال عيسى : أنا المسيح عيسى بن مريم رُوح الله وكلمته وعبد الله وأبن أمته . فقال له إبليس : فأنت إله الأرض . قال : بل إله الأرض ربى . قال : فأنت الذى بلغ من عظم ربوبيتك أن تكلمت فى المهد صبياً . قال : بل العظمة الذى أنطقنى فى صغرى . قال : بل فأنت الذى بلغ من عظم ربوبيتك أنك تخلق من الطين كهيمة الطير فتنفخ فيه فيكون طيرا . قال عيسى : بل العظمة الذى خلقتى وخلق ما سخرلى . قال : فأنت الذى بلغ من عظم ربوبيتك أنك تشفى المرضى . قال عيسى : بل العظمة الذى بإذنه شفيتهم وإن شاء أمرضى . قال إبليس : فأنت الذى بلغ من عظم ربوبيتك أنك تمحي الموتى . قال عيسى : بل العظمة الذى بإذنه أحييهم ، ولا بد أنه سيئ من أحييت ويُميتنى . قال : فأنت الذى بلغ من

(١) سورة المائدة آية ٧٢ (٢) سورة البقرة آية ١١٦

(٣) سورة المائدة آية ٧٣ (٤) العقبة : مرق صعب من الجبال ، أو الطريق فى أعلاها . ٢٠

عظم رُبوبيتك أنك تعبرُ البحر فلا تبتل قدماك ولا ترمخ فيه . قال : بل العظمة
 للذي ذلّه . قال : فانت الذي بلغ من عظم رُبوبيتك أنك تعلم الغيب . قال :
 بل العظمة لعالم الغيب والشهادة ، لستُ أعلم إلا ما علمني . قال : فانت الذي بلغ
 من عظم رُبوبيتك أنك كُونت من غير أب . قال : بل العظمة للذي كُونني وكُون
 آدم وحواء من قبلي . قال : فانت الذي بلغ من عظم رُبوبيتك أنك سيأتي عليك
 يوم تلعو فيه الخلائق كلها ، فتكون السموات السبع والأرضون السبع ومن فيهن
 دونك ، وأنت فوق ذلك كله تدبر الأمر وتقسّم الأرزاق . قال : فأعظم عيسى قوله
 وضاق به ذرعا وسبّح إعظاما لما قال إبليس . قال : فانه جبريل فنفخ إبليس
 نفخة ذهب يلطم منها على وجهه فلا يملك من نفسه شيئا حتى وقع بالخافق الأقصى ،
 ثم نهض بالذي أعطاه الله من القوة فسبق عيسى إلى أسفل العقبة فسدها وملا كل
 ثلمة وطريق ، ثم قال لعيسى : لقد غيبت غضب إله عظيم ، وقد أخبرتك بأنك إله
 وما أنت من البشر ، ولو كنت من البشر ما قت^(١) ، منذ فارقتك ، أربعين ليلة لم
 تطعم ولم تشرب ولم تتم ولم يضرع لذلك جسمك ، وهذا مالا ينبغي لبشر . قال عيسى :
 إن جسدِي ليألم مما يألَم منه البشر ، وإنّي لأطعم وأشرب وأنام وأغفل وأفرح
 وأحزن وأجزع وأهلع وأحتاج إلى أن أنتظف بالماء وكيف تزعم أني إله وأنت
 تعلم أني هكذا ! . ولم يزل إبليس لعنه الله يحاوره حتى عرّض عليه أن يأمر الشياطين
 بعبادته والاعتراف برُوبيته . فضاق عيسى ذرعا وسبّح لله تعالى فقال : « سبحان
 الله عما يقول وبحمده ، ملء سمائه وأرضه ، وعدد خلقه ، ورضا نفسه ، وبلغ علمه ،
 ومنتهى كلماته ، وزنة عرشه » . فهبط جبريل وميكائيل وإسرافيل ، فنفخه ميكائيل
 نفخة ذهب منها نحو مطلع الشمس حتى صدم عين الشمس عند طلوعها ، فخر

(١) في الأصل : « ما قت لي » بزيادة « لي » . وظاهر أنها من زيادات النسخ .

(٢) يضرع : يضعف .

أَن تَسْتَقِلَّ بِهِ قُوَّةُ أَمْرَاءَ وَيَسْمَعَهُ رَحِمَهَا ! وَلَكِنَّهُ إِلَهُ مَعَ اللَّهِ وَلَيْسَ يُولَدُ لِلَّهِ وَلَيْسَ
بِاللَّهِ كَمَا قَالُوا . قَالَ : فَتَفَرَّقُوا عَلَى ذَلِكَ وَنَطَقَ النَّاسُ بِقَوْلِهِمْ ، فَصَارَ ذَلِكَ كَلَامَ
النَّصَارَى . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ) .
وَقَالَ تَعَالَى : (وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ) . وَقَالَ تَعَالَى : (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ
قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ) .

ذَكَرَ خَبَرَ إِبْلِيسَ حِينَ عَارَضَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَمَا خَاطَبَهُ بِهِ وَجَوَابَهُ

قَالَ وَهَب : ثُمَّ جَاءَ إِبْلِيسَ إِلَى عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ فَعَارَضَهُ فِي عَقَبَةٍ مِنْ عِقَابِ
الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ يُقَالُ لَهَا عَقَبَةُ قَيْسٍ : فَقَالَ لَهُ : أَنْتَ الْمَسِيحُ بْنُ مَرْيَمَ ؟ قَالَ
عِيسَى : أَنَا الْمَسِيحُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ رُوحَ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ وَعَبْدُ اللَّهِ وَأَبْنَى أُمَّتِهِ . فَقَالَ لَهُ
إِبْلِيسُ : فَأَنْتَ إِلَهُ الْأَرْضِ . قَالَ : بَلْ إِلَهُ الْأَرْضِ رَبِّي . قَالَ : فَأَنْتَ الَّذِي بَلَغَ
مِنْ عِظَمِ رَبُّوبِيَّتِكَ أَنْ تَكَلَّمْتَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا . قَالَ : بَلِ الْعَظَمَةُ لِلَّذِي أَنْطَقَنِي
فِي صَغَرِي . قَالَ : بَلْ فَأَنْتَ الَّذِي بَلَغَ مِنْ عِظَمِ رَبُّوبِيَّتِكَ أَنْكَ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ
كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَتَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا . قَالَ عِيسَى : بَلِ الْعَظَمَةُ لِلَّذِي خَلَقَنِي وَخَلَقَ
مَا سِوَنِي . قَالَ : فَأَنْتَ الَّذِي بَلَغَ مِنْ عِظَمِ رَبُّوبِيَّتِكَ أَنْكَ تُشْفِي الْمَرْضَى . قَالَ
عِيسَى : بَلِ الْعَظَمَةُ لِلَّذِي بِلَاذْنِهِ شَفَيْتَهُمْ وَإِنْ شَاءَ أَمْرَضَنِي . قَالَ إِبْلِيسُ : فَأَنْتَ
الَّذِي بَلَغَ مِنْ عِظَمِ رَبُّوبِيَّتِكَ أَنْكَ تُنْجِي الْمَوْتَى . قَالَ عِيسَى : بَلِ الْعَظَمَةُ لِلَّذِي
بِلَاذْنِهِ أَحْيَيْتَهُمْ ، وَلَا بَدَأَ أَنَّهُ سُمِّيَتْ مِنْ أَحْيَيْتُ وَيُمَيَّنِي . قَالَ : فَأَنْتَ الَّذِي بَلَغَ مِنْ

(١) سورة المائدة آية ٧٢ (٢) سورة البقرة آية ١١٦

(٣) سورة المائدة آية ٧٣ (٤) العقبة : مرق صعب من الجبال ، أو الطريق في أعلاها . ٢٠

عظم ربوبيتك أنك تعبر البحر فلا تبطل قدماك ولا ترسخ فيه . قال : بل العظمة
 للذي ذلّه . قال : فأنت الذي بلغ من عظم ربوبيتك أنك تعلم الغيب . قال :
 بل العظمة لعالم الغيب والشهادة ، لست أعلم إلا ما علمني . قال : فأنت الذي بلغ
 من عظم ربوبيتك أنك كُنت من غير أب . قال : بل العظمة للذي كُنتني وكُنت
 آدم وحواء من قبلي . قال : فأنت الذي بلغ من عظم ربوبيتك أنك سيأتي عليك
 يوم تلعوفه الخلاق كلها ، فتكون السموات السبع والأرضون السبع ومن فيهنّ
 دونك ، وأنت فوق ذلك كله تدبر الأمر وتقسّم الأرزاق . قال : فأعظم عيسى قوله
 وضاق به ذرعا وسبّح إعظاما لما قال إبليس . قال : فأتاه جبريل فنفخ إبليس
 نفخة ذهب يلطم منها على وجهه فلا يملك من نفسه شيئا حتى وقع بالخفاق الأقصى ،
 ثم نهض بالذي أعطاه الله من القوة فسبق عيسى إلى أسفل العقبة فسدها وملا كل
 ثلمة وطريق ، ثم قال لعيسى : لقد غيبت غضب إله عظيم ، وقد أخبرتك بأنك إله
 وما أنت من البشر ، ولو كنت من البشر ما قت ، منذ فارقتك ، أربعين ليلة لم
 تطعم ولم تشرب ولم تنم ولم يضرع لذلك جسمك ، وهذا ما لا ينبغي لبشر . قال عيسى :
 إن جسد ليألم مما يألم منه البشر ، وإنّي لأطعم وأشرب وأنام وأغفل وأفرح
 وأحزن وأجزع وأهلح وأحتاج إلى أن أنتظف بالماء وكيف تزعم أني إله وأنت
 تعلم أني هكذا ! . ولم يزل إبليس لعنه الله يحاوره حتى عرض عليه أن يأمر الشياطين
 بعبادته والاعتراف برؤيته . فضاق عيسى ذرعا وسبّح لله تعالى فقال : « سبحان
 الله عما يقولون وبمجدّه ، ملء سمائه وأرضه ، وعدد خلقه ، ورضا نفسه ، وبلغ علمه ،
 ومنتهى كلماته ، وزنة عرشه » . فهبط جبريل وميكائيل وإسرافيل ، فنفضه ميكائيل
 نفخة ذهب منها نحو مطلع الشمس حتى صدم عين الشمس عند طلوعها ، فخرت

(١) في الأصل : « ماقت لي » بزيادة « لي » . وظاهر أنها من زيادات النسخ .

(٢) يضرع : يضعف .

حصيدا محترقا ، فاتبعه إسرائيل فنفضه نحو مغرب الشمس فانطلق لا يملك من نفسه شيئا حتى حاذى عيسى فقال : يا بن مريم ، لقد لقيت منك تعباً . ومَرَّتْ به النفضة حتى وقع في العين الحامية التي تغرب الشمس فيها ، فلبث سبعة أيام وسبع ليال ، متى أراد الخروج منها غطته الملائكة بأجنحتها ، فما رام عيسى بعد ذلك . والله أعلم .

ذكر خبر عيسى مع اليهود

حين ظفروا به وأرادوا صلبه وقتله

٦٨
١٢

قال وهب : لما أوحى الله عز وجل إلى عيسى : **(إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ)** ^(١) جَرَعَ من الموت جَرَعاً شديداً وقال للحواريين : هذا الزمان الذي يَقْبِضُ الله فيه الراعى ثم تُفَرَّقُ الرعية من بعده ، فعرفوا أنه يعني نفسه ، فبكوا وجرعوا ، فقال : لا تبكوا من حزن الفراق ، فسترون ما هو أشد منه ، ولست مفارقم حتى يظفروا بي . عدوى ثم يأسروني ، فلا تدفعوا عني ولا تمنعوا . قال : وطلبه اليهود ليقتلوه فأستخفى منهم ، فدهم عليه يوداً وهو الذي أرتد عنه ، فأخذوه من غار جبل بيت لحم وجعلوا على رأسه إكليلاً من الشوك ليمثلوا به ، وجعلوا يلطمونه ويضربونه من خلفه ويقولون له : إن كنت نبياً كما تزعم فامنع عن نفسك وأدع ربك فليحل بيننا وبينك ، وهو لا يكلمهم حتى طلع الفجر ، ونصبوا له خشبة ليصلبوه . فلما أرادوا أن يرفعوه ^(٢) عليها أظلم الجو ظلمة عظيمة لم تلبس الأرض مثلها ، وأرسل الله الملائكة خالوا بينهم وبينه وصلبوا مكانه يوداً الذي دلّ عليه ، وأشرق الشمس وقلب الله قلوب الناس وأبصارهم فجعلوا ينظرون إلى يوداً في صورة عيسى . قال الله تعالى : **(وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ)** . قال : ولما رفعوا يوداً على الخشبة قال :

يا هؤلاء ، إني أذكركم الله في دمي ، إني صاحبكم يَوْذَا الذي دلتكم على عيسى . ثم أخبرهم خبر الظلمة وأن الملائكة حالوا بينهم وبين عيسى وجعلوه مكانه ، وأخبرهم بعلامات يعرفونها . فلما سمعوا ذلك منه زادهم عليه غيظا وحنقا وقالوا : ما أعظم سحره ! كيف اطلع بسحره على سرنا وما كنا نطويه دُونه ! وقتلوه وهو صاحبهم .

ذكر خبر رفع عيسى عليه السلام أول مرة

وهبوطه إلى الأرض ووصيته إلى الحواريين ورفعه ثانيا

قال : رفع الله تعالى عيسى لثلاث ساعات مضت من النهار، فلبث في السماء أياما، قيل سبعة أيام، وقيل أربعين يوما . والله أعلم . ثم قال الله له : إن أعداءك اليهود أعجلوك عن الوصية والعهد إلى أصحابك، فانزل اليهم وأعهد لهم وأوصهم، وانزل على مريم المجدلانية^(١) فإنها في غار في جبل الجليل . وكانت مريم المجدلانية من قرية من قرى أنطاكية يقال لها مجدل . وكانت من أوسط نساء بني إسرائيل حسبا، وكانت أجمل نسائهم وأكثرهم مالا، وكانت تستحاض فلا تطهر أبدا وخطبها أشرف بني إسرائيل وملوكهم وأمنتعت من إجابتهم، فظنوا أن ذلك ترفعا منها، وإنما كان بسبب ما يعرض لها . فلما ظهر عيسى عليه السلام وشاع ذكره أئنته في جملة المرضى ليشفيها، فنجحت أن تساله لكثرة الناس حوله، بغاءت من ورائه فستته بيدها فزال عنها ما كانت تشكو وطهرت وأمنت بعيسى، وأنفقت ماله فيما أمرها به من وجوه البر، وصارت فقيرة وتبتلت وتخلت للعبادة، وكانت تُعَدُّ من أصحاب عيسى .

قال : وأمر الله تعالى عيسى أن يأمرها أن تجمع له الحواريين، وأن يستخلف عليهم شمعون، وأن يفترقهم دعاة إلى الله عز وجل في البلاد، وأن يخبرهم بالعلامة التي تأتيهم من الله . ثم أهبطه الله تعالى على مريم فأشتعل الجبل نورا، وأئنته بالحواريين، فبلغهم

(١) كذا في الأصول والتعلي . ولعلها نسبة شاذة إلى مجدل . وفي الكتاب المقدس : ” المجدلية ” .

- رسالة ربهم ، وقال : إن آية ذلك أن تأتيكم الملائكة في ليلتكم هذه بمغارف فيها نور من نور الله ، فكلّ مَنْ تناول مغرفةً منها فليلحس النور الذي فيها فإنه يصبح وقد تكلم بلغة القوم الذين يُعَثُّ إليهم ويصبح وهو على باب مدينتهم . قال :
- والليلة التي هبط عيسى فيها هي الليلة التي تدخّن فيها النصارى باللبّان . قال : فلمّا فرغ عيسى من وصيته الى الحواريين رُفِعَ بعد سبعة أيام ، وتوفاه الله تعالى لثلاث ساعات من النهار ، ثم كساه الله الرّيش وألبسه النور ، وقطع عنه المطعم والمشرب وصار ملكيّاً إنسياً . قال وهب : برز عيسى عليه السلام للناس يوم برز وهو ابن ثلاثين سنة ، ولبث فيهم في نبوّته وفيما كان الناس يرونه منه من العجائب والآيات ثلاث سنين ، ورفع الله وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة . وحكى أبو إسحاق النعلبيّ عن أهل التاريخ أن الله تعالى أوحى الى عيسى وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ، ورفع من بيت المقدس ليلة القدر من شهر رمضان وهو ابن ثلاث وتسعين سنة . وقد ورد في الحديث ما يدلّ على أنه رُفِعَ وله مائة وخمس وعشرون سنة . وسنذكر ذلك إن شاء الله تعالى في آخر السيرة النبوية على ما تقف إن شاء الله عليه هناك .

٦٩
١٢

ذكر وفاة مريم بنت عمران عليها السلام

- قال الكسائيّ قال كعب : ماتت مريم بنت عمران أم عيسى عليهما السلام قبل رفعه ، فدفنها في مشارق بيت المقدس . وحكى النعلبيّ رحمه الله أنها ماتت بعد رفع عيسى عليهما السلام . وقال في خبره : إنه لما صُلب المشبه بعيسى جاءت مريم ابنة عمران وأمرأة كان عيسى دعا لها فأبرأها الله من الجنون فيبكيان عند المصلوب ، فجاءهما عيسى عليه السلام فقال لهما : على ما ذا تبكيان ؟ فقلنا عليك . فقال : إن الله تعالى رفعني فلم يُعصِني إلا خير ، وإن هذا شيء شُبّه لهم . ثم قال أيضا في قصة

وفاة مريم عن وهب : لما أراد الله تعالى أن يرفع عيسى عليه السلام آخى بين
الحواريين وأمر رجلين منهما وهما شمعون ويوحنا أن يلزما أمه ولا يفارقاها ، فانطلقا
ومعهما مريم الى نيرون ملك الروم يدعوانه الى الله عز وجل ، وقد بعث الله اليه
قبل ذلك بولس^(١) . فلما أتوه أمر بشمعون وبولس فقتلا وصليبا منكسين ، وهربت
مريم ويوحنا ، حتى اذا كانا في بعض الطريق لحقهما الطلب ، فخافا فأنشقت لهما
الأرض فغابا فيها ، فأقبل نيرون ملك الروم وأصحابه فحفروا ذلك الموضع فلم يجدوا
شيئا فردوا التراب على حاله ، وعلموا أنه أمر من الله عز وجل . فسأل ملك الروم
عن حال عيسى فأخبر به فأسلم . وقد قيل في إسلامه غير هذا ، على ما نذكره إن شاء
الله تعالى .

- ١٠ (١) كذا في تاريخ الطبري (ص ٧٣١ من القسم الأول) . وفي الأصول : « بارون » .
(٢) كذا في تاريخ الطبري (ص ٧٣١ من القسم الأول) وكذا سيذكره المؤلف في الصفحة التالية .
وفي الأصول : « بودس » .

الباب السادس من القسم الثالث

من الفرق الخامس في أخبار الحواريين الذين أرسلهم عيسى عليه السلام
وما كان من أمرهم مع من أرسلوا اليه وخبر جرجيس

ذكر خبر أخبار الحواريين

- قال الكسائي قال وهب : وأصبح الحواريون على أبواب المدائن التي بُعثوا
اليها ، يتكلم كل رجل منهم بلغة الأمة التي بُعث اليها . فبعث الى أهل رومية
رجلين من الحواريين ، وبعث لإنديوس ولوقا الى أرض الحبشة ، وبعث رجلا
الى بابل ، وبعث رجلا الى إفريقية ، ورجلا الى أصحاب قرية الكهف ، ورجلا
الى بربر ، ورجلين الى أنطاكية ، ورجلا الى السند والهند ، وأقام شمعون مكانه
وهو رأسهم ، وأمرُوا أن يستظهروا به فيما يهتمهم .

ذكر خبر يوحنا وبولس اللذين توجهوا إلى أنطاكية

- قال الكسائي : لما أصبح يوحنا وبولس على باب أنطاكية دخلها عند فتوح
بابها ، وملئوها يومئذ مخلصين بن مخلص ، وكان ظالمًا جبارًا متكبرًا ، فلم يقدر
على الوصول اليه ، وما أمكنهما أن يذكر ما جاء فيه مخافة أن يُقتل قبل أن يبلغاه
رسالة الله تعالى . فكانا كذلك مدة ، حتى شَخَصَ الملك من منزله الى مُسْتَرْزله فنادياه
من بعيد بالإنذار . فلما سمع أصواتهما أرسل من يسمع مقالتهما فبلغاه رسالة الله
عز وجل ، فأمر الملك بجلد كل منهما مائة جلدة وحلّق رءوسهما حلّق الشامسة

٧٠
١٦

- ليُثقل بهما، ثم أمر بهما إلى السجن ليُخلدا فيه . فأوحى الله تعالى إلى شمعون بنخبرهما وأمره بالانتصار لهما . فخرج حتى بلغ أنطاكية فدخلها، وتلطّف حتى صحب خواصّ الملك وبطانته وأنسوا به وذكروه للملك . ثم طرق السجن ليلا، وكان له باب من حديد طوله خمسون ذراعا وعرضه ثلاثون ، وكان إذا فُتح صرصر حتى يسمع صريه أقصاهم وأذناهم . فأرسل الله تعالى ملكا فآقتلع الباب من موضعه فلم يسمع له صوت، وألقى الله عز وجل السّبات على أهل السجن وحراسه . فدخله شمعون، واجتمع بيوحنا وبولس وبشرهما عن الله بالثواب والخير وأنصرف عنهما، وردّ الملك باب السجن إلى موضعه . وكان شمعون يدخل مع الملك وأصحابه إلى بيوت أصنامهم ويسجد لله ويبكى ويكثر العبادة وهم لا يشكّون أنه يعبد أصنامهم، فأحبّه الملك وقربه وسأله عن نفسه ، فأخبره أنه من بنى إسرائيل وأنه بقيّة قوم آفترضوا، ولم يكن له من يأنس به فاعتمدتكم رغبة في قربكم، وحرصا على إخائكم . فقال الملك : قد قبلنا قولك وسودناك علينا ، فأنت أفضلنا وسيّدنا . فلبث فيهم زمنا يصدرون عن رأيه . فلما تمكّن أمره من الملك قال له : أيها الملك، بلغني أنك سجنّت رجلين كانا قد جاءاك يدعوانك إلى غير دينك وإلى عبادة إله غير إلهك ، ويزعمان أنّ الله أرسلهما إليك ، وعجبتُ كيف اجترأ عليك . فإذا قلتَ لهما وما قالاك ؟ وهل أجبتهما بما كان ينبغي لك من الجواب ؟ وهل سألتهما حين عظما لك ربهما أن يذكرالك سائر عظمتهم، أو أحيايا لك ميتا، أو غير ذلك مما تعرف به مصداق قولهما ؟ قال الملك : لقد حال الغضب دون ما تقول . قال : فهل لك أن تدعوهما ؟ قال نعم . فاحضرهما بين يديه ، فقال لهما شمعون : أخبراني من أرسلكما إلى هذا الملك وقومه ؟ قالوا : أرسلنا الله الذي هو على كل شيء قدير . فقال شمعون : صفالي عظمتهم . قالوا : هي أعظم من أن تُحصى . قال : فأخبراني ماذا يبلغ من قدرته ؟

- قالا : إن شئت وصفنا لك ما نطبق وصفه ، وصِفْنَه أعظم من طاقتنا ، وإن شئت وصفنا لك ذلك في كلمتين تكفيان من كلام كثير . قال : نعم ، صِفْنا وأوجزا .
- قالا : إنه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد . فوضع شمعون يده على رأسه كالملك لما قالوا ، ثم أقبل عليهما وقال : إني أسألكما أمرا فإن قدر إلهكما عليه آمنا بكما .
- قالا : سل . قال : هل يقدر أن يخلق خلقا ونحن ننظر اليه ؟ قالنا نعم . قال : اعلمنا ما تقولان ! قالوا : قد علمنا ، فتى شئت أريناك . فعندها خلا شمعون بالملك وقال : أيها الملك ، إن هذين الرجلين ليسا ببعيدين من أن يكون ربهما كما قالوا ، ولا أظنهما عرضا أنفسهما للكل مثل هذا الموقف إلا وعندهما ثقة من إلههما . وإني أخشى أن يدعوا ربهما فيخلق خلقا ينظر إليه الناس فيمِرُّ ذلك قلوبهم ويزهدون في إلهك الذي تعبدونه ويذهبان بالصوب والشرف . فهل لك أن تدعوا إلهك فيخلق هذا الخلق الذي تريد أن نتمناه عليهما فيكون لك وإلهك شرف هذا اليوم وصوبه ؟ .
- قال له الملك : ليس دونك سر ، إن هذا الإله الذي نعبد لا يسمع ولا يبصر ولا يضرب ولا ينفع ولا ينجي ولا يُبَيِّت . فقال لهما شمعون : اغرضا على بعض قدرة إلهكما فإن أجابكما وخلق الشيء على أعيننا ونحن ننظر اليه فقد صدقنا والقول قولكما .
- وأجتمع الناس لينظروا . فأوحى الله إليهما أن سلّاه ماذا يريد ، فإني مسخر لكما ما سألكما . قالوا : قد أوحى إلينا أنه فاعل ما تسألنا ، فسلنا . وكان شمعون قد عهد في المدينة خلا ما مطموس الوجه لم يخلق له عيتان ، فأتي به فقال : ادعوا ربكما أن يخلق له عيتين ونحن ننظر . قالوا نعم . فأوقفاه بين أيديهما ودعوا الله وأعانهما شمعون سرا ، فأجابهم الله تعالى ، فأخذ كل واحد منهما حنّوة من تراب وعجنه وجعله كالبنديقة ، ووضعها البنديقتين في موضع العينين من وجه الغلام فأنشق

- لها البصر، ثم صارت البندقتان عيتين . فخاف الملك، فقال له شمعون : لا تخف
 إن عندى حيلة . قال له الملك : لعلهما ساحران، أرنا ما لا يكون وما ليس بكائن .
 قال شمعون : ليس هذا من السحر، ولكنى أخاف أن يأتى من إلههما ما يُعجز
 حيلتنا . فدعا شمعون بعلام مطموس وعمل كما عملا فأنتشق بصره، كما أنتشق بصر
 الأول، ففرح الملك وأصحابه بذلك . فقال شمعون : إنما صنع ما ترون
 إله اخترتة لنفسى وهو الذى أظهر فُلجكم^(١)، فأسجدوا لهذا الإله الذى أظفركم بدوكم
 لعله يُعينكم على ما يكون بعد هذا . فقال الملك : كيف نسجد لغير إلهنا ! . قال
 شمعون : ألم تخبرنى أنه لا يُبصر ولا يسمع ولا يضرب ولا ينفع، فما قُدرته عليك إن
 سجدتَ لغيره ! قال : صدقت . وسجد الملك وسجد قومه لسجوده . ثم قال شمعون
 ليوحنا وبولس : إني أسألكما عن أمر، فإن قُدر عليه إلهكما فاجتة إذا لكما والقول
 قولكما . قالا : سل عما بدالك . قال : تسألان ربكما أن يُحيى لنا ميتا حتى يكلمنا
 ويخبرنا ما خبره، ويعلمنا ما كان فيه وما لقي بعدنا . قالا : نعم، إن الذى سألتَ
 يسير على الله وهين عليه . فوضع شمعون يده على رأسه كالمُعظم والمنكرى قالا .
 ثم خلا بالملك وقال : إنك قد رُميتَ بأمر عظيم، وإنى أخاف إن أحيا إلههما الموتى
 أن يميل الناس إليهما . قال الملك : إنا نرجو ألا يأتيا بشيء إلا أتيت أنت بمنله .
 قال شمعون : إني لا أغرركم، إن إلهى لا يُحيى الموتى، ولا أعلم فى الأرض من يقدر
 على ذلك . قال الملك : فهل تدعهما يدعانا وتدعهما، فإن أביا قاتلناهما ؟ . قال
 شمعون : كيف نقاتل من لهما إله يُحيى الموتى ! ولكن أرجو أن أدعو الإله الذى
 صنع ما رأيتم فيعيننا على ما نريد . قال شمعون : هل يقدر إلهكما على أن يُحيى
 الموتى ؟ قالا نعم . قال الملك : إن عندنا ميتا قد مات منذ سبعة أيام وهو ابن

(١) الفلج (بالضم) : بمعنى الفوز والظفر .

دِهْفَان مَدِينَتَنَا، فَدَعَا بِهِ الْمَلِكَ فَأَحْضَرَ فِي نَعَشٍ، وَقَدْ تَغَيَّرَ لَوْنُهُ وَأَرْوَحُ^(١)، فَقَالَ :
 دُونَكَ ادْعُوا أَنْ يُحْيِيَهُ إِلَهُكُمْ . فَدَعَوْا اللَّهَ ، فَلَابَثَ أَنْ تَفْتَقَتْ عَنْهُ أَكْفَانُهُ وَرَدَّ اللَّهُ
 إِلَيْهِ رُوحَهُ . فَسَالُوهُ مَتَى مَاتَ وَمَاذَا لَقِيَ . فَقَالَ : مُتَ مِنْذُ سَبْعَةِ أَيَّامٍ ، ثُمَّ عُرِضْتُ
 عَلَى عَمَلِي فَقُذِفْتُ فِي سَبْعَةِ أَوْدِيَةٍ مِنْ نَارٍ ، وَذَكَرَ مَا فِي الْأَوْدِيَةِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْحَيَّاتِ
 وَغَيْرِ ذَلِكَ . قَالَ : فَلَمَّا صَرْتُ إِلَى الْوَادِي السَّابِعِ خُفِّفَ عَنِّي الْعَذَابُ . قَالُوا :
 فَمِنْ أَيْنَ خُفِّفَ عَنْكَ الْعَذَابُ ؟ قَالَ : أَحْيَانِي اللَّهُ وَرَدَّ عَلَيَّ رُوحِي ، بَغَاءَ فِي شَيْءٍ مِثْلَ
 الرِّيحِ فَدَخَلَ فِي رَأْسِي ، فَلَمَّا صَارَ فِي جَسَدِي حَيِّتُ ، ثُمَّ قِيلَ لِي : انْظُرْ فَوْقَكَ ،
 فَشَخَّصْتُ بَبْصَرِي وَفُتِحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا بِرَجُلٍ شَابٍّ حَسَنِ الْوَجْهِ
 نَحِيفٍ الْجَسْمِ أَبْيَضَ يَخَالُطُهُ حَمْرَةٌ مُتَعَلِّقٌ بِالْعَرْشِ يَشْفَعُ لِهَؤُلَاءِ الرَّهْطِ الثَّلَاثَةِ ، يَعْنِي
 عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ . فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : أَيْ رَهْطٍ تَعْنِي ؟ . قَالَ : هَذَا الشَّيْخُ الْأَجْلَحُ^(٢) ،
 وَهَذَا الْكَهْلُ الْأَنْزَعُ^(٤) ، وَهَذَا الْفَقِي الرَّجُلُ^(٥) . فَمَا زَالُوا مُجْتَهِدِينَ فِي الدَّعَاءِ حَتَّى شَقَّعُوا ،
 وَالشَّافِعَ لَهُمْ مُصَنِّعٌ إِلَيْهِمْ بِأَذْنِهِ كَأَنَّهُ يَسْمَعُ مَا يَقُولُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهُ إِلَى اللَّهِ فَيَدْعُو بِهِ . فَلَمَّا
 فَرِغَ مِنْ كَلَامِهِ قَالَ : إِنِّي أَحْذَرُكُمْ أَيُّهَا الْقَوْمُ مِثْلَ مَا كُنْتُ فِيهِ ، فَإِنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا إِلَهُ
 عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ وَشَمْعُونَ وَبُؤْسَ وَبُوحَنَّا . قَالَ شَمْعُونُ : اعْتَصَمْنَا بِاللَّهِ وَتَوَكَّلْنَا
 عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَخْبَرَ الْمَلِكَ بِخَبْرِهِ وَخَبَرَ أَصْحَابَهُ وَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ ، فَهُمْ مِنْ آمَنَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ
 تَوَلَّى . وَكَانَ الْمَلِكُ مِمَّنْ آمَنَ بِهِ فِي عُصْبَةِ يَسِيرَةٍ . وَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَوَلَّى مِنْهُمْ
 صَبِيحَةً مِنَ السَّمَاءِ فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ .

قَالَ : وَكَانَ قَدْ نُبِئَ إِلَى الدَّهْقَانِ أَبْنَاهُ ، وَكَانَ اسْمُ الدَّهْقَانِ حَبِيبًا التَّجَارَ ،
 ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ جَاءَتْهُ الْبَشَارَةُ بِحَيَاةِ ابْنِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ غَيْرُهُ ، وَأَخْبَرَ خَيْرَ الْخَوَارِيِّينَ ،

- ٢٠ (١) أَرْوَحُ : أَتَنَ . (٢) شَخْصٌ بَصَرُهُ وَبَيْصَرُهُ : رَفَعَهُ . (٣) الْأَجْلَحُ : الَّذِي
 انْخَسَرَ شَعْرُهُ عَنْ جَانِبِي رَأْسِهِ . (٤) الْأَنْزَعُ : الَّذِي انْخَسَرَ شَعْرُهُ عَنْ جَانِبِي جَبْهَتِهِ .
 (٥) الرَّجُلُ (بِسُكُونِ الْجِيمِ) : الَّذِي شَعْرُ رَأْسِهِ بَيْنَ السَّبُوطَةِ وَالْجُعُودَةِ .

فأمن بهم قبل أن يراهم ، فأقبل مسرعا . فلما قص عليه ابنه قصته ازداد إيمانا و يقينا . قال وهب : فيقال — والله أعلم — إن هذا هو الذي ذكره الله تعالى في قوله : (وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ^(١)) الآية . فأوجب الله له بكلامه الجنة ، وخبر أن يعمر هو وأبنته مائة عام أو يجعل بهما الى الجنة ، فأختارا الجنة ، وهو قوله تعالى : (أَلَا تَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً ^(٢) إِنْ يُرْزِقِ الرَّحْمَنُ مِنْ بَاطِنٍ ^(٣)) الآية . قال : ولم يزل يجاهد قومه قبل أن تأخذهم الصيحة ويدعوهم الى الله حتى قتلوه ، فقيل له : ادخل الجنة (قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ^(٤)) .

٧٢
٧

ذكر خبر ثوما الحواري مع ملك الهند وإيمانه به

قال الكسائي قال وهب : وجاء ثوما الى أرض الهند والسند . فبينما هو يتردد على ساحلهم إذا هو بغلام الملك الهند يقال له حيّان ، وكان تاجرا . فاتاه ثوما فقال له : هل لك أن تبتاعني للك ؟ فقال له حيّان : من أنت أيها الرجل الكريم ؟ . قال له ثوما : إني كنت عبدا مملوكا فأعتقني سيدي وأمرني بالطلب لنفسى ، فلم أصادف من الحرّية ما كنت أظنّ ، وكان حالى يوم كنت عبدا خيرا منه اليوم وأحسن . فقال له حيّان : ما أرى عليك ميسم العبودية ، وإنى لأرى عليك أثر الخير ، ثم قال له : ما الذى تحسن من الأعمال ؟ قال : أعمل سائر الأعمال . فأشتراه بثلاثمائة مثقال من الذهب وأنطلق به الى الملك . فلما رآه أجلّه وعظمه ، وسأل التاجر عنه فأخبره أنه اشتراه على أن يعمل سائر الأعمال . فقال له الملك : أريد أن تبني لي

قصرًا لم يُعَمَلْ مثله لأحد قط . قال تومًا : لك ذلك على ، ولكن أرضك حارة ،
 وإذا بُنِيَ في زمن الحَر كان حارًا لا يُسَكَن من حرّه ، وكذلك في زمن البرد يكون
 باردًا ، ولأني لأرى أن يُعَمَل في زمن الاعتدال ، فوافقه الملك على رأيه . وعرض
 للملك غَزاةً فخرج إليها واستخلف أخاه على الملك ، وأمره أن يدفع تومًا ما يحتاج
 إليه من الأموال للنفقة على القصر ، فصرف له أموالًا كثيرة ، ففرقها توما في الفقراء
 والمساكين حتى أغناهم ، ثم مرض أخو الملك مرضًا شديدًا وغاب عن حسّه
 وحركته سبعة أيام . فقدم الملك وهو على تلك الحال ، فلما ردّ الله عليه رُوحه
 قال الملك لتوما : ما فعلت في القصر ؟ قال : قد فرغت منه . فقال الملك
 لأخيه : ما الذي أعطيتَه من مالى ؟ قال : جميع ما في بيت مالك . قال :
 فهل رأيت القصر ؟ قال : إنه قبض منى المال ثم اشتكت فقلت لتوما : أين
 بنيت هذا القصر ؟ قال : بنيتُه لك في السماء . قال : وكيف لبسُ أُنال به
 السماء ؟ قال : تنال السماء بالسُّلم الذى نالها به أخوك . فقال له أخوه : اسمع منى
 أيها الملك أخبرك بالعجب ، فإنك لو تعلم ما أدخل عليك هذا الرجل من الخير
 وصرف عنك من الشرّ لقيت قدميه وجعلته فوق رأسك . قال : أخبرنى خبره .
 قال : أخبرك أن الله عزّ وجلّ عرّج بروحى ، فعرضنى على النار فرأيتُ أمرًا عظيمًا
 مهولًا ووصفه لأخيه ، ووصف له صفة ما يُعَذَّب به أهل الشُّرك بالله وعبدة
 الأوثان . قال : ثم قيل لى : إن الله عرضك على النار فأراك ما رأيت لتكون لمن
 خلّقت نذيرًا ، وسيريك الجنة ، لتبشّرها قومك ، ولتخبر من خلّقت بما رأيت .
 قال : فأدخلت الجنة فرأيت كذا وكذا ، ووصف الجنة ونعيمها وما فيها . قال :
 وتبّيت إلى قصر عظيم من أعظم قصورها وأبوابه مغلقة ، فقلت لخزنة الجنة : إني أحب
 أن أشاهد باطن هذا القصر فأتى لم أر مثله . قالوا : إن صاحبه الآن في الدنيا

ومفاتيحه عند ملك من الملائكة . قلت : فلمن أذخر هذا القصر ؟ قالوا : هذا لأخيك فلان وهو الآن في الدنيا ، وعنده رسول من عند الله يقال له توما الحواري من حوارتي عيسى بن مريم . فإذا رجعت إليه فبشره وأخبره أنه القصر الذي بناه له توما في السماء ، وأنفق فيه بيت ماله . ثم ردَّ الله بعد ذلك على رُوحى ، وأنت تعلم يا أخى أن لى شَطْرَ مالك ومُلْكك وخزائنك ، وتعلم ما لى بعد ذلك من الأموال والخزائن ، وأنا أعطيك جميع ذلك على أن تُعطيني قصرك الذى رأيتك فى الجنة . قال : يا أخى ، ما كنت لأعطيك الباقي بالفانى . ثم أقبل على توما وآمن به هو وأهل مملكته ، ولم تزل تلك الأمة على دين عيسى حتى أبادها الموت .

ذكر خبر لوقا الحواري مع ملك فارس

٧٣
٢

١٠ قال : وأصبح لوقا على باب مدينة من مدائن فارس ، وهى التى يسكنها الملك ، فإذا غلمان من أبناء الملوك وأبناء الوزراء جلوس على قارعة الطريق يلعبون بفلاس الحواري الى جانب غلام منهم وسأله كيف يلعب ، فغلب جميع أولئك . فلما تفرقوا دعاه الغلام الى منزله ، فقال له : اذهب الى أبىك وأستأذنه فى ذلك . فأنطلق الغلام الى أبيه وأخبره بخبر الشيخ ، فأذن له أن يأتيه به ، فرجع اليه وقال له : إن أبى يدعوك ، فأقبل معه . فلما ولىح باب الدار قال : بأسم الله . فخرج كل شيطان فى الدار ، وصاحب الدار ينظر الى ذلك ، وكانت الشياطين تظهر لهم وتشاركهم فى طعامهم وشرابهم ، فعجب صاحب الدار من ذلك . وقدم الطعام فأقبلت الشياطين لتأكل على عاداتها ، فقال لوقا : بأسم الله ، فنفرت الشياطين وفتزت من الدار . فقال الشيخ : قد رأيت منك اليوم ما لم أراه من أحد ، وإن لك لشأنا ، وخلا به وقال : لا بد أن تُخبرنى خبرك ولا تكتمنى أمرك . قال : على أن تكتمه ولا تذكره إلا أن

٢٠

آذَنَ لَكَ، قَالَ نَعَمْ . فَاسْتَوْتَقِ مِنْهُ وَأَخْبِرْهُ بِخَبْرِهِ . ثُمَّ قَالَ لَهُ لُوقَا : أَخْبِرْنِي أَيُّ مَالِ الْمَلِكِ أَحَبُّ إِلَيْهِ وَأَعْجَبُ عِنْدَهُ ؟ قَالَ : مَا شِئٌ مِنْ مَالِهِ أَحَبُّ إِلَيْهِ وَأَعْجَبُ عِنْدَهُ مِنْ يَرْدُونٍ حَتَّى إِنَّهُ يَرْكَبُهُ مِنْ سَرِيرِهِ . ثُمَّ أَقَامَ مَدَّةً ، فَقُدِّمَ الْيَرْدُونُ إِلَى الْمَلِكِ لِيَرْكَبَهُ عَلَى عَادَتِهِ ، فَلَمَّا صَارَ إِلَى جَانِبِ السَّرِيرِ خَرَّ مَيِّتًا ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْمَلِكِ وَأَلَمَهُ وَقَالَ :

وَدِدْتُ لَوْ فِدَيْتُهُ بِمَالٍ عَظِيمٍ ، وَحَزِنَ جِلْسَاءُ الْمَلِكِ وَخَوَاصُّهُ لِحَزْنِهِ . قَالَ : وَجَاءَ الرَّجُلُ إِلَى لُوقَا وَقَدْ حَزِنَ لِحَزْنِ الْمَلِكِ ، فَسَأَلَهُ عَنْ سَبَبِ حَزْنِهِ فَذَكَرَ لَهُ قِصَّةَ الْيَرْدُونِ ، فَقَالَ لَهُ : ارْجِعْ إِلَى الْمَلِكِ وَقُلْ لَهُ : إِنِّي أَحْيَيْتُهُ لِيَأْطَاعَنِي فِيمَا أَقُولُ . فَارْجِعْ إِلَى الْمَلِكِ وَأَخْبِرْهُ بِذَلِكَ ، وَقَالَ : إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ لَمَّا عَبَّرَ إِلَى مَنَازِلِ نَفَرَتِ مِنْهُ الشَّيَاطِينُ وَلَمْ تَطْعَمْ مِنْ طَعَامِنَا ، وَكَانَتْ تَأْكُلُ مَعَنَا قَبْلَ ذَلِكَ وَتَشْرَبُ كَمَا عَلِمْتَ ، وَقَدْ قَالَ :

إِنِّي أَطَاعَنِي الْمَلِكُ أَحْيَيْتُهُ لِيَرْدُونَهُ . فَقَالَ الْمَلِكُ : إِنَّ نَفْسِي لَتَطْيِبُ بِكَ شَيْءٌ أَحْيَيْتُهُ بِهِ هَذَا الْيَرْدُونُ ، فَعَلَى بِالرَّجُلِ ، فَأَحْضَرَهُ إِلَى الْمَلِكِ . فَلَمَّا دَخَلَ الدَّارَ لَمْ يَبْقَ بِهَا شَيْطَانٌ إِلَّا خَرَجَ . ثُمَّ جَلَسَ لُوقَا إِلَى جَانِبِ الْمَلِكِ ، فَقَالَ لَهُ : بَلِّغْنِي أَنَّكَ تُحْيِي الْمَوْتَى ، فَأَتَّحِي لِيَرْدُونِي هَذَا . فَقَالَ لَهُ : إِنِّي أَطْعَمُنِي فِيمَا أَقُولُ لَكَ أُحْيِي يَرْدُونَكَ . قَالَ الْمَلِكُ : مُرْنِي بِمَا شِئْتَ . قَالَ : أَدْعُ ابْنَكَ وَأَمْرَأَتَكَ ، وَكَانَ ابْنُهُ وَلِيَّ عَهْدِهِ

وَأَمْرَأَتُهُ مِنْهُ بِمَكَانٍ ، فَأَخَذَ لُوقَا بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْيَرْدُونِ ، وَكَلَّمَ مِنَ الْمَلِكِ وَابْنِهِ وَأَمْرَأَتِهِ بِقَائِمَةٍ ، ثُمَّ قَالَ الْحَوَارِيُّ بِالْفَارَسِيَّةِ : «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، خَالِقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ ، أَحْيِ هَذَا الْعَضْوُ الَّذِي فِي يَدِي » فَتَحَرَّكَ ذَلِكَ الْعَضْوُ . ثُمَّ قَالَ لِلْمَلِكِ : قُلْ كَمَا قُلْتُ ، فَقَالَ الْمَلِكُ مِثْلَ قَوْلِهِ . فَتَحَرَّكَ الْعَضْوُ الَّذِي فِي يَدِهِ . ثُمَّ قَالَ لِابْنِهِ : قُلْ كَمَا أَقُولُ ، فَقَالَ

فَتَحَرَّكَ الْعَضْوُ الثَّالِثُ ، ثُمَّ قَالَ لِأَمْرَأَتِهِ : قُولِي كَمَا قُلْتُ ، فَدَعَتْ بِدَعَائِهِ ، فَتَحَرَّكَ الْعَضْوُ الَّذِي فِي يَدِهَا . ثُمَّ قَالَ لَهُمْ : قُولُوا جَمِيعًا كَمَا أَقُولُ ، فَقَالُوا كُلُّهُمْ : «اللَّهُمَّ

ربّ السموات والأرض خالق السموات والأرض وما فيهما لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك أنحي هذا البرذون» . فقام البرذون حياً ينفُض ناصيته . فعجب الملك والناس من ذلك . وسأله الملك عن خبره فأخبره أنه رسول عيسى بن مريم إليه وإلى قومه يدعوهم إلى عبادة الله تعالى ، فأمنوا به . وقد قيل : إن الذي أرسل إلى أرض فارس متى الحواري ، وإنه لما دخل على الملك كان الملك سكرانا ، فلما أحيا الفرس أمر الملك أصحابه بقتل متى فقتلوه . فلما أفاق الملك من سكره سأل عنه فقيل له : إنك أمرت بقتله فقتلناه ، فقال : ما علمتُ بذلك . فقاموا إليه وغسلوه وكفنوه ودفنوه . ويقال : إن الله تعالى بعد دفنه خسف بالملك وأولاده وأهله . والله أعلم . ولنصل أخبار الحواريين بنجر جرجيس وإن لم يكن منهم ، فقد كانت له قصة عجيبة تلحق بهم .

ذكر خبر جرجيس رحمة الله عليه

قال أبو اسحاق الثعلبي رحمه الله تعالى في كتابه المترجم بـ «يواقيت البيان في قصص القراء» بإسناده عن وهب بن منبه قال : كان بالموصل ملك يقال له داديه ، وكان قد ملك الشام كله ودان له أهله ، وكان جبارا عاتيا ، وكان يعبد صنما يقال له أفلون ، وكان جرجيس عبدا صالحا من أهل فلسطين قد أدرك بقايا من حوارتي عيسى عليه السلام ، وكان تاجرا عظيما كثير المال عظيم الصدقة ، وكان لا يأمن ولاية المشركين

(١) في الطبري (ص ٧٩٦ من القسم الأول) : « دادانه » وقد أشار مصححه في الهامش إلى أنه ورد في بعض النسخ « دادايه » و « دازانه » . وفي تاريخ ابن الأثير (ج ١ ص ٢٦٤ طبع أوربا) « دازانه » وأشار مصححه في الهامش إلى أنه ورد في بعض النسخ

- عليه مخافة أن يفتنوه عن دينه . نخرج يريد الموصِل ومعه مال يريد أن يهديه إليه حتى لا يجعل لأحد من الملوك عليه سلطاناً دونه . فجاء حين جاءه وقد برز في مجلس له وأمر بصنمه أفلون فنصب وأوقد ناراً، فمن لم يسجد لصنمه أُلقي في النار . فلما رأى حرجيس ذلك قُطع به وهاله وأعظمه وحدث نفسه بجهاذه، وألقى الله تعالى في نفسه بغضه ومجاهده . فعمد إلى المال الذي أراد أن يهديه له فقسمه في أهل ملته حتى لم يبقَ منه شيء وكره أن يجاهده بالمال . ثم أقبل عليه وقال له : إنك عبد مملوك لا تملك لنفسك شيئاً ولا لغيرك، وإن فوقك رباً هو الذي ملكك وغيرك، وهو الذي خلقك ورزقك ويحييك ويميتك ويضررك وينفعك، وإنك عمدت إلى خلق من خلقه قال له : كن، فكان أصم أبكم لا ينطق ولا يسمع ولا يفنى عنك من الله شيئاً، فزيّنته بالذهب والفضة فتنة للناس، ثم عبده من دون الله . فكان من جواب الملك ١٠
- إياه أن سألته عن حاله وأمره ومن هو ومن أين هو . فأجابه جرجيس : أنا عبد الله وأبن عبده وأبن أمته أذلّ عباده وأفقرهم إليه ، من التراب خلقت وإليه أصير . فقال له الملك : لو كان ربك الذي تزعم كما تقول لرُمي عليك أثره كما رُمي أثرى على من حولى وفي طاعتي . فأجابه جرجيس بتحميد الله وتعظيم أمره وقال : تعدل أفلون الأصم الأبكم الذي لا يفنى عنك شيئاً رب العالمين الذي قامت السموات والأرض بأمره ! . أو تعدل طرقلينا وما نال بولايتك فإنه عظيم قومك بما نال إلياس ١٥

(١) الموصِل : مدينة بأرض الجزيرة على نهر دجلة على جانبه الغربي، قديمة العهد لا يعلم من بناها . وفي قبالتها على البر الشرق منها أطلال مدينة نينوى قاعدة ملك آشور ، وهي التي أرسل إليها النبي يونس عليه السلام . وكانت قاعدة ملك بن حمدان ، ثم انتقلوا منها إلى حلب ، ثم كانت قاعدة الدولة الزنكية . (راجع معجم الخريطة التاريخية للممالك الإسلامية للرحوم أمين راصف بك) .

(٢) في الطبري (ص ٧٩٨ من القسم الأول) : « طرقلينا » . وأشار مصححه في الهامش إلى أنه ورد في بعض النسخ : « طرقلينا » . وفي تاريخ ابن الأثير (ج ١ ص ٢٦٤ طبع أوربا) : « طرقلينا » .

بولاية الله تعالى ؛ فإنّ إلياس كان في بدء أمره آدمياً يأكل الطعام ويمشي في الأسواق فلم تزل به كرامة الله تعالى حتى أنبت له الريش وألبسه النور فعاد إنسياً ملكياً سماًوياً أرضياً يطير مع الملائكة ! أم تعدل تخْلِطِيس^(١) وما نال بولايتك فإنه عظيم قومك ، بالمسيح بن مريم وما نال بولاية الله تعالى فإنّ الله فضّله على رجال العالمين وجعله [وأمه] آية للعابرين ! أم تعدل أمر هذه الروح الطيبة التي اختارها الله لكلمته وسودها على إمانه وما نالت بولاية الله تعالى ، بأزبيل^(٢) وما نالت بولايتك فإنها كانت من شيعتك وعلى ملّك ، فأسلمها الله مع عظم ملّكها حتى آفقتحت عليها الكلاب في بيتها فأنتهشت لحمها وولغت في دمها ، وقطعت الضباع أوصالها ! . فقال الملك : إنك انتحدثنا عن أشياء ليس لنا بها علم ؛ فأتني الرجلين اللذين ذكرت أمرهما حتى أنظر إليهما ، فإنني أنكر أن يكون هذا من البشر . قال له حرجيس : إنما جاءك الإنكار من قبل الغرة بالله تعالى . وأما الرجلان فلن تراهما ولا يريانك إلّا أن تعمل بعملهما فتزول منازلهما . فقال له الملك : أما نحن فقد أعذرنا اليك وتبين لنا كذبك لأنك نفرت بأمور عجزت عنها . ثم خيره الملك بين العذاب وبين السجود لأفلون . فقال حرجيس : إن كان أفلون هو الذي رفع السماء ووضع الأرض فقد أصبت ، وإلّا فاحسأ أيها التجسّس الملعون . فلما سمعه الملك غضب وسبه وسبّ إلهه وأمر بنخشة فنصبت له وجعل عليها أمشاط الحديد فخدش بها جسده حتى تقطع لحمه وجلده وعمرقه ، ونضح خلال ذلك الخلل والخردل ، فحفظه الله تعالى من ذلك الألم والهلاك . فلما رأى ذلك لم يقتله أمر بستة مسامير من حديد فأحيت ، حتى إذا جُعِلت ناراً ستر

(١) في الطبري (ص ٧٩٨ من القسم الأول) : « مجليطيس » . وأشار مصححه في الهامش إلى

أنه ورد في بعض النسخ : « مجليطيس » و « مخليطيس » و « مجليطيس » . وفي تاريخ ابن الأثير

(ج ١ ص ٢٦٥) : « مخليطيس » . (٢) زيادة عن الثعلبي .

(٣) كذا في الطبري (ص ٧٩٨ من القسم الأول) والثعلبي . وفي الأصول : « بأزبيل » .

- بها رأسه حتى سال دماغه ، حفظه الله من الألم والهلاك . فلما رأى ذلك لم يقتله أمر بَحَوْض من نحاس وأوقد عليه حتى إذا جعله ناراً أمر به فأدخل في جوفه وأطبق عليه فلم يزل فيه حتى برد [حره] ^(١) . فلما رأى أن ذلك لم يقتله دعا به فقال : يا جرجيس ، أما تجد ألم هذا العذاب الذى تُعَذِّب به ؟ فقال : إن ربى الذى أخبرتك به حمل عنى [ألم العذاب] وصبرنى لأحتج عليك . فلما قال له ذلك أيقن الملك بالشر وخافه على نفسه ومملكه ، واجتمع رآيه أن يخلّده فى السجن . فقال له الملا من قومه : إنك إن تركته طليقا فى السجن [يكلم الناس] يوشك أن يميل بهم عليك ، ولكن أمر له بعذاب فى السجن يشغله عن كلام الناس . فأمر به فُبَطِّح [فى السجن] على وجهه ثم أوتد ^(١) [له] فى يديه ورجليه أربعة أوتاد من حديد [فى كل ركن منها وتد] ^(١) ، ثم أمر بأسطوان من رخام فوضع على ظهره ، وحمل ذلك الأسطوان ثمانية عشر رجلا ، فظل يومه [ذلك] موتداً تحت الحجر . فلما أدركه الليل أرسل الله تعالى [إليه] ملكاً فقلع عنه الحجر ونزع الأوتاد وأطعمه وسقاه وبشّره وعزّاه . فلما أصبح أخرجه من السجن وقال له : الحق بعدوك بغاهده فى الله حق جهاده ، فإن الله يقول لك : أبشر واصبر فإنى قد ابتليتك بعدوك هذا سبع سنين يعذبك ويقتلك فهين أربع مرّات ، فى كل ذلك أردت إليك روحك ، فإذا كانت الرابعة تقبّلت روحك وأوفيتك أجرى . قال : فلم يشعر الملك وأصحابه إلا وجرجيس قد وقف على رؤوسهم وهو يدعوهم إلى الله تعالى . فقال له الملك : يا جرجيس من أخرجك من السجن ؟ قال : أخرجنى الذى سلطانه فوق سلطانه . فلما قال له ذلك ملي غيظا ودعا بأصاف العذاب حتى لم يخلّف منها شيئا . فلما رآها جرجيس أوجس فى نفسه خيفة وفزعا منها ، ثم أقبل على نفسه يعاتبها بأعلى صوته وهم يسمعون .

- فلما فرغ من عتابه نفسه مدّوه بين خشبتين ثم وضعوا سيفاً على مفروق رأسه
فنشروه حتى سقط من بين رجليه وصار قطعتين ، فعمدوا إلى أجزائه فقطعوها
قطعا ، وللك سبعة أسود ضارية ، وكانوا صنفا من أصناف عذابه ، فرموا بجسده
إليها . فأمرها الله تعالى فخفضت له برءوسها وأعناقها وقامت على برائنها ، فظل
يومه ذلك ميتا وهي أول مودة ماتها . فلما أدركه الليل جمع الله جسده الذي
قطعوه بعضه إلى بعض حتى سواه ، ثم ردّ الله تعالى إليه روحه وأرسل ملكا
فأخرجته من قعر الحب فاطعمه وسقاه وبشّره وعزّاه . فلما أصبحوا قال له
الملك : يا حرجيس ، قال : آيبك ! قال : اعلم أن القدرة التي خلق الله تعالى بها آدم
من التراب هي التي أخرجتك من قعر الحب ، الحق بعدوك وجاهد في الله حق
جهاده ومث موت الصابرين . فلم يشعر الملك وأصحابه إلا وقد أقبل حرجيس
وهم في عيد لهم عكوف عليه صنعوه فرحا بموت حرجيس . فلما نظروا إليه وقد أقبل
قال الملك : ما أشبه هذا بحرجيس ! قالوا : كأنه هو . قال الملك : ما يحرجيس
من خفاء إنه لهو ، ألا ترون إلى سكوت ريجه وقلة هيئته . قال حرجيس :
أنا هو ، بنس القوم أتم ! قتلتم ومثلتم فأحياني الله بقدرته ، فاهلموا إلى هذا الرب
العظيم الذي أراكم ما أراكم . فلما قال لهم ذلك أقبل بعضهم على بعض وقالوا :
ساحر سحر أعينكم . وجعوا من كان ببلادهم من السحرة . فلما جاءوا قال الملك
لكبيرهم : اعرض على من كبير سحر ما يقتر عني . قال : ادع لي بشور من البقر .
فلما أتى به نفث في إحدى أذنيه فأنشقت بأننتين ، ثم نفث في الأخرى فإذا هو
توران ، ثم دعا بيدرخيرث ويذر ، فشب الزرع وأستحصد ، ثم دُرس وذُرى وطُحن
وُجِن وخُبز ، كل ذلك في ساعة واحدة . فقال الملك : هل تقدر أن تمسخه لي
دابة ؟ قال الساحر : أتى دابة أمسخه لك ؟ قال : كلبا . قال : ادع لي بقَدَح من ماء .

فلما أتى بالقدح نفث فيه الساحر ثم قال : أعزِمُ عليه أن يشربه ، فشربه حَرَجِيس حتى أتى على آخره . فلما فرغ منه قال له الساحر : ماذا تجد ؟ قال : ما أجد إلا خيراً ، قد كنتُ عطِشْتُ فلطَفَ اللهُ بي بهذا الشراب فقَوَّاني به عليكم . فأقبل الساحر على الملك فقال له : اعلم أيها الملك إنك لو كنتَ تقامى رجلاً مثلك إذاً لقد كنتَ غلبته ، ولكلُّك تُقامى جبارُ السموات والأرض . وهو الملك الذى لا يرام .

- قال : وكانت امرأةٌ مسكينةٌ من أهل الشام سمعت بِحَرَجِيس وما يصنع من الأعاجيب ، فأنته وهو فى أشدِّ ما هو فيه من البلاء ، فقالت له : يا حَرَجِيس ، إني امرأةٌ مسكينةٌ ولم يكن لى مالٌ إلا ثوراً أحرث عليه فات ، بفتكتك لترحمنى وتدعوا الله تعالى أن يُحيى لى ثورى . فذرفت عيناه ، ثم دعا الله تعالى أن يُحيى لها ثورها ، وأعطاهَا عصاً وقال لها : اذهبي الى ثورك فاقريه بهذه العصا وقُولِي له : إني بإذن الله . فقالت : يا حَرَجِيس ، مات ثورى منذ أيام ومزقته السباع ، وبني وبينه أيام . فقال : لو لم تجدى منه إلا سنّاً واحدة ثم قرّعتها بالعصا لقام بإذن الله تعالى . فأطلقت حتى أنت مضرّع ثورها ، وكان أولُ شيء بدا لها أحد روقيه وشعر أذنيه ، فجملت أحدهما الى الآخر ثم قرعتهما بالعصا وقالت كما أمرها ، فقام الثور بإذن الله تعالى وعملت عليه . قال : فلما قال الساحر للملك ما قال ، قال رجل من أصحاب الملك ، وكان أعظمهم من بعد الملك ، إنكم قد وضعتم أمرَ هذا الرجل على السحر ، وإنكم عذبتموه فلم يصل اليه عذابكم ، وقتلتموه فلم يمت ، فهل رأيتم ساحراً يدرأ عن نفسه الموت وأحياناً ميتاً قط ؟ فقالوا له : إن كلامك لكلام رجلٍ قد صغا إليه فعله استهواك . فقال : بل آمنتُ بالله ، وأشهدوا أنى برىء مما تعبدون . فقام اليه الملك وأصحابه بالخناجر فقتلوه . فلما رأى القوم ذلك اتبع حَرَجِيس أربعة آلاف رجل . فعمد اليهم الملك فأوقفهم ، ثم لم يزل يعذبهم بأنواع العذاب حتى أفتانهم . فلما

فرغ منهم قال لجرجيس : هَلَّا دعوت ربك فأحيا لك أصحابك هؤلاء الذين قُتِلُوا
 بجريرتك ! . فقال له جرجيس : ما خُلِّي بينك وبينهم حتى حان لهم . فقال رجل من
 عظماء أصحابه يقال له تَحْلُطِيس : إناك زعمت يا جرجيس أن إلهك هو الذى يبدأ
 الخلق ثم يعيده ، وإني سألك أمراً إن فعله إلهك أمنت بك وصدقتك وكفيتك ،
 ٥ إن حولنا أربعة عشر كرسيًا ومائدة ، وبيننا أقداحٌ وصحافٌ وهى من أشجار شتى ،
 فادعُ إلهك ينشئ هذه الكراسى والأواني كما بدأها أول مرة حتى تعود خضراء يُعرف
 كلُّ عود منها بلونه وورقه وزهره . فقال له جرجيس : قد سألت أمرا عزيزا على
 عليك ، وإنه على الله لهين ، ودعا الله عز وجل ، فإبرحو من مكانهم حتى أخضرت
 تلك الكراسى والأواني كلها وساخت عروقها وألبست اللحاء وتسعبت فأورقت
 وأزهرت وأثمرت . فلما نظروا الى ذلك انتدب له تَحْلُطِيس الذى تَمَنَّى عليه ما تَمَنَّى
 ١٠ فقال : أنا أعذب لكم هذا الساحر عذابا يضل عنه كيده . فعمد الى نحاس فصنع منه
 صورة نور أجوف واسع ، ثم حشاه نِفْطًا ورصاصا وكبريتا وزرنيخا ، ثم أدخل جرجيس
 مع الحشو فى جوفه ، ثم أوقد تحت الصورة حتى ألهبت وذاب كل شئ فيها
 وأختلط ، ومات جرجيس فى جوفها . فلما مات أرسل الله عز وجل ريحا عاصفا
 ١٥ ففلاّت السماء سحابا أسودَ مظلمًا ، فيه رعد وبرق وصواعق ، وأرسل الله تبارك
 وتعالى إعصارا ملأت بلادهم عجاجا وقنما حتى أسود ما بين السماء والأرض ،
 ومكثوا أياما متحيرين فى تلك الظلمة لا يفصلون بين الليل والنهار ، وأرسل الله
 تعالى ميكائيل فأحتمل الصورة التى فيها جرجيس ، حتى اذا أقبلها ضرب بها الأرض
 ففزع من روعها أهل الشام أجمعون نَحَرُوا على وجوههم صِعَيقين ، وأنكسرت
 ٢٠ الصورة فخرج منها جرجيس حيا . فلما وقف يكلّهم انكشفت الظلمة وأسفر ما بين
 السماء والأرض ورجعت اليهم أنفسهم . فقال له رجل يقال له طَرْفَلينا : لا ندرى

يا جرجيس أنت تصنع هذه الأعاجيب أم ربك ! فإن كان ربك هو الذى يصنع هذا فادعُه يُحي موتانا ؛ فإن في هذه القبور أمواتا منهم من يعرف ومنهم من لا يعرف . فقال له جرجيس : لقد علمت ما يصفح الله عنكم هذا الصفع ويربكم هذه الأعاجيب إلا كانت عليكم حجة ، فتستوجبوا غضبه ، ثم أمر بالقبور فنبشت وهى عظام رفأت وأقبل على الدعاء ، فما برحوا من مكانهم حتى نظروا الى سبعة عشر إنسانا : تسعة رهط وخمس نسوة وثلاثة صبية ، وإذا فيهم شيخ كبير . فقال له جرجيس : يا شيخ ، ما أسمك ؟ فقال : يا جرجيس اسمى نوسيل . قال : متى مت ؟ قال : فى زمان كذا وكذا . فحسبوا فإذا هو مات منذ أربعمائة سنة . فلما نظر الملك وأصحابه الى ذلك قالوا : ما بقى من أصناف العذاب شئ إلا وقد عذبتموه به إلا الجوع والعطش ، فعدبوه بهما . فعمدوا الى بيت عجوز كبيرة ، وكان لها ابن أعمى أصم أبكم مقعد ، فحصروه فى بيتها ولا يصل اليه من عند أحد طعام ولا شراب . فقال له الجوع قال للعجوز : هل بقى عندك من طعام أو شراب ؟ قالت : لا والذى يُحلف به ما عهدنا الطعام منذ كذا وكذا ، وسأخرج ألتس لك شيئا . فقال لها جرجيس : هل تعرفين الله تعالى ؟ قالت نعم . قال : فإياه تعبدين ؟ قالت لا . فدعاها الى الله عز وجل فصدقته ، وانطلقت تطلب له شيئا ، وفى بيتها دعامه من خشبة يابسة تحمل خشب البيت ، فأقبل على الدعاء ، فاخضرت تلك الدعامه وأنبتت له كل فاكهة تؤكل أو تعرف ، حتى كان فيها اللوبيا واللبن مثل البردى يكون بالشام ، وظهر للدعامه فروع من فوق البيت أظلمته وما حوله . فأقبلت العجوز وهو فيها شاء يأكل رغدا . فلما رأت الذى حدث فى بيتها من بعدها قالت : آمنت بالذى أطعمكم ، فادعُ هذا الرب العظيم ليشفى أبى . قال : أدنيه منى ، فادنته ، فبصق

$$\frac{٧٧}{٢}$$

- في عينيه فأبصر، ونَقَتْ في أذنيه فسمع . قالت له : أَطْلِقِ لسانه ورجليه رحلك
الله . قال : خذيه فإن له يوما عظيما . وخرج الملك يوما ليسيروا في مدينته ، إذ وقع بصره
على الشجرة ، فقال : إني أرى شجرة بمكانٍ ما كنتُ أعرفها به . قالوا : تلك شجرة
نبئت لذلك الساحر الذي أردتُ أن تعذِّبه بالجوع ، فهو فيما شاء وقد شبع منها
وأشبع العجوز الفقيرة وشفى لها أبناها . فأمر الملك بالبيت فهُدِمَ وبالشجرة لُتِّقَطِعَ .
فلما هموا بقطعها أيبسها الله تعالى وردّها كما كانت أول مرة ، فتركوها . وأمر
بجرجيس فُبَطِّحَ على وجهه وأُوتِدَ له أربعة أوتاد ، وأمر بعجلة وأوقرها أسطوانا
وجعل في أسفل العجلة خناجر وشِفاراً ، ثم دعا بأربعين ثوراً فنهضت بالعجلة
نهضةً واحدة وجرّجيس تحتها ، فأَنَقَطَعَ ثلاث قطع ، فأمر بقطعها فأحرقت بالنار ، حتى
إذا عادت رمادا بعث بذلك الرماد وبعث معه رجالاً فذرّوه في البحر ، فلم يبرحوا
من مكانهم حتى سمعوا صوتاً من السماء : يا بحر ، إن الله يأمرك أن تحفظ ما فيك
من هذا الجسد الطيب ، فإني أريد أن أعيده كما كان . ثم أرسل الله تعالى الريح
فأخرجته ثم جمعته حتى صار الرماد صُبْرَةً كهَيْئَتِهِ قبل أن يذروه ؛ فخرج منه جرجيس
مغبراً ينفُضُ رأسه ، فرجعوا ورجع جرجيس ، فأخبروا الملك خبر الصوت [الذي
سمعوا] والريح التي جمعته ، فقال : هل لك يا جرجيس فيما هو خيرٌ لي ولك مما نحن فيه ؟
ولولا أن يقول الناس إنك قهرتني وغلبتني لآتبتك وآمنتُ بك ، ولكن اسجد لأفلون
سجدة واحدة وأذبح له شاة واحدة ، ثم إني أفعل ما يسرك . فقال له : نعم ، مهما شئت
فعلت ، فادخلني على صنك . ففرح الملك بقوله فقام وقبل يديه ورجليه ورأسه وقال : إني
أعزم عليك ألا تظل هذا اليوم إلا عندي ، ولا تبئت هذه الليلة إلا في بيتي وعلى
فراشي ، حتى تستريح ويذهب عنك وَصَبُ العذاب ، ويرى الناس كرامتك على ،

- فأُخِلَّ له بيت فظلَّ فيه جرجيس ، حتى إذا أدركه الليل قام يصليّ ويقرأ الزُّبور ، وكان أحسن الناس صوتا . فلَمَّا سمعت امرأة الملك آستجابت له ، فلم يشعرُ إلَّا وهي خلفه تبكي معه ، فدعاها جرجيس الى الإيمان فأمنت به ، وأمرها فكتمت إيمانها . فلَمَّا أصبح غدا به الملك الى بيت الأصنام ليسجد لها . [وقيل للعجوز التي كان سجن في بيتها : هل علمت أن جرجيس قد فتن بعدك فأصغى الى الدنيا وقد خرج به الملك الى بيت أصنامة ليسجد لها ^(١)] فخرجت العجوز تحمل أبنها على عاتقها وتوَجَّه جرجيس والناس مشغولون عنها . فلَمَّا دخل جرجيس بيت الأصنام ودخل الناس معه نظر فإذا العجوز وآبنها على عاتقها أقرب الناس اليه مقاما ؛ فدعا ابن العجوز بأسمه فناطق وأجابه ولم [يكن ^(١)] يتكلَّم قبل ذلك ، ثم أقفح عن عاتق أمه يمشي على رجليه وهما مستويتان وما وطئ على الأرض قبل ذلك قط . فلَمَّا وقف بين يدي جرجيس قال : اذهبْ فادعُ لي هذه الأصنام وهي حينئذ سبعون صنما على منابر من ذهب ، وهم يعبدون الشمس والقمر معها . فقال له الغلام : كيف أدعو الأصنام ؟ قال : قل لها إن جرجيس يسألك ويعزم عليك بالذي خلقك إلَّا أجبتيه . قال : فلَمَّا قال لها الغلام ذلك أقبلت تدحرج الى جرجيس ، فلَمَّا انتهت اليه ركض الأرض برجله نخسف بها وبمنابرها ، وخرج إبليس من جوف صنم منها هاربا فرقا من الخسف ، فلَمَّا مرَّ بجرجيس أخذ بناصيته ، نخضع له وكلمه جرجيس فقال له : أخبرني أيها الرُّوح النجسة والخلق الملعون ، ما الذي يملك على أن تُهلك نفسك وتُهلك الناس وأنت تعلم أنك وجُندك تصيرون الى جهنم ؟ فقال له إبليس : لو خيَّرتُ بين ما أشرقت عليه الشمس وأظلم عليه الليل وبين هلكة واحد من بني آدم وضلالته طرفة عين لأخترته على ذلك كله ، وإنه ليقعُ لي من الشهوة واللذة في ذلك مثل جميع ما يتلذذ به جميع الخلاق . ألم تعلم يا جرجيس أن الله تعالى

٧٨
٢

أَسْجِدْ لَأَبْنِكَ آدَمَ جَمِيعَ الْمَلَائِكَةِ فَسَجَدُوا كُلُّهُمْ وَأَمْتَنْتُ أَنَا مِنَ السَّجُودِ وَقُلْتُ
أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ ! . فَلَمَّا قَالَ هَذَا أَخْلَاهُ جَرَجِيسُ . فَمَا دَخَلَ إِبْلِيسُ مِنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ
جَوْفَ صَنْمٍ وَلَا يَدْخُلُهُ بَعْدَهَا فِيمَا يَذْكُرُونَ أَبَدًا . [فَقَالَ الْمَلِكُ : يَا جَرَجِيسُ خَدَعَنِي
وَعَدَرْنِي وَأَهْلَكَتَ آلِهَتِي .] فَقَالَ جَرَجِيسُ لِلْمَلِكِ : إِنَّمَا فَعَلْتَ ذَلِكَ لِتَعْتَبَرَ وَلِتَعْلَمَ
أَنَّهُ لَوْ كَانَتْ آلِهَةٌ لَأَمْتَنَتْ مَنِّي فَكَيْفَ ثَقَلْتُكَ - وَيَلِكُ - بِآلِهَةٍ لَمْ تَمْنَعْ أَنْفُسَهَا مِنِّي !
وَلِنِّمًا أَنَا مَخْلُوقٌ ضَعِيفٌ لَا أَمْلِكُ إِلَّا مَا مَلَكَنِي رَبِّي . فَلَمَّا قَالَ جَرَجِيسُ هَذَا كَلَّمَتْهُمْ
أَمْرَأَةُ الْمَلِكِ وَكَشَفَتْ لَهُمْ إِيْمَانَهَا ، وَعَدَّدَتْ عَلَيْهِمْ ^(١) [أَعْمَالَهُمْ] جَرَجِيسُ وَالْعِبَرِ الَّتِي
أَرَاهُمْ اللَّهُ تَعَالَى ، وَقَالَتْ لَهُمْ : مَا تَنْتَظِرُونَ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ إِلَّا دَعْوَةً فَيُخَسِّفُ اللَّهُ
بِكُمُ الْأَرْضَ كَمَا خَسَفَ بِأَصْنَامِكُمْ . اللَّهُ اللَّهُ أَيُّهَا الْقَوْمُ فِي أَنْفُسِكُمْ ! . فَقَالَ لَهَا الْمَلِكُ :
وَيَحْكُ يَا سَكَنْدَرَةُ ! مَا أَسْرَعَ مَا أَضَلَّكَ هَذَا السَّاحِرُ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ وَأَنَا أَقَاسِيهِ
مِنْذُ سَبْعِ سِنِينَ فَلِمَ يُظْفَرُ مِنِّي بَشْيَءٌ قَطَّ ! فَقَالَتْ : أَمَّا رَأَيْتَ اللَّهُ كَيْفَ يُظْفَرُهُ بِكَ
وَيَسْلُطُهُ عَلَيْكَ فَيَكُونُ لَهُ الْفَلَجُ وَالْحِجَّةُ عَلَيْكَ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ ! . فَأَمَرَهَا الْمَلِكُ عِنْدَ ذَلِكَ
فَحُمِلَتْ عَلَى خَشَبَةٍ جَرَجِيسُ الَّتِي كَانَ عَالِمًا عُلَّقَ ، وَحُمِلَتْ عَلَيْهَا الْأَمْشَاطُ الَّتِي جُعِلَتْ
عَلَى جَرَجِيسِ . فَلَمَّا تَأَلَّمَتْ قَالَتْ : ادْعُ رَبَّكَ يَا جَرَجِيسُ فَيُخَفِّفْ عَنِّي فَإِنِّي قَدْ
أَلَمْتُ الْعَذَابَ . فَقَالَ لَهَا : انْظُرِي فَوْقَكَ . فَلَمَّا نَظَرَتْ صَحَّكَتْ . فَقَالَ لَهَا : مَا الَّذِي
يُضْحِكُكَ ؟ قَالَتْ : أَرَى مَلَكَينَ فَوْقَ مَعَهُمَا تَاجٌ مِنْ حُلِيِّ الْجَنَّةِ يَنْتَظِرَانِ بِهِ رُوحِي
أَنْ تَخْرُجَ . فَلَمَّا خَرَجْتُ أَتَيْتُ بِذَلِكَ التَّاجِ ثُمَّ صَعِدَا بِهَا إِلَى الْجَنَّةِ . قَالَ : فَلَمَّا
قَبِضَ اللَّهُ تَعَالَى رُوحَهَا أَقْبَلَ جَرَجِيسُ عَلَى الدَّعَاءِ فَقَالَ : اللَّهُمَّ أَنْتَ أَكْرَمْتَنِي بِهَذَا
الْبَلَاءِ لَتُعْطِيَنِي فَضَائِلَ الشَّهَدَاءِ ، فَهَذَا آخِرُ أَيَّامِي الَّتِي وَعَدْتَنِي فِيهِ الرَّاحَةَ مِنْ بَلَائِكَ ،
فَإِنِّي أَسْأَلُكَ أَلَّا تَقْبِضَ رُوحِي وَلَا أَزُولَ مِنْ مَكَانِي هَذَا حَتَّى تُنْزِلَ بِهِؤَلَاءَ الْقَوْمِ مِنْ

- سطوتك ونقمتمك مالا قبيل لهم به حتى تشفى به صدرى وتقر به عيني؛ فلأنهم ظلموني وعذبوني . اللهم وأسألك ألا يدعوا بعدى دافع فى بلاء وكرب فيذكرنى ويُسِيرَ بِأَسْمَى إِلَّا فَرَجْتَ عَنْهُ وَرَحِمْتَهُ وَأَجَبْتَهُ وَشَفَعْتَنى فِيهِ . فلَمَّا فرغ من هذا الدعاء أمطر الله عليهم نارا من السماء . فلَمَّا رَأَوْا ذلك عمدوا اليه وضربوه بالسيوف غيظا عليه من شدة الحريق لِيُعْطِيَهُ الله تعالى بالقتلة الرابعة ما وعده . ثم احترقت المدينة بجميع ما فيها وصارت رمادا ، فحملها الله من وجه الأرض وجعل عاليها سافلها، فمكثت زمانا يخرج من تحتها دُخَانٌ مُّنتَنٌ لَا يَشْمُهُ أَحَدٌ إِلَّا سَقِمَ سَقَمًا شَدِيدًا . وكان مَنْ آمَنَ بِمُحَمَّدٍ وَفُتِلَ مَعَهُ أَرْبَعَةَ وَثَلَاثُونَ أَلْفًا وَامْرَأَةُ الْمَلِكِ . قالوا : وكان حُرَجِيسُ فى أيام ملوك الطوائف .
- ١٠ . وحيث آتتهى بنا القول فى سرد ما شرحناه من قصص الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين ، وما أتصل بذلك من الأخبار؛ فلنذكر الآن التذييل الذى شرحناه فى ترجمة هذا القسم للسبب الذى قدّمناه . وبالله المستعان .

التذييل على القسم الثالث من القرن الخامس

- يشتمل على ذكر الحوادث التى تظهر قبل نزول عيسى بن مريم الى الأرض ، وما يكون من الفتن والحروب ، وخروج من يخرج ويتغلب على البلاد ، وخروج المهديّ والدجال ونزول عيسى بن مريم وقتله الدجال ، وخروج يأجوج ومأجوج وهلاكهم ، ووفاة عيسى بن مريم ، وما يكون بعده من أشراف الساعة ويوم القيامة والتنفخ فى الصور والحشر والمعاد . مما أورد إن شاء الله تعالى ذلك من كتب الحديث الصحيح النبوى ، ومن كتاب المبتدا للكسائى ، ومن كتاب العاقبة للشيخ أبى محمد عبد الحق بن عبد الحق بن عبد الله الأزديّ "الإشبيلى" على سبيل الاختصار .
- ٢٠ .

الباب الأول

من التذييل على القسم الثالث من الفن الخامس

في ذكر الحوادث التي تظهر قبل نزول عيسى بن مريم

٧٩
٢

ولنبداً بذكر الملاحم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " سَتُصَالِحُكُمْ الرُّومُ
صُلْحًا آمِنًا ، ثُمَّ نَغْزُونَ أُنْتُمْ وَهُمْ عَدَاؤُا فَنَتَصَرُّونَ وَتَغْنَمُونَ وَتَسْلَمُونَ ثُمَّ تَنْصَرِفُونَ حَتَّى تَنْزِلُوا
بِمَرْجِ ذِي تُولُوسَ ، فَيَرْفَعُ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الصَّلِيبِ الصَّلِيبَ فَيَقُولُ غَابَ الصَّلِيبُ ، فَيَغْضِبُ
رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَيَقُومُ إِلَيْهِ فَيَدْفُئُهُ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَعْدِرُ الرُّومُ وَيَحْتَمِعُونَ لِللَّحْمَةِ فَيَأْتُونَ
حِينَئِذٍ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا " . وَعَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
" إِذَا وَقَعَتِ الْمَلَا حِمُّ بَعَثَ اللَّهُ بَعْثًا مِنَ الْمَوَالِي هُمْ أَكْرَمُ الْعَرَبِ قَرَسًا وَأَجْوَدُهُ
سِلَاحًا يُؤَيِّدُ اللَّهُ بِهِمُ الدِّينَ " . وَعَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : " الْمَلْحَمَةُ
الْكُبْرَى وَفَتْحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ وَخُرُوجُ الدِّجَالِ فِي سَبْعَةِ أَشْهُرٍ " . وَعَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ : " لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا قَوْمًا صَغَارَ الْأَعْيُنِ ذُلْفُ الْأَنْوْفِ كَأَنَّ وُجُوهَهُمْ
الْحَبَّانُ الْمُطْرَقَةُ وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا قَوْمًا نَعَالُهُمُ الشَّعْرُ " . وَفِي الْحَدِيثِ

(١) أَى عَدَاؤِ آخَرِينَ بِالمُشَارَكَةِ وَالاجْتِمَاعِ سَبَبِ الصِّلَحِ الَّذِى بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ أَوْ أَنْتُمْ تَغْزُونَ عَدُوَكُمْ
وَهُمْ يَغْزُونَ عَدُوَّكُمْ بِالْإِفْرَادِ . (٢) الْغَايَةُ هُنَا : الرَّايَةُ . (٣) وَرَوَى آبْنُ مَاجَهٍ أَيْضًا
فِي سَنَنِهِ (ج ٢ ص ٢٧٥) : « بَيْنَ الْمَلْحَمَةِ وَفَتْحِ الْمَدِينَةِ سِتُّ سِنِينَ وَيَخْرُجُ الدِّجَالُ فِي السَّابِعَةِ » .
(٤) الذَّلْفُ (بِالتَّحْرِيكِ) : قَصْرُ الْأَنْفِ وَانْبِعَاطُهَا . وَقِيلَ : ارْتِفَاعُ طَرَفِهِ مَعَ صَفَرِ أَرْنَبَتِهِ .
(٥) الْحَبَّانُ : جَمْعُ الْحَبْنِ وَهُوَ التَّرْسُ . وَالْمُطْرَقَةُ : هِيَ الَّتِى أَلْبَسْتَ طَرِاقًا ، أَى جِلْدًا يَنْشَاها .
شَبَّهَ وَجُوهَهُمْ بِالتَّرْسِ لِبَسَطَتِهَا وَتَدَوَّرِهَا ، وَبِالْمُطْرَقَةِ لِعِلَافَتِهَا وَكَثْرَةِ طَمَاحِهَا (رَاجِعْ صَحِيحَ مُسْلِمٍ ج ٨ ص ١٨٤) .
(٦) نَعَالُهُمُ الشَّعْرُ ، أَى يَخْذُونَ النِّعَالَ مِنَ الشَّعْرِ . وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَرَادَ أَنْ ذَوَانِهِمْ لَطُولُهَا وَلَوْصُولُهَا
إِلَى أَرْجُلِهِمْ كَالنِّعَالِ .

الآخر: "إن من أشرار الساعة أن تقتاتوا قوما عراض الوجوه كأن وجوههم
الحجائن المطرقة. وإن من أشرار الساعة أن تقتاتوا قوما ينتعلون الشعر". وعنه
صلى الله عليه وسلم: "لا تقوم الساعة حتى تقتاتوا قوما صغار الأعين عراض
الوجوه كأن أعينهم حدق الجراد كأن وجوههم الحجائن المطرقة ينتعلون الشعر ويتخذون
الدرق يربطون خيولهم بالنخل^(١)". خريج هذه الأحاديث ابن ماجه^(٢).

ذكر خبر المتغلبين على البلاد

وذلك مما يظهر من الفتن قبل نزول عيسى عليه السلام

قال أبو الحسن الكسائي عن كعب الأحبار: ولا بد أن يحدث بين يدي
نزول عيسى علامات وحروب وفتن، فأول من يخرج ويفلب على البلاد رجل
أسمه الأصهب من بلاد الجزيرة، ويخرج الجرمي من بلاد الشام، ويخرج
القحطاني بأرض اليمن، وهو أمثل هؤلاء الثلاثة شوكة. فبينما هؤلاء الثلاثة
في مواضعهم وقد تغلبوا على أمكنتهم بالظلم والجور إذا هم بالرجل السفيفاني قد خرج
من غوطة دمشق، وقيل: إنه يخرج من الشام، وقيل: إنه يخرج من الوادي
اليابس. وأخواله من كلب، وأسمه معاوية بن عنبسة، وهو ربع من الرجال،
دقيق الوجه، طويل الأنف، مخدود، جهوري الصوت، يكسر عينه اليمنى؛
يحسبه الذي يراه كأنه أعور وليس بأعور، يظهر في أول أمره بالزهد ويبدل
الأموال، ويحطب له على منابر الشام، ويكون جريئا على سفك الدماء لمن خالفه،
ويعطل الجمعة والجماعة. وعلامة بدء أمره أنه يخرج في كل مدينة دجال يدعو
إلى نفسه، ويظهر الفسق حتى إنهم يفجرون في المساجد، فيخرج عليهم السفيفاني

٢٠

(١) النخل: موضع غربي مسجد الأثراب. وقيل: هو على ثلاثة أميال من المدينة.

(٢) راجع كتاب سنن ابن ماجه (ج ٢ ص ٢٧٠، ٢٧١ طبع مصر سنة ١٣١٣ هـ).

حتى ينزل أرض دمشق ، فيجتمع اليه القوم ويبايعونه ، ويفزق الأموال الكثيرة بينهم حتى يقولوا هذا خير أهل الأرض . ثم يسير في الشام وعلى مقدمته رجلٌ من جُهينة يقال له ناجية حتى ينزل العراق ، فيُخرج اليه القَحَطانيّ جيشا كثيرا فيهزمهم ناجية هزيمة قبيحة ، فعند ذلك يُوجّه السُفَيانيّ ثلاث جيوش : جيش الى الكوفة فيقتلون قتلا ذريعا ، وجيش الى خراسان فيقتلون ويحرقون ، وجيش الى الروم حتى يكثر القتل منهم في الدنيا وفي كل طريق . فعند ذلك يجتمع الصالحون على السُفَيانيّ ويخوفونه عقوبة الله في سفك الدماء ، فيأمر بقتلهم وقتل العلماء والزهاد في جميع الآفاق . فعند ذلك يجتمع المسلمون على رجل من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له محمد بن عليّ فيبايعونه ويسمونه المهديّ . والله أعلم .

ذكر خبر خروج المهديّ

١٠

قال ابن عباس رضي الله عنهما : يبايع بين مكة والركن ، ويكون أول أمره على عدد أهل بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا . وقيل : إنه يخرج [قبل هذا ولي ^(١)] من قرية من قرى حرس في ثلاثين رجلا ، ثم يجتمع اليه المؤمنون من كل ناحية ، ثم ينكسف القمر ثلاث ليال متواليات ، ثم يظهر المهديّ بمكة ويشيع أمره ؛ فيبلغ ذلك [الزهرانيّ صاحب ^(١) السُفَيانيّ] ، فيبعث الى المهديّ جيشا ثلاثين ألفا فيزولون في البرية . ثم يخرج السُفَيانيّ الى البداء ، فإذا استقرّ بالموضع خسف الله تعالى بهم الأرض ، فيأخذهم الى أعناقهم حتى لا يُفلت منهم إلا رجلا نخرجان بفرسيهما ، فإذا وصلوا الى القوم رأوهم وقد خسف الله بهم ، فيخسف الأرض بواحد منهما ، ويحوّل الله وجهه الآخر الى قفاه ، فيبقى كذلك مدة حياته . ثم يخرج المهديّ

١٥

(١) الكلمة عن الكسائي . (٢) كذا في الأصول . وفي الكسائي : « مرجوش » .

٢٠

بمن معه الى بلاد الروم فيسير حتى يسمع بهلاك السفينائي وأصحابه . قال : وذلك
 قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ فُزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ ^(١) . فيحمد
 المهديّ الله تعالى على ذلك ، ويخرج الى بلاد الروم في نحو مائة ألف فيصل الى
 القُسطنطينيّة ، فيدعو ملك الروم الى الإسلام فيأبى فيقاتله ، ويدوم القتال بينهم
 شهرين ، ثم ينهزم ملك الروم . ويدخل [المسلمون] ^(٢) الى القسطنطينية ، فينزل المهديّ
 على بابها ، ولها سبعة أسوار ، فيكبر سبع تكبيرات فينهدم كل سور منها بتكبيره . ويدخلها
 المهديّ ويقتل خلقا كثيرا ويقتل ملك الروم ، ثم يرفع [عنهم] ^(٣) السيف ، ويأخذ المسلمون
 من الغنائم ما لا يُحصى ، حتى إك الرجل ليأخذ من الجوهر ما يعجز عن حمله .
 فبينما هم كذلك إذ يأتهم الخبر من خليفة المهديّ بخروج الدجال واجتماع الناس
 عليه ، فيتركون تلك الغنائم وينصرفون الى بلادهم مسرعين لمحاربة الدجال . فيقال :
 إن المهديّ يسير نحو الدجال وعلى رأسه عمامة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيلتقون
 ويقتتلون قتالا شديدا ، فيُقتل من أصحاب الدجال أكثر من ثلاثين ألفا ، ثم ينهزم
 الدجال فيمتر نحو بيت المقدس ، فيأمر الله الأرض بإمساك قوائمه خيله ، ويرسل
 عليهم ريحا حراء فتقتل منهم أربعين ألفا . قال : ثم يُقبِل المهديّ بجيشه زهاء ^(٤)
 مائة ألف ، في أيديهم الرايات البيض . فيقول المهديّ [للعسكر الدجال] : ويلكم !
 أنشكون في هذا الأعور الكذاب أنه الدجال ؟ فيقولون : لا ، ولكنّا نعيش
 في طعامه . فيمسحون في الحلال قردة وخنازير . ثم ينزل عيسى بعد ذلك الى
 الأرض ويصلّي خلف المهديّ ، على ما نذكره إن شاء الله تعالى .

(١) سورة سبأ آية ١٥ (٢) زيادة عن الكسائي .

(٣) في الأصول : « بجيشه زهاء على مائة ألف ... الخ » زيادة « على » .

(٤) عبارة الكسائي : « أنشكون في هذا الأعور الدجال أنه كذاب » .

ذكر خبر خروج الدجال وصفته

وما يكون من أمره الى أن ينزل عيسى عليه السلام

- قال كعب : إن الدجال رجلٌ طويلٌ ، عريضُ الصدر ، مطموسُ العين اليمنى ،
واليسرى كأنها كوكبٌ دريٌّ ، مكتوبٌ بين عينيه : "كافر" ، يقرؤه كل كاتب
أو غير كاتب . ويدعى أنه الرب ، ومعه يومئذ جبل من خبز ، وجبل من لحم ،
وأجناس الفواكه والخمور ، ومعه أصحاب الملاهي يمشون بين يديه بالطبول
والطناير والمعازف والعيان والنايات والصنوج وغير ذلك ، فلا يسمعه أحد إلا تبعه
وقتنه إلا من عصمه الله . ويكون معه نارٌ وجنة ، وهو يقول : مَنْ أطاعني أدخلته
الجنة ، ومن عصاني ولم يسجد لي ألقينته في النار . قال : وعلمة خروجه أن تهب
ريحٌ مثل ريح قوم عاد ، وتسمع صيحةٌ عظيمةٌ مثل صيحة قوم صالح ، ويكون مسخا
كمنخ أصحاب الرس ، وذلك عند ترك الناس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .
فإذا أخذوا في سفك الدماء واستحلوا الربا وشيدوا البنيان وشربوا الخمر . وأكفنى
الرجال الرجال ، والنساء بالنساء ، فعند ذلك يخرج الدجال من جهة المشرق من قرية يقال
لها سیراباد بين الأهواز وأصفهان ، ويخرج على حمار له . قال : وهو أحمر الحاجبين ،
أشعر الأنف ، تخرج من خلل أسنانه رائحةٌ لا يسمها أحدٌ إلا صار إليه نته ، في جبهته
قونٌ مكسور تخرج منه الحيات والعقارب ، محدوب الظهر ، قد صوّرت آلات السلاح
في جسده حتى الرمح والفأس والسهم والدّرق . وهو يتناول السحاب بيده ، ويخوض
البحار الى كعبه ، ويستظل في ظلّ أذن حماره خلق كثير من أولاد الزنا ، عليهم
خفاف مخروطة ، لحفافهم مناقر كمنافر العقبان ، لأصابعهم أظافر كالمناجل ، ومعه قوم

- من السَّحَرَةِ يَقْلِبُونَ الْجِبَالَ خَبْزًا وَالْأَنْهَارَ شَرَابًا ، وَلَا يُطْعِمُ وَلَا يَسْقِي إِلَّا مَنْ آمَنَ بِهِ .
ومعه صاحب لوائه من قريته ينادى بأعلى صوته : هذا ربكم فاعرفوه . فإذا سار
الدَّجَالُ سارت معه جبال طعامه وأنهار شرابه ، وإذا وقف وقفت . يطوف الأرض
شرقها وغربها حتى يدخل أرض بابل فيلقاه الخَضِرُ ، فيقول له الدَّجَالُ : أنا ربَّ
العالمين . فيقول له الخَضِرُ : كذبت يا دَجَال ! إِنَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ رَبُّ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِينَ . فيقتله الدَّجَالُ ويقول : لو كان لهذا إله كما يزعم لأحياه . فيحيي الله
الخَضِرَ من ساعته فيقوم ويقول : ها أنا يا دَجَال ، قد أحياني الله ربِّي . ثم يُقْبِلُ
الخَضِرُ عَلَى أَصْحَابِهِ وَيَقُولُ : وَيَلَكُمْ ! لَا يَفْتَنَنَّكُمْ هَذَا الْكَافِرُ . ويقال : إنه يقتل
الخَضِرَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَيُحْيِيهِ اللَّهُ تَعَالَى . ثم يخرج الدَّجَالُ نحو مكة ، فإذا دنا منها رأى
المَلَائِكَةَ مُحْدِقِينَ بِالْبَيْتِ الْحَرَامِ قَدْ نَشَرُوا أَجْنَحَتَهُمْ عَلَى الْكَعْبَةِ ، يُخْرِجُونَ مِنْ خَلَلِ
أَجْنَحَتِهِمْ مِثْلَ شَرَرِ النَّيرانِ ، فلا يقدر على دخولها . ثم يسير إلى المدينة فيجدها
كَذَلِكَ . ثم يمضي إلى بَيْتِ الْمَقْدِسِ فلا يقدر على دخوله لكثرة مَنْ حَوْلَهُ مِنْ
المَلَائِكَةِ . وَأَخْتَلَفَ فِي مَدَّةِ إِقَامَتِهِ فِي الْأَرْضِ ، فَقِيلَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، وَقِيلَ أَرْبَعِينَ
يَوْمًا ، عَلَى مَا نُوْرِدُ ذَلِكَ مِنَ الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ النَّبَوِيِّ الَّذِي يَشْمَلُ ذِكْرَ هَذِهِ الْفِتَنِ
كُلِّهَا . قَالَ : وَأَمَّا الْمَسَامُونَ فَإِنَّهُمْ يَصُومُونَ وَيَصَلُّونَ كَمَا كَانُوا غَيْرَ أَنَّهُمْ فِي غَمٍّ ،
قَدْ تَرَكُوا الْمَسَاجِدَ وَلَزِمُوا الْبُيُوتَ ، وَتَطْلُعُ الشَّمْسُ مِثْلُ مِثْلُونَةٍ : مَرَّةً بَيْضَاءَ ، وَمَرَّةً
صَفْرَاءَ ، وَمَرَّةً حُمْرَاءَ ، وَمَرَّةً سُودَاءَ ، وَتَكُونُ الْأَرْضُ فِي الزَّلْزَلَةِ وَالرَّجْفَةِ ، ثُمَّ يَكُونُ
بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَهْدِيِّ مَا قَدَّمْنَا ، ثُمَّ يَنْزِلُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

(١) كذا في الكسائي . وفي الأصلين : « ينظر إلى الملائكة » .

الباب الثاني من التذييل

على القسم الثالث من الفن الخامس

في خبر نزول عيسى بن مريم عليه السلام وقتله الدجال

ونخروج يأجوج ومأجوج وفسادهم وهلاكهم ، ووفاة عيسى عليه السلام

لما رأيت أهل السير قد أكثروا من القول في نزول عيسى عليه السلام وزادوا

في القول ونقصوا منه ، عدلت عن أقوالهم ، وأوردت ما أذكره من ذلك من الحديث

الصحيح النبوي ، وكذلك خروج يأجوج ومأجوج وهلاكهم . وختمتُ هذا

الباب بالحديث الشامل في خروج الدجال ، ونزول عيسى بن مريم عليه السلام وغير

ذلك . وهذه الأحاديث خرجتها من كتاب السنن للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد

ابن يزيد بن ماجه القزويني ، رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين .

ذكر نزول عيسى بن مريم عليه السلام

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد ذكر فتنة الدجال وما يلاقيه الناس

منه ، قال : ” فبينما هم كذلك إذ بعث الله عيسى بن مريم فيزل عند المنارة البيضاء

شرقي دمشق بين مهرودتين واضع كفيه على أجنحة ملكين ، إذا طأ رأسه قطر ،

وإذا رفع رأسه يتحدر منه جمان كالواو ، ولا يحل لكافر أن يجدر بحرق نفسه إلا مات .

ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه ، فينطلق حتى يدرك الدجال فيقتله عند باب لد^(١) .

قال : ” ثم يأتي نبي الله عيسى عليه السلام قوما قد عصمهم الله فيمسح وجوههم

ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة ” . والله أعلم .

(١) أي بين حلتين شيبتين بالمصبوغ بالهرد . والهرد (بالصم) : عروق يصنع بها .

(٢) كذا في سنن ابن ماجه . وفي الترمذي « واضعا » بالنصب وهو الظاهر . على أنه يجوز أن يقرأها

بالنصب لأن أهل الحديث كثيرا ما يكتبون المنصوب بصورة المرفوع . أما الرفع فعلى تقدير مبتدأ محذوف .

(٣) قطر : ذهب وأسرع . (٤) لد (بالضم والتشديد) : قرية قرب بيت المقدس من نواحي فلسطين .

ذكر خبر يأجوج ومأجوج

- صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إن يأجوج ومأجوج لَيَحْضِرُونَ
السَّدَّ كُلَّ يَوْمٍ حَتَّى إِذَا كَادُوا يَرَوْنَ شُعَاعَ الشَّمْسِ قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمْ ارْجِعُوا فَسَتَحْضِرُونَهُ
غَدًا فَيُعِيدُهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَشَدَّ مَا كَانَ حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ مَدَّتُهُمْ وَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَهُمْ
إِلَى النَّاسِ حَفَرُوا حَتَّى إِذَا كَادُوا يَرَوْنَ شُعَاعَ الشَّمْسِ قَالَ ارْجِعُوا فَسَتَحْضِرُونَهُ ٥
غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَأَسْتَنْوُوا فَيَعُودُونَ إِلَيْهِ وَهُوَ كَهَيْئَتِهِ حِينَ تَرَكُوهُ فَيَحْضِرُونَهُ وَيُخْرِجُونَ
عَلَى الْأَرْضِ فَيَنْشَفُونَ الْمِيَاهَ وَيَتَحَصَّنُ النَّاسُ مِنْهُمْ فِي حُصُونِهِمْ فَيُرْمُونَ بِسِهَامِهِمْ إِلَى
السَّمَاءِ فَيَرْجِعُ عَلَيْهِمُ الدَّمُ الَّذِي أَحْفَظُ فَيَقُولُونَ قَهْرُنَا أَهْلَ الْأَرْضِ وَعَلَوْنَا أَهْلَ السَّمَاءِ
فَيَبْعَثُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ نَفْثًا فِي أَقْفَانِهِمْ فَيَقْتُلُهُمْ بِهَا " . قال صلى الله عليه وسلم : " وَالَّذِي نَفْسِي
بِيَدِهِ إِنَّ دَوَابَّ الْأَرْضِ لَتَسْمَنُ وَتَشْكُرُ شُكْرًا مِنْ لَحُومِهِمْ وَدِمَائِهِمْ " . وفي الحديث ١٠
الآخر : " إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُوحِي إِلَى عِيسَى أَنْ يَخْرُجَ عَبَادًا إِلَى لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقَتْلِهِمْ
فَاخْرُجْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ . وَيَبْعَثُ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (لَمِنْ كُلِّ
حَدَبٍ يَنْسِلُونَ) فَيَمْرُؤُا وَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةٍ طَبَرِيَّةٍ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا ثُمَّ يَمِزُّ آخِرَهُمْ فَيَقُولُونَ
لَقَدْ كَانَ فِي هَذَا مَاءٍ مَرَّةً وَلِيُخَصِّرُ نَبِيَّ اللَّهِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَصْحَابَهُ حَتَّى يَكُونَ
رَأْسُ الثَّورِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِهِمْ الْيَوْمَ فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ ١٥
إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمُ النَّفْثَ فِي رِقَابِهِمْ فَيَصْبَحُونَ قَرَسِي كَوْتِ نَفْسِ
وَاحِدَةٍ وَيَهْبِطُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ فَلَا يَجِدُونَ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا قَدْ مَلَأَهُ زَهْمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ
وَدِمَائُهُمْ فَيَرْغَبُونَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَيُرْسِلُ عَلَيْهِمْ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ

(١) أحفظ (بالحم) : أتن . (٢) النفث : الدود . (٣) شكت الدابة شكتا

٢٠ (وزان فرح) : سمئت . (٤) فرسى كقتل لفظا ومعنى ؛ يقال : فرس الدب الشاة إذا قتلها .

(٥) الزهم (بالضم) : الريح المنقة .

فتطرحهم حيث شاء الله عز وجل . ثم يُرسل الله ^(١) [عليهم] مطرا لا يَكُنْ منه بيتٌ مَدِيرٌ ولا وبرٍ فيغسله حتى يتركه كالزَّلْفَةِ ^(٢) ، ثم يقال للأرض أنبى ثمرتك وردى بركتك ، فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة فتشبعهم ويستظلون بقحفها ^(٣) ، وبارك الله في الرسل حتى إن اللقحة من الإبل تكفي الفئام من الناس ^(٤) ، واللقحة من البقر تكفي القبيلة ^(٥) ، واللقحة من الغنم تكفي الفخذ ^(٦) . فبينما هم كذلك إذ بعث الله عليهم ريحا طيبة فتأخذ تحت آباطهم فتقيض رُوح كل مسلم ويبقى سائر الناس يتهارجون كما يتهارج الحمُرُ ، فعليهم تقوم الساعة .“ وفي الحديث الصحيح عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال :

” لما كان ليلة أُسْرِىَ برسول الله صلى الله عليه وسلم لقي إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام فنذاكروا الساعة فبدءوا بإبراهيم فسألوه عنها فلم يكن عنده منها علمٌ ، ثم سألوا موسى فلم يكن عنده منها علمٌ ، فردّ الحديث إلى عيسى بن مريم فقال قد عُهد إلىّ فيما دونَ وَجِبَتِهَا ^(٧) ، فأما وَجِبَتُهَا فلا يعلمها إلا الله ، فذكَرَ خروجَ الدجال قال فَأَنْزِلْ فَأَقْتُلْهُ فيرجع الناس إلى بلادهم فيستقبلهم بأجوجُ وأجوجُ وهم من كلّ حَدَبٍ ينسلون ، فلا يمتزون بماء إلا شربوه ولا بشئٍ إلا أفسدوه ، فيجئرون إلى الله تعالى فأدعوا الله أن يميّتهم فتتّين الأرض من رِيحِهِمْ ، فيجئرون إلى الله فأدعوا الله فيُرسل السماء بالماء فيحجمهم

(١) زيادة عن سنن ابن ماجه .

(٢) الزلفة (بفتحين) : الصخرة الملساء ، والصدقة ، والمرأة ، ومصانع الماء .

(٣) بقحفها (بالكسر) : بقشرها تشبها بقحف الرأس .

(٤) الرسل (بكر الراء وسكون السين المهملة) : اللين .

(٥) اللقحة (بالفتح والكسر) : الناقة القرية العهد بالنتاج .

(٦) الفئام (ككتاب) : الجماعة الكثيرة من الناس ، لا واحد له من لفظه .

(٧) الفخذ : هو دون القبيلة وفوق البطن .

(٨) يتهارجون : يتسافدون .

(٩) وجبتها : قيامها .

فَيُلْقِيهِمْ فِي الْبَحْرِ ثُمَّ تُنْسَفُ الْجِبَالُ وَتُدْمَدُ الْأَرْضُ مَدًّا أَدِيمًا مُعِيدًا إِلَى تَمَتِّعٍ كَانَ ذَلِكَ
 كَانَتْ السَّاعَةُ مِنَ النَّاسِ كَالْحَامِلِ لَا يَدْرِي أَهْلُهَا مَتَى تَفْجَأُهُمْ بِوِلَادَتِهَا .
 قَالَ الْعَوَّامُ بْنُ حَوْشَبٍ وَهُوَ مِنْ رِوَاةِ هَذَا الْحَدِيثِ : وَوُجِدَ تَصَدِيقُ ذَلِكَ
 فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ
 يَنْسِلُونَ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ ^(١) ﴾ . وَفِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : ” يُفْتَحُ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ فَيُخْرِجُونَ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَهُمْ مِنْ
 كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴾ فَيَعْمُونَ الْأَرْضَ وَيَنَازِلُهُمُ الْمَسْلُومُونَ حَتَّى تَصِيرَ بَقِيَّةُ الْمَسَامِينِ
 فِي مَدَائِنِهِمْ وَحَصُونِهِمْ وَيَضْمُونُ إِلَيْهِمْ مَوَاشِيَهُمْ ، حَتَّى لِيَهُمْ لِيَتْرُونَ بِالنَّهْرِ فَيُشْرِبُونَهُ
 حَتَّى مَا يَذَرُونَ فِيهِ شَيْئًا ، فَيَمُتُّ آخَرُهُمْ عَلَى أَثَرِهِمْ فَيَقُولُ قَائِلُهُمْ لَقَدْ كَانَ بِهَذَا الْمَكَانِ
 مَرَّةً مَاءً ، وَيَظْهَرُونَ عَلَى الْأَرْضِ ، فَيَقُولُ قَائِلُهُمْ هَؤُلَاءِ أَهْلُ الْأَرْضِ قَدْ فَرَعْنَا مِنْهُمْ
 وَلَسْتُمْ أَنْ أَهْلَ السَّمَاءِ ، حَتَّى إِنَّ أَحَدَهُمْ لَيَهْزُرُ حَرْبَتَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَتَرْجِعُ مَخْضَبَةً بِالْأَدَمِ ،
 فَيَقُولُونَ قَدْ قَتَلْنَا أَهْلَ السَّمَاءِ ، فَيَبْنَاهُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ دَوَابَّ كَنَفَّ الْجُرَادُ فَذَاخَذَ
 بِأَعْنَاقِهِمْ فَيَمُوتُونَ مَوْتَ الْجُرَادِ يَرْكَبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، فَيَصْبِحُ الْمَسْلُومُونَ لَا يَسْمَعُونَ
 لَهُمْ حَسًّا ، فَيَقُولُونَ مَنْ رَجُلٌ يَشْرِي نَفْسَهُ وَيَنْظُرُ مَا فَعَلُوا ، فَيَنْزِلُ مِنْهُمْ رَجُلٌ قَدْ وَطَّنَ
 نَفْسَهُ عَلَى أَنْ يَقْتُلُوهُ فَيَجِدُهُمْ مَوْتَى ، فَيَنَادِيهِمْ أَلَا أَبْشَرُوا فَقَدْ هَلَكَ عَدُوُّكُمْ ، فَيُخْرِجُ
 النَّاسَ وَيُخْلُونَ سَبِيلَ مَوَاشِيِهِمْ فَمَا يَكُونُ لَهُمْ رِغْيٌ إِلَّا لِحَوْمِهِمْ فَتَشْكُرُ عَلَيْهَا كَأَحْسَنِ
 مَا شَكَرْتُمْ مِنْ نَبَاتٍ أَصَابَتْهُ قَطْرٌ . وَعَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ :
 ” سَيُوقَدُ الْمَسْلُومُونَ مِنْ قِسْيَ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجَ وَنُسَابِهِمْ وَأَتْرَسَتُهُمْ سَبْعَ سِنِينَ .
 وَاللَّهُ الْمَعِينُ .

$$\frac{٨٣}{١٢}$$

الحديث الجامع لأخبار عيسى بن مريم عليه السلام والدجال
قال الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني في سننه :
حدثنا علي بن محمد قال حدثنا عبد الرحمن المحاربي عن إسماعيل بن رافع أبي رافع
عن أبي زُرعة السَّيباني^(١) يحيى بن أبي عمرو عن أبي أمامة الباهلي قال : خَطَبَنَا
رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فكان أ كثر خطبته حديثاً حدثناه عن الدجال وحذرناهُ ،
فكان من قوله أن قال : ” إنه لم تكن فتنةٌ في الأرض منذ ذرأ^(٢) الله ذرية آدم صلى الله
عليه وسلم أعظم من فتنة الدجال ، وإن الله عز وجل لم يبعث نبياً إلا حذر أُمته الدجال .
وأنا آخر الأنبياء وأتم آخر الأمم ، وهو خارجٌ فيكم لا محالة . فإن يخرج وأنا بين ظهرانيكم
فأنا حَجِيجٌ لكل مسلم ، وإن يخرج من بعدى فكل أمرئ حجج نفسه ، والله خليفتي على
كل مسلم . وإنه يخرج من حلة بين الشام والعراق فَيُعِثُّ يميناً وَيُعِثُّ شمالاً يابعد الله
فَأَثْبَتُوا فَإِنِّي سأصفه لكم صفةً لم يصفها إِيَّاه نبيٌ قبلي : إنه يبدأ فيقول أنا نبي ، ولا نبي
بعدى ، ثم يثني فيقول أنا ربكم ، ولا ترون ربكم حتى تموتوا ، وإنه أعور وإن ربكم عز
وجل ليس بأعور ، وإنه مكتوبٌ بين عينيه « كافر » يقرؤه كل مؤمن كاتب أو غير كاتب .
وإن من فتنته أن معه جنةً ونارا ، فناره جنةٌ ، وجنته نارٌ . فمن ابتلي بناره فليستغث
بالله وليقرأ فواتح الكهف فتكون عليه برداً وسلاماً كما كانت النار على إبراهيم . وإن من
فتنته أن يقول لأعرابي أ رأيت إن بعثتُ لك أباك وأملكُ ألتشهد أتي ربك فيقول
نعم ، فيتمثل له شيطانان في صورة أبيه وأمه فيقولان يا بني اتبعه فإنه ربك . وإن من
فتنته أن يسلط على نفس واحدة فيقتلها وينشرها بالمنشار حتى تأتي شقين ، ثم يقول

(١) السيباني (بفتح السين المهملة) : نسبة الى سيبان ، بطن من حمير . وفي الأصول :

٢٠ « الشيباني » بالشين المعجمة وهو تحريف . (٢) ذرأ : خلق .

(٣) يعيث : يفسد .

انظروا الى عبدى هذا فإنى أبعثه الآن، ثم يزعم أن له رباً غيرى، فيبعثه الله ويقول له الخبيث من ربك؟ فيقول ربى الله وأنت عدو الله أنت الدجال، والله ما كنت بعدُ أشد بصيرة بك منى اليوم". قال أبو الحسن الطنائفى "فحدثنا المحاربى حدثنا عبيد الله ابن الوليد الوصافى عن عطية عن أبى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

"ذلك الرجل أرفع أمتى درجة فى الجنة". قال قال أبو سعيد : والله ما كنتأ نرى ذلك

الرجل إلا عمر بن الخطاب حتى مضى لسبيله . قال المحاربى ثم رجعنا الى حديث أبى رافع قال : "وإن من فتنته أن يأمر السماء أن تمطر فتُمطر، ويأمر الأرض أن تُنبِت فتُنبِت .

وإن من فتنته أن يتر بالحنى فيكذبونه فلا تَبْقَ لهم سائمةٌ إلا هلكت . وإن من فتنته أن يتر بالحنى فيصدقونه فيأمر السماء أن تمطر فتُمطر ويأمر الأرض أن تُنبِت فتُنبِت حتى

تروح مواشيهم من يومهم ذلك أسمن ما كانت وأعظمه وأمدّه خواصر وأدّره

ضروعا، وإنه لا يَبْقَى شَيْءٌ من الأرض إلا وطئه وظهر عليه إلا مكة والمدينة لا يأتيهما من نَقَب من نَقَبهما إلا لَقِيَتْهُ الملائكة بالسيوف صلّته حتى ينزل عند الطّريب

الأحمر عند مُنْقَطَعِ السَّبْخَةِ فترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فلا يَبْقَى منافق ولا منافقة إلا أخرج اليه، فتنفى الخبيث منها كما ينفى الكير خبث الحديد، ويُدعى ذلك

اليوم يوم الخلاص . فقالت أمّ شريك بنت أبى العكر يارسول الله فأين العرب يومئذ؟

قال هم يومئذ قليلٌ وجلّهم بيت المقدس وإمامهم رجلٌ صالح . فبينما إمامهم قد

تقدّم يصلّى بهم الصبح إذ نزل عليهم عيسى بن مريم عليه السلام الصبح، فرجع ذلك

٨٤
١٢

(١) القَب (فتح فسكون) : الطريق بين الجبلين . (٢) ملنة ، أى مجردة ؛ يقال : أصلت

السيف إذا جرّده من غمده . (٣) الطريب لعل المراد به الجبل . (٤) كذا فى الأصول

وكتاب سنن ابن ماجه الذى ينقل عنه المؤلف ، وهو خطأ . والصواب أن أمّ شريك هذه هى بنت دودان

ابن عمرو بن عامر ابن رواحة الدوسية . وكانت تحت أبى العكر الدوسى واسمها غزيلة ، ويقال غزيلة .

من المهاجرات . (راجع أسد الغابة فى معرفة الصحابة ج ٥ ص ٩٤ . وتهذيب التهذيب ج ١٢ ص ٤٧٢) .

الإمام ينكص (يمشى القهقري) ليتقدم عيسى عليه السلام يصلى بالناس، فيضع عليه السلام يديه بين كتفيه ثم يقول له تقدم فصل فإنها لك أقيمت فيصلّى بهم إمامهم، فإذا آنصرف قال عيسى عليه السلام امتحوا الباب ^(١) فيفتح ووراء الدجال ومعه سبعون ألف يهودى كلهم ذو سيف محلى وساج، فإذا نظر اليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء فينطلق هاربا، ويقول عيسى عليه السلام إن لى فيك ضربة ^(٢) لن تسبقنى بها فيدركه عند باب اللذ الشرق فيقتله فيهزم الله اليهود فلا يبقى شىء مما خلق الله عز وجل يتوارى به يهودى إلا أنطق الله ذلك الشىء لا حجر ولا شجر ولا حائط ولا دابة ^(٣) إلا الفرقدة فإنها من شجرهم لا تنطق إلا قال يا عبد الله المسلم هذا يهودى فتعال أقتله . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن أيامه أربعون سنة، السنة كنصف السنة، والسنة كالشهر، والشهر كالجمعة، وآخر أيامه كالسرة يصبح أحدكم على باب المدينة فلا يبلغ بابها الآخر حتى يمسى . فقل له يا رسول الله كيف نصلى في تلك الأيام القصار؟ قال تقدرون فيها الصلاة كما تقدرونها في هذه الأيام الطوال ثم صلوا . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكون عيسى بن مريم في أمتى ^(٤) حكا عدلا وإماما ^(٥) مقيسطا، يدق الصليب، ^(٦) ويذبح الخنزير، ^(٧) ويضع الجزية، ^(٨) ويترك الصدقة فلا يسعى على

- ١٥ (١) الباب ، أى باب المسجد . (٢) الساج : الطليسان الأخضر .
 (٣) الفرقة : ضرب من شجر العضاء . (٤) حكا ، أى حاكيا بين الناس بشريعة النبي صلى الله عليه وسلم لا نبيا مرسل بشريعة أخرى . (٥) مقيسطا ، أى عادلا في الحكم .
 (٦) يدق الصليب ، أى يكسره بحيث لا يبقى من جنس الصليب شىء حتى لا يعبد إلا الله تعالى .
 (٧) ويذبح الخنزير ، أى يحرم أكله أو يقتله بحيث لا يوجد في الأرض لياكله أحد .
 (٨) يضع الجزية ، أى لا يقبلها من أحد من الكفرة بل يدعوهم الى الاسلام مرة وهذا بيان منه صلى الله عليه وسلم بأن الجزية في دينه الى زمان عيسى لا أن عيسى يأتي بنسخها .
 (٩) ويترك الصدقة ، أى الزكاة لكثرة الأموال .

- (١) شاة ولا بعير، وتُرفع الشحنة والتباغض، وتُترَع حمة كل ذات حمة حتى يدخل الوليد يده في الحية فلا تضره، وتُفتر الوليدة الأسد فلا يضرها، ويكون الذئب في النعم كأنه كلبها، وتُملأ الأرض من السلم كما يملأ الإناء من الماء، وتكون الكلمة واحدة فلا يُعبد إلا الله، وتضع الحرب أوزارها، وتُسلب قريش ملكها، وتكون الأرض كما ثور الفضة - وقيل كفاثور الفضة - تُنبت نباتها بعهد آدم حتى يجتمع الثور على القطف من العنب فيشبعهم، ويجتمع الثور على الرمانة فتشبعهم، ويكون الثور بكذا وكذا من المال، ويكون الفرس بالدرهمات. قالوا يا رسول الله: وما يُرخص الفرس؟ قال: لا يُركب لحرب أبدا. قيل له: فما يغلي الثور؟ قال تُحرث الأرض كلها. وإن قبل خروج الدجال ثلاث سنوات شداد يصيب الناس فيها جوع شديد، يأمر الله السماء في السنة الأولى أن تحبس ثلث مطرها ويأمر الأرض فتحبس ثلث نباتها، ثم يأمر السماء في السنة الثانية فتحبس ثلثي مطرها ويأمر الأرض فتحبس ثلثي نباتها، ثم يأمر الله السماء في السنة الثالثة فتحبس مطرها كله فلا تقطر قطرة ويأمر الأرض فتحبس نباتها كله فلا تُنبت خضرا، ولا تبقى ذات ظلف إلا هلكت إلا ما شاء الله عز وجل. قيل: فما يعيش الناس في ذلك الزمان؟ قال: التهليل والتكبير والتسبيح والتحميد ويجرى ذلك عليهم تجرى الطعام. قال المحاربى: ينبغي أن يدفع هذا الحديث إلى المؤدب حتى يعلمه الصبيان في المكاتب.

(١) الحمة: السم أو الابرّة التي يضرب بها الزبور والحية ونحو ذلك أو يلدغ بها.

(٢) تفتر أى تفتح فاه. (٣) لم نجد كلمة «فاثور» في كتب اللغة، على أن هذه الكلمة

ليست في سنن ابن ماجه. والفاثور: الخوان من رخام، أو طست أو جام من ذهب أو فضة.

الباب الثالث من التذييل

على القسم الثالث من الفن الخامس

في ذكر ما يكون بعد وفاة عيسى بن مريم عليه السلام الى أن ينفخ إسرافيل
في الصور النفخة الأولى

ذكر خروج الدابة وطلوع الشمس من مغربها

عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ” تخرجُ
الدابة ومعها خاتم سليمان بن داود وعصا موسى بن عمران ، فتجلبو وجه المؤمن بالعصا ،
وتخبط أنف الكافر بالخاتم ، حتى إن أهل الحواء ليجتمعون فيقول هذا يا مؤمن
ويقول هذا يا كافر “ . وعن عبد الله بن بريدة عن أبيه رضى الله عنهما قال :

٨٥
١٢

ذهب بن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى موضع بالبادية قريب من مكة فإذا
أرض يابسة حولها رمل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” تخرج الدابة
من هذا الموضع “ فإذا فتر في شير . قال ابن بريدة : فخرجت بعد ذلك بسنين فأرانا
عصا له ، فإذا هي بعصا هذه كذا وكذا . وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال :
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ” لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس
من مغربها ، فإذا طلعت ورأها الناس آمن من عليها ؛ فذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها
لم تكن آمنت من قبل “ . وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم : ” أولُ الايات خروجا طلوع الشمس من مغربها ، وخروج
الدابة على الناس ضحى “ . قال عبد الله : فأيتهما ما خرجت قبل الأخرى فالأخرى

(١) تجلبو وجه المؤمن أى تتوره . (٢) تخبط أى تسمه بها ، من خطت البعير إذا كثر به خطأ
من الأنف الى أحد خديه . (٣) الحواء (بكسر الحاء المهملة والملة) : بيوت مجتمعة من الناس على ماء .

منها قريباً . قال عبد الله : ولا أظنها إلا طلوع الشمس من مغربها . وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” إن من قبل مغرب الشمس باباً مفتوحاً عرضُهُ سبعون سنة ، فلا يزال ذلك الباب مفتوحاً للتوبة حتى تطلع الشمس من نحوه ، فإذا طلعت من نحوه لم ينفع نفسٌ إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً “ . والله الهادي للصواب .

ذكر خبر قيام الساعة والنفخة الأولى

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” ما زال صاحبُ الصور مذوكل به مُستعدّاً ينظر نحو العرش الى أن يؤمرَ فينفخ قبل أن يرتدّ اليه طرفه كأن عينيه كوكبانُ دريان “ . وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الصور؟ فقال : ” قُرْنٌ يُنْفَخُ فيه “ . وعنه صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى : ﴿ وَنُفِّخَ ۱۰ فِي الصُّورِ ﴾ قال : ” الصور كهيئة القرن “ . وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ” لا تقوم الساعة حتى تقتتلَ فئتان عظيمتان تكون بينهما مَقتلةٌ عظيمةٌ دَعَوُهُما واحدةٌ ، وحتى يُبعثَ دجالون كذابون قريبٌ من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله ، وحتى يقبضَ العلمُ وتكثرَ الزلازلُ ويتقاربَ الزمانُ وتظهرَ الفتنُ ويكثرَ الهرجُ ، وهو القتل ، وحتى يكثرَ فيكم المالُ فيفيضَ حتى يُهمَّ ۱۵ ربُّ المالِ من يقبلُ صدقته ، وحتى يعرضه فيقول الذى يعرضه عليه لا أربى لى به ، وحتى يتطاوَلَ الناسُ فى البُنيانِ ، وحتى يَمُرَّ الرَّجُلُ بقبر الرَّجُلِ فيقول يا ليتنى مكانه ، وحتى تطلعَ الشمسُ من مغربها فإذا طَلَعَتْ رآها الناسُ آمنوا أجمعون فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً . وَلَتَقُومَنَّ ۲۰ السَّاعَةُ وقد نَشَرَ الرُّجُلانِ ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه . وَلَتَقُومَنَّ

الساعة وقد انصرف الرجل بَلَنَ لِفَحْتِهِ فلا يَطْعُمُهُ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وهو يَلِيطُ^(١) حَوْضَهُ فلا يَسْقِي فِيهِ. وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وقد رَفَعَ أَكْلَتَهُ الى فِيهِ فلا يَطْعُمُهَا .

هذا من صحيح البخارى . وعن عبد الله بن عمرو بن العاص وذ كر خبر الدجال وقتله قال : ثم يَمُكُثُ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ ليس بين اثنين عداوة . ثم يرسل الله عز وجل ريحا باردة من قِبَلِ الشَّامِ فلا يَبْقَى على وجه الأرض أحدٌ في قلبه مثقالُ ذرة من

خير أو إيمان إلا قَبَضَتْهُ، حتى لو أت أحدكم دخل في كَيْدِ جَبَلٍ لَدَخَلْتُهُ عليه حتى تَقْبِضَهُ . قال فيبقى شرار الناس في خِفَةِ الطيرِ وأحلامِ السَّباعِ لا يعرفون معروفًا ولا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا، فيتمثل لهم الشيطانُ فيقول أَلَا تَسْتَجِيبُونَ ! فيقولون فما تأمُرُنا؟

فيأمرهم بعبادة الأوثان، وهم في ذلك دارٌ رَزَقَهُمْ حَسَنَ عَيْشِهِمْ، ثم يُنْفِخُ في الصُّورِ فلا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إلا أَصْغَى لَيْتًا وَرَفَعَ لَيْتًا . قال وأوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رجلٌ يَلُوطُ حَوْضَ

إِبِلِهِ، قال فيَصْعَقُ وَيَصْعَقُ النَّاسُ، ثم يُرْسِلُ اللهُ — أو قال يُنْزِلُ اللهُ — مطرًا كأنه الظَّلُّ أو الظِّلُّ — الشك من الراوى — فتنبت منه أجسادُ الناسِ؛ ثم يُنْفِخُ فيه أخرى

فإذا هم قيامٌ ينظرون، ثم يقال يا أيها الناس هلموا الى ربكم . ويروى أن هذا المطر الذى تنبت منه الأجساد كنى الرجال .

(١) يَلِيطُ حَوْضَهُ : يطينه ويصلحه . يقال : لاط حوضه يلوطنه ويلطه .

(٢) راجع (ج ٨ ص ٩٥ طبع بلاق سنة ١٢٩٦ هـ) .

(٣) راجع صحيح مسلم (ج ٨ ص ٢٠١ طبع الاسنانه) .

(٤) خفة الطير وأحلام السباع ، أى يكونون في سرعتهم الى الشر وقضاء الشهوات والفساد .

(٥) دار رزقهم ، أى كثير .

(٦) الليت (بكسر اللام) : صفحة العنق وهى جانبه .

الباب الرابع

٨٦
١٢

من التذييل على القسم الثالث من الفرق الخامس

في أخبار يوم القيامة والحشر والمعاد والنفخة الثانية في الصور

ذكر يوم القيامة وأسمائه

- هو اليوم الذى وصفه الله عز وجل بالعظمة فقال : ﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوُنَّا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ^(١) ۝ وَوصفه الله بالطول فقال : ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ ثَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ * فَأَصْبَحَ صَبْرًا ^(٢) جَمِيلًا ۝ ۞

- وليوم القيامة أسماء جاء بها القرآن، وقد ذكرها عبد الحق في كتاب العاقبة فقال :
 "يوم القيامة وما أدراك ما يوم القيامة ! يوم الحسرة والتندامة، يوم يجد كل عامل عمله أمامه، يوم الدمدمة، يوم الزلزلة، يوم الصاعقة، يوم الواقعة، يوم الراجفة، يوم الرادفة، يوم الغاشية، يوم الداهية، يوم الآزفة، يوم الحاقة، يوم الطامة، يوم الصاخة، يوم التلاق، يوم الفراق، يوم الميثاق، يوم الانشقاق، يوم القصاص، يوم لات حين مناص، يوم التناد، يوم الأشهاد، يوم الميعاد، يوم المآب، يوم العذاب، يوم الفرار، يوم القرار، يوم المرصاد، يوم السائلة، يوم المناقشة، يوم الحساب، يوم القضاء، يوم الجزاء، يوم البكاء، يوم البلاء، يوم تمور السماء مؤراً وتسير الجبال سيرا، يوم الحشر، يوم النشر، يوم الجمع، يوم البعث، يوم العرض،

يوم الوزن ، يوم الحق ، يوم الحكم ، يوم الفصل ، يوم الجزى ، يوم عقيم ، يوم عظيم ، يوم عسير ، يوم عبوس ، يوم قطير ، يوم النشور ، يوم المصير ، يوم الدين ، يوم اليقين ، يوم النفخة ، يوم الصيحة ، يوم الرجفة ، يوم الرجة ، يوم الزجة ، يوم الشدة ، يوم الفزع ، يوم الجزع ، يوم القلق ، يوم العرق ، يوم الميقات ، يوم تخرج الأموات وتظهر المخبات ، يوم الإشفاق ، يوم الانشقاق ، يوم الانكدار ، يوم الانتشار ، يوم الأنفطار ، يوم الافتقار ، يوم الوقوف ، يوم الانصداع ، يوم الانقطاع ، يوم معلوم ، يوم موعود ، يوم مشهود ، يوم تُبلى السرائر ، يوم تُخرج الضمائر ، يوم لا تجزى نفس عن نفس شيئا ، يوم لا تملك نفس لنفس شيئا ، يوم يُدعى فيه إلى النار ، يوم تُسجّر فيه النار ، يوم تُقلب فيه الوجوه في النار ، يوم البروز فيه إلى الله ، يوم الصدور إلى الله ، يوم لا تنفع المعذرة ، يوم لا يرضى إلا المغفرة . قال : وأهول أسمائه وأشنع ألقابه : يوم الخلود ، يوم لا آتقطاع لعذابه ، ولا آخر لعقابه ، ولا يكشف عن كافر ما به . نعوذ بالله من غضبه وبلائه ، برحمته وآلائه . والله معين العاجزين .

ذكر الحشر والمعاد والنفخة الثانية

جاء في بعض التفاسير في قوله تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَبَقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ﴾^(٢) قيل : جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت . قال : ثم يأمر الله ملك الموت أن يقبض روح جبريل وميكائيل وإسرافيل ، ثم يأمر ملك الموت أن يموت فيموت ولا يبق إلا الله ، فينادى جلّ جلاله : ﴿ لَيْنَ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ﴾^(٣) فلا يجيبه أحد ، فيقول : ﴿ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ .

٢٠ (١) تسجير : توقد . (٢) سورة الزمر آية ٦٨ (٣) سورة غافر آية ١٦

ثم يمكث الناس في البرزخ أربعين عاماً، ثم يحيي الله عز وجل إسرائيل فيأمره أن
ينفخ النفخة الثانية؛ قال الله تعالى : ﴿ ثُمَّ نَفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ۖ ﴾^(١)
وقال تعالى : ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ۚ ﴾ وقال تعالى :
﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ ﴾^(٢) . روى عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم أنه قال : ” يا كل التراب كل شيء من الإنسان إلا عجب الذنب “^(٣) .
قيل : يا رسول الله، وما هو ؟ قيل : ” مثل حبة خردل ومنه ينشأ “ . وفي الحديث
الآخر : ” ثم يُنزل الله من السماء ماء فينبثون كما ينبت البقل “ . وفي الحديث أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ” يقول الله وعزتي وجلالي ليرجعن كل رُوح
إلى جسده، فتدخل الأرواح في الأرض إلى الأجسام، فتدخل في الخياشيم ثم تمشي
مشى السم في اللدغ “ . قال : ” وتجتمع الأرواح كلها في الصور، ثم ينفخ إسرائيل
فيه فتخرج الأرواح كأنها النحل قد ملأت ما بين السماء والأرض، ثم تدخل
في الأجساد “ كما تقدم . وفي الحديث الصحيح أن عائشة رضى الله عنها قالت :
يا رسول الله، كيف يُحشر الناس يوم القيامة ؟ قال : ” حُفَاةً عُرَاةً “ . قالت :
يا رسول الله، والنساء ؟ قال : ” والنساء “ . قالت : يا رسول الله، فما نستحي ؟ قال :
” يا عائشة الأمر أهم من أن ينظر بعضهم الى بعض “ . وعن أبي موسى الأشعري
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” يُعْرَضُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
ثَلَاثَ عَرَضَاتٍ ، فَأَمَّا عَرَضَتَانِ خِفْدَالٌ وَمَعَاذِيرٌ ، وَأَمَّا الثَّالِثَةُ فَعند ذلك تطير الصحف
في الأيدي ، فَأَخِذْ بِمِيمِنِهِ وَأَخِذْ بِشِمَالِهِ “ . وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله

(١) البرزخ : ما بين الدنيا والآخرة قبل الحشر من وقت الموت الى القيامة .

(٢) سورة الزمر آية ٦٨ (٣) سورة طه آية ٥٥ (٤) سورة الروم آية ٢٧

(٥) العجب (يفتح العين وإسكان الجيم) : العظم الذي في أسفل الصلب وهو رأس المصعصع .

صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾^(١) قال : ”يقوم أحدهم في رثته الى أنصاف أذنيه وهو اليوم الذى قال الله تعالى فيه ﴿ كَلَّا لَا وَزَرَ * إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ * يَنْبَأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ مِمَّا قَدَّمَ وَآخَرَ ﴾“ . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ”يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر“ يريد أرضا مستوية لا جبل فيها ولا أكمة ولا ربوة ولا وهدة ، أرض بيضاء لم يُسَقَّ عليها دم قط ، ولا عُمل عليها خطيئة ولا أرتكب فيها محرم . قال الله تعالى : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾^(٢) . وفى حديث ثوبان : أن النبي صلى الله عليه وسلم سُئل أين يكون الناس يوم تُبدل الأرض غير الأرض والسماوات ؟ فقال : ”هم في الظلمة دون الجحسر“ والجحسر هو الصراط . وفى حديث عائشة ”إنهم على الصراط“ . قال الله عز وجل : ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ ﴾^(٣) . وقال تعالى : ﴿ يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴾^(٤) أى يقول بعضهم لبعض سرًا ، فيقول أعدلهم قولاً وأرحهم عقلاً : إن لبثتم إلا يوماً . قال الله عز وجل : ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴾^(٥) . وروى عن مجاهد أنه قال : للكفار هجمة قبل يوم القيامة يجدون فيها طعم النوم ، فإذا بعثوا قالوا : يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا ! فتخرج الخلائق مذعورين خائفين وجِلين ، وإذا المنادى ينادى : ﴿ يَا عِبَادِى لَا خَوْفَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾^(٦) ، فيقطع في ذلك النداء المؤمنون والكافرون ، فينادى المنادى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا

(١) سورة المطففين آية ٦ (٢) الرشح (بفتحين) : العرق

(٣) سورة القيامة آجى ١١ ، ١٢ (٤) سورة إبراهيم آية ٥٨

(٥) سورة يونس آية ٤٥ (٦) سورة طه آية ١٠٣

(٧) سورة طه آية ١٠٤ (٨) سورة الزنبرف آية ٦٨

وَكَانُوا مُسْلِمِينَ^(١) . وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يُخْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةَ أَصْنَافٍ رُكْبَانَا وَمُشَاةٌ وَعَلَى وَجُوهِهِمْ " . قيل : يا رسول الله ، وكيف يمشون على وجوههم ؟ قال : " إِنَّ الَّذِي أَمْشَاهُمْ عَلَى أَقْدَامِهِمْ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْشِئَهُمْ عَلَى وَجُوهِهِمْ أَمَا إِنَّهُمْ يَتَّقُونَ بِوَجُوهِهِمْ كُلَّ حَذَبٍ وَشَوْكٍ " .
وفي حديث مسلم بن الحجاج عن أنس أن رجلا قال : يا رسول الله ، كيف يُخْشَرُ الكافر على وجهه يوم القيامة ؟ قال : " أليس الذى أمشاه على رجليه فى الدنيا قادراً على أن يُنْشِئَهُ على وجهه يوم القيامة " . والأحاديث الصحيحة فى هذا الباب كثيرة جداً لو استقصيناها لطلال الكلام وأنبسط القول ، ونخرج التأليف عن شرطه الذى قدّمناه ، فلنختم هذا الباب بحديث لقيط بن عامر العُقَيْلى " فإنه حديث جامع لأكثر ما فى هذا الباب .

١٠

حديث لقيط بن عامر

قال أبو بكر بن أبى خيثمة بإسناده الى لقيط بن عامر العُقَيْلى " قال : خرجتُ أنا وصاحب^(٣) لى حتى قدّمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة لآنسالخ^(٤) رجب ، فأتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، [فوافيناه^(٥)] حين انصرف من صلاة الغداة

٨٨
١٢

- ١٥ (١) سورة الزنزف آية ٦٩ (٢) الحذب : ما ارتفع من الأرض وظاظ . وقد ورد هذا الحديث فى صحيح الترمذى (ج ١١ ص ٣٠٠ طبع مصر) .
(٣) هونيك بن عاصم بن مالك بن المنتفق ، كما فى مسند الإمام أحمد (ج ٤ ص ١٣) والبداية والنهاية لابن كثير (ج ٥ ص ٨٠ طبع مصر) .
(٤) فى البداية والنهاية : « أنسالخ رجب » بدون اللام .
(٥) التكلة عن مسند الامام أحمد البداية والنهاية .
(٦) كذا فى مسند الامام أحمد البداية والنهاية والعقد الفريد ج ١ ص ١٣٥ طبع بلاق وفى الأصل : « مصلده » .

٢٠

فقام [في الناس] خطيباً فقال : ”أيها الناس ! ألا إني قد خبأتُ لكم صوتي منذ أربعة أيام لأسمعكم اليوم . ألا فهل من أمرئ بعثه قومه [فقالوا أعلم لنا ما يقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - . ألا ثم لعله أن يلهيه حديث نفسه أو حديث صاحبه أو يلهيه الضلال] . ألا إني مسئول هل بلغت . ألا اسمعوا تعيشوا ألا اجلسوا“ [جلس الناس وقت أنا وصاحبي ، حتى إذا فرغ لنا فؤاده وبصره قلت : يا رسول الله ، ما عندك من علم الغيب ؟] فضحك لعمرك الله وهز رأسه وعلم أني أبتغي لسقطه [فقال : ”ضن ربك عز وجل بماتيج خمس من الغيب لا يعلمها إلا الله“ . فقلت : وما هن يا رسول الله ؟ قال : ”علم المنية [قد علم متى مئة أحدكم ولا تعلمونه] . وعلم المني حين يكون في الرحم [قد علمه ولا تعلمونه] وتعلم ما في غد وما أنت طاعم غداً ولا تعلمه . وعلم يوم الغيث يشرف عليكم آزين مستنين فيظل يضحك قد علم أن غوثكم قريب“ . قال لقيط : لم لن نعدم من رب يضحك خيراً . ”وعلم يوم الساعة“ . قلت : يا رسول الله ، إني سائلك عن حاجتي . قال : ”سل عما شئت“ . قلت : يا رسول الله ،

- (١) زيادة من مسند الامام أحمد والبداية والنهاية والعقد الفريد . (٢) في المواهب اللدنية : « ألا اسمعوا تعيشوا » أي تحيوا حياة أبدية سعيدة فانها الحياة المطلوبة . (٣) في مسند أحد والبداية والنهاية : « ألا اجلسوا ألا اجلسوا » . (٤) التكملة عن مسند الامام أحمد والبداية والنهاية والعقد الفريد . وفي العقد الفريد : « اجتنى سقطه » بدون اللام . (٥) في الأصل : « ضن ربك بخمس » . (٦) زاد في مسند أحمد والبداية والنهاية ها : « وأشار بيده » . (٧) زيادة من مسند أحمد والبداية والنهاية والعقد الفريد . (٨) في الأصل « متى » . (٩) في الأصل : « وعلم ما في غد قد علم ما أنت طاعم غدا » . (١٠) أزل الرجل : صار في شدة وضيق . (١١) كذا في البداية والنهاية . ومسنون : أصابهم سنة ، أي فخط وجذب . وفي سائر المصادر : « مشفقين » . (١٢) زاد في العقد الفريد ها : « فلا تعجلني » .

عَلَّمْنَا مِمَّا لَا يَعْلَمُ النَّاسُ وَمَا تُعَلِّمُ فَإِنَّا مِنْ قَبِيلِ لَا يَصْذَقُونَ تَصْدِيقُنَا أَحَدًا مِنْ مَذْجِ
الَّتِي تَدْنُو إِلَيْنَا، وَخُفْمِ الَّتِي تَوَالِنَا، وَعَشِيرَتِنَا الَّتِي نَحْنُ مِنْهَا ^(٢) . قَالَ : ” تَلْبَثُونَ
مَا لَيْتُمْ ثُمَّ يُتَوَفَّى نَبِيِّكُمْ ثُمَّ تَلْبَثُونَ مَا لَبِثْتُمْ ثُمَّ تُبْعَثُ الصَّيْحَةُ ، فَلْعَمْرُؤُا إِلَهُكَ مَا تَدَّعَى عَلَى
ظَهْرَهَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا مَاتَ وَالْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ مَعَ رَبِّكَ ، فَأَصْبَحَ رَبُّكَ يَطُوفُ فِي الْأَرْضِ ^(٣)
وَقَدْ خَلَّتْ عَلَيْهِ الْبِلَادُ ، فَأَرْسَلَ رَبُّكَ السَّمَاءَ [بِهَضْبٍ] ^(٤) مِنْ عِنْدِ الْعَرْشِ ، فَلْعَمْرُؤُا إِلَهُكَ
مَا تَدَّعَى عَلَى ظَهْرَهَا مِنْ مَضْرَعٍ قَتِيلٍ وَلَا مَدْفَنٍ مَيِّتٍ إِلَّا شَقَّتِ الْقَبْرَ عَنْهُ حَتَّى تَخْلُقَهُ
مِنْ قَبْلِ رَأْسِهِ فَيَسْتَوِي جَالِسًا ، يَقُولُ رَبُّكَ مَهْمٌ لِمَا كَانَ فِيهِ ، يَقُولُ : يَارَبُّ أُمْنَى ^(٥)
أَمْسَ الْيَوْمَ ، لَعَهْدِهِ بِالْحَيَاةِ يَحْسِبُهُ حَدِيثًا بِأَهْلِهِ ” . فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، كَيْفَ يَجْعَلُنَا

(١) كَذَا فِي الْبَدَايَةِ وَالنَّهَايَةِ . وَفِي الْأَصْلِ : « مَا تُعَلِّمُ النَّاسَ وَمَا تُعَلِّمُ » . وَفِي مُسْنَدِ أَحْمَد :

« عَلَّمْنَا مِمَّا تُعَلِّمُ النَّاسَ وَمَا تُعَلِّمُ » .

١٠

(٢) زِيَادَةٌ عَنْ مُسْنَدِ أَحْمَدَ الْبَدَايَةِ وَالنَّهَايَةِ وَالْعَقْدِ الْفَرِيدِ .

(٣) فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ : « فَيَصْبِحُ » .

(٤) فِي كِتَابِ التَّذَكُّرَةِ لِلْقُرْطُبِيِّ (نَسَخَةٌ مَخْطُوطَةٌ فِي دَارِ الْكُتُبِ الْمَصْرِيَّةِ بِرَقْمِ ١ مِ تَصُوفُ) :

« قَالَ عَلَافُونَا : قَوْلُهُ فَأَصْبَحَ رَبُّكَ يَطُوفُ فِي الْبِلَادِ وَقَدْ خَلَّتْ عَلَيْهِ الْبِلَادُ ، إِنَّمَا هُوَ تَفْهِيمٌ وَتَقْرِيبٌ إِلَى أَنْ

١٥

يَجْمَعُ مِنْ فِي الْأَرْضِ يَمُوتُ وَأَنَّ الْأَرْضَ تَبْقَى خَالِيَةً وَلَيْسَ يَبْقَى إِلَّا اللَّهُ ، كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ الْآيَةُ .

(٥) الْكَلِمَةُ مِنْ مُسْنَدِ أَحْمَدَ الْبَدَايَةِ وَالنَّهَايَةِ ، وَفِيهَا : « تَهْضِبُ » وَهُوَ تَصْغِيفٌ . وَفِي كِتَابِ

التَّذَكُّرَةِ : « فَأَرْسَلَ رَبُّكَ مِنَ السَّمَاءِ مَهْضَبَةً » . وَفِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ : « فَيَرْسَلُ رَبُّكَ مَهْضَبًا » .

وَالْمَهْضَبُ : الْمَطَرُ .

٢٠

(٦) مَهْمٌ : كَلِمَةٌ اسْتِفْهَامٌ عَنِ الْحَالِ وَالشَّأْنِ . وَفِي لِسَانِ الْعَرَبِ (فِي مَادَّةِ مَهْمٍ) : « فَيَسْتَوِي

جَالِسًا فَيَقُولُ رَبُّ مَهْمٍ » .

(٧) كَلِمَةٌ « أُمْنَى » لَيْسَتْ فِي الْمَوَادِّ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِينَا . وَالْعِبَارَةُ فِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ الْبَدَايَةِ وَالنَّهَايَةِ .

« يَقُولُ أَمْسَ الْيَوْمَ فَلَعَهْدِهِ ... » .

بعد ما تمزقنا الرياح والبلل والسباع ؟ قال : ” أنبتك بمثل ذلك في إل الله الأرض^(١)
 أشرفت عليها وهي مِدرة بالية فقلت لا تحيا أبداً ثم أرسل ربك عليها السماء فلم تلبث عليها^(٢)
 إلا أياما حتى أشرفت عليها فإذا هي شرية واحدة^(٣)، فلعمركم إهلك هو أقدر على أن يجمعهم
 من الماء على أن يجمع نبات الأرض فتخرجون من الأصواء^(٤) ومن مصارعكم فتنتظرون^(٥)
 إليه ساعة وينظر اليكم ” . قلت : يا رسول الله ، [وكيف] ونحن ملء الأرض
 وهو شخص واحد ينظر إلينا وينظر إليه ؟ قال : ” أنبتكم بمثل ذلك في إل الله
 الشمس والقمر آية [منه] صغيرة ترونها ساعة واحدة ويريانكم لا تضارون في رؤيتهما^(٦)
 ولعمركم إهلك هو أقدر على أن يراكم وترويه منهما أن تروهما ويرياكم لا تضارون^(٧)
 في رؤيتهما ” . قلت : يا رسول الله ، فماذا يفعل بنا ربنا إذا لقيناه ؟ قال : تُعرضون
 عليه بادية [له] صفحاتكم لا يخفى عليه [منكم] خافية ، يأخذ ربك [بيده] غرقة من^(٨)
 الماء فينضح [بها] قبلكم ، فلعمركم إهلك ما تخطئ وجه واحد منكم منها قطرة ، فأما المسلم

٥

١٠

(١) إل الله : ربوبيته وإلهيته وقدرته ، ويجوز أن يكون في إل الله أى في عهده (راجع
 النهاية لابن الأثير .

(٢) في مسند الإمام أحمد البداية والنهاية « عليك » .

(٣) الشرية : الحنطة . أى إن الأرض تخضر بالنبات فتصير في اخضرار الحنطة ونضارتها . وروى
 « شربة » بالموحدة . أى يكثر الماء فن حيث أردت أن تشرب شربت . قال الزمخشري : « ولو روى
 شربة — بالتحريك — فهي حوض في أصل النخلة .

(٤) الأصواء هنا : القبور .

(٥) التكلة عن مسند الإمام أحمد البداية والنهاية والعقد الفريد .

(٦) في الأصل : « ... ترونها ساعة واحدة فيرانكم » وفي مسند الإمام أحمد البداية والنهاية :
 « ترونها ويريانكم ساعة واحدة » .

٢٠

(٧) في الأصل : « لا تضامون » .

(٨) في الأصل : « ... هو أقدر على أن يراكم وترويه منهما أو ترونها ويريانكم ولا تضامون »

وهو تحريف .

فَدَعَ وجهه مِثْلَ الرِّبْطَةِ الْبَيْضَاءِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَتَخَطَّمَهُ بِمِثْلِ الْحُمِيمِ الْأَسْوَدِ. ^(٢) أَلَّا تَمَّ
 يَنْصَرَفُ [نَيْبِكُمْ] ^(٣) وَيَتَفَرَّقُ عَلَى أَثَرِهِ الصَّالِحُونَ، فَتَسْلُكُونَ جَسْرًا مِنَ النَّارِ يَطُأُ أَحَدُكُمْ
 الْجَمْرَةَ يَقُولُ حَسَّ، ^(٤) فَيَقُولُ رَبِّكَ وَإِنَّهُ. ^(٥) أَلَّا فَتَنْطَلِعُونَ عَلَى حَوْضِ الرَّسُولِ لَا يَظْمَأُ وَاللَّهِ نَاهِلُهُ
 فَلَعَمْرُ إِلَهُكَ مَا يَسْطُرُ أَحَدٌ مِنْكُمْ يَدَهُ إِلَّا وَقَعَ عَلَيْهَا قَدْحٌ يَطْهَرُهُ مِنَ الطُّوفِ وَالْبَوْلِ ^(٦)
 وَالْأَذَى. وَتُحْبَسُ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ فَلَا تَرَوْنَ مِنْهُمَا وَاحِدًا. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ،
 فَبِمَ يُنْصَرَفُ الْأَرْضُ؟ ^(٨) قَالَ: «بِمِثْلِ سَاعَتِكَ هَذِهِ» وَذَلِكَ مَعَ طُلُوعِ الشَّمْسِ فِي يَوْمٍ
 أَشْرَقَتْهُ الْأَرْضُ وَوَاجِهَتُهُ الْجِبَالُ. ^(٩) قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَبِمَ تُجْزَى مِنْ سَيِّئَاتِنَا
 وَحَسَنَاتِنَا؟ قَالَ «الْحَسَنَةُ بَعَشْرُ أَمْثَالِهَا وَالسَّيِّئَةُ بِمِثْلِهَا إِلَّا أَنْ يَعْفُو اللَّهُ». قُلْتُ:

(١) الرِبْطَةُ : المندِيل .

(٢) في الأصل : « الحميم » . والحِم : العجم . وتخطَّمه ، أى تصيب خطمه وهو أنه ، يعنى تصيبه
 فتجعل له أثرا مثل أثر الخطام فترده بصعر (عن كتاب النهاية لابن الأثير) .

(٣) النكبة عن مسند الإمام أحمد والبداية والنهاية والعقد الفريد .

(٤) كلمة يقوفا الإنسان إذا أصابه ما مضه وأحرقه غفلة كالجمرة والضربة ونحوهما .

(٥) كذا في العقد الفريد والنهاية لابن الأثير والعائق للزمخشري . وفي جميع المصادر التي يرب

أيدينا « أو أنه » ه ومعنى أنه أى نعم والهاء للسكت ، أو اختصر الكلام بمحذف الخير ، والمعنى
 إنه كذلك .

(٦) في العائق والنهاية : « ... قدح مطهرة من الطوف والأذى » قال الزمخشري : قوله (مطهرة)

محمول على المعنى ؛ لأنه وقع على يد كل واحد منهم قدح فهي أقذاح كثيرة . « وفي النهاية : « الطوف :

الحدث من الطعام . المعنى أن من شرب تلك الشربة طهر من الحدث والأذى . وأنت القدح لأنه ذهب بها

إلى الشربة » .

٢٠

(٧) كذا في مسند الإمام أحمد والبداية والنهاية والعقد الفريد . وفي الأصول : « والایل » .

(٨) كلمة « الأرض » ليست في غير الأصل .

(٩) كذا في البداية والنهاية . وفي مسند الإمام أحمد : « في يوم أشرق الأرض واجهت به الجبال » .

وفي الأصل : « في يوم أسفرت وواجهت الجبال » .

يا رسول الله، ما الجنة وما النار^(١). قال : ”لَعَمْرُ إِلْهِكُ إِنَّ لِلنَّارِ لِسَبْعَةَ أَبْوَابَ مَا مِنْهَا بَابَانِ إِلَّا يَسِيرُ الرَّكَّابُ بَيْنَهُمَا سَبْعِينَ عَامًا . وَإِنَّ لِلْجَنَّةِ لَثَمَانِيَةَ أَبْوَابَ مَا مِنْهَا بَابَانِ إِلَّا يَسِيرُ الرَّكَّابُ بَيْنَهُمَا سَبْعِينَ عَامًا“ . قلت : يا رسول الله، فَعَلَامَ تَطْلُعُ مِنَ الْجَنَّةِ؟ قال : ”عَلَى أَنْهَارٍ مِنْ عَسَلٍ مَصْنَعِي، وَأَنْهَارٍ مِنْ كَأْسٍ مَا بِهَا صُدَاعٌ وَلَا نَدَامَةٌ، وَأَنْهَارٍ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ، وَمَاءٍ غَيْرِ آسَنِ، [وَفَاكِهَةٍ لَعَمْرُ إِلْهِكُ مَا تَعْلَمُونَ] وَخَيْرٌ مِنْ مِثْلِهِ مَعَهُ وَأَزْوَاجٌ مَطَهَّرَةٌ“ . قلت : يا رسول الله، وَلَنَا فِيهَا أَزْوَاجٌ أَوْ مِنْهُمْ مَصْلَحَاتُ؟ قال : ”الصَّالِحَاتُ لِلصَّالِحِينَ تَلَذُّوهِنَّ مِثْلَ لَذَائِكُمْ فِي الدُّنْيَا وَيَلَذَّذْكُمْ غَيْرُ أَنْ لَا تَوَلَّدَ فِيهَا“ .

اتمى التذييل على القسم الثالث بعون الله تعالى وحسن توفيقه . والله الموفق

للصواب .

١٠

(١) في العقد الفريد : « في الجنة أم النار » . وفي سائر المصادر التي بين أيدينا : « أما الجنة

وأما النار » .

(٢) كذا في مسند الإمام أحمد والبداية والنهاية . وفي الأصول : « لعمر إلهك لها » .

(٣) ما بين المربعين عبارة مسند الإمام أحمد والبداية والنهاية والعقد الفريد . وفي الأصل : « وما .

غير آسن خير مما تعملون وخير من مثله معه » .

١٥

(٤) في الأصل : « اَنَّ لَنَا فِيهَا أَزْوَاجًا أَوْ مِنْهُمْ مَصْلَحَاتُ » .

القسم الرابع من الفن الخامس

في أخبار ملوك الأصقاع، وملوك الأمم والطوائف، وخبر سبل العرِم
ووقائع العرب في الجاهلية، ويشتمل على خمسة أبواب

الباب الأول

في أخبار ذى القرنين الذى ذكره الله عز وجل

في كتابه العزيز في سورة الكهف

قال الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ۚ إِنَّا مَكِّنَّا لَهٗ فِي الْأَرْضِ وَآيَاتِنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبِيلًا ۚ﴾ . وأختلف في تسميته ذا القرنين ، فقيل : لبلوغه أطراف الأرض ، وإن الملك الموكل بجبل قاف سماه بذلك . وهذا القول محكى عن ابن عباس رضى الله عنهما . وقيل : إنما سُمي بذلك لأنه كانت له ذوابتان من الذهب . ويعزى هذا القول إلى علي بن أبي طالب رضى الله عنه . وقيل : إنما سُمي بذلك لأنه رأى في منامه أنه يدنو من الشمس فيضع يده في قرنيها من شرفها وغربها ، فقص رؤياه على قومه فسموه ذا القرنين ، وهذا القول مروى عن وهب . وقيل : إنما سُمي به لأن الله تعالى كان قد بعثه إلى قوم فضر به على قرنه فأت ، فأحياه الله ثم بعثه إليهم فضر به على قرنيه الآخر فأت ، ثم أحياه الله ، فسمي ذا القرنين . وقيل : إنما سُمي بذلك لأنه أفنى قرنين من الناس . ولأنه كريم الطرفين من أهل بيت شريف من قبل أبيه وأمه . وقيل : لأنه أُعطي علم الظاهر والباطن .

وقيل : لأنه دخل الظلمة والنور . وقيل : لأنه ملك فارس والروم . وقيل غير ذلك . والله تعالى أعلم .

قال وهب : كان ذو القرنين رجلا من أهل الإسكندرية يقال له الإسكندروس . والعَجَبُ كونه نُسِبَ أنه من أهل الإسكندرية ، وقد نقل جماعة من أهل التاريخ أن الإسكندر هو الذى أنشأ الإسكندرية وبنائها ، فكيف يكون من أهلها وهو الذى أنشأها واليه نُسِبَت ! . ورُوى عن وهب أيضا أن ذا القرنين كان خارجيا فى قومه ، ولم يكن بأفضلهم نسبا ولا حسبا ولا موضعا ، ثم قال بعد ذلك : إن الله تعالى بعثه نبيا ورسولا . ولا يكون الأنبياء إلا من أفضل قومهم حسبا وأشرفهم نسبا . وقد يكون هذا النقل لاختلاف الروايات . وما آفة الأخبار إلا رواياتها . ١٠

قال الشيخ أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي فى تفسيره عن ابن إسحاق قال حدثنى مَنْ يسوق الأحاديث عن الأعاجم فيما توارثوا من علم : أن ذا القرنين كان رجلا من أهل مصر ، اسمه مرزبان بن مرذبة اليونانى من ولد يونان بن يافث ابن نوح . قال وقال ابن هشام : اسمه الإسكندر ، وهو الذى بنى الإسكندرية ، فنُسِبَت إليه . قال وقيل : اسمه هرمس ، ويقال هرديس . وقال ابن هشام : هو الصعب بن ذى يزن الجيئرى . وقال وهب : هو رومى . وقيل : إنه أفريدون [الذى قتل بيوراسب بن أرونداسب ^(٣) الملك الفارسى ^(٤)] . ١٥

- (١) وقد ساق ابن كثير فى كتابه البداية والنهاية (ج ٢ ص ١٠٣) بعض الأقوال التى لم تذكرها .
 (٢) كذا فى السيرة النبوية لابن هشام (ص ١٩٧ طبع أوربا) والبداءة والنهاية لابن كثير (ج ٢ ص ١٠٥ طبع مصر) . وفى تفسير القرطبي (ج ١١ ص ٤٥ طبع دار الكتب المصرية) : «مرزبان بن مردبة» . وفى الأصول : «مرزبان بن مرذبة» . (٣) التكلة عن تفسير القرطبي (ج ١١ ص ٤٧) .
 (٤) فى تفسير القرطبي : «الملك الطاغى على عهد ابراهيم عليه السلام ، أو قبله بزمان» . ٢٠

وقال أبو إسحاق الثعلبي رحمه الله تعالى في قصصه - وذكر الخلاف في نبوته -

قال : الصحيح إن شاء الله أنه كان نبياً غير مُرْسَل، كما روى عن وهب وغيره من أهل الكتب . قال وقالوا : كان ذو القرنين رجلاً من الروم ابن عجوز من عجائزهم ليس لها ولد غيره، وكان اسمه إسكندروس . قال ويقال : كان اسمه ابن عيَّاش، وكان عيَّاش عبداً صالحاً . قال وهب : ونشأ ذو القرنين في علم وأدب وثروة وعفة، ولم يزل يتخلى بمكارم الأخلاق ويسمو إلى معالي الأمور حتى بُعِثت همته، واشتد أمره، وعلا صوته، وعزَّ في قومه، وألقى الله تعالى عليه الهيبة، وحدث نفسه بمعالي الأمور . قال الثعلبي : فلما استحك مُلكه واستجمع أمره أوحى الله تعالى إليه : إذا القرنين، إني بعثتك إلى جميع الخلائق ما بين الخافقين، وجعلتك حجتى عليهم، وهذا

١٠ تأويل رؤياك . وإني باعثك إلى أم الأرض كلهم وهي سبع أمم مختلفة ألسنتهم، منهم أمتان بينهما عرض الأرض، وأمتان بينهما طول الأرض، وثلاث أمم في وسط الأرض، وهم الإنس والجنّ وأجوج ومأجوج . فأما الأمتان اللتان بينهما طول الأرض فأمة عند مغرب الشمس يقال لها ناسك، والأخرى [بجبالها عند مطلع الشمس] يقال لها منسك . وأما الأمتان اللتان بينهما عرض الأرض فأمة في قطر الأرض

١٥ الأيمن يقال لها هاويل، والأخرى بجبالها في قطر الأرض الأيسر يقال لها تاويل . فلما قال الله تعالى له ذلك قال ذو القرنين : إلهي إنك قد ندبتني إني أمر عظيم لا يقدر قدره إلا أنت ؛ فأخبرني عن هذه الأمم التي بعثتني إليها بأى قوة أكاثرهم، وبأى حيلة وجمع أكابره، وبأى صبر أقاسيهم، وبأى لسان أناطقهم ؛ وكيف لي بأن أفقه لغاتهم، وبأى سمع أسمع أقوالهم، وبأى بصر أنفذهم، وبأى

٢٠ (١) كذا في الثعلبي . وفي الأصول : « ابن عباس » . (٢) كذا في الثعلبي . وفي الأصل « عرض الأرض » . (٣) زيادة عن الثعلبي . (٤) في الأصل : « طول الأرض » . (٥) في الثعلبي : « لا يقدر عليه ذو قدرة إلا أنت » .

حجة أخاصمهم ، وبأى عقل أعقل عنهم ، وبأى قلب وحكمة أدبر أمرهم ،
وبأى قسسط أعدل بينهم ، وبأى حلم أصابرهم ، وبأى معرفة أفصيل بينهم ،
وبأى علم أتقن أمرهم ، وبأى يد أسطو عليهم ، وبأى رجل أطوهم ، وبأى طاقة
أحصيهم . وبأى جند أقاتلهم ، وبأى رفيق أتألفهم ، وليس عندي يا إلهي شيء مما
ذكرت يقوم لهم ويقوى عليهم وأنت الرؤوف الرحيم ، الذي لا تكلف نفسا إلا وسعها ،
ولا تتحملها إلا طاقتها ، ولا تُسقيها ؛ بل أنت ترحمها . فقال الله تعالى له : إني سأطوئك
ما حملتك ، وأشرح لك صدرك وسمعتك فتسمع وتعي كل شيء ، وأوسع لك فهمك فتفقه
كل شيء ، وأبسط لك لسانك فتنتطق بكل شيء ، وأفتح لك بصرك فينفذ في كل شيء ،
وأحصي لك قوتك فلا يفوتك شيء ، وأشد لك عضدك فلا يهولك شيء ، وأشد لك
ركبك فلا يغلبك شيء ، وأشد لك قلبك فلا يفزعك شيء ، وأشد لك يديك فتسطو على كل
شيء ، وألبسك الهيبة فلا يروعك شيء ، وأستخر لك النور والظلمة وأجعلهما جندا من
جنودك ، يهديك النور من أمامك ، وتحوطك الظلمة من ورائك . قال : فلما قيل له
ذلك حدث نفسه بالمسير ، وألح عليه قومه بالمقام . فلم يفعل وقال : لا بد من طاعة
الله تعالى . قال وهب : وكان أول ما بدأ به أن أخذ قومه بالإسلام فأسلموا قهرا
من عند آخرهم ، ثم أمرهم أن يبنوا له مسجدا ويجعلوا طسوله أربعمائة ذراع ،
وعرضه مائتي ذراع ، وثمكت حائطه اثنين وعشرين ذراعا ، وأرتفاعه في السماء
مائة ذراع ، وأمرهم أن ينصبوا فيه سوارى . قالوا : ياذا القرنين ، كيف لنا بنخشب
يبلغ ما بين الحائطين ؟ فلما كل البناء أمرهم بدمه بالتراب ، ثم فرض على المؤسّر قدره
من الذهب وعلى المُقترِ قدره ، وأمرهم أن يجعلوا ذلك الذهب كقلامة الظفر

(١) كذا في التعلي . وفي الأصل : « أقوم لهم وأقوى عليهم » .

(٢) كلمة « قوتك » ليست في التعلي . (٣) كذا في التعلي . وفي الأصل : « بدنك » .

ويخلطوه بالتراب وكبسوا التراب حتى ساوى البناء ، ثم أمرهم بعد ذلك أن يتخذوا أعمدة من النحاس بدلا من الخشب فصنعوها ، وجعلوا على كل حائط اثني عشر ذراعا ، فكان طول كل عمود من النحاس مائتين وأربعة وعشرين ذراعا ، فتمكنوا من ذلك بسبب الردم . فلما استقرت السقف بما فيه أمر الإسكندر المساكين أن يحولوا التراب ، ومن خرج له شئ من الذهب فهو له ، فسارعوا إلى ذلك ونقلوه واستغنوا بما فيه ، ثم جند القوم أربعين ألفا ، وهم أول جند اتبعوه .

- وقال الثعلبي رحمه الله : إن الإسكندر جند المساكين بما حصل لهم من قراضة الذهب ، وكانوا أربعين ألفا ، جعلهم أربعة أجناد ، في كل جند عشرة آلاف . قال : ثم عرض جنسده فوجدهم فيما قيل ألف ألف وأربعمائة ألف رجل غير المساكين ، وهم أربعون ألفا ، ثم انطلق يؤم الأئمة التي عند مغرب الشمس ، فسار لا يترأفة إلا دعاهم إلى الله تعالى ، فإن أجابوه قيل ذلك منهم ، وإن أبوا عليه غشيتهم الظلمة فلبست مدائنهم ومنازلهم وأعشت أبصارهم ، فيتحيروا حتى يبيسوه ، أو يأخذهم عنوة . ولم يزل كذلك حتى بلغ مغرب الشمس . قال الله تعالى : ﴿ فَاتَّبَعَ سَبَبًا * حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَرْغُبُ فِي عَيْنٍ حَنِئَةٍ ﴾ (١) أى ذات حمة ، ومن قرأ حامية فعناه حازه ﴿ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تَعُذَّبَ وَإِمَّا أَنْ نَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴾ الآيات إلى قوله : ﴿ يُسْرًا ﴾ . قال الثعلبي : فوجد جمعا وعددا لا يحصىه إلا الله تعالى ، وقوة وبأسا لا يطيقه إلا الله تعالى ، ورأى ألسنا مختلفة وأهواء متشتتة ، وهذه الأئمة هي ناسك . فلما رأى ذلك كآثرهم بالظلمة فضرب حولهم ثلاث عساكر فأحاط بهم من كل مكان حتى جمعهم في مكان واحد ، ثم أخذ عليهم بالنور فدعاهم إلى الله تعالى وعبادته ، فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه ،
- (١) كذا في الثعلبي . وفي الأصل : « استقل » . (٢) سورة الكهف آية ٨٥ وما بعدها .

فعمد إلى الذين تولّوا عنه فأدخلهم الظلمة ، فدخلت في أفواههم وأنوفهم وآذانهم وأجوافهم ، ودخلت في بيوتهم وغشيتهم من فوقهم ومن تحتهم ومن كل جانب ، فصاحوا وتحيروا وأشفقوا من الهلكة ، فعيّجوا إليه بصوت واحد ، فكشفها عنهم وأخذهم عنوة فدخلوا في دعوته ، فبند منهم أئمة عظيمة وجعلهم جندا واحدا ، ثم أنطلق بهم يقودهم والظلمة تسوقهم من خلفهم وتحرسهم والنور أمامهم ، وسار يريد الأئمة التي في قطر الأرض التي يقال لها هاويل ، فكان إذا انتهى إلى بحر أو نهر بنى سُنْفنا من ألواح صغار أمثال النعال ونظمها في ساعة ، ثم حمل فيها جميع من معه من تلك الأئمة والجنود ، فإذا قطع ذلك البحر أو النهر فلقها ثم دفع إلى كل رجل منهم لوحا فلا يكرّنه حملة ، فلم يزل ذلك دأبه حتى انتهى إلى هاويل ففعل بهم كما فعل بالأئمة التي قبلها . قال : ولما فرغ منها مضى حتى انتهى إلى مُنْكَس وهي الأئمة التي عند مطلع الشمس . قال الله تعالى : ﴿ ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ تَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا * كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ۝ ﴾ . قال : وقوله تعالى : ﴿ لَمْ تَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا ﴾ وذلك أنهم كانوا في مكان لا يستقرّ عليه بناء ، وكانوا يكونون في أسراب^(٢) لهم ، حتى إذا زالت الشمس خرجوا إلى معاشهم وحروثهم . وقال الحسن^(٣) : كانت أرضهم أرضا لا تحتمل البناء ، فكانوا إذا طلعت الشمس عليهم تهوّروا في الماء ، فإذا ارتفعت عنهم خرجوا قتراعوا كما ترعى البهائم . وقال الكلبي : هم أئمة يقال لها مُنْكَس عُرّة حفاة عمأة عن الحق . قال : وحديث عمرو بن مالك بن أمية قال : وجدت رجلا بسمرقند يحدث الناس

(١) سورة الكهف آية ٨٩ وما بعدها .

(٢) الأسراب : جمع سرب (بالتحريك) وهو الحفير تحت الأرض .

(٣) عبارة الحسن في تفسير القرطبي (ج ١١ ص ٥٤) : (كانت أرضهم لا جبل فيها ولا شجر ، وكانت لا تحمل البناء ، فإذا طلعت عليهم الشمس نزلوا في الماء ، فإذا ارتفعت عنهم خرجوا قتراعون كما تترعى البهائم) .

وهم مجتمعون حوله ، فسألت بعض من سمع حديثه فأخبرني أنه حدثهم عن القوم الذين
تطلع عليهم الشمس ، قال : خرجت حتى جاوزت الصين ، ثم سألت عنهم فقيل : [إلى]
إن بئيك وبينهم مسيرة يوم وليلة ، فاستأجرت رجلاً [يرينهم]^(١) ، فسرت بقية عشيتي وليلتي
حتى صبحتهم ، فإذا أحدهم يفتش أذنه ويلبس الأخرى . وكان صاحبي يحسن لسانهم
فسألوه فقال : جئنا ننظر كيف تطلع الشمس . قال : فبينما نحن كذلك إذ سمعنا
مثل الصاصلة ، ففُتِشَ على فوقعت ، فلما أفقت وجدتهم مسحوني بالدهن فإذا
الشمس طلعت على الماء ، وهي عليه كهيئة الزيت ، وإذا طرف السماء كهيئة
الْقُسْطَاط ، فلما ارتفعت دخلوا في سَرَبٍ لهم وأنا وصاحبي ، فلما ارتفع النهار خرجوا
إلى البحر فجعلوا يصطادون السمك فيطرحونه في الشمس فينضج .

- ١٠ نرجع إلى تمة أخبار الإسكندر ومطلع الشمس . قالوا : ولما بلغ الإسكندر
مطلع الشمس فعل بمنسك كما فعل بالأُم التي قبلها وجند منها جنوداً ، ثم كثر حتى
أخذ ناحية الأرض اليسرى وهي بدء تاويل ، وهي الأُمة التي بجبال هاويل ، وهما
متقابلتان بينهما عَرْضُ الأرض . فلما بلغها عمل فيها كما عمل بمن قبلها . ولما فرغ
من الأُم الذين هم بأطراف الأرض وطاف الشرق والغرب عطف منها إلى الأُم
التي هي في وسط الأرض من الجن والإنس وبأجوج ومأجوج . فلما كان في بعض
١٥ الطريق مما يلي منقطع الترك نحو المشرق قالت له أُمة صالحة من الإنس :
ياذا القرنين ، إن بين هذين الجبلين خلقاً من خلق الله ليس فيهم مُشابهة من الإنس ،
وهم أشباه البهائم ، يأكلون العُشب ويفترسون الدواب والوحوش كما يفترسها السباع ،
ويأكلون هوام الأرض من الحيات والعقارب وكل ذى رُوح مما خلق الله تعالى .
٢٠ وليس لله خلق ينمون نماءهم ولا يزدادون كزيادتهم . فإن أتت مدة على ما نرى من

(١) التكملة عن القرطبي . (٢) في تفسير القرطبي : « ويلتحف » .

نماهم وز يادتهم فلا شك أنهم سيمثلون الأرض ويُحلبون أهلها منها ويظهرون عليها فيفسدون فيها . وليست تمر بنا سنة منذ جاورناهم إلا ونحن نتوقعهم أن يطلع علينا أولهم من [بين ^(١)] هذين الجبلين .

قال الشيخ عبد الوهاب بن المبارك الأنطاقي في كتابه عن وهب بن منبه : إن
 ٥. يأجوج ومأجوج أجفلوا في زمن ذى القرنين يريدون أرضا وأمة من الأمم، وكانوا
 إذا توجهوا لوجه لم يعدلوا عنه ولا يميلون ولا يعرجون، وكانت تُسمع همهمتهم من
 مسيرة مائة فرسخ لكثرتهم . فلما سمعت تلك الأمة حسهم استغاثوا بذي القرنين، وهو
 يومئذ في ناحية أرضهم من شرق أرض الترك والحزر وقالوا : ياذا القرنين، إنه قد
 بلغنا ما آتاك الله من السلطان والمُلك، وما ألبسك من الهيبة، وما أيدك به من جنود
 ١٠. أهل الأرض ومن النور والظلمة، وإنا جيران يأجوج ومأجوج، وليس بيننا وبينهم
 إلا شواحق الجبال، وليس لهم إلينا طريق إلا من هذين الصّدين، فهل نجعل لك
 نحرًا [على أن نجعل بيننا وبينهم سدًّا] . قال الله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَتَعَ سَبَبًا ۖ حَتَّى إِذَا
 بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ۖ قَالُوا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ
 إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ نَحْرَجًا ۙ ﴾ ^(٢) أى جعلنا وأجرا
 ١٥. ﴿ عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ۙ ﴾ أى حاجزًا فلا يصلون إلينا ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي
 فِيهِ رَبِّي ۙ ﴾ أى قواني ﴿ خَيْرٌ ﴾ من خراجكم ولكن ﴿ فَأَعِزُّونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ
 وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۙ ﴾ حاجزًا كالخائط . قالوا : وما تلك القوة ؟ قال : فعلة وصناع

٩٢
١٢

(١) التكملة عن التعلي . (٢) هما جبلان من قبل إرمينية وأذربيجان، كما في تفسير القرطبي . (٣) أجفلوا : أسرعوا الحرب . وهى هنا غير واضحة في السياق . (٤) الصدفان : جانبى الجبل ، لأنهما يتصادفان أى يتقابلان . (٥) سورة الكهف آية ٩٢ وما بعدها .

يُحْسِنُونَ البناء والعمل والآلة . قالوا : وما تلك الآلة : قال ﴿ آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ ﴾
 يعني قِطْعَه ، واحداً زُبْرَةً ، وآتُونِي بِالنُّحَاسِ . قالوا : من أين لنا الحديد والنُّحَاس
 [ما يكفي هذا العمل] ؟ قال ، سأدلكم على معادن الحديد والنُّحَاس ، فضرب لهم
 في جبلين حتى فلقهما ، ثم استخرج منهما معدنين من الحديد والنُّحَاس . قالوا : فبأي
 قوة نقطع الحديد والنُّحَاس ؟ فاستخرج معدن السامور وهو أشد ما خلق الله بياضاً ،
 وهو الذي قطع به سليمانُ صُخُورَ بَيْتِ المقدس وجواهره ، كما تقدّم . قال الثعلبي :
 ولما شغلهم الإسكندر في استخراج الحديد والنُّحَاس سار نحو يأجوج ومأجوج
 ليعلم علمهم ، فأطلق يؤتهم حتى انتهى إليهم وتوسط بلادهم ، فوجدهم على مقدار
 واحد ذكركم وأنثاهم ، يبلغ طول الواحد منهم مثل نصف الرجل المربع مثلاً .
 وروى عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه أنه قال : منهم من طوله شبر ، ومنهم
 من هو مُقَرَّبٌ في الطول ، لهم مخالب في أيديهم موضع الأظافر ، وأنياب وأضراس
 كالسباع ، يسمع لها حركة إذا أكلوا كفَضَمَ البغل المسنّ أو الفرس القوى ، ولهم
 من الشعر في أجسادهم ما يؤاريهم وما يتقون به الحرّ والبرد ، ولكل واحد منهم
 أذنان عظيمتان ، إحداهما وِيرةٌ والأخرى زَغَبَةٌ ، يفترش إحداهما ويلتحف
 الأخرى ، ويصيّف في إحداهما ويشقي في الأخرى . وقال الأنماطي في خبره :
 (١) زيادة عن الثعلبي .

(٢) ورد في البداية والنهاية لابن كثير (ج ٢ ص ١١٠ طبع مصر) ردّاً على هذا ما نصه :

« من زعم أنهم على أشكال مختلفة وأطوال متباينة جداً ، فهم من هو كالنحلة السحوق ، ومنهم
 من هو غايّة في القصر . ومنهم من يفترش أذنا من أذنيه ويتغطى بالأخرى ؛ فكل هذه أقوال بلا دليل ،
 ورجم بالغيب بغير برهان . والصحيح أنهم من بنى آدم وعلى أشكالهم وصفاتهم » ا . هـ .

ولا شك أن ما يذكره أصحاب القصص من صفات يأجوج ومأجوج فعليه ليس بصحيح ، وإنما هو من
 قبيل الخرافات والأسرائيات التي هي كذب محض ، تناقله أولئك الرواة والكاثيون بدون تحجز ولا تدقيق =

ولهم أخفاف كأخفاف الإبل . قالوا : وليس منهم ذكر ولا أنثى إلا قد عرف
أجله الذى يموت فيه . وذلك أن الذكور منهم لا يموت حتى يخرج من صلبه ألف
ولد، ولا تموت الأنثى حتى يخرج من رحمها ألف ولد^(١)، فإذا كان ذلك أيقن بالموت

٥ = وقد أثبت المحققون من رجال التاريخ أن أصل المغول والنتر من رجل يقال له « ترك » . وسماه
أبو الفداء باسم « مأجوج » . فيظهر من هذا أن المغول والنتر هم مأجوج وكانوا يشغلون الجزء
الشمالي من آسيا الكبرى من التبت حوبا إلى المحيط المتجمد الشمالي ، وتنتهى بلادهم غربا بما يلي بلاد
التركستان .

وما ذكره الله تعالى من إفسادهم في الأرض فقد ذكر المؤرخون أن هذه الأمم كانت تغمر على من
حاورها من الأمم في أزمنة مختلفة وأهلكوا الحرث والنسل ونزحوا البلاد . وذكروا أن منهم الأمم
المتوحشة والجيوش الجارفة التي انحدرت من هضبات آسيا الوسطى إلى أوروبا وآسيا الغربية مقر الأنبياء
١٠ (صلوات الله وسلامه عليهم) . كل ذلك قبل نزول القرآن وظهور النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن ظهرت
تلك الداهية الدهيا، والسارة الشعواء في أوائل القرن السابع من الهجرة إذ ظهر منهم رجل يسمى
« تموججى » وهو جنكيزخان المتوفى سنة ٦٢٤ هـ فأكتسح مجموعته قسما عظيما من البلاد الإسلامية وأبادوا
جوعتها حتى وصلوا إلى الشام بدون أن يال فسادهم الحره من الشر يدين ولا القدس كما أخبرت به الأحداث .
١٥ وقد أنشأوا على البلاد الإسلامية من كل حذب ؛ وذلك هو مصداق القرآن الكريم . ومن أراد
الاستفاضة في هذا فليراجع تفسير العلامة المرحوم الشيخ طنطاوى جوهرى (ج ٩ ص ١٩٧ — ٢٠٨)
والدعاية إلى سبيل المؤمنين للملاحة الشيخ إبراهيم أطفيش الجرائى (ص ١٤٩ — ١٥٣) وفكحة
الخلعاء (ص ٢٢٦) .

وقال المرحوم أمين واصف بك في كتابه معجم الخريطة التاريخية للممالك الإسلامية عن مأجوج
٢٠ ومأجوج ما نصه : « يؤخذ مما قرره الباحثون أن هذه الأقوام هي أمم السكيكثيون (١٠٨٠ - ١٠٧٠)
عند اليونان ؛ وكانت منازلهم بالشمال الشرقى من بحر الخزر ، وهم قبائل رحل ، وكانوا على حدود بلاد
ماوراء النهر مما يلي فرغانة والشاش ؛ ومنهم قبائل الخزر والمساجيب أو من سلاتهم » ١٥ .

(١) ورد في البداية والنهاية أيضا ردا على هذا مانصه :

٢٥ « ما قبل من أن أحدهم لا يموت حتى يرى من ذريته ألفا فإن صح في خبر قلنا به وإلا فلا نزده إذ يجتمعه
العقل ، والنقل أيضا قد يرشد إليه . بل ورد حديث مصرح بذلك إن صح قال الطبرانى — وذكر السند —
قال : (إن مأجوج ومأجوج من ولد آدم ولو أرسلوا لأفسدوا معاشهم ولن يموت منهم رجل إلا ترك
من ذريته ألفا فصاعدا ...) وهو حديث غريب جدا وإسناده ضعيف وفيه نكارة شديدة » .

وترك طلب المعيشة . قالوا : وهم يُرزَقون التَّينَ في أيام الربيع ، يقذفه عليهم السحاب من البحر في كل عام مرة . فإذا تأثر عنهم وقت عادته استطروه كما يُستطَرَّ الغيث لحينه ، فإن قَذَفُوا به أخصبوا وسمنوا وتولدوا وكثروا وأكلوا منه حولا كاملا لا يأكلون غيره ، ويقسّدونه فيعمّهم على كثرتهم . قال : وهم يتسَدَّعُونَ تَدَاعِيَ الحمام ، ويعوون عَوَاءَ الذئب ، ويتسافدون تسافد البهائم حيث التقوا . فلما عاينهم ذو القرنين انصرف إلى ما بين الصّدفين فقام ما بينهما ، ثم أوقد على ما جمع من الحديد والنحاس فصنع منه زُبْرًا أمثال الصخور العظام ، ثم أذاب النحاس بفعله كالطين وألاط به تلك الصخور الحديد ثم بناه .

قالوا : وكيفية بنائه على ما ذكره أهل السّير : أنه لما قام ما بين الجبلين وجد ما بينهما مائة فرسخ ، ثم حفّره الأساس حتى بلغ الماء ، وجعل عرضه خمسين فرسخا ، ثم وضع الحطب بين الجبلين ، ثم نسج عليه الحديد ، ثم نسج الحطب على الحديد ، فلم يزل يحول الحديد على الحطب والحطب على الحديد حتى ساوى بين الصّدفين ، وهما الجبلان ، ثم أمر بالنار فأرسلت فيه ، ثم قال انفخوا ثم جعل يُفْرِغُ القِطْرَ وهو النحاس المذاب ، فجعلت النار تأكل الحطب ويصير النحاس مكان الحطب حتى لزم الحديد النحاس ، فصار كأنه بُرد حبرة من صُفْرة النحاس وحرته ، وسواد الحديد وغلّته ؛ فصار سدا طويلا عظيما حصينا . قال الله تعالى : ﴿ قَا اسْطَاعُوا اَنْ يَظْهَرُوْهُ وَمَا اسْتَطَاعُوْا لَهُ نَقْبًا ﴾ . وقد روى أن رجلا قال يارسول الله قد رأيت سدّا يأجوج ومأجوج . قال : ” إنيته لي ” . قال : كالبرد المُجَبَّر ، طريقة سوداء ، وطريقة حمراء . قال : ” قد رأيتسه ” .

(١) في الأصل : « يفرغ مفرغ القطار » وهو تحريف . (٢) برد حبرة (على الوصف والإضافة) : ضرب من البرود البانانية المخططة . (٣) سورة الكهف آية ٩٧

وقد ذكرنا خبر السّد فيما سلف من كتابنا هذا عن سلام التّرجمان حين أرسله الوائق إلى السّد فراه ، وهو في الباب الثالث من القسم الخامس من الفنّ الأوّل وهو في السفر الأوّل من كتابنا هذا .

قال الأنماطيّ قال وهب : فبَعَثْنَا — والله أعلم — أنهم يأتونه في كل سنة مرّة ، وذلك أنهم يسيحون في بلادهم حتى إذا آتَوْهُا إلى ذلك الرّدم حبسهم فرجعوا يسيحون في بلادهم ، فهم كذلك حتى تقرب الساعة ، فإذا جاء أشراطها فتحه الله عز وجل ، فذلك قوله تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴾ ^(٢) ، وقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكًّا وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴾ ^(٣) . والله أعلم .

ذكر خبر دخول ذى القرنين الظلمات

١٠

مما يلي القطب الشمالى لطلب عين الحياة

قال أبو إسحاق الثعلبيّ رحمه الله : قال عليّ رضي الله عنه : ملك ذوالقرنين ما بين المشرق والمغرب ، وكان له خليل من الملائكة اسمه رفائيل يأتيه ويزوره . فبينما هما ذات يوم يتحادثان إذ قال ذو القرنين : يا رفائيل ، حدثني عن عبادتكم ^(٤) [في السماء] . فبكى وقال : يا ذا القرنين ، وما عبادتكم [بشيء] ^(٤) عند عبادتنا ! إن في السماء من الملائكة من هو قائم أبدا لا يجلس ، ومنهم من هو ساجد لا يرفع رأسه أبدا ، ومنهم الراكع لا يستوى أبدا قائما ، يقولون : سبحان الملك القدوس ، ربّ الملائكة والروح ، ربنا ما عبدناك حقّ عبادتك . فبكى ذو القرنين بكاء شديدا ثم قال : إني لأحبّ أن

١٥

(١) راجع (ج ١ ص ٣٧٤ — ٣٧٨ من هذه الطبعة) . (٢) سورة الأنبياء آية ٩٦

(٣) سورة الكهف آية ٩٨ (٤) زيادة عن الثعلبي .

٢٠

- أعيش فأبلغ من عبادة ربّي حقّ طاعته . قال رفائيل : أَوَتَحَبَّ ذلك ؟ قال نعم .
 قال : فإنّ الله عينا في الأرض تسمّى عين الحياة فيها من الله عزيمَةً ، إنّ من يشرب منها
 شربة لم يمت أبداً حتى يكون هو الذى يسأل ربّه الموت . قال ذو القرنين : هل تعلم
 موضع تلك العين ؟ قال الملك : لا ، غير أنّا نتحدّث في السماء أنّ الله تعالى في الأرض
 ظُلمة لا يَطْوَها إنسٌ ولا جَان ، فنحن نظن أنّ العين في تلك الظلمة . فجمع ذو القرنين
 علماء أهل الأرض وأهل دراسة الكتب وآثار النبوّة فقال لهم : أخبروني هل
 وجدتم فيا قرآنكم من كتب الله وما جاءكم من أحاديث الأنبياء وَمَنْ كان قبلكم أنّ
 الله وضع في الأرض عينا سماها عين الحياة ؟ . قالوا لا . وقال عالم من العلماء : إنّى
 قرأت وصيّة آدم ، وصّى أنّ الله تعالى خلق في الأرض ظُلمة لم يَطْأها إنسٌ ولا جَان
 ووضع فيها عين الخلد . فقال ذو القرنين : فأين وصيّته في الأرض ؟ قال : على
 قرن الشمس . فبعث ذو القرنين وحشروا إليه العلماء والأشراف والملوك ، ثم سار
 يطلب مطلع الشمس ، فسار اثنتي عشرة سنة إلى أن بلغ طرف الظُلمة ، فإذا ظُلمة
 تقوم مثل الدخان ليست بظُلمة ليل . فعسكر هناك ، ثم جمع العلماء وقال : إنّى
 أريد أن أسلك هذه الظلمة . قالوا : إنه من كان قبلك من الأنبياء والملوك لم يطلبوا
 هذه الظلمة فلا تطلبها ، فإنّا نخاف أن ينبثق عليك أمر تركه فيكون فيه فساد [أهل]
 الأرض . فقال : لا بدّ من أن أسلكها . قالوا : أيها الملك كفّ عنها ولا تطلبها
 فإنّا لو نعلم أنك إن طلبتها ظفرت بما تريد ولم يسخط علينا ربنا لاتبّعناك ، ولكنّا
 نخاف العتب من الله عزّ وجلّ وفساد الأرض ومن عليها . فقال : لا بدّ أن أسلكها .

(١) كذا في التعلي . وفي الأصل : « وقال عالم العلماء منهم » .

(٢) كذا في التعلي . وفي الأصل : « لا يَطْوَها » .

(٣) في الأصل : « تفور » . (٤) زيادة عن التعلي .

- قالوا : شأنك بها . قال : أىّ الدوابّ بالليل أبصر ؟ قالوا : الخيل . قال :
 فأىّ الخيل أبصر ؟ قالوا : الإناث . قال : فأىّ الإناث أبصر ؟ قالوا : البكاره . فجمع
 ذو القرنين ستة آلاف فرس بهذه الصفة ، ثم انتخب من عسكره [أهل الجلد
 والعقل] ستة آلاف رجل ، فدفع إلى كلّ رجل فرسا ، وعقد للخضر عليه السلام
 على مقدمته ألفين ، وبقي هو فى أربعة آلاف . وقال ذو القرنين للناس : لا تبرحوا
 من معسكركم هذا إلى اثنتى عشرة سنة ، فإن رجعنا إليكم وإلا فارجعوا إلى بلادكم .
 فقال الخضر : أيها الملك ، إنا نسلك ظلمة لا ندرى كم المسير فيها ولا يُبصر بعضها
 بعضا ، فكيف نصنع إذا ضلّنا ! فدفع إلى الخضر خرزة حمراء وقال : حيث يصيبكم
 الضلال فأطرح هذه فى الأرض فإذا صاححت فليرجع إليها أهل الضلال أين
 صاححت . فسار الخضر بين يديه ، يرتحل الخضر ويتزل ذو القرنين . فبينما الخضر
 يسير إذ عرّض له وادٍ فظن أن العين فيه وألقى ذلك فى قلبه . فقام على شفير الوادى
 وقال لأصحابه : فبقوا لا تبرحوا ، ورمى بالخرزة فى الوادى ومكث طويلا حتى أجابته
 الخرزة ، فطلب صوتها فأتته إليها فإذا هى إلى جانب العين . فترع الخضر ثيابه
 ثم دخل العين ، فإذا ماؤها أشدّ بياضا من اللبن وأحلى من الشهد ، فشرب وأغتسل
 وتوضأ ولبس ثيابه ، ثم رمى الخرزة نحو أصحابه ، ف وقعت الخرزة وصاححت ، فرجع إلى
 صوتها حتى انتهى إلى أصحابه ، فركب وقال : سيروا على أسم الله . ومرت ذو القرنين
 فأخطأ الوادى فسلكوا تلك الظلمة أربعين يوما و ليلة ، ثم خرجوا إلى ضوء ليس بضوء
 شمس ولا قمر ، وإلى أرض حمراء ورملة خشخاشية ، فإذا هو بقصر مبنى فى تلك
 الأرض طوله فرسخ فى فرسخ عليه باب ، فترز ذو القرنين بعسكره ، ثم خرج وحده
 فدخل القصر ، فإذا حديدة قد وُضع طرفاها على جانبي القصر من هاهنا وهاهنا ،

- وإذا طائر أسود يشبه الخطاف مزوم بأنفه إلى الحديدية، معلق بين السماء والأرض .
فلما سمع الطائر خشخشة ذى القرنين قال : مَنْ هذا ؟ قال : أنا ذو القرنين .
فقال : يا ذا القرنين ، أما كفالك ما وراءك حتى وصلت إلى ! ثم قال الطائر :
يا ذا القرنين ، حدثني ، قال سَلْ ، فقال : هل كثر بناء الآجر والحصص في الأرض ؟
قال نعم ؛ فانتفض الطائر انتفاضة ثم أنتفخ فبلغ ثلث الحديدية ، ثم قال : يا ذا القرنين ، هل
كثرت شهادات الزور في الأرض ؟ قال نعم ؛ فانتفض الطائر ثم أنتفخ فملأ الحديدية
وسد ما بين جداري القصر ، ففرق ذو القرنين فرقا عظيما . فقال الطائر : لا تخف ،
حدثني . قال سَلْ . قال : هل ترك الناس [شهادة أن] لا إله إلا الله بعد ؟ قال لا ،
فأنضم الطائر لثنته ثم قال : هل ترك الناس الصلاة المفروضة بعد ؟ قال لا ، فأنضم
ثلاثه . ثم قال : يا ذا القرنين ، هل ترك الناس غسل الجنابة بعد ؟ قال لا ؛ فعاد الطائر
كما كان . ثم قال : يا ذا القرنين ، أسلك هذا الدرج درجةً درجةً إلى أعلى القصر ،
فسلكها وهو خائف وجَلَّ لا يدري على ماذا يهجم ، حتى انتهى إلى سطح ممدود ، عليه
صورة رجل شاب قائم ، وعليه ثياب بيض ، رافعا وجهه إلى السماء ، واضعا يديه على
فيه ، فلما سمع خشخشة ذى القرنين قال : مَنْ هذا ؟ قال : أنا ذو القرنين . قال :
يا ذا القرنين ، إن الساعة قد اقتربت ، وأنا منتظر أمر ربِّي يأمرني أن أنفخ [فأنفخ] ،
ثم أخذ صاحب الصور شيئا بين يديه كأنه حجر وقال : خذه يا ذا القرنين ، فإن شيع
هذا شيعت ، وإن جاع جعت ؛ فأخذه ونزل إلى أصحابه فخذتهم بأمر الطائر
وما قال له وما رد عليه ، وما قال صاحب الصور . ثم جمع علماء عسكره فقال :
أخبروني عن هذا الحجر ما أمره ؟ [فقالوا : أيها الملك ، أخبرنا عما قال لك فيه صاحب
الصور . فقال ذو القرنين : إنه قال لي : إن شيع هذا شيعت وإن جاع جعت] فوضعوا

ذلك الحجر في إحدى كَفَّتَي ميزان وأخذوا حجرا مثله فوضعوه في الكفة الأخرى ثم رفعوا الميزان فإذا هو يميل ، [فوضعوا معه آخر فإذا هو يميل ^(١)] فلم يزالوا يضعون حتى وضعوا ألف حجر فمال بالألف جميعا ، فقالوا : انقطع علمنا دون هذا الحجر لا ندرى أسحر هو أم علم [ما علمه] ^(١) ! فقال الخضر : نعم أنا أعلمه ، فأخذ الميزان بيده ثم وضع الحجر في كَفَّتِها وأخذ كِفَا من تراب فجعله في الكفة الأخرى ثم رفع الميزان فأستوى .

نحزت العلماء سُبْحًا لله تعالى وقالوا : هذا علم لم يبلغه علمنا . فقال الخضر عليه السلام : أيها الملك ، إن سلطان الله عز وجل قاهرٌ لخلقهِ ، وأمره نافذٌ فيهم ، وحُكْمه جارٍ عليهم ، وإن الله تعالى ابتلى خَلْقَه بعضهم ببعض ، فأبتلى العالمَ بالعالم ، والجاهل بالجاهل ، والعالم بالجاهل ، والجاهل بالجاهل .

قال ذو القرنين : صدقت ، فأخبرني ما هذا ؟ فقال الخضر : أيها الملك ، هذا مثلٌ ضربهُ لك صاحب الصُور ، [إن الله تعالى مَكَّن لك في البلاد ، وأعطاك منها ما لم يعط أحدا ، وأوطاك منها ما لم يوطئ أحدا ، فلم ^(٢) تشبع] وآتيت نفسك شرها ، حتى بنفت من سلطان الله ما لم يطاه إنس ولا جان ، فهذا مثلٌ ضربَهُ لك ، إن ابن آدم لا يشبع أبداً دون أن يُحتجى عليه التراب ، ولا يملأ جوفهُ إلا التراب . فبكى ذو القرنين وقال : صدقت ، لا جرم ^(١) [أنى] لا طلبتُ أثرا في البلاد بعد مسيرى هذا حتى أموت ، ثم انصرف راجعا . فلما توسَّط الظلمة وطئ وادى الزَّبْرَجَد ، فقال من معه لما سمِعوا الخشخشة تحت حوافر دوابهم : ما هذا أيها الملك ؟ فقال : خذوا منه فإنه من أخذ منه ندم ، ومن تركه ندم . ففهم من أخذ ، ومنهم من ترك . فلما خرجوا من الظلمة إذا هو الزَّبْرَجَد . فندم الآخذ كَوْنَهُ لم يُكثر ، والتارك كَوْنَهُ لم يأخذ . قال :

(١) زيادة عن التعليق .

(٢) زيادة عن التعليق ، ومكانها في الأصل : « إنك لم » .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ” رَحِمَ اللهُ أُنْحَى ذَا الْقَرْنَيْنِ لَوْ ظَفِيرُ بَوَادِي الزَّبَرَجَدِ فِي الْمَبْتَدَأِ مَا تَرَكَ مِنْهُ شَيْئًا حَتَّى أُخْرِجَهُ إِلَى النَّاسِ لِأَنَّهُ كَانَ رَاغِبًا فِي الدُّنْيَا وَلَكِنَّهُ ظَفِيرُ بِهِ وَهُوَ زَاهِدٌ فِي الدُّنْيَا لَا حَاجَةَ لَهُ فِيهَا “ .

قال الثعلبي : ثم رجع إلى العراق وملك ملوك الطوائف ، ومات في طريقه بِشَهْرُزُورَ .^(١) وقال علي رضي الله عنه : [ثم إنه]^(٢) رجع إلى دُومَةِ الْجَنْسَدَلِ فَأَقَامَ بِهَا حَتَّى مَاتَ . وصرح الثعلبي في سياقة أخباره أنه الذي قتل دَارًا بْنَ دَارًا ، وأنه لم تَطُلْ مَدَّةَ عَمْرِهِ . وسند ذكر إن شاء الله تعالى خبر قاتل دارا بن دارا في أخبار ملوك اليونان .

وحكى الأتطاخي عن وهب في خبر دخول الإسكندر الظُّلُمَاتِ : أنه لما آتتهى

١٠ إلى مغرب الشمس ترك من معه هناك وسار على الماء في الظلمة ثمانية أيام وثماني ليال حتى آتتهى إلى جبل قاف ، وإذا هو بملك قابض على الجبل يسبح الله تعالى ؛ فخر ذو القرنين ساجداً لله تعالى فلم يرفع رأسه حتى قواه الله تعالى على النظر إلى الملك . فقال له : كيف قويت يا ابن آدم على أن تبلغ هذا الموضع ولم يبلغه أحد من ولد آدم قبلك ؟ ! قال : قواني الله الذي قواك على قبض هذا الجبل . فأخبرني عن هذا الجبل . قال : إنه قاف المحيط بالأرض كلها ، ولولا هو لآنكفات الأرض بأهلها ، وليس على ظهر الأرض أعظم منه ، وإنه محيط بها كالحلقة ، وهو أول جبل أثبتته الله ، فرأسه ملصقُ بسماء الدنيا ، وأسفله راسخ في الأرض السفلى .

٩٥
١٢

(١) شهرزور (بفتح الشين المعجمة وسكون الهاء وضم الراء المهملة والزا المعجمة) : بلدة بين الموصل وهمدان ، بناها زور الضحاك ، فقيل شهرزور ومعناه مدينة زور ، وهي خصبة كثيرة المتاجر في غزاة ، وفي أهلها لوط وجفأ . (عن تقويم البلدان) . (٢) زيادة عن الثعلبي .

(٣) دومة الجندل (بضم الدال المهملة) : موضع فاصل بين الشام والعراق ، على سبع مراحل من دمشق ، وعلى ثلاث عشرة مرحلة من المدينة . (عن تقويم البلدان) .

وحكى إبراهيم بن وصيف شاه في كتاب العجائب الكبير : أن ذا القرنين لما
 سار إلى الظلمة مرَّ بجزيرة فيها أمة رءوسهم رؤس الكلاب العظام باديةً أنيابهم ،
 يخرج من أفواههم مثل لَهَب النار ، وأنهم خرجوا إلى مراكبه فخاربوه فتخلص
 منهم ، وسار فرأى نورا ساطعا فقصده فاذا هو قد بلغ جزيرة القصر . قال : وهذه
 الجزيرة فيها قصرٌ مبنى بالبلور الصافي على الطول يشف حتى يرى نوره على البعد ،
 فأراد النزول بها ، فمنعه بهرام فيلسوف الهند وعرفه أن من نزل إليها وقع عليه النوم
 وعزب عقله فلا يستطيع الخروج منها حتى يهلك . قال : ويقال إنه ظهر لهم منها
 قومٌ قصار زُعرٌ ، لباسهم ورق الشجر . فسأل بهرام عن صبرهم على المقام بها ، فعرّفوه
 أن بها ثمرا إذا أكلوا منه زال عنهم ذلك ، وذكروا أنهم إذا كان الليل ظهر بين
 شرف القصر مثل المصابيح تُسرج إلى الصبح ثم تُخمد نهارا إلى الليل فتوقد . قال :
 ويقال إنه مرَّ في طريقه بجزيرة التَّنين^(١) وإنها جزيرة فيها جبال وأنهار وأشجار وزروع
 وهي عامرة ، وعلى مدينتها حصنٌ عالٍ ، وبها تنينٌ عظيمٌ قد سام أهلها أفيح سَوم .
 فلما دخلها الإسكندر استغاثوا به من التنين وأنه أتلف مواشيهم حتى إنهم
 جعلوا له في كل يوم ثورين ينصبونهما قريبا من موضعه ، فيخرج فيبتلعهما . فأمر
 الإسكندر بثورين عظيمين فسلخا وحشا جلودهما زفتا وكبريتا وكلسا وزرنيخا ،
 وجعل مع تلك الأخلاط كلاليب حديد ، وجعلهما في ذلك المكان . وخرج التنين
 وأقبل كالسحابة السوداء وعيناه [تلمعان]^(٢) كالبرق ، والنار تخرج من جوفه ، فأبتلعهما
 ومضى ، فأضطربت تلك الأشياء في جوفه ، فلما أحسَّ بثقلها ذهب ليقذفها ، فتشبكت

(١) هذه الجزيرة تسمى « جزيرة المستكين » كما ورد في الجزء الثاني من مسالك الأبصار لابن فضل

الله العمرى (ص ٦٧) الذى تقوم بطبعه دار الكتب المصرية وقد ذكر حكاية الإسكندر والتنين

بتوسع عما ها . (٢) زيادة عن مسالك الأبصار .

الكلايب في حلقه نخر وفتح فاه ليستروح، فأمر الإسكندر يقطع الحديد فأُحِيتْ
وُحِلَتْ على ألواح من حديد وقُدِّفَتْ في حلقه فمات . ففرح أهل ذلك الموضع
بموته وألطفوا الإسكندر وحملوا إليه من طرائف ما عندهم . وكان فيما حملوه إليه
دابة في خلق الأرنب ، شعرها أصفر يبرق كالذهب ، يسمونها المعراج ، وفي رأسها
قرن واحد أسود ، إذا رأتها الأسود وسباع الوحش وكل دابة هربت منها .

وقال الأنطاقي في سياقة أخبار الإسكندر عن وهب تلو خبر السد : ثم انطلق
ذو القرنين بعد ذلك ، فبينما هو يسير إذ مرَّ على شيخ يصلي ، فوقف عليه بمجنوده حتى
إذا أنصرف من صلاته قال له : كيف لم يرعك ما حضرك من الجنود ؟ ! قال : كنت
أتأجى من جنوده أكثر من جنودك ، وسلطانُه أعزُّ من سلطانك ، وقوته أشدَّ من
قوتك ؛ ولو صرفت وجهي إليك لم أدرك حاجتي قبَّله . قال له : هل لك أن
تنطلق معي وأواسيك بنفسي وأستعين بك على بعض أمري ؟ قال : نعم ، إن
ضمنت لي أربعة خصال : نعيم لا يزول ، وصحة لا سقم فيها ، وشباب لا كبر فيه ،
وحياة لا موت فيها . قال له ذو القرنين : وأى مخلوق يقدر على هذه الخصال !

قال الشيخ : فأتى مع من يقدر عليها ويلكها ، فتركه وسار . فبينما هو يسير إذ دَفَعَ
إلى الأمة الصالحة من قوم موسى الذين يهودون بالحق وبه يعدلون ، فوجد أمة
مُقَسَّطة عادلة يقسمون بالسوية ، ويحكمون بالعدل ويتواسون ، فكلبتهم واحدة ،
وقلوبهم مؤتلفة مستقيمة ، وسيرتهم مستوية ، وقبور موتاهم في أفنتهم ، وليس
على بيوتهم أبواب تُغلق ، وليس عليهم أمراء ، ولا قضاة بينهم ، ولا أشرف

(١) كذا في حياة الحيوان للدميري (ج ٢ ص ٣٨٤) وعرفها بقوله : « المعراج : دابة عظيمة

بهيبة مثل الأرنب صفراء اللون على رأسها قرن واحد أسود لم يرها شيء من السباع والدواب إلا هرب ،
ذكرها القزويني في جزائر البحار » . وفي الأصول : « يسمونها بفراج » وهو تحريف .

(٢) في الأصل : « وليس على أبواب بيوتهم » .

يتفاوتون، ولا يتفاضلون ولا يختلفون ولا يتنازعون ولا يتسآبون ولا يقتتلون ولا
يقحطون ولا تصيبهم الآفات؛ فمجب من أمرهم وقال: أخبروني خبركم أيها القوم؛
فأتى قد أحصيت الأرض شرقها وغربها، وسهلها وجبلها، وبرها وبحرها، ونورها
وظلمتها، فلم أر مثلكم. قالوا: سلنا عما بدا لك نُحْرك. قال: ما بال قبوركم في أفئنتكم
وعلى أبواب بيوتكم؟ قالوا: لثلا ننسى الموت ولا يخرج ذكره من قلوبنا. قال:
فما بال بيوتكم لا أبواب عليها؟ قالوا: ليس فينا متهم ولا ظنين، ولا فينا إلا مؤمن
أمين. قال: فما بالكم ليس عليكم أمراء؟ قالوا: لأننا لا نتظالم. قال: فما بالكم
ليس فيكم أغنياء؟ قالوا: لأننا لا نتكاثر. قال: فما بالكم لا تتفاضلون ولا تتفاوتون؟
قالوا: من قبل أنا متواسون متراحون. قال: فما بالكم ليس فيكم أشراف؟ قالوا:
لأننا لا نتنافس. قال: فما بالكم لا تتنازعون ولا تختلفون؟ قالوا: من ألفة قلوبنا
وصلاح ذات بيننا. قال: فما بالكم ليس بينكم حكام؟ قالوا: نحن لا نخضع.
قال: فما بال كلمتكم واحدة؟ قالوا: من قبل أنا لا نتكاذب ولا نتخادع ولا يعتاب
بعضنا بعضا. قال: فأخبروني من قبل ماذا تشابهت قلوبكم وأعدت سيرتكم؟
قالوا: من صحة صدورنا، فنزع الله بذلك الغل والحسد من قلوبنا. قال: فما بالكم
ليس فيكم مسكين ولا فقير؟ قالوا: من قبل أنا نقسم بالسوية. قال: فما بالكم
ليس فيكم فظ ولا غليظ؟ قالوا: من قبل الذل والتواضع. قال: فأخبروني بماذا أتم
أطول الناس أعمارا؟ قالوا: من قبل أنا نتعاطى الحق ونحكم بالعدل. قال: فما
بالكم لا تقحطون؟ قالوا: لأننا لا نغفل عن الاستغفار. قال: فما بالكم لا تصيبكم
الآفات؟ قالوا: من قبل أنا لا نتوكل إلا على الله، ولا نستمطر بالأنواء ولا بالنجوم.
قال: أهكذا وجدتم آباءكم يفعلون؟ قالوا: وجدنا آباءنا يعطون مسكينهم، ويؤاسون
فقيرهم، ويوقرون غنيهم، ويعفون عمن ظلمهم، ويحسنون الى من أساء اليهم،

٥

١٠

١٥

٢٠

وَيُحِبُّونَ عَمَّنْ جِهِلَ عَلَيْهِمْ ، وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ سَبَّهِمْ ، وَيَصِلُونَ أَرْحَامَهُمْ ، وَيُؤَدُّونَ أَمَانَتَهُمْ ، وَيَحْفَظُونَ وِفَاءَهُمْ لِصَلَاحِهِمْ ، وَيُؤْفُونَ بِعَهْدِهِمْ . وَيَصْدُقُونَ فِي مَوَاعِيدِهِمْ ، وَلَا يَرْغَبُونَ عَنْ أَكْفَاءِهِمْ ، وَلَا يَسْتَنْكِفُونَ عَنْ أَقَارِبِهِمْ ؛ فَأُصْلِحَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ بِذَلِكَ أَمْرَهُمْ ، وَحَفِظَهُمْ بِهِ مَا كَانُوا أَحْيَاءَ . قَالَ : فَأَقَامَ ذُو الْقَرْنَيْنِ عِنْدَهُمْ حَتَّى قَبِضَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وَلَمْ تُطَلْ مَدَّةُ إِقَامَتِهِ فِيهِمْ . قَالَ وَهَب : عَاشَ مِنْذُ بَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى أَنْ قُبِضَ نَحْسَمَاءَةُ عَامٍ . وَقَالَ غَيْرُهُ : أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ ، وَقَدْ ذَكَرَ فِي الْمَعْمَرِينَ . وَقِيلَ : إِنَّهُ عَاشَ أَلْفَ وَسِتِّمِائَةَ وَنَحْمِيسِينَ سَنَةً وَمَاتَ فِي حَيَاةِ أُمِّهِ . وَقِيلَ : إِنَّهُ أَدْرَكَ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ وَاجْتَمَعَ مَعَهُ وَأَرْكَبَهُ مِنْ دَوَابِّهِ . حَكَاهُ الْأَزْرَقِيُّ وَأَبُو عَيْبِدٍ الْبَكْرِيُّ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

الباب الثاني

من القسم الرابع من الفرق الخامس

في أخبار ملوك الأصفاع ، وهم ملوك الهند والصين والترك وجبل الفتح وملوك مصر

ذكر أخبار ملوك الهند

قال المسعودي في مروج الذهب ^(١) : ذكر جماعة من أهل النظر والبحث الذين
واصلوا البحث والعناية بتأمل شأن هذا العالم ^(٢) [و بدئه] أن الهند كانت في قديم الزمان
الفرقة التي فيها الصلاح والحكمة ، وأنه لما تجملت الأجيال وتحزبت الأحزاب حاولت
الهند أن تضمّ المملكة وتستولى على الحوزة وتكون الرياسة فيها . قال كبارهم : نحن كنّا
أهل البدء وفيما التناهى ، ولنا الغاية والصدر والانتهاى ، ومنا سرى الأب إلى الأرض ،
فلا شاقنا أحد ولا عاندنا ولا أراد بنا الاعتصام ^(٣) إلّا أتينا عليه وأبدناه أو يرجع ^(٤) إلى
طاعتنا . فأجمعت على ذلك رأيها ونصبت لها ملكا ، وهو « البرهمن » الأكبر
والملك الأعظم ، واليه تُنسب طائفة البراهمة بالهند . لا إلى إبراهيم الخليل صلى الله عليه
وسلم . وهذا « البرهمن » هو الإمام المقدم فيهم الذي ظهرت في أيامه الحكمة وتقدمت
العلماء ، وأمر باستخراج الحديد من معادنه ، وضربت في أيامه السيوف والخنجر
وكثير من أنواع السلاح وآلات القتال ، وشيد الهياكل ورصعها بالجواهر النفيسة
المشرقة ، وصوّر فيها الأفلاك والبروج الاثني عشر برجا والكواكب ، وبين بالصورة

(١) راجع (ج ١ ص ٣٥ طبع بلاق) .

(٢) زيادة عن مروج الذهب .

(٣) الاعتصام : الاحتقار والاستصغار .

(٤) كذا في المسعودي . وفي الأصول : « ليرجع » .

كيفية العالم ، وأرى بالصورة أيضا كيفية أفعال الكواكب في هذا العالم وإحداثها للأشخاص الحيوانية من الناطقة وغيرها ، وبين حال المدبر الأعظم الذي هو الشمس ، وبرهن على ذلك كله وقربه إلى عقول العوام وأذهانهم ففهموه ، وغرس في نفوس الخواص دراية ماهو أعلى من ذلك ، وأشار إلى المبدئ الأول المسمى

٩٧
١٢

لسائر الموجودات [وجودها الفاض عليها بوجوده] . فأنقادت له الهند ، وأراهم وجه مصالح الدنيا وأخصبت بلادهم . وجمع الحكماء في أيامه كتاب « السند هند » ، وتفسيره دهر الدهور ، ومنه فرغت الكتب ، ككتاب الأزجهر والمجسطي ، وفرغ [من الأزجهر الأركنسد ومن المجسطي] كتاب بطليموس ، ثم عمل منها بعد ذلك الزيجات . وأحدثوا التسعة الأحرف المحيطة بالحساب الهندي . وكان البرهن هذا

أول من تكلم في أوج الشمس ، وذكر أنه يقيم في كل بُرج ثلاثة آلاف سنة ، ويقطع الفلك في ستة وثلاثين ألف سنة . إلى غير ذلك من هذا الفن . وكان ملك البرهن إلى أن هلك ثلاثمائة سنة وستين سنة ، وولده يعرفون بالبراهمة ، والهند تعظمهم إلى وقتنا هذا . وهم أعلى أجناسهم وأشرفهم ، وهم لا يتعدون بشيء من الحيوانات . وفي رقاب النساء والرجال منهم خيوط صفر يتقلدون بها كخايل السيوف ، تفرق بينهم

(١) في مروج الذهب : « وأورد » . (٢) كذا في مروج الذهب . وفي الأصل : « إلى عقول القوم » . (٣) التكملة عن مروج الذهب .

(٤) السند هند أحد المذاهب الثلاثة المشهورة للهند في علم النجوم ، وهي مذهب السند هند ، ومذهب الأزجهر ، ومذهب الأركند . ومذهب السند هند هو المذهب الذي تقلده جماعة من الاسلام وألقوا فيه الأزياج كحميد بن إبراهيم الفزارى وحسن بن عبدالله البغدادى ومحمد بن موسى الخوارزمى والحسين بن محمد المعروف بابن الأدمى وغيرهم . (راجع طبقات الأمم لابن صاعد ص ١٩ طبع مصر) .

(٥) في طبقات الأمم أن معنى « السند هند » الدهر الداهر .

(٦) الزيادة من مروج الذهب . وفي الأصول : « وفرغ منها » .

(٧) قال المسعودى في مروج الذهب : « والأوج على رأى البرهن في وقتنا هذا وهو ستة اثنين وثلاثين وثلاثمائة في برج النور ، وأنه إذا انتقل إلى البروج الجنوبية انتقلت العمارة نصار العارحوا بالخراب عمارا ، والشمال جنوبا والجنوب شمالا ... الخ » ثم ذكر المسعودى كلاما طويلا .

قال : وفي أعلى نهر الخَزَر مصب يتصل بخليج من نهر نِيَطْش ، وهو بحر للروس لا يسلكه غيرهم ، وهم على ساحل من سواحه . وهى أمة عظيمة لا تتقاد الى ملك ولا الى شريعة . وفي أرض الروس معدن من الفضة . قال : والروس أهم كثيرة ^(١) ، فمنهم جنس يقال لهم البوداغية ^(٢) ، وهم الأكثر ، يختلفون بالتجارات الى بلاد الأندلس والقسطنطينية ورومية . قال : وبين مملكة حِزَان التى ذكرناها وبين الباب والأبواب أناس من المسلمين عرب لا يُحْسِنون غير اللغة العربية فى أجام هنالك وغياض وأودية وأنهار ، ولهم قرى قد سكنوها . وهم على نحو من ثلاثة أميال من مدينة الباب والأبواب .

قال : ويلي مملكة حِزَان مما يلي الفتح والسغد ملك يقال له برزنيان مسلم ، ويعرف بلد هذا الملك بالكرج . وكل ملك يلي هذه المملكة يدعى برزنيان . ثم يلي مملكة برزنيان ملك يقال له عتيق ، وهم يدينون بدين النصرانية ، لا يتقادون لملك ، ولهم رؤساء ، وهم مهادنون لأهل مملكة اللان . ثم يليهم مما يلي السور والجبل مملكة يقال لها زِرَه كَرَان . وتفسير ذلك بالعربية عمال الزرد ؛ لأن أكثرهم يعملون الزرد والسيوف والخم والركب وغير ذلك من آلات الحديد .

وهم ذوو أديان مختلفة من المسلمين والنصارى واليهود . وبلدهم بلد ممتنع خَشِنٌ قد آمتنعوا فيه ممن جاورهم من الأمم لخشونته . ثم يلي هؤلاء ملك السرير ^(٥)

(١) كذا فى المسعودى . وفى الأصل : « أمة كبيرة » . (٢) فى ١ : « النوداغية » بالنون والذال المعجمة . وفى المسعودى : « المودغانه » . (٣) كذا فى معجم البلدان لياقوت فى كلامه على الكرج . وفى الأصول : « برزنيان » . وفى المسعودى : « مدومان » .

(٤) فى المسعودى : « عميق » . (٥) ذكر المسعودى أنه من ولد بهرام جور . وسمى صاحب السرير لأن يزجد حين ولى منهزما قدم سرير الذهب ونزائنه وأمواله مع رجل من ولد بهرام ليسر بها الى هذه المملكة فيحرزها هناك الى وقت موافاته ، ومضى يزجد الى خراسان فقتل هناك وذلك فى خلافة عمر رضى الله عنه ، فقتل ذلك الرجل فى هذه المملكة وآسنول عليها وصار الملك فى عقبه ، فسمى صاحب السرير .

و يدعى قُبلان شاه يدين بالنصرانية . ودار مملكته تعرف بمخندج^(١) ، وله اثنتا عشرة ألف قرية يستعبد منهم من شاء . وبلده بلد منيع . وهو شَعْبٌ من جبل الفتح . وهذا الملك يغير على الخَزَر ويستظهر عليهم . ثم يلى هذه المملكة مملكة اللان . وملكها يقال له كَرَكَنْداج^(٢) ، وهذا الاسم غالبٌ على سائر ملوكهم . وكانوا جاهلية ثم دانوا بالنصرانية ، ثم رجعوا فيها بعد العشرين والثلاثمائة . وصاحب اللان يركب في ثلاثين ألف فارس . ثم يلى ملك اللان أمة يقال لها كمشك . وتفسير هذا الاسم بالفارسية التيه والصَّاف . وهم بين جبل الفتح وبحر الروم . وهى تنقاد الى دين المجوسية . قال : وليس فى الأمم التى ذكرناها أنقى أجسادا ، ولا أصفى لونا ، ولا أحسن رجالا ، ولا أصبح نساءً ، ولا أقوم قدودا ، ولا أرق أخصارا وأظهر أردافا ، ولا أحسن شكلا من هذه الأمة . ونسأؤهم موصوفات بلدة الخلوة .
ولباسهم البياض والدياج الرومى والسقلاطون وغير ذلك من أنواع الدياج المذهب .
واللان تستظهر على هذه الأمة إلا أنها تمتنع منهم بقلاع لها على ساحل البحر . وتلى هذه الأمة على ساحل البحر أمة يقال لبلدهم السبع بلدان . وهى أمة كثيرة ممتعة بعيدة الدار . ويلي هذه الأمة أمة عظيمة يقال لها إرم^(٣) [ذات العمار] ذوو خلق عجيب جاهلية الآراء . ويلي هذه الأمة صحراء نحو من مائة ميل ، بين جبال أربعة ، كل جبل منها ذاهب فى الهواء ، فى وسط هذه الصحراء دارة مقورة كأنها حُطَّت بِرُكَّار^(٤) ،

(١) فى المسعودى : « تعرف بحرج » ولم نهند الى الصواب فيه .

(٢) فى ياقوت فى كلامه على اللان والمسعودى : « كركنداج » بالحاء المهملة .

(٣) السقلاطون : الملابس الملونة بالألوان القرمزية وغيرها . وهو اسم بلد بالروم تصنع فيه تلك

الملابس وتنسب إليه . (راجع القاموس الانجليزى الفارسى) .

(٤) التكمة عن المسعودى .

(٥) البركار (بالكر) : آلة ذات ساقين ترسم بها الدوائر ، وهى المعروفة بالبرجل .

منحوتة في حجر صلد، استدارتها نحو من خمسين ميلا قَطَعُ قائم كأنه حائط مبنى، يكون قعرها نحو من ميلين، لاسبيل الى الوصول الى مستوى تلك الدارة، ويرى بها بالليل نيران كثيرة في مواضع مختلفة، ويرى فيها بالنهار قرى وأنهار تجري، وفيها ناس وبهايم إلا أنهم يرون لطاف الأجسام لبعد قعر الموضع لا يدري من أى الأمم هم. ولا سبيل الى صعودهم ولا الى النزول اليهم من جهة من الجهات. ووراء تلك الجبال خُسفة أخرى قريبة القعر فيها آجام وغياض، فيها نوع من القروذ منتصبه القامات مستديرة الوجوه، الأغلب عليها صُور الناس وأشكالهم إلا أنهم ذوو شعور. قال: وربما وقع في النادر منها القرد اذا احتيل عليه في اصطیاده، فيكون في نهاية الفهم والدراية. وربما حُل الواحد منها الى الملوك فيعلم القيام على رأسه بالمذبة. ولهم خاصية بمعرفة المسموم من الماء كل والمشارب. فإذا ذنا الطعام منها شتمته ويُلقي لها الشيء منه فإن أكلته أكله الملك، وإن امتنعت علم الملك أن ذلك مسموم.

قال: وفيما بين بلاد الخزر وبين بلاد المغرب أم أربع من الترك ترجع في أنسابها الى أب واحد، وهم حَضَرٌ وبدو، ذوو منعة وبأس شديد. ولكل أمة منها ملك. ومسافة كل مملكة منها أيام، متصلة ممالكهم بعضها بحر نييطش. وتصل غاراتهم ببلاد رومية ومايلى بلاد الأندلس. وهى تستظهر على سائر من هنالك من الأمم. وبينهم وبين الخزر والآن مهادنة، وبلادهم تتصل بممالك الخزر. فالجليل الأول منهم يقال له نجا. ويليه بجمود. ويليه بجنك؛ وهى أشد هذه الأمم الأربع بأسا، ويليه أنو جردد. وكانت لهم حرب مع الروم بعد العشرين والثلاثمائة. ويلي بلاد الآن أيضا أمة يقال لها الأبخاز تدين بالصرانية، وملك الآن مستظهر عليهم وهم متصلون بجبل الفتح. ثم يلي بلاد الأبخاز ملك الخزرية، وهم أمة عظيمة منقادة

الى دين النصرانية تُدعى نِزْران ولها ملك . قالوا : وكانوا يؤدّون الخراج الى صاحب
نَغْرَتَفْلِس . وتليهم أمة يقال لها الصمصصية نصارى ، ومنهم جاهلية لا ملك لهم .
ويليهم بين نَغْرَتَفْلِس وقلعة باب اللان مملكة يقال لها الصنبارية ، وملكهم يقال له
كريشكوش . ينقادون الى النصرانية ،^(٢) ويزعمون أنهم من العرب من نزار بن معد .
ثم يلي مملكة الصنبارية مملكة شكي وهم نصارى . ويليهم مملكة أخرى وهى مأوى
الصعاليك والدُّعَار ، ثم تتصل بمملكة المُوقانيّة وهى التى على ساحل بحر الخزر .
والله أعلم بالصواب .

١٠٤
١٢

(١) كذا فى المسعودى . وفى الأصول : « الضارية » .

(٢) فى المسعودى : « كرسكوس » . (٣) فى المسعودى : « سكين » .



تم الجزء الرابع عشر ، ويليه الجزء الخامس عشر
وأوله : ذكر أخبار مصر



كَمَل طبع " الجزء الرابع عشر من نهاية الأرب فى فنون الأدب "

بمطبعة دار الكتب المصرية فى يوم الثلاثاء ٢٧ محرم سنة ١٣٦٢

محمد نديم

(٢ فبراير سنة ١٩٤٣) م

ملاحظ المطبعة بدار الكتب
المصرية

وبين غيرهم من أنواع الهند . وقد تنوزع في البرهمن ، فمنهم من زعم أنه آدم وأنه رسول من الله الى الهند ، ومنهم من زعم أنه كان ملكا ، على حسب ما تقدمناه وهو الأشهر . ولما هلك البرهمن جزيعة عليه الهند جزعا شديدا ، وملكك عليها ولده الأكبر .

ذكر تنصيب ابن البرهمن وهو الباهبود^(١)

• وكان ولي عهد أبيه من بعده . فسار فيهم سيرة أبيه وأحسن النظر إليهم . وزاد في بناء الهياكل ، وقدم الحكاء ورفع من مقدارهم وزاد في مراتبهم . وحتم على تعليم الناس الحكمة وبثهم على طلبها . وكان ملكه الى أن هلك مائة سنة . وفي أيامه عمل الترد ولعب به ، وجعل ذلك مثالا للكبس ، وأنها لا تتال بالكنيس ولا بالحيل في هذه الدنيا ، وأن الرزق لا يتأتى فيها بالحقد . وذكر أن أردشير بن بابك أول من وضع الترد ولعب بها ، وأرى تقلب الدنيا بأهلها واختلاف أمرها . وجعل بيوتها اثني عشر بعدد الشهور ، وجعل مهاركها ثلاثين بعدد أيام الشهر ، والفصوص أمثلة للقدر وتقلبه بأهل الدنيا وأن الانسان يلعب بها فيبلغ بإسعاد القدر له في مراده بها ما يريد ، وأن الحازم القطن لا يتأتى له ما يتأتى لغيره اذا لم يسعده القدر ، وأن الأرزاق لا تتال في هذه الدنيا إلا بمقادير .

• ثم ملك بعده رامان^(٢) ، فكان ملكه نحوًا من خمسين ومائة سنة . قال : وله سير وأخبار وحروب مع ملوك فارس وملوك الصين .

• ثم ملك بعده فور ، وهو الذي قتله الإسكندر بن فيلبس اليوناني مبارزة . وكان ملكه الى أن قتل أربعين ومائة سنة .

(١) في مرجع الذهب للسعدي (ج ١ ص ٣٧) : « الناهود » .

(٢) في المسعودي « كلاهما » .

(٣) في المسعودي : « دامان » .

ثم ملك بعده تسام^(١)، وهو الذى وضع كتاب كليلة ودمنة الذى نقله ابن المقفع .
وكان مُلكه مائة وعشر سنين ، وقيل غير ذلك .^(٢)

ثم ملك بعده بلهيت . وفى أيامه صُنِعَت الشَّطْرُنْج ففُضِيَ بلعبها على التُّرْد ، وبَيْنَ
الظُّفَر الذى يناله الحازم والنكبة التى تلحق الجاهل وحسب حسامهما ، ورتَّب لذلك
كتاباً للهند يتداولونه بينهم ، ولعب بها مع حكامها . وكانت مدَّة مُلكه الى أن هلك
نحو من ثمانين سنة ، وفى بعض النسخ أنه ملك ثلاثين ومائة سنة .

ثم ملك بعده كُوش^(٣) ، فأحدث للهند آراءً فى الديانات على حسب ما رأى من
صلاح الوقت . وما يحتمله أهل العصر من التكليف ، وخرج عن مذاهب مَنْ
سَلَف . وكان فى مملكته وعصره سندباد ، وله كتاب الوزراء السبعة والمعلم والغلام
وأمرأة الملك ، وهو الكتاب المترجم بكتاب السندباد . وعُمِل لهذا الملك الكتاب
الأعظم فى معرفة العِلَل والأدواء والعلاجات وأشكال الحشائش وصفتها . وكان
مُلك هذا الملك الى أن هلك عشرين ومائة سنة . ولما هلك اختلفت الهند فى آرائها
فتحرَّبت الأحزاب وتجيأت الأجيال ، وأنقرد كل رئيس بناحيته ، فلمَّا على أرض السند
ملك ، وعلى أرض القَنْسُوج ملك ، وعلى أرض قِشْمِير ملك . فكانت مدَّة اجتماع
الكلمة ببلاد الهند على ملك واحد على هذا الحكم نحو من ألف سنة وست وستين
سنة . وعلى القول الآخر ألف سنة ومائة سنة وست عشرة سنة . وعدة ملوكهم
سبعة ملوك . والله تعالى أعلم .

٩٨
١٢

(١) فى المسعودى : « دستلم » .

(٢) فى المسعودى : « وعشرين سنة » .

(٣) فى المسعودى : « كورس » .

وملك بعد كُوش بمدينة المانكيرو هي الحوزة الكبرى ملك يسمى البلهراً . قال
المسعودي : وأرض الهند أرضٌ متسعة في البر والبحر والجبال . وملكهم يتصل
بملك الزنج وهي دار مملكة المهرج . وهذه المملكة قُرُزٌ بين مملكة الهند والصين .
قال : ومن عادة الهند أنها لا تملك الملك حتى يبلغ عمره أربعين سنة ، ولا تكاد
ملوكهم تظهر لعوامهم إلا في كل برهة معلومة من الزمان . ويكون ظهور الملك
للتنظر في أمور الرعية . وقال أيضا : رأيت في بلاد سرنديب ، وهي جزيرة من جزائر
البحر إذا مات ملكهم صيروه على عجلة صغيرة البكر ، وشعره ينجز على الأرض ، وأمرأة
بيدها مكنسةٌ تحثو التراب على رأسه وتنادي : أيها الناس ، هذا ملككم بالأمس
قد ملككم وجاز فيكم أمره قد صار الى ماترون من ترك الدنيا ، وقبض روحه ملك
الملوك الحى القديم الذى لا يموت . فلا تغتروا بالحياة بعده . وكلامٌ هذا معناه من
الترهيب والترهيد في هذا العالم . ويطاف به في جميع شوارع المدينة وهو كذلك ؛
ثم يُفصل بأربع قطع وقد هيئ له الصندل والكافور وسائر أنواع الطيب ويُحرق
بالنار ويدنّى رماده في الرياح . قال : وكذلك فعل أكثر أهل الهند بملوكهم
وخواصهم لغرض يذكرونه . قال : والمُلك مقصور في أهل بيت لا ينتقل منهم
الى غيرهم . وكذلك بيوت الوزراء والقضاة وسائر أرباب المراتب ، تتوارث مناصبهم
ولا تغير ولا تبدل . وعندهم أن ملكهم متى شرب الشراب فقد استحق الخلع .
والله الهادى .

(١) سرنديب : هي جزيرة سيلان الآن .

ذكر أخبار ملوك الصين

قال أبو الحسن علي بن عبد الله المسعودي في كتابه المترجم بمروج الذهب :
 لما قسم ^(١) فالغ بن عابر بن أرغشذ بن سام بن نوح الأرض بين ولد نوح سار ولد
 عامور بن توبل بن يافث بن نوح يسرة المشرق ، فكان منهم أجناس الترك . وسار
 الجمهور من ولد عامور على ساحل البحر حتى آتوها الى أقاصيه من بلاد الصين ،
 فتفرقوا في تلك البقاع والبلاد وقطنوها وعمروها ، وكثروا الكور ، ومصروا الأمصار ،
 ومدنوا المدن ، وآخذوا للملك مدينة عظيمة سموها يقو ، ^(٥) وبينها وبين ساحل البحر
 الحبشي ، وهو بحر الصين مسيرة ثلاثة أشهر ، مدن وعماير متصلة . فكان أول
 من تملك عليهم في هذه الديار نسطيرطاس بن ماعور بن بزنج بن عامور . قال :
 ولما ملك فتق أهلك في تلك الديار ، وشق الأنهار ، وغرس الأشجار ، وطعم
 الثمار ، وقتل السباع . وكانت مدة ملكه ثلاثمائة سنة ونيفا وهلك .

فقام بالأمر بعده ولده عرون بن نسطيرطاس ، فجعل جسد أبيه في تمثال
 من الذهب الأحمر جزعا عليه وتعظيما له ، وأجاسه على سرير من الذهب مريض
 بالجوهر . وجعل مجلسه دونه ، وسجد له وهو في جوف ذلك التمثال ، وسجد معه
 أهل مملكته . وفعل ذلك في كل نهار في طرفيه . وكانت مدة ملكه بعد أبيه نحو
 من مائتي سنة وخمسين سنة ثم هلك .

(١) راجع (ج ١ ص ٦١ طبع بلاق) .

(٢) في الكتاب المقدس (ج ١ ص ١٨) : « فالغ » بالجم المعجمة . (٣) في المسعودي :

« عابور » . (٤) كذا في الكتاب المقدس (ج ١ ص ١٧) وفي الأصل : « سربل » .

(٥) في المسعودي : « انموا » . (٦) كذا في ب . وفي أ هنا ، « نسطيرطاس » .

وفي المسعودي : « اسطرماس » . (٧) كذا في أ . وفي ب : « ياعور » .

وفي المسعودي : « فاعور » . (٨) في المسعودي : « برنج » .

فملك بعده أبنيه عيرون بن عرون^(١) . ولمّا ملك جعل جسد أبيه عرون في تمثال من الذهب ونصبه دون مرتبة جدّه ، وكان يبدأ بالسجود لجدّه ثم يسجد لأبيه ، وساس الرعيّة بأحسن سياسة ، وساواهم في جميع أمورهم ، وشملهم بعنقه ، وكثر النسل . وأخصبت الأرض . وكان مُدّكه الى أن هلك مائتي سنة .

ولمّا مات ملك بعده ولده عثيان بن عيرون^(٢) . قال : ولمّا ملك جعل جسد أبيه في تمثال من الذهب ، وجرى في أمره على ما سلف من عاداتهم في السجود والتعظيم . وطالت مدّته في الملك ، وآتست مملكته حتى آتصلت بلاده ببلاد الترك من بني عمه . وأُخذ في أيامه كثيرٌ من المهن مما لطف في الرقة من الصنائع ، وعاش أربعمائة سنة ثم هلك .

فملك بعده أبنيه حرامان بن عثيان . قال : ولمّا ملك جرى في جسد أبيه على عاداتهم ، ثم أمر باتخاذ القُلُك وحمل فيها الرجال ، وحمل معهم لطائف بلاد الصين وسفرهم نحو بلاد الهند والسند والى إقليم بابل وسائر الممالك مما قرب وبعد في البحر . وأهدى الى الملوك الهدايا العجيبة والتحف النفيسة . وأمر أصحابه الذين سافرهم أن يجلّبوها إليه ما في كل بلد من الطرائف والتحف والمأكول الذي لا يوجد في بلاده ، والمشروب والفسوس وأصناف الأقمشة والأمتعة وغير ذلك . وأمرهم أن يتعزفوا سياسة كلّ ملك ، وملة كلّ أمة وشرائعها ونهجها الذي هي عليه ، وأن يرغبوا الناس فيما في بلادهم من الجواهر والطيب والآلات . ففترقت تلك المراكب في البلاد وفعلوا ما أمرهم به ، فلم يردّوا على مملكة من الممالك إلّا أعجبوا بهم واستظفروا ما معهم . فأنشأت الملوك المحيطة بممالكهم

(١) في المسعودي : « عيرون » . (٢) في المسعودي : « عثيان » .

(٣) في ١ : « حرامان » . وفي المسعودي : « حرامان » .

بالبهار السفن وجهزت نحو الصين ، وحملوا إليهم ما ليس عندهم . وكتبوا ملكهم وكافوه على ما كان قد هاداهم به من تحف بلاده ، فعمرت بلاد الصين ، واستقامت أمور مملكة الصين . فكانت مدة حياته في الملك نحو من مائتي سنة وهلك . فخرج أهل مملكته عليه وحزنوا حزناً شديداً ، وأقاموا النياحة عليه شهراً .

- وملك بعده ابنه توتال^(١) بن حرافان . قال : ولما ملك جعل جسد أبيه في تمثال من الذهب ، وسلك فيه سنة من تقدمه من آبائه ، واستقام أمره ، وأحدث من السنن المحموده ما لم يُحدثه أحد من الملوك قبله . وقال لأهل مملكته : إن الملوك لا يثبت إلا بالعدل لأنه ميزان الباري ، وإن من العدل الزيادة في الإحسان مع الزيادة في العمل . وخصّ وشرف وتوجّ ورتب الناس في رتبهم ، وقفهم على طرائفهم . وخرج يرتاد موضعاً يبني فيه هيكلًا ، فوافى موضعاً عامراً بالنبات ، حسن الاعتماد بالزهر ، تتخرفه المياه . فخط الهيكل هناك ، وجلبت له أنواع الأحجار المختلفة الألوان ، فشيّد الهيكل وجعل على أعلاه قبة ، وجعل لها مخارج للهواء متساوية . وجعل في الهيكل بيتاً لمن أراد الانفراد للعبادة . فلما فرغ من الهيكل نصب في أعلاه تلك التماثيل التي فيها أجسام من سلف من آبائه ، وقال : في ترك ذلك على ما هو عليه خروج عن حد الحكمة ، ويكون ذلك الى غير غاية ونهاية . ذلك على ما هو عليه خروج عن حد الحكمة ، ويكون ذلك الى غير غاية ونهاية .
- وأمر بتعظيم تلك الأجساد التي جعلها في أعلى القبة . ثم جمع الخواص من أهل مملكته وأخبرهم أن من رآه أن يضمّ الناس الى ديانة يرجعون إليها فيجتمع الشمل ويتساوى النظام ، وقال : إنه متى عدم الملك الشريعة لم يؤمن عليه الخلل ، ودخول الفساد والزلل ؛ فرتب لهم سياسة وشريعة وفرائض^(٢) ، ورتب لهم قصاصاً

للفوس والأعضاء ، وقاعدة تستباح بها الفروج وتصح بها الأنساب . وجعل مما
 رتبته وقتره لوازم ونوافل ، وأوجب عليهم صلوات لخالفهم تقربا الى معبودهم
 [منها] إيماء لا ركوع فيها ولا سجود [في أوقات من الليل والنهار معلومة . ومنها ^(١)
 ركوع وسجود] في أوقات من السنين وفي شهور محدودة . ورسم لهم أعيادا . وأوجب
 على الزناة منهم حدودا ، وعلى من أراد من نساءهم البغاء جزية مقتررة ، وألا يستبحن
 بالنكاح وقتا من الأوقات ، وإن أقلن عما كن عليه [تكف الجزية عنهن ^(٢)] .
 وما يكون من أولادهن ذكورا يكونون لملك جندا وعبيدا ، وما يكون من أولادهن
 إناثا فلا مهاتهن ويلحقن بصنعتهن . وأمر بقرايين للهيكل ودخن وأبحرة
 للكواكب . وجعل لكل كوكب منها دُخْناً يتقرب إليه بها معمولة من أنواع الطيب
 والعقاقير . وأحكم لهم جميع الأمور ، فاستقامت أيامه وكثر النسل . فكانت مدة
 حياته نحوًا من مائة وخمسين سنة ثم مات ، فجزعوا عليه جزعا عظيما ، وجعلوه
 في تمثال من الذهب ورضعوه بالجواهر وبنوا له هيكلًا عظيمًا ، وجعلوا في أعلاه
 سبعة أنواع من الجواهر على ألوان الكواكب السبعة وأشكالها ، وجعلوا يوم وفاته
 صلوات وعيدا يجتمعون فيه عند [ذلك] الهيكل ، وصوروا صورته وذكروا سيرته
 في لوح من الذهب ، وجعلوه في أعلى الهيكل من حيث تراه الأبصار ليكون ذلك
 مثالا لمن يرد بعده في السياسة ونهج السيرة وصوروا صورته على أبواب المدينة .
 وعلى الدنانير والفلوس والثياب . وأكثر أموالهم الفلوس الصفر والنحاس . قال :
 وأستقرت هذه المدينة دار ملك الصين وهي مدينة إيقو ^(٥) . قال : ولهم مدينة عظيمة

(١) الكلمة عن المسعودي . (٢) كذا في المسعودي . وفي الأصل : « والشهور معدودة » .

(٣) كذا في المسعودي . وفي الأصل : « ذكورهن لملك جندا وعبيدا وما كن من إناث ... » .

(٤) في المسعودي : « ... وجعل لكل كوكب منها وقتا يتقرب إليه فيه مذخر — صوابه بدخن وهو

ذبرة يدخن بها — معلوم من أنواع الطيب والعقاقير » . (٥) في المسعودي : « انموا » كما تقدم .

- نحو ما يلي مغرب الشمس من أرضهم يقال لها مدو ، وتلى بلاد التبت . والحرب بين أهل مدو وبين أهل بلاد التبت سجال . ولم تزل الملوك من طرأ بعد هذا الملك أمورهم منتظمة ، وأحوالهم مستقيمة ، والخصب والعدل لهم شامل ، والجور في بلادهم معدوم ، يقتدون بما نصب لهم تونال من الأحكام . وحروبهم على عدوهم قائمة ، وثغورهم مشحونة ، والرزق على الجنود جار ، والتجار يختلفون اليهم في البر والبحر من كل بلد .
 ٥ ودينهم دين من سلف من آباؤهم ، وهى ملة تدعى السمنية ، [عبادتهم] نحو من عبادات قريش قبل الاسلام ، يعبدون الصور ويتوجهون نحوها بالصلوات ، فالليبي فيهم يقصد بصلاته الخالق عز وجل ، ويقم التمثال من الأصنام وغيرها مقام قبلة .
 والجاهل ومن لا علم له يشرك هذه التماثيل بالالهية^(٢) الخالق ويعتقدهما جميعا ، وأن عبادتهم الأصنام تقتربهم الى الله زلفى ، وأن منزلتهم في العبادة تنقص عن البارئ لجلالته وعظمته وسلطانه ، وأن عبادتهم لهذه الأصنام طاعة له ووسيلة ، الى أن ظهرت في أهل الصين آراء ونحل حدثت من مذاهب التنوية^(٤) وأهل الدهر . وقد كانوا قبل ذلك في الآراء وعبادة التماثيل على حسب ما عليه عوام الهند وخواصهم ، فتغيرت أحوالهم وبحنوا وتناظروا ، إلا أنهم يتقادون في جميع أحكامهم الى ما نصب لهم من القاعدة التى قدمناها . قال : ومملكهم متصل بملك الطغرغر^(٥) . وكان اعتقاد

- (١) السمنية (بضم ففتح) : قوم بالهند من عبدة الأصنام دهيون قائلون بالتنازع ويتكون وقوع العلم بالأخبار . يقال إنه نسبة الى سمن اسم صنم لهم . وقيل : إن نسبتهم الى بلد بالهند يقال لها سومنا . فتكون النسبة على غير قياس . (راجع شرح القاموس مادة سمن) . (٢) الكلمة من المسعودى . (٣) كذا فى المسعودى . وفى الأصل : « ويمدهما » . (٤) التنوية : أصحاب الاثنين . يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان بخلاف المحسوس فأنهم قالوا بحدوث الظلام والنور بتساويهما في القدم واختلافهما في الجوهر والطبع والفعل والخير والمكان والأجناس والأبدان والأرواح . (راجع الملل والنحل للشهرستاني) . (٥) ويقال لهم أيضا طغرغر (زمامين) وتفرغز وتفرغر : جيل من الترك كانوا يسكنون أرضا واسعة على حدود الصين ، وهم فيها أصحاب خيام كأعراب البادية . (راجع النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٣ وكتاب التنبيه والإشراف للمسعودى) .

الطُّغْرُغُرُ القول بِلَهِّ النور والظُّلْمَة ، وكانوا قبل ذلك جاهليّة جهلاء ، سبيلهم في الاعتقاد سبيل أنواع الترك، الى أن وقع إليهم شيطان من شياطين المانية ، فزخرف لهم كلاما يريهم فيه تَضَاد هذا العالم وتنافيه من موت وحياة وصحة وسقم وغنى وفقر وضياء وظلام وأجتماع وأفتراق واتصال وأنفصال وشروق وغروب ووجود وعدم وليل ونهار وغير ذلك من سائر المتضادات ، وذكر لهم أنواع الآلام المعترضة لأجناس الحيوان الناطق والصامت ، وما يعرض للاطفال والبله والمجانين ، وأن الباري غنى عن إيلاهم ، وأراهم أن هناك ضدا شديدا دخل على الخير الفاضل في فعله وهو الله ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ، فأجتذب بذلك عقولهم ودانوا به . فإذا كان ملك الصين سُمِّيَ المذهب يذبح الحيوانات ، فتكون الحرب بينه وبين ملك الترك قائمة ، وإذا كان ماني المذهب كان الأمر بينهم مشاعا .

قال : وملوك الصين ذوو آراء ونَحَلٍ ، إلا أنهم مع اختلاف أديانهم غير خارجين عن قضية العقل وسُنن الحق في نَصَب القضاة والأحكام ، وأتقياد الخواص والعوام الى ذلك . قال : وأهل الصين شعوبٌ وقبائل كشعوب العرب وأغفادها ، ولهم مُرَاعاةٌ لحفظ أنسابهم . ويتنسب الرجل منهم الى خمسين أبا وأكثر الى أن يتصل بعمامور . ولا يتزوج أهل كل نخذ إلا من نخذهم ، ويعزمون أن في ذلك صحة النسل وقوام البنية ، وأن ذلك أضع للبقاء وأتم للعمر .

(١) المانية ويقال لها أيضا المانوية : أصحاب ماني بن فالتك الحكيم الذي ظهر في زمان سابور ابن أردشير وقتله بهرام بن هرم بن سابور ، وذلك بعد عيسى عليه السلام ، أخذ دينا بين الجوسية والنصرانية ، وكان يقول بنوة المسيح ولا يقول بنوة موسى عليه السلام ، وزعم أن العالم مصنوع مركب من أصلين قديمين أحدهما نور والآخر ظلمة ، وأنهما أزيلان لم يزالا ولن يزالا . وأنكر وجود شيء لا من أصل قديم ، وزعم أنهما لم يزالا قوتين حساسين جميعين بصير بن ، وهما مع ذلك في النفس والصورة والفعل والتدبير متضادان وفي الخير متحاذيان تحاذى الشخص والظل ... (راجع الملل والنحل للشهرستاني) .

(٢) في الأصل : « كان الأمر بينهم والملك مشاعا » . (٣) في المسعودي : « بهامور » .

(٤) كذا في المسعودي ، وقد فصل هذه القضية . وفي الأصل : « ولا يتزوج أهل نخذ من نخذه » .

قال المسعودي : ولم تزل أمور الصين مستقيمة في العدل على حسب ما جرى به الأمر فيما سلف من ملوكهم الى سنة أربع وستين ومائتين ؛ فإنه حدث في ملك الصين أمر زال به النظام وانتقض به حكم شرائعهم ومنع من الجهاد . وكان سبب ذلك أن خارجياً خرج ببذل من مدن الصين وهو من غير بيت الملك ، يقال له ياسر ، شرير . وكان في ابتداء أمره يطلب الفتوة ، ويحتمع اليه أهل الدعارة والشر ، فالحق الملوك وأرباب التدبير غفلة عنه لنحول ذكره ، وأنه ممن لا يبالي به ؛ فاشتد أمره ، ونما ذكره ، وكثر عتوه ، وقويت شوكته ، وقطع أهل الشر المسافات نحوه . فسار من موضعه وشق الغارات ، ولم يزل كذلك حتى نزل مدينة خاقو ، وهي المدينة العظيمة . قال : وهي على نهر عظيم أكبر من دجلة أو نحوه ، تدخله السفن التي ترد من بلاد البصرة وسيراف وعمان ومدن الهند وجزائر الزابج . وبين هذه المدينة وبحر الصين مسيرة

١٠١
١٣

(١) مدينة خاقو كما وصفها الادريسي : تقع الى الشرق من مصب نهر حمدان (ينغ تسي كينج) . وبالرجوع الى مصور الادريسي نرى أن هناك مدينة أخرى تسمى « خانكو » أو « جانكو » ، وتقع هي كذلك على الشرق من مصب نهر حمدان . ونهر حمدان ، كما رسمه الادريسي ، يصب في المحيط بفرعين بينهما بعد كبير ، يلتقيان في الداخل على مسافة كبيرة وتقع خاقو على الفرع الجنوبي منهما . والظاهر أنه عذ نهر « سيكينج » ونهر « ينغ تسي كينج » فرعين لحمدان (ينغ تسي كينج) وقد ذهب كوزراد ميلار محقق واماخرائط الادريسي إلى أن خاقو هي مدينة « ككتون » الآن . كما ذهب إلى أن مدينة « جانكو » هي مدينة « تشوتشو » . (راجع مسالك الأبصار ج ٢ ص ٣٩ الحاشية رقم ٤) .

(٢) سيراف : من بلاد فارس على ساحل البحر مما يلي كرمان ، وهي مدينة آهلة . (راجع تقويم البلدان) . (٣) عمان (بضم العين المهملة وفتح الميم) : مدينة جليظة على بحر فارس تحت البصرة ، وبها مرص السفن من السند والهند والصين والزنج ، وليس على بحر فارس مدينة أجل منها . (راجع تقويم البلدان) .

(٤) جزائر الزابج : هي في أقصى بلاد الهند وراء بحر هر كند في حدود الصين ، وقيل : هي في بلاد الزنج ، ذات زرع خصب وماء كثير ، وبها منافص اللؤلؤ وأقايه الطيب ، وبها جبل يسمى وبرة يأوى إليه عباؤها . (راجع معجم البلدان ومسالك الأبصار ج ٢ ص ٣٤) .

سنة أيام أو سبعة ، وفيها خلائق من الناس مسلمون ونصارى ويهود ومجوس وغيرهم من أهل الصين . فقصده الخارجى هذه المدينة ، وألقى بجيوش الملك فهزمها ، وحاصر المدينة وفتحها واستولى على المملكة ، وقتل من أهل مدينة خانقو خلقا لا يُحصىون كثرة . فأحصى من قُتل فيها من المسلمين والنصارى واليهود غير أهل الصين فزادوا على مائتى ألف . ثم سار بجيوشه الى بلد فافتتحه ، وقصد مدينة إيقو ، وهى دار المملكة ، وهو فى ثلاثمائة ألف ما بين فارس وراجل . فخرج اليه الملك فى خواصه فى نحو مائة ألف وألثقا ، فكانت الحرب بينهم سجالا نحو شهر وصبرا جميعا ، ثم كانت على الملك فانهزم ، وأمر من الخارجى فى طلبه . وأحاز الملك الى مدينة فى أطراف أرض الصين . واستولى الخارجى على حوزة الصين وأحتوى على دار الملك وخزائن الملوك السالفة وما أعدوه للنائب . وعلم أنه لا يقوم بالملك لأنه ليس من بيته ، فأحرب البلاد وأستباح الأموال وسفك الدماء . فبكت ملك الصين ملك الترك أميرخان وأستجده . فأنجده ملك الترك بولده فى نحو أربعمائة ألف فارس وراجل . وقد أستفحل أمر الخارجى فالتقى المريقان ، فكانت الحرب بينهما سجالا نحو سنة وقتل من الطائفتين ما لا يحصى كثرة . ثم فُقد الخارجى فقيل قُتل وأسر ولده وخواص أصحابه ، وعاد ملك الصين الى دار ملكه . قال : والعامة تسميه « يغيور » ، وتفسيره ابن السمعاني تعظيما له . والاسم الذى يخاطب به ملوك الصين طمغاجيان ، ثم لقبوا بمد ذلك ملكهم بالخان . قال : ولما كان من أمر هذا الخارجى الذى ذكرناه تغلب صاحب كل عمل على عمله ، وضعف ملك الصين عن مقاومتهم . وسندكر إن شاء الله تعالى ما آل اليه ملك الصين عند ذكرنا لأخبار الدولة الخنكزخانية . والله أعلم .

ذكر أخبار ملوك الترك

قال المسعودي : وقد تنازع الناس في الترك وبدتهم ، فذكر كثير منهم أن ولد عامور بن ثوبل بن يافث بن نوح لما قسم فالغ بن عابر بن أرغشذ بن سام بن نوح الأرض بين ولد نوح كما ذكرنا في أخبار ملوك الصين ساروا لیسرة المشرق ، فقطع قوم منهم من ولد رعو على سمت الشمال وانتشروا في الأرض ، فصاروا عدة ممالك ، منهم ^(١) الديلم ، ^(٢) والجيل ، ^(٣) والطليسان ، ^(٤) والتتر ، ^(٥) وفرغانة ، وأهل جبل الفتح من أنواع اللكر ^(٦) والالان ^(٧) والخرز ^(٨) والأبجاز ^(٩) والسريز ^(١٠) وكشك وسائر تلك الأمم المنتشرة في ذلك الصقع

(١) الديلم : ناحية واسعة بين طبرستان وأذربيجان على بحر قزوين . فاعدها مدينة رشت . خرج منها طائفة من دول الشرق ، مثل بني بويه بالعراق وبني مرداويز بمجرجان وغيرهم . وهي الآن إقليم جيلان بمملكة إيران (راجع معجم الخريطة التاريخية للرحوم أمين واصف بك) . (٢) الجبل : اسم لصقع واسع مجاور لبلاد الديلم فيه قرى كثيرة . ويقال له جيلان ويكلان (راجع تقويم البلدان) . (٣) الطليسان : إقليم واسع كثير البلدان والسكان من نواحي الديلم والخرز افتتحه الوليد بن عقبة في سنة ٥٣٥ هـ . (راجع معجم البلدان لياقوت) . (٤) التتر : جيل من أجناس الترك ظهر سنة ست عشرة وسماتة هجرية بأفاسي بلاد المشرق في جبال طفاج من حدود الصين يتأخون الترك ويجاورونهم ، وبينهم وبين بلاد الاسلام التي هي ما وراء النهر ما يزيد على مسيرة سنة أشهر ، وهم الذين عتاهم النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : « كأن وجوههم المجان المطرقة » . وكان ملكهم يسمى جنكرخان (راجع تاريخ ابن خلدون ج ٣ ص ٥٣٤ طبع بلاق وشرح القاموس) . (٥) فرغانة : ناحية عظيمة وراء الشاش ووراء جيحون وسيجون ، ينسب اليها كثير من العلماء . (٦) اللكر : جيل من الناس كانوا يسكنون بلدة بنوها فسميت بهم وهي تقع خلف الدربند تناخم خزران (راجع تقويم البلدان ومعجم البلدان) . (٧) الالان : أمة كانت تسكن إقليم القفقاس مما يلي جبال القيق (القوقاز) شمالا غربي داغستان والدربند (راجع معجم الخريطة التاريخية) . (٨) الخزر : جيل خزر العيون . وقيل : هي بلاد الترك خلف باب الأبواب المعروف بالدربند قريب من سد ذى القرنين . (٩) كذا في تقويم البلدان وياقوت . وهي اسم ناحية من جيل القيق المتصل بباب الأبواب ، وهي جبال صعبة المسلك ، وعرة لا مجال للجيل فيها ، تجاور بلاد الالان . ووردت في الأصول بحروف مهملة . (١٠) السريز : مملكة واسعة بين الالان والياب والأبواب وليس اليها إلا مسلكان : مسلك إلى بلاد الخزر ، ومسلك إلى بلاد إرمينية ، وهي ثمانية عشر قرية في جبال ، وهي المغسروفة الآن بداعستان .

والأرمن إلى طرابزندة^(١) إلى بحر مانيطش^(٢) ونيطش^(٣) وبحر الخزر إلى البلغار^(٤) ومن أتصل بهم من الأمم . وعبر ولد عامور نهر بلخ ، ويتم بلاد الصين الأكثر منهم وتفرقوا في تلك البلاد وانتشروا في تلك الديار ، منهم الختل^(٥) وهم سكان ختلان^(٦) ووزستان^(٧) والأسروشة^(٨) والسغد^(٩) وكانوا بين بخارى^(١٠) وسمرقند^(١١) ، ثم الفراغة والشاش^(١٢) وإسبيجاب وأهل بلاد العاراب^(١٣) ، فبنوا المدن والضياع . وأنفرد منهم ناس غير هؤلاء فسكنوا البوادي

(١) ذكر أبو الفداء في تقويم البلدان أنها تسمى الآن طرابزون ، وهي ميناء مشهورة على بحر مانيطش غربي سحوم وشرق سامسون ، وفي جنوبها شرق جبال الكرى ويقال له جبل الألسن لما فيه من اللغات . وأكثر سكانها الكرى . وهذه المدينة لها أسواق في السنة يأتي لها كثير من الأمم للتجارة من المسلمين والروم والأرمن وغيرهم .

(٢) هو المعروف الآن بجزآراق وبحر آزوف . (٣) هو المعروف الآن بالبحر الأسود . (٤) البلغار : جنس معروف وهم منسوبون إلى بلدان يسكنونها وهي قسم عظيم من بلاد الخزر على نهر الإتل (القولغا) ولاية قازان الروسية الآن (راجع معجم الخريطة التاريخية) .

(٥) ختلان : بلاد مجتمعة وراء بلخ قرب سمرقند . (٦) ورسنان : من قرى سمرقند . (٧) أسروشة : الغالب عليها الجبال . ويحيط بها من الشرق بعض فراغة ، ومن الغرب حدود سمرقند ، ومن الشمال بعض فراغة أيضا ، ومن الجنوب بعض حدود كش والصغانيان (راجع تقويم البلدان) .

(٨) السغد ، ويقال فيها الصفد (بالصاد بدل السين) وهي أحد متزهات الدنيا الأربعة التي هي : عوطة دمشق ، ونهر الأبله ، وشعب بوان ، وسغد سمرقند . وهو أزه الأربعة لأنه مئة نحو ثمانية أيام ، مشتبك الخضر والبساتين ، لا يتقطع ذلك في موضع منه ، وقد حفت تلك البساتين بالأنهار الدائم جريها ، ومن وراء الخضر من الجانيين مزارع ، ومن وراء المزارع مراعي السوائم ، وهي أرك بلاد الله وأحسنها أشجارا . (راجع صبح الأعشى ج ٤ ص ٤٣٣) . (٩) سمرقند : من أكبر مدن ما وراء

النهر وحاضرة السغد ، فتحها قتيبة بن مسلم سنة ٩٣ هـ . وكانت قاعدة الدولة السامانية (راجع معجم الخريطة التاريخية) . (١٠) الشاش : مدينة جليلة في أرض سهلة من عمل سمرقند وراء نهر سيجون ، ومنها إلى فراغة خمس مراحل (راجع تقويم البلدان) . (١١) إسبيجاب : بلدة كبيرة من أعيان بلاد ما وراء النهر في حدود تركستان (راجع معجم البلدان لياقوت) .

(١٢) كذا في تقويم البلدان ومعجم البلدان ، وهي ولاية وراء نهر جيحون في تخوم بلاد الترك وهي أبعد من الشاش قريبة من بلاد ساغون ، وواديها يأخذ من نهر الشاش . وفي الأصول : « القارات » وهو تصحيف .

وهم الترك الخزج والتغزغز وهم أصحاب مدينة كوشان^(٢) ، وهي مملكة بين بلاد خراسان والصين . قال : ومن الترك الكيائية^(٣) والبرختانية^(٤) والغززية^(٥) والجفهرية^(٦) . قال : وأشدّهم بأسا الغززية ، وأحسنهم صورا الخزجيسة ، وكانوا على بلاد قرغانة والشاش وما يلي ذلك الصقع . قال : وفيهم كان الملك ، ومنهم خاقان الخواقين ، وكان ملكه يجمع سائر ممالك الترك وينقاد إليه ملوكها .

قال : ولحق فريق من ولد عامور بتخوم الهند ، فأثرت فيهم تلك البقاع فصارت ألوانهم خلاف ألوان الترك ولحقوا بالوان الهند . ولهم حضرة وبواد ، وسكن فريق منهم بلاد أثبت وملكوا عليهم ملكا وكان ينقاد إلى ذلك الخاقان . فلما زال ملك خاقان سمي أهل أثبت ملكهم بخاقان تشبها بملوك الترك .

ذكر جبل الفتح وما عليه من الملوك والأمم

قال المسعودي : وأما جبل الفتح فهو جبل عظيم اشتمل على كثير من الممالك والأمم ، وفيه اثنتان وسبعون أمة ، لكل أمة ملك ولغة تختلف لغة الأخرى . وهو ذو شعاب وأودية ، ومدينة الباب والأبواب على شعب من شعابه ، وهي التي بناها كسرى . وعلى أحد شعاب هذا الجبل بحر الخزر مما يلي الباب والأبواب ، ومملكة

١٠٢
١٢

(١) الخزج : صنف من الترك ، وهم الذين كان منهم السلجوقية .

(٢) كوشان : مدينة في أقصى بلاد الترك كما في معجم البلدان لباقوت .

(٣) الكيائية : نسبة إلى كياك ، ولاية واسعة في حدود الصين وكان أهلها تركا يسكنون الغياض ويقعون الكلا .

(٤) البرختانية : نسبة إلى برختان ، وهي من مدن إسبجباب .

(٥) الغززية : حدود ديارهم ما بين الخزر وكياك وأرض الخزرجية وبلغار .

(٦) الجفهرية : نسبة إلى الجفر وهي في حدود بلاد التغزغز كما ذكر لباقوت في كلامه على تركستان .

شروان ، ولى هذه المملكة مملكة الأزان ^(١) ، وملكها يدعى الأزان شاه . ومنها مملكة الموقانية ، ومملكة الأكر ، وهى أمة لا تُحصى كثرة تسكن أعلى هذا الجبل ، وهؤلاء ينقادون إلى ملك شروان ، ومنهم كفار لا ينقادون اليه يقال لهم الدودانية جاهلية لا يرجعون إلى قبلة . ولى ملك شروان ملك طبرستان . ومن ممالك الجبل مملكة حيزان ، وهى داخله فى جملة الخزر . ومملكة الخزر تلى مملكة حيزان ، وبين مملكة الخزر ومدينة الباب ثمانية أيام . ومدينة الخزر اسمها سمندر . ومن مدن الخزر أيضا مدينة إتل ^(٢) بينها وبين سمندر سبعة أيام ، وهى ثلاث قطع يقسمها نهر عظيم يرد من أعلى بلاد الترك ، ويتشعب منه شعبة نحو بلاد البلغار ويصب فى بحر مانيطش . وفى هذه المدينة [خلق] ^(٣) من المسلمين والنصارى واليهود والجاهلية . فالملك وحاشيته وجيشه من اليهود ، والجاهلية بها من الصقالبة والروس ، وهم يحرقون موتاهم ودواب من يموت وآلاته . وإذا مات الرجل منهم أحرقت معه أسرته ، وإن مات المرأة لا يُحرق معها الزوج . وأما المسلمون فهم جند الملك ، ويعرفون بالالرسية ، وهم ناقلة من بلاد خوارزم كانوا قد وفدوا الى هذه المملكة لقمحط أصاب بلادهم فى صدر

(١) أزان : ناحية واسعة الأرجاء ، بين أرمينية وأذربيجان وبلاد الكرج وبحر قزوین . وأشهر مدنها : موقان ، وبرذعة ، والبيلقان ، وبين أزان وإقليم الكرج نهر الكر ، ومنها اشتق اسم دولة « إيران » فى عصرنا هذا (راجع معجم الخريطة التاريخية) . (٢) الموقانية : نسبة الى موقان بن كاشغ ، وهى ولاية فيها قرى ومروج كثيرة تحتلها الترك للرعى فأكثر أهلها منهم ، وهى بأذربيجان ، يمزق القاصد من أردبيل إلى تبريز فى الجبال . (راجع معجم البلدان فى كلامه على موقان) . (٣) الدودانية : أمة يزعمون أنهم من بنى دودان بن أسد بن خزيمه بن مدركة ، كما ذكر ياقوت فى كلامه على أرمينية . (راجع معجم البلدان فى كلامه على أرمينية) . (٤) حيزان : من مدن أرمينية قريبة من شروان . (راجع معجم البلدان لياقوت) . (٥) سمندر : مدينة بين إتل وباب الأبواب ذات بساتين كثيرة ، يقال إنها تشتمل على نحو من أربعة آلاف بستان كرم ، وهى التى افتتحها فى بدء الاسلام سليمان بن ربيعة الباهلى . (راجع ياقوت) . (٦) إتل : عاصمة بلاد الخزر . وقد سُمى بها النهر العظيم الذى يمزق بلاد الخزر وبلاد الروس وبلغار . (راجع ياقوت) . (٧) التكملة من المسعودى (ج ١ ص ٨٦) .

٥

١٠

١٥

٢٠

الإسلام . فاستعان بهم الملك فأقاموا عنده على شروط ، منها : أن يقيموا شعار الإسلام ، وأن تكون الوزارة فيهم ، وأنه إذا كانت الحرب بينه وبين المسلمين لا يحضرونها ويحاربون معه سائر الكفار . وبالمدينة قضاة سبعة : اثنان من المسلمين ، واثنان للخرز^(١) يحكمان بحكم التوراة ، واثنان من النصارى يحكمان بالإنجيل ، وواحد من الصقالبة والروس والجاهلية يحكم بالقضايا العقلية . وإذا ورد ما لا علم لهم به من النوازل الكبار اجتمعوا الى قضاة المسلمين فتحاكوا اليهم وأقادوا لما توجبه الشريعة الإسلامية . وليس في الملوك من عنده جند مرتزقة غير ملك الخزر .

قال : وفي دار مملكة الخزر رجل يكون اسمه خاقان لا يركب ولا يظهر للخاصة ولا للعامة ، ولا يستقيم ملك الخزر للملكهم إلا أن يكون عنده خاقان معه في قصره . فإذا أجذبت أرض الخزر أو نابت بلادهم نائمة أو حرب ، جاءت الخاصة والعامة الى ملك الخزر وقالوا له : قد تطيرنا بخاقان وبأيامه وتشاء منا به ، فأقتله أو سلمه إلينا نقتله ، من غير أن يكون قد عمل ما يوجب ذلك ؛ فتارة يقتله ، وتارة يسلمه اليهم فيقتلونه ، وتارة يمانع عنه ويرق له . وإذا قتل خاقان أقاموا غيره . قال : وللخرز زوارق يركبون فيها من نهر فوق المدينة يصب الى نهر يقال له برطاس ، عليه أمم من الترك حاضرة داخلية في جملة ملوك الخزر ، وعمائرهم متصلة بين مملكة الخزر والبُلغر ، يرد هذا النهر من نحو بلاد البلغر . ومن بلاد برطاس تُحمل جلود الثعالب السود التي يُعرف وبرها بالبُرطاسي . قال المسعودي : ويبلغ ثمن الجلد منها مائة دينار . وتلبسها الملوك وهو عندهم أغلى من السمور^(٢) والفتك^(٣) ، والحمر دونها في الثمن .

٢٠ (١) في الأصل : « يحكمون » . (٢) السمور : حيوان برى يشبه السمور ينجد من جلده فراء ثمينة .
 (٣) الفتك (محركة) : دابة يفترى جلدها ، أى يلبس فروا .

